

A black and white portrait of a man with short dark hair, wearing a suit and tie, and a graduation cap and gown. He is looking slightly to the right with a gentle expression. The background is a light yellow with a large, stylized purple and blue wave-like shape on the left side.

عبد الله الطيّب ذلك البحر الزاخر

دراسة تحليلية لحياته
ونظرياته في الأدب والحياة

المؤلف:

أ.د. زكريا بشير إمام

استاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بالجامعات السودانية
مدير جامعة جوبا سابقا

الخرطوم، يونيو ٢٠٠٤م

عبدالله الطيب^{يا} ذلك البحر الزاخر

دراسة تحليلية لحياته
ونظرياته في الأدب والحياة

المؤلف

أ.د. زكريا بشير إمام

أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بالجامعات السودانية

مدير جامعة جوبا سابقاً

الخرطوم : يونيو ٢٠٠٤

51507

University of Khartoum Library

Location Sudan

Acc. No. 383661

Class Mark 89811.000926624

Class Mark 89811.000926624

- اسم المؤلف : البروفيسور / زكريا بشير إمام
- عنوان الكتاب : عبدالله الطيب ذلك البحر الزاخر
- الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة
- عدد الصفحات : ٤٥٢ صفحة
- التاريخ : يونيو ٢٠٠٤م
- الوصفات : أدب عربي - شخصية عبدالله الطيب وتاريخ حياته - فكر عبدالله الطيب وفلسفته في الحياة - شخصيات سودانية - الأدب الجاهلي - التعليم في السودان - تاريخ جامعة الخرطوم - الأدب

العربي والأدب الإنجليزي.

< الادب السوداني - تراجم >

< عبد الله الطيب - تراجم >

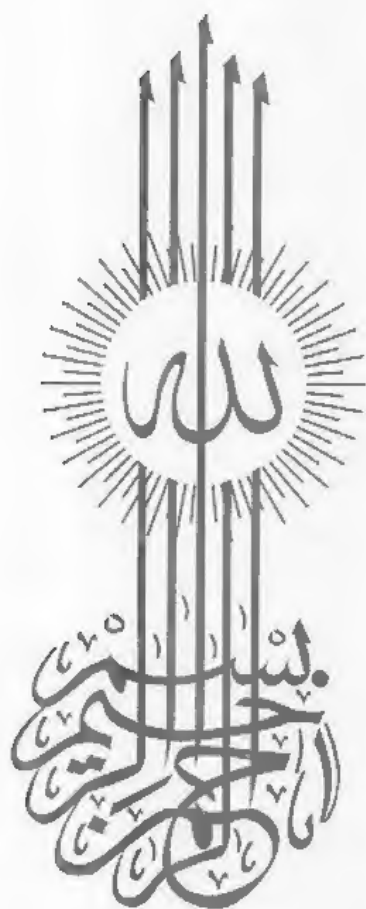
< الادب العربي - السودان >

< عبد الله الطيب - حياته >

كافة حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م



فاتحة كل خير

الإهداء

أهدي هذا الكتاب بكل فخر إلى روح أستاذنا العلامة
البروفسير / عبدالله الطيب
والى السيدة الفضلى جريزilda (جوهرة) زوجته المكرمة
ورمز حبه وإلهامه
والى أم أيمن د. ماهر محمد أحمد عثمان
زوجتي الغالية . . صاحبة العقل والعزيمة وأم البنين .
إعترافاً بمؤازرتها وإسهاماتها الجليلة
في رحلة الحياة وأسفارها الطويلة

المؤلف

الفهرس

الفصل الأول

عبدالله الطيب :

نشأته وتطوره الفكري والأدبي

٣	البيئة والمنشأ	✓
٧	عبدالله الطيب وحساده	✓
١٠	فيم يحسد الفتى عبدالله الطيب	✓
١٢	عوامل تكوين شخصية عبدالله الطيب :	✓
١٣	العامل الوراثي :	✓
١٥	عوامل البيئة والجغرافيا :	✓
٢٠	العامل التعليمي والتربوي في حياة عبدالله الطيب :	✓
٢٦	عبدالله الطيب والإنجليز :	✓
٣١	عبدالله الطيب والمستر سكوت	
٣٦	المستر سكوت ونظرية أصل الأنواع عند دارون :	

الفصل الثاني

عبدالله الطيب : ذلك البحر الزاخر

٣٩	عبدالله الطيب : ذلك البحر الزاخر	
٤١	عبدالله الطيب الذي عرفته :	
٤٥	المفاتيح الرئيسة لشخصية عبدالله الطيب :	✓
٤٥	المفتاح الأول	✓
٤٦	المفتاح الثاني	✓
٤٨	المفتاح الثالث	✓
٤٩	المفتاح الرابع	✓
٥٢	المفتاح الخامس	✓
٥٣	المفتاح السادس	✓

٥٤ المفتاح السابع
٥٥ المفتاح الثامن
٥٧ وفاء عبدالله الطيب لجريريلدا (زوجته) ووفاءها له :
٦١ المفتاح التاسع
٦٧ جدلية الأدب العربي والأدب الإنجليزي عند عبدالله الطيب
٧٠ ترجمة أبيات إليوت إلى العربية :
٧٣ معذرة يابروف عبدالله الطيب :
٨٠ البروف عبدالله الطيب ووليم بليك (William Blake)
٨١ ولیم بليك وأبو الطيب المتنبي :
٨٢ توماس هاردي وسرقاته :
٨٣ عبدالله الطيب بين الأعداء والأصدقاء :
٨٨ أصدقاء عبدالله الطيب :
٩٢ شخصية عبدالله الطيب الحقيقية :

الفصل الثالث

عبدالله الطيب : الرجل والبيئة والإيقاع

١٠٥ عبدالله الطيب : الرجل والبيئة والإيقاع
١٠٦ عبدالله الطيب الرجل سليل المجاذيب
١١١ الحديث عن قبيلة الجعلين
١١٩ العصبة الباطلية وتشريد عبدالله الطيب :
١٢٢ عبدالله الطيب والجعليون :
١٢٩ عبدالله الطيب : عاشق النيل :
١٣٣ عبدالله الطيب والشجرة :
١٣٨ عبدالله الطيب العربي الأصيل

الفصل الرابع عبدالله الطيب والشعر العربي

- ✓ نظمهُ وأوزانه ١٤٣
- ✓ عبدالله الطيب والشعر العربي ونظمه وأوزانه ١٤٣
- عبدالله الطيب يضع عترة بن شداد في المقدمة : ١٤٨
- عبدالله الطيب وليد العامري ١٦٧
- ✓ المطالع والمقاطع في الصياغة العربية : ١٧٢
- ✓ مقاطع الشعر الجاهلي : ١٧٨
- بحور الشعر العربي ومدى مواءمتها لأغراضه المختلفة : ١٨٣

الفصل الخامس عبدالله الطيب وأبو العلاء المعري

- ✓ عبدالله الطيب وأبو العلاء المعري : ١٨٩
- ✓ أبو العلاء المعري وتقديم المستشرقين له : ١٩٥
- ✓ نظريات عبدالله الطيب في تفسير ظاهرة الدرعايات عند المعري : ٢٠٢
- ✓ أعمال أبي العلاء المعري : ٢١١
- ✓ نماذج من أشعار وأفكار أبي العلاء المعري (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ) : ٢١٣
- ✓ ملاحظات حول رسالة الغفران : ٢٢٧
- أبو العلاء يضع عترة بن شداد في النار : ٢٣٠
- المعري يدخل صخراً (أخا خناس) النار : ٢٣٣
- خاتمة هذا الفصل : ٢٣٥

الفصل السادس عبدالله الطيب والطبيب المتنبئ

- ✓ أبو الطبيب المتنبئ في حياة عبدالله الطيب : ٢٤١
- المستشرقون يفضلون أبا العلاء على أبي الطبيب : ٢٤٣
- عبدالله الطيب ونيكلسون والمتنبئ : ٢٤٣

٢٤٦	عبدالله الطيب و أندروا مارفيل والمنتبى :
٢٤٩	عبدالله الطيب والمنتبى :
٢٦٣	عبدالله الطيب ونيكلسون والمنتبى (عودة) :
٢٦٥	إستعراض لبعض روائع المنتبى :
٢٦٦	ليالي بعد الظاعنين شكول :
٢٦٨	عيد بأية حال عدت يا عيد :
٢٧٠	صحب الناس قبلنا ذا الزمان :
٢٧١	بم التعلل لا أهل ولا وطن :
٢٧١	على قدر أهل العزم تأتي العزائم :
٢٧٢	فلا تقنع بما دون النجوم :
٢٧٣	الرأي قبل شجاعة الشجعان :
٢٧٤	لكل امرئ من دهره ما تعودا :

الفصل السابع

عبدالله الطيب وأبو تمام

٢٨٥	أبو تمام في حياة عبدالله الطيب :
٢٨٥	الإختيار القبائلي الأكبر
٢٨٥	واختيار قبائلي أصغر
٢٨٦	اختيار شعراء الفحول
٢٨٦	اختيار المقطعات :
٢٩٢	أبو تمام الطائي وأشعار الحماسة :
٢٩٢	لو كنت من مازن
٣٠٣	البحثري في حياة عبدالله الطيب :
٣٠٥	مقارنة أخرى بين أبي تمام والبحتري :
٣١١	سينية البحتري :
٣٢٠	روائع البحتري :
٣٢١	البحثري في مدح المتوكل :

٣٢٤	رائعة البحري في وصف البركة :
٣٢٧	وصف الطبيعة عند البحري :
٣٣٠	بين عبدالله الطيب وابن الرومي :

الفصل الثامن

عبدالله الطيب : والحنين المستحيل

٣٣٩	عبدالله الطيب والحنين المستحيل :
٣٦٧	عبدالله الطيب والآمال الكاذبة :
٣٧٩	عبدالله الطيب عاشق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) :
٣٩٥	عبدالله الطيب والبوصيري :

الفصل التاسع

خاتمة وتعقيب

٤٠٣	خاتمة وتعقيب :
٤٠٤	مناظرة بين أبي سعيد السيرافي (عالم اللغة) ويونس بن متى (عالم المنطق) :
٤١٣	جوانب فلسفية في مقدمة ابن خلدون :
٤١٧	نظرية غودل (Godel) في عدم اكتمال نظرية الحساب :
٤٢١	أشواق عبدالله الطيب ومعاركه :
٤٢٢	أشواق عبدالله الطيب وحنينه :
٤٢٨	عبدالله الطيب والتمهيش :
٤٢٩	كيد الأفندية وكيد المشائخ :
٤٣١	عبدالله الطيب وآراؤه في عروبة السودان والسودانيين :
٤٣٢	العرب أصلهم في السودان :

تقديم

بقلم بروفييسور/ عبد الرحيم علي إبراهيم *

الحمد لله حمداً كثيراً ، وللصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد النبي الأمي وعلى اله وأصحابه صلاه تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتقضى بها الحونج ، وتبذل بها الرغائب وحسن الخواتيم .

ورحمة الله الراسعة على أستاذنا عبد الله الطيب فقد كان محمداً لرسول الله ، راحياً لشفاعته في الآخرة وأشهد أن قصيدته برق المدد وهي آخر ما ألف من الشعر ، وكان تمامها فرحاً سعيداً كأنه كن يخشى ألا يمهلك الأجل ، فحرص على تحسینها وتصحيحها وبشرها - فيها أوضح العسارة على ذلك الحب الذي كن يرى أنه مدحل إلى الدين كله ، إلى النجاة وإلى الفوز وإلى سعادة الآخرة بل كان يرحو به لشقاء والصولة على لأعداء بل يتوسل به لكل مراد قريب أو بعيد .

لقد كرمني لأستاذ الصديق البروفيسور دكتر يا بشير بتقديم كتبه الجامع عن عبد الله لطيب ، وأدركتني هبة أمم هذا التشريف ، فطال ترددي وحال انتظاره وصبره ثم أقدمت على كتابة هذه السطور ! ولعل ما أدركني من الهبة مصدرة أن كلا لرجلين الرحل والمؤلف عزيز علي ، لا يستطيع أن أفي ولو بعض حقه ومصدرة كذلك أن هبة الموت التي عمرسي بوفدة ركن ركن في حياة جيلي كله ، كنت أعظم وأجل في حاضري من أن أعترف بها ، أو أحيي شعوري تجاهها إلى كلمات وعبارات - كانت كما قل المتني .

طوى الجزيرة حتى جاءني نبأ

فررت فيه بأمالي إلى الكذب

عظمة الموت ، وعظمة الميت ، الذي = رحمه الله - كان رمزاً في القرون الذي انصرم للأصالة التي لم يظامن من شموخها وثباتها كل رياح التقليد والفرجة ولا كل مظهر التمدن ولألاء الحضارة الغربية التي أعادت على عالمنا الإسلامي والعربي بريق من البريق في كل مجالات الأدب والثقافة والفن وأساليب الحياة .

وقف عبد الله الطيب كالصود الأشم ، هي وحه تلك ابريح الهوج ، وتوى إليه إلى ركه

* بروفييسور عبد الرحيم علي إبراهيم مدير معهد اللغة العربية الدولى للناطقين بغيرها ومدير جامعة إفريقيا العالمية (سابقاً).

عه : نارة يسموه بالكتب الصفراء، وقدره بالرجعية واحرون أنكرو الحصدرة لعزية
واكمشوا، وأصابتهم منها عقدة نقص، ولم يقصر المستعمرون في تأكيد تلك العقدة
وتعميقها، بأنواع السياسات والإجراءات، وفي ذكريات الرحل من ذلك أوصاف دقيقة
معبرة.

فأين وقف عبدالله الطيب من ذلك ؟

كان الرحل كما أعده الله لدور يقوم به في ذلك الحيل من الناس، كان ذلك وقداً
ونفساً أبية، كأنه أراد الشاعر حين قال :

متى تجمع القلب الذكي وصارماً

وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

ويش في بيت علم ودين فأشرب حب النبي (ﷺ) وحب الكتب، وتوفي مئة في
البيان والحفظ فلم يحدوها الرماح، فنك على الآداب العربية، حتى بدت له أسباب
الثقافة الإنجليزية أو عمل في دراستها، وحفظ من أشعار الإنخير القديمة والحديثة ما أهله
ليكون ناقداً فذاً.

ثم إنه تولد له من جمع بين هاتين الثقافتين، ملكات حديدة في النقد والشم، وهو
أمر معهود فيمن يجمع ما إلى فن، ومهجا إلى منهج، ويمثل ذلك قال ابن خلدون
ومن صرتك ذلك وعجائنه أنه حاول تشطير بعض الشعر الإنخير على عمود الشعر
لعربي وقدرن بين أوران الشعرين مقارنات ضرفة وعميقة تدل على ذوق في الموسيقى
والإيقاع لا يتأتى إلا للأفذاذ.

ومن مظهر اهتمامه بالثقافة الإنجليزية أنه رمى اصبع على كثير من هزنها واستوعب غير
فيل من دعاياتهم، وأمثالهم، وقد ساعده على ذلك أنه تروج بمره منهم ودح في
المجتمع الإنجليزي مداخن لا تتاح إلا بالمصاهرة التي يبدو أنها فتحت له كذلك معاليق من
المجتمع لا تتاح بالاطلاع على الكتب والمقالات. وقد كان يروي في محاسنه وبين تلاميذه
من الأحبار والمعلومات ما لا يسجله بقلمه، وفيه ما يدل على اتصاف واسع وتفاعل عميق
مع شخص وأصدقاء في المجتمع الإنجليزي والفرنسي والألماني، ومدر من بعيد مما
أتاح له نافذة من العلم بذلك المجتمع لا يقترب منها الدارسون الأجانب إلا نادراً

وتدل بعض مؤلفات عبدالله الطيب ومفالاته على أنه حرص في شبابه على تجريب
واسنياعاب أمدط الحبة الأوربية في الرياضات والألعاب والتموم والمسرح - حتى إنه

أركان طوائف من أبناء الحبل كانوا يحسون باخاجة إلى الاستداد والاستطهار عن بدفع
عهم ، ويملاً نفوسهم الحائرة بالثقة والطمأنينة إلى تراثهم وعزة أمتهم ، وبالقُدرة الهائلة
على دفع الأبطال التي ظل يثيرها أعداء الحضرة الإسلامية ، عذرة بعد عذرة .

ولذلك أحبه تلاميذه كهم حباً عميقاً ، لا سيما منهم من كان يرى فيه هذه الرمزية ،
ويتمسك في دمه وحضرته ومحاصرته تلك الطمأنينة الوثائقية لتراث الإسلام ، بالأدب
لعرابي ، وبعمل جذور الأمة وأصالة معدنها ، وبرائتها من كل نقص يحوجها إلى الاعتذار
والإطواء أو الفرار إلى حضارة الآخر وتراثه وإدعاء الانتماء إليه .

نعم ، لقد كانت شخصيته كما وصف المؤلف جاذبة بحيويتها وروح مرح والدعة
المطروعة فيها ، وكانت فيوص عنده وبوادع معرفته ، وتنوع مصدره ، كلها شددت إليه أبناء
الحبل الذين لم يشاركوه مذهبه في الأصالة ، بل خالفوه وعدوا عليه ووضعوه كحمود
وإرعية حتى أولئك كانوا يحدون فيه حلاله وأريحية تشدهم إليه - ولكن حب الطائفة
الأولى وهي الأكثر هي بلادنا كان أعظم وأعظم . ولم يكن تلاميذه وحدهم الذين أحبه ،
فقد كان أعظم شخصيات السودان شعبية ، وأوسعهم قبولاً لدى العامة من الناس ، فقد
دخل تفسيره للقرآن ، الذي سلك فيه بالعمية السودانية مسلكاً متميزاً - دخل إلى قلوب
الناس وإلى بيوتهم فلا زالت النساء في القرى والشيوخ والشباب في أرجاء السودان
يتحلقون ليسمعوا التفسير ، وإحدى في السير فلما مات كئيباً في كل بيت في السودان مات
وحداد .

وما بلغ ما سمعت يوم تشييع جنازته ، ولناس مصرفون بعد الدفن ، وقد توانى
الخطباء والمشعرون ، لكن امرأة في أفواج المصرفين تقول لأختها : ' الناس بعدده يسدوا
إبرادي ويسدوا التفرزيون ' أي : بعد وفاته يسد (يغلق) الناس المديح والتلفزيون فكانت
مقائنها أبلغ عندي وأوجع نفسي الحزينة من كل مقالات الخصة !

ومن عاص في ما وراء مظاهر المحبة والإعجاب التي ما كانت تخفى ، وانتهى عمره
عامه الناس بعد وفاته أبلغ تعبير ، من غاص وتامل يجد أن الحبل الذي سجل تجربته
الأستاذ المرحوم عبدالله الطيب في حقبة الذكريات وفي مقالات أخرى كثيرة ، كان جيلاً
مصارعاً عاش منذ العشرينيات بدايات تجربة التعليم الأفرنجى في بخت الرضا ، وكنية
عردون وما بعده ، وامتدت تجربة ذلك الجيل في تلاميذه ، حين انقسم الحبل نفسه ، فكان
منهم مقتنون بالحضارة الأوروبية دأوا فيها وأنكروا تراث حضارتهم ، وبجهمواله ووزوروا

ليصف في بعض كلامه لعبة النويست من ألعاب الورق بلفظ بليغ وعبارة واضحة وتفصيل دقيق مذهش .

وكان المرحوم في شبابه أراد أن يرهق أنه وإن كان ابن الشيوخ الزهاد في ندامر قادر على كل ما تبقى له لحضارة الغربية في طريقه من تحد ، سوء من ذلك ما كن جده أو هراً ، وما كان تحدياً بالمكر أو بقدرة لحسد ، فكان أولاً في السباقات وفي العوم والرياضات مثلما كان في اللغة ولعلوم ، ونله قادراً ولله في خلقه شئور .

فما تصدى عبدالله الطيب لثقافة الأفرنجية مدافعاً عن ثقافته وعن تراثه ، لم يكن يتصدى بصف عدم ، ولا بصف معرفة ولا بجهل كما بفعل كثير من أبناء الخيل . بل كان في معرفته أعظم وأقدر وأعظم إنساناً من كثير من المقلدين لذين ما أن طبعوا على قصائد قليات ، وقرأوا كتيبات معدودات ، وجرت على ألسنتهم اللغة بكلمات معدودات حتى ألقوا السلم ، وقالوا آتينا للثقافة الأجنبية طائعين .

نكر ذلك الجهد لأشوس رافع لواء العربية ، ما أكثر ما رأته وسمعته في محاضرات من أهل العلم يعتقد أقوالاً من مزاعم المستشرقين ، وحجج الطاعين ، بقول من قولهم وحجة من تناقضاتهم ، فلذلك أعجبته واحسائه . وكان سقاً من سوف الله .

لما عهد إلي الأستاذ الصديق بروفسير زكريا بشير بهذه المقدمة ، لم تكن أعلم أنه قد در كل تلاميذ الأستاذ الراحل عبدالله وسبقهم بكتابة سفر صحبه شامل . فيه سلاسة واسترسال ، وبهج فيه نهج لاستطراد والأريحية فأشبهه بذلك منهج الرحل نفسه حين ياحد في كتبه السير والذكريات . وقد كان ولا يزال كل تلاميذ الراحل يحدثون أنفسهم بكتابة سيرته أو بتناول جوانب من أدبه . لكن زكريا سبقهم إلى ذلك ، وهو فيمن أن يسبق لأنه ربطه بالرحل أصرة العشرة والموطن ، ووثقت علاقته به كليه الآداب التي هي عشيرة الراحل ، وقبيلته ورباطته .

كما أن الود الخاص الذي ذكره لمؤلف مع ما علمه في زكريا من عاطفة جياشة وشخصية ودودة ، مع طاقة وافرة في التأليف وصبر عليه كانت كلها عو من حكمة في خروج أكبر سفر يخرج بعد وفاة الراحل يتناول سيرته وأدبه ، تدولاً عميقاً وسهلاً ، في أن ، وبذلك سجل البروفيسير زكريا سطور الوفاء لذكرى أعر الراحلين على أبناء السودان قاطبة .

ولا زال أذكر كلمات الرحل ، وقد طلب منه التحكيم في بعض مقالات الأستاذ زكريا تمهيداً لترحيله إلى الأستاذية فقد أثنى عليها شئاً جميلاً وقد فيما قد إنه يكتب بنفس ممدود ! فوجدت هذا النفس الممدود في هذه المجلدات نثي سطرها صاحبها تصديقاً لقول عبد الله الطيب عنه .

والبروفسير زكريا - بعد ممن بالوا حائزة لشهد الزبير وهي أعلى الجوائز العلمية في بلادنا ، فكان بذلك زميلاً لمرحوم عبدالله في هذا التكريم ، وهو مع عاطفته خياشه الذافقة فيسوف مفكر نقد ، ومؤلف مضرع ، أحمد له هذه المبادرة وأسأل الله أن يحريه خيراً .

إن الرحل عبدالله لطيب ليستحق هذا الوفاء من تلاميذه فقد كان من ابر الناس تلاميذه وأصدقائه ، يرورهم ومعه أفكار وآراء وبصنح ، ويتعفدهم في كل أمورهم ، ويسعى في حاجاتهم . لا أنسى إذ دخلت تسجن مع زميل من تلاميذه هو نذكور جعفر ميرغني . به سعى حتى أطلق سر حنا ثم وقد كما فصلت من الجامعة سعى حتى دخل على الرئيس نيميري فأعاد إلى الجامعة ورأته يتوسط في شأن بعض تلاميذه وهم بعيدون خارج البلاد ! فم كان أبره وم كان أصدق وده ، عبه رحمة الله الرحمة أبو سعة م ذكر لشعر ودرس الأدب وقريء القرآن ومُدح نبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن الله وإن نبي راحعون ولا نقول إلا ما يرضي الله رسا وب لفراقه لمحروون .

والحمد لله رب العالمين

في كل حين ومناسبة ويستفيدون منها هي كل يوم فائدة علمية وممتعة ذهنية وتراث إنسياني
أديباً وعلماء خالداً رقيقاً.

ووجدت أياتاً لحافظ إبراهيم . في رثاء الراحل محمود سامي البارودي ، وجدت لي
أكثر ملاءمة في رثاء الراحل المقيم أستاذنا العلامة عبدالله لطيف رحمه الله رحمة
واسعة ؛

يقول حافظ إبراهيم يرثي محمود سامي البارودي ، وهو صاحب قلم وقوافي وعلم من
أعلام الشعر العربي الحديث . . بل هو واحد من فحول الشعراء المحدثين مثله في ذلك مثل
عبدالله الطيب :

لبيك شاعراً ضمن الزمان به
على النهى والقوافي والأناشيد
تجري السلاسة في أثناء منطقته
تحت الفصاحة جرى الماء في العود
في كل بيت له ماء يرفُّ به
يفار من ذكره ماء العناقيد
لو حنطوك بشعر أنت قائله
غنيت عن نفحات المسك والعود
حليته . . بعد أن هذبته بسنا
عقد بمدح رسول الله منضود
لبيك يا خير من هز اليراع ومن
هز الحسام ومن لبي ومن تُودي
إن هُذركم منكوباً فقد رفعتُ
لك الفضيلة ركناً غير مهدود

هرعت إلى قلبي لأكتب مقالاً أرثي به أسنادي العلامة وصديقي ورميني الذي طالما
وقف بجانبني في ظروف عصيبة ، مرت بي في إن ثورة شعبان ، وقبلها عندما كنت طناً
بجامعة الخرطوم . وكان حين أنود والقريب وحبل العشيرة والأهل في 'الدامر العربي'
نرط بسنا وتوثق عهود النود والمحبة وكذلك ربطة العلم والتشفة وحب في الله غير

مقدمة المؤلف

عندم نعي إليّ أستاذي الجليل عبدالله لطيف، وأنا بالدوحة بقطر، أصابني نوعه شديدة وأسى فاجع مؤلم، فلم أكن مهتماً بقراءته، خاصة وقد تركته في آخر زيارة لي في حرم صوم، وقد طرأ عليه تحسن واضح وسألته إن كان قد عرفني فأعظم عيبيه في إشارة بالإيجاب. وخرجت من عنده وقفلت رجلاً إلى الدوحة وكنت في أن يستعيد عبدالله لطيف عافيته وحيويته التي ظلمت أمتعت، ملأت لديني بهجة وسعادة. وتكلمت مع مرفقه الخارث الخلفاوي فقال متهدلاً إن عبدالله سوف يستعيد كل من صحته قريباً. وعندما سمعت خبر الوفاة انتاع القلب وأحسست فراغاً أشبه بفراغ فؤاد أم مرسى وكنت في النفس أن تفرغ بعض نوافذ نالائقه به أيات وأسامع أسمع منه ذلك لأحدث الشجيرة وتنت مساحلات الرائحة العبقريّة التي ظلمت أعجست وأرست حاجة عميقة في نفسي ودياً لصداً لروح والعقل سواء سواء. ولكنني كنت أرجي ذلك إجازة بعد إجازة وكنتي أنصرف في لرمس وهي الأحال، وهذه من غصة الإنسان ومن حديع لرمس أن يتصرف الإنسان وكأنه يستطيع تنفيذ رعباته وتحقيق أماله متى وأنى شاء. ولكن الرمن حكم مصع وسيد مهيم، وما لم يتهر الإنسان لرمص، ويجري المواسم، فإنه بلا شك نفوت عليه لكثير من الإبحار والأعمال ولأول وهلة تذكرت أبيات لبيد بن أبي ربيعة ندمري

بلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ

وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وما الناس إلا كالديار وأهلها

بها يوم حلتوها وغدواً بلاقمُ

وما المرء إلا كالشهب وصوته

يحور رماداً بعد إذ هو ساطعُ

ونكبي رأيت أن لبيداً لم يكن سوى شاعر حدهي، على دين الوثنية العربية، التي لا تؤمن بحدود الروح ولا بحياة بعد الموت، فكيف يظن بالراحل المقيم عبدالله الطيف أنه يحور رماداً ليس إلا. فعدالله الطيف وأمثاله من المؤمنين الموهوبين يقولون - بعد رحيلهم في آثارهم الخالدة ما بقيت حبة على وجه هذه نسيطة. آثارهم الحية التي يدكرها الناس

والفجعية التي أذهلتني عندما نعى الناعي انتقاله إلى لدر الاحرة، وفي نفس شوق إليه وحاجة لم تنقص. ولكي أردت أيضاً أن أعطي القاري، وخاصة اجل انشيء من أبنائنا وتلاميذ ملامح عريضة وموخرة لعنقريه هذا الرجل، وعلمه اموسوعي توسع، لدي عر أن توجد مثله على مدى الأزمان والعصور، وهما تشبكت أممي لصرق وشعنت المسالك وتعددت المدهج والمشراب، فعدالله لطيب ليس شحصاً واحداً ولكنه شحوص كثيرة، وعمومه ليست بعلم واحد ولكنها علوم كثيرة عزيزة، وعترف أنني لم أكن قد أحسست التقدير إذ طست أني أستطيع أن أنجز مثل هذا تقديم الموجه لعلوم عبد الله الطيب. فوجدت نفسي -- جرأ ذلك لتقدير الخطيء -- في ورطة عظيمة. فاستوحشت وصعب علي أن أكتب رثاءً سطحيًا نفصياً لرجل في قمة عبد الله الطيب واستعنت بالله، وسألته سؤالاً ملحاً أن يسهّل علي أمر هذه المحولة، أعطاء تعريف جامع شامل لعلوم عبد الله الطيب وإهتماماته الأدبية لثرة وبوغه في علوم اللغات ولا أقول العربية وحدها.

ولا أشك أن مؤني عر وحل قد استجاب لدعائي فسهل علي ما كان صعباً ونسقط أمامي ما كان مشكلاً خصوصاً وأنا لست من أهل الاختصاص في علوم العربية ولا في الأدب ولشعر العربي فحدثت - وعلى مدى أكثر من ستة أشهر أدرس آثار عبد الله طيب وكنه التي تيسرت لي من مكتبتي الخاصة وكديث وجدت - بحمد الله - كثيراً من مؤلفاته في مكتبته جامعاً فطر لغيراء بالدوحة، وأرسلت إلى إبي دة حبي ركري أن يشتري لي بعض كتبه ويرسلها من اخرطوم. بالرغم من ذلك فهناك بعض كتب ومؤلفات عبد الله الطيب لم أستطع لحصول عيها، خاصة كتبه (من دفة نقص).

مهم يمكن من شيء، فإذ هذا الكتاب لدي هو الآن بين يدي القراء هو جهد اقل وإبي لأرجو من أنه عر وحل أن يمكن من كتابه لمزيد من الدراسات عن فكر عبد الله الطيب وعن فلسفته في الحياة إذا كان في العمر بقية. كما أنني أرجو أن يكون فاتحة خير لدراسات عميقة عن هذا العالم لعبقري. ذلك أن عبد الله الطيب ليس فقط شحصاً فداً أو عباً موهوباً ولكنه رسالة سامية وفكرة حائلة. فعدالله الطيب حامل لواء الثقافة العربية الإسلامية في السودان وفي العالم العربي. وهذه الثقافة اليوم تعاني كما عانت بالأمس خطر التهميش والاقصاء من وخطر الاستئصال من بعض الدوائر التي تعادي العروبة والإسلام وما أكثرها منذ نهاية لقرن المنصرم وستهلل هذا لقرن الحادي والعشرين . .

مذموم. وذكرى جهاد ونضال في سبيل نصرة الفكر الإسلامي والعروبة والشفقة الإسلامية التي كنت - يومئذ - تعني من التهميش إن لم تكن معرضة والإقصاء في جامعة الخرطوم.

ولكن بقال طال وطال، وأنا أحول أد استقصي مجالات فكر عبدالله الطيب وأثره الأدبية. فوجدتني أكتب هذا الكتاب ابدي هو اليوم. بحمده تعالى، بين يديك أيها القاريء الكريم! وليس هذا لكتاب يعي عن درسة منهجية ولا هو مستقص لكن مجالات ذاك القذ العلامة، وذلك الخبر الفهامة وأتى له ذلك، وصاحبه عبر متخصص في المجالات الرحيمة التي إرتادها عدلت القدير عبدالله الطيب، وهو الأديب والشاعر المطسوع وعالم اللغة والبيان، الأملعي حامل لواء العربية ليس في لسودن فحسب. ولكن في العالم العربي أجمع، ومن أقت إليه شيوخ يعرب بأسرارها، في قصيدته خمر البيان^(١) :

أَلَقْتُ إِلَى شَيْوُخٍ يَعْرَبُ سِرَّهَا
فَأَنَا الْمُجَلِّي فِي الْبَيَانِ الْأَوَّلِ
أَوْتَيْتُ كُلَّ كَرِيمَةٍ مَكْنُونَةٍ
غُرَاءَ فِيهَا الْجَوْهَرُ الْمُتَنَخِّلُ
خَمْرٌ مِنَ الشَّعْرِ الرَّصِينِ خَبَأَتْهَا
مَا مِثْلُهَا الْبِرْدَانُ أَوْ قَطْرِبَلُّ

ونقد اعترف له الدكتور طه حسين بذلك، عندما قدّم لكتابه (لمرشد) الجزء الأول منه كما اعترف له بذلك شعراء السودان، وأدبؤه وعلماؤه فقال حثره الشهيد الزبير محمد صالح للإبداع لعلمي، الكسرى. كما كان نبيله لحائزة الملك فيصل العبدية في الأدب العربي اعتراف عالميا بمكانة هذا المذع الموهوب. وهو بذلك يعتبر فخراً للسودان وللعروبة جمعاء.

قلت في بداية هذه المقدمة أنني عندما جلست لأنعي أستاذي المحبوب العلامة عبدالله الطيب، كنت في البداية أرمي إلى التعبير عن مدى الفقد الذي أحسست به وتلك اللوعة

(١) عبدالله الطيب - ديوان أصداء النيل الطبعة الخامسة ١٩٩٢ م صفحة ٦٩ دار جامعة الخرطوم للنشر

قطر، الذي أعارني بعض مراجع من مكتبته الخاصة، وشكري موصول إلى الأستاذ عادل محمد عبد العزيز الذي قام بطباعة الكتاب على أحاسوب كما قام بتسيقه وتصميمه على هذه الصورة الرائعة والمشرفة والشكر أيضاً للأستاذ لعبد العسيد وشكر موصول للسرو فيسور عبدالرحيم عني إبراهيم مدير جامعة إفريقيا العالمية سابقاً، ومدير الحالي لمعهد اللغة العربية الدولي للطائفتين بغيرها، نتكرمه بتقديم هذا (السفر) - كما أنسب والعبارات الصيغه التي ذكرها في حقنا، بالإضافة إلى تفضله بتقديم بعض الإقتراحات والتصويبات. والشكر أجزله للإن البر والفيلسوف الصغير محمد ركري بشير مناقشته نتي دائمة هي مصدر أنسي ولها مامي. والشكر أيضاً للأستاذ نأحي سليمان آدم لمراحته وثبته وتحقيقه وترتيبه للمسودة لأخيرة وبدله الوقت وجهد كذلك فإني أقدم شكري وتقديري لروحتي العزيزة، انتي لم تتحمل شعاعي ضلة الفترة التي كنت أعكف فيها على كتابة هذا المؤلف فحسب بل قامت مراجعة لمسودة الأولى، وكنت تتابع باهتمام شديد تقدم لعم في إنجاز هذا الكتاب!

أخيراً أؤنس حراً لاند من أقدم بشكر من نوع خاص للأستاذ / أحمد موسى / المدير العام لبيت أم درمان الوطني لدعمه المالي الذي نولاه له طهر هذا الكتاب لي حيز الوجود، فله من الشكر أجزله وأعمقه.

فلهم جميعاً مني جزيل الشكر والتقدير.

سبحك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستعفرك وأتوب إليك ونصي
وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه لطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين..

جعله لله قرن مباركاً. فمعارك عبدالله لطيف ليست كلها معارك شخصية من أجل بيل
الإعتراف والتقدير لرحل عبقري يستحق كل عتراف وتقدير. ولكنها معارك من أجل
الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية السليمة، ولحفاظة على مجد العروبة وعلى ميراث
الحضارة الإسلامية الشامخ التليد.

ومن الضروري جداً تعريف الأجيال الناشئة بهذا العالم لعد وبارمزية الخدمة التي
يقف عبدالله النصيب، شامحاً كالطود العظيم، في الدفاع المستميت عنها وعن أحقيتها في
البقاء والتقدير!

ولعبدالله الطيب فلسفة مهمة جداً ونظرية رائعة في أصول التربية والتعليم في العالم
الإسلامي. ودعوة حارة أن تؤسس تلك الأصول على درسة :

(١) القرآن الكريم وحفظه،

(٢) الشعر العربي، جاهلياً وإسلامياً وأندلسياً،

(٣) لغوه الحديثة التي تقوم على الربصيات والعلوم التحريسية الحديثة.

كما يدعو إلى الاعتزاز :

(٤) بنو نسطر وبلاهوية العربية وبالثقافة العربية الإسلامية و بالإمام شمس شفقها لكبير على
الثقافة الغربية والآداب الغربية.

(٥) ويدعو كذلك إلى الانتماء الوطني للسودان، باعتباره وطن عربي إسلامي أصيل في
عروته وإسلاميته، وموطناً أصيلاً للغة العربية وللخيول العربية لأصيده، وكذلك
لأمة موطن الهجرة الإسلامية الأولى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم!

(٦) يعتز عبدالله الطيب بالنبي العربي، وتراث المذاهب السوية بما فيها من صيانة سنة نبه
هذا الرسول الذي هو حاتم الأنبياء والمرسلين وحبر خنق أحمر، صلى الله عليه
وسلم :

مولاي صلى وسلم دائماً

على حبيبك خير الخلق كلهم

وفي اختام لا يموتني إلا أن أتقدم بالشكر أحرله لكل الذين ساعدوا في إحراح هذا
الكتاب إلى نون الأستاذ/ أحمد القطر، مدير مكتبة جامعة قطر، والأستاذ صانع دفع
الله، من مكتبة جامعة قطر، والدكتور/ معوية عبد المجيد - وحدة اللغة الإنجليزية بجامعة

الفصل الأول
عبدالله الطيب :
نشأته وتطوره الفكري والأدبي

عبدالله الطيب : نشأته وتطوره الفكري والأدبي

١- البيئة والنشأ:

نشأ عبدالله لصيب في الشمال الأوسط ، ولد بساحة التمراب من قرية أم الطيور ، غربي الدامر ، أو بالذامر العربي كما يحلو له أن يسميها وكان ميلاده في ٢ يونيو ١٩٢١ هـ في هذه الحدة التي ولد فيها أيضاً أنواه وأبوهما من قبل عبدالله وجلال الدين أثناء الطيب رحمهم لله أجمعين . وعمودية التمراب أرض زراعية يغمرها النيل عند فيضيه في الصيف ، إذا أربى في فيضانه .

وأهل عبدالله الطيب كانوا جميعهم من أنصار المهدي عليه السلام وقد تمت العروسة أكثرهم - فيما روى عبد لله الطيب - وهم يقاتلون إلى حاب الأصر^(١)

منهم من صاحب المهدي من قدير وأسر بالحومية ، ومات الفقيه عمر بن الطيب مع الربير باش في العرب ، والفقيه أحمد في شيكن . وقتل لفقيه عبدالرحمن بآبي ضيح شهيد ويصف عبدالله الطيب جده لأبيه عبدالله بن الطيب به .

" كان سيداً مطاعاً ، داسير وحزم وشكيمة وجد وبنديره آمن قومه عام ١٣٠٦ هـ من المجاعة ، (سنة ستة) .

أما أحوه ، أخو عبدالله بن الطيب اخذ ، جلال الدين بن الطيب أبو الوالدة عثشة رحمها الله ، كان قد سمع الرسالة من محمد الخير الأعشى . وكان يقرأ الراتب (راتب المهدي) إلى أحريرات أيامه وكان طريقهم وأهلهم الشاذنية .

ويقول عبدالله الطيب إن والده قد شأ بيماً لأمه فريداً ، إذ توفت وادنه (الثومة بنت فصل الله الشم "الأشم") وهو صغير (أي والد عبدالله الطيب) . ودرس لقراب بمساجد ابائه وجوذه سربر عند لشيخ ود الفكي علي رضي الله عنه ، وقرأ "الشاطبية" وحفظها وهاجر إلى لأهر وكان بقاؤه ثم قليلاً إذ لم يلائمه ففس القاهرة الرطب . وعلق بكية غردون وتركها ١٩٠٦ من السنة الثالثة . على حودة كانت مه في دروسه ، كما أجبر بذكر الشيخ مجذوب جلال الدين . .

(١) مقدمة (أصداء النيل) ص ٣٨ الطبعة الخامسة . دار جامعة لخرطوم للنشر ١٩٩٢

ثم صدر والد عبد الله الطيب إلى التدريس ، في أوائل العشرينيات وكان أول عمله بالمدرسة لأولية مكسلا وبها أقام الفتى عبد الله الطيب خمس سنوات بقول عنها إنها (لازمن من أظب ذكريات نعمر) وصدر من بعد ذلك إلى مقرات وإلى أبي حماد والد مر ١٩٣١م وولد مر نعرء أمضى عبد الله طيب خمس سنوات بالمدرسة لأولية وصدر إلى الأميرية الوسطى ببربر ١٩٣٢م .

توفي والد عبد الله بن لطيب وهو سبعة عشرة سنة في عام ١٩٣٣م وكان سبب وفاته من الكبد ، ويقول عبد الله لصيب عمه إنه " كان قد رُق للعبدة أشد رقة ، ولم يكن إلى حريات سواه يتلو القرآن بالسحر ، وكان له متف وبه صيت ، لدى الأعداء " (١)

ثم يذكر عبد الله لطيب بعد ذلك إنه " رريء " بعد ذلك فقد عدد من أقربه لأقربين : بعد عام من وفاة والده ، توفي أخوه وشقيقه حسن ، غرقاً بستره بأم الطيور ثم توفيت جدته لأمه ، بحبته بنت حواء ، بنت حلف الله ود مدير ، وكانت رصاصية من أرتل الشريق ذات شخصية قوية وكانت بعد وفاة والده ركناً للعائلة كلها رحمها الله . ثم حققتها بعد أسابيع لم تتع لأربعين يوماً والدته عبد الله الطيب ، وكان حبسها في السنة الثانية من المدرسة الثانوية .

ثم فقد بعد ذلك شقيقتين وعدداً من الأديب والأقرب إلى الله وإليه راحعون . ولا شك أن هذه البراي والمصائب قد تركت في نفس الفتى عبد الله لصيب آثاراً عميقة من الأسى والحر والكماديين ، طلت تلك الآثار خطوطاً عريضة ، بعيدة العور في نفسه ولارمته طيلة حياته كلها ، ثم طبع عليها بمسحة حزن وأسية لا تكاد تخطوها العين المحصنة من صلاته وأجابه ورملائه . . حتى وهو يتسم . كما قال الشاعر .

إذا رأيت نيسوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يتسم

وبسوء من كلاء عبد الله لصيب ، في " من حفيظة الذكريات " أروعه شقيقه حسن الذي كان صبوراً ورحماً ، وتوأمها ، كتب نقطة نحو فاجع في حياته كلها ، ويقول عبد الله لصيب في ذلك (٢) " كنت أشعل لبيروني وراء حجرة الطعم (السفرة) عند حليب لأعسل ملاسي ، وجاء أحدهم يحمل طرفاً فيه رسالة وفتحها وقرأت . . .

(١) مقدمة ديوان "أصداء النيل" ص ١٣٩ مصدر .

(٢) عبد الله الطيب من حفيظة ذكريات ، ص ١٠٤ درجته المحرم لسمير الطبعة الأولى ١٩٨٣ الخرطوم .

ومما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن تُرد الودائعُ

وإذا بحسن قد غرق في المترة يوم الاثنين ... سقطت مبي دمة كبيرة جداً ، وتمسكتُ
تجلاًداً ، كان موت حسن كارثة :

قالت الخنساء -رحمها الله ورضي عنها إذ كانت ذات صحبة :

يذكرني طلوع الشمس صخراً

وأذكره لكل غروب شمس

ولو لا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

ومما يكون مثل أخي ولكن

أسلي النفس عنه بالتأسى

ولا سر ولا أسوة . ولكن كل مصيبة نوء بها منذ ذلك حين إلى اليوم إنما كنت من
عواقب ذلك الحادث المشهور الحسيم ، مدت الولدة (عائشة) بعد وفه الحدة حجة بنت
حواء في أقل من نصف الشهر الواحد ...

ويظهر أن عبد الله الطيب كان جد لصيق بأمه (عائشة) هذه ، خاصة بعد وفاة أبيه ، وكان
يحبه حباً شديداً عزيزاً : يقول عنها والمحنة تشف من وراء كلماته لبيدة .

' كنت الولدة نقبة اللون ، صفراء صويئة حميدة قلوأوكست أمه تحاف عبيد
العين ' (١)

سرى عبد الله طيب بن والده كانت موزعة انولاء بين الأنصار واختمية وكانت موزعة
' محبة بين و نده الأنصاري الشيخ جلال الدين بن الطيب وبين هوى واندته نحو اختمية
يقول عبد الله طيب ، إنه سمعها وهي تقص حبر المهدية وتقول (يعز ر) :

مدافع الباشا ضربن رثن زي الموية وسط القش

م والده فقد كان أقرب إلى اختمية مع تطرق نحو اشادنة ، وعدمه كان مدرساً في
كسلا كان مقرباً جداً من أحمد المرغني الكسلاوي ، وهذا سمع له شيباً غير قليل من
الحسد والعيادة ثم دفعه لترك كسلا والانتقال في سنك التدريس إلى أبي حمزة ومقرات .
موطن الرباط أهل جدته لأمه .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

وقد كان جده عبدالله بن الطيب فقد كان أيضاً شديد التمسك باختيميه - اما حلال
لدين أخوه فقد كان شديد التمسك بالانصارية لمحبه للمهدي يواظب قراءة رتب المهدي ،
عليه السلام !

أما حدة بخيئة بنت خلف لثله ود أحمد ود بيدير فقد كانت تكره الانصار ، وكادت أن
تقتل بواسطة اخهادية من جنود خليفة المهدي عبدالله النعاشي ، عندما إحد حوا بلاد
جعيلين وقد كانت حبلى فهدده أحداهم بتمر بطها بحرته ، كما يروي عند ثله الطيب
وهكذا يبدو أن الأسرة كانت مورعة الولاء بين الأنصار و الختمية . لأن عالمة شيوخ
لمجاديب كانوا شديدي الولاء للأنصار ، وعطوا كذلك بعد رول دولة الخليفة عند ثله
نعاشي ولهذا السبب كانت علاقتهم جد متوترة مع حكومة الإنجليز ، ولم يظفرو فيها
بأي اهتمام أو تنمية بل كان مصيرهم - وكذلك مصير الجعليين عموماً - هو التهميش من
قبل الإنجليز ، فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية أو الخدمات ، خاصة التعميم ، وإلى عهد
قريب قبل حكومة الإنقاذ كانت مناطق الجعليين - خاصة غرب النيل - تحلو من المدرس
لثانية وكذلك من الخدمات الضرورية ، وإلى اليوم لا يوجد كبرى لمعبور من عطرة أو
الدامر إلى أم الطيور .

مهما يكن من شيء ، فقد كان والد عبدالله الطيب شديد الميل والمحبة بسادة ختميه ،
بحسب أنهم من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويروي عبدالله الطيب ، أنه عند
وفدة وائده 'حاء حلفاء السادة الختمية - اثنين أو ثلاثة منهم . حسب أن منهم خليفة
محجوب وأنهم أنشدوا براق الختمية الشهير :

على أحمد والآل والصاحب دائماً

أذكر هذا ، وفي أصواتهم رقة وشجو حزن عميق بعيد ودمعت عيناها بالحزن
الشديد . (١)

أما شقيق حده عبدالرحمن ود الطيب فقد استشهد في أبي طليح مع لأمير ود حدو
وكذلك أخوه الأكبر محمد ود الطيب كان قد أسر في الحومية (بحريدة الأمير ود لتجومي
التي حاولت التقدم نحو مصر) .

(١) المرجع السابق: ص ١٠٧ .

عبدالله الطيب وحساده:

وفي موضوع حسد، والشيء بالشيء يذكر، كان عبدالله لطيف يعنى كثيراً منه كونه كن سرراً جداً، يحرق الأولوية في الترتيب دائماً، وكان في هذا الترتيب لحد محسود ويذكر عبدالله الطيب في ذلك قصصاً منها إن بعض زملائه تعرض له بالضرب، دون أن يمتنع. كما كان بعض مدرسيه يحسدونه على تميزه وسريته في الترتيب، وسره جاء أحد هؤلاء المدرسين الذين كانوا يحسدونه على تميزه وحلعه من مرتبة (الألف) يعنى العريف بلا سبب ظاهر. وعندما قيل في التجهيزي "سأد خلية ومجداً" قال له واحد من هؤلاء المدرسين حساد "إنك لا تستحق ذلك" بالرغم من أنه كان يتبع الأب والأم ومن أسرة كبيرة ومحترمة ولكنها كانت آنذاك أسرة فقيرة - أسرة المجاذيب. وكان الفقر هو الظاهرة السائدة آنذاك، خاصة بعد محي، الكساد الكبير في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، إن خبر العملية الثانية، فيما يروي أو طل عبدالله الطيب يشتكي من حساد وعدد وء الأصدقاء والحلّال طيلة حياته. كما ظل يحس في قرارة نفسه أنه الوحيد مفرد من فصيلة (هل أعرف النعماء)، يقول عبدالله الطيب، شاكياً دهره^(١)

ليت شعري هل أعرف النعماء

فألاقي عما زرئت عزاء

كل يوم يحزن ليلٌ جديد

لا أرى في سواده قـمـراء

ما توسمت مزنة تحمل الغيث

أمامي إلا سـفـفـت نـكـباء

وحبيب أبحتـه سر قلبي

عله يمنح الرضا والوفاء

يرتع الأرذلون في جنة الخلد

وأصلى السموم الرمضاء

ألبس الوجه منظرأ خالب اللون

ودس الخـلـل لائق النـكـراء

١٠ عبدالله لطيف سقط الرمد الجديد ص ٤٧ دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٦ د

وصديق أعددته للبلايا

صار عندي مع البلاء بلاء

وفي قصيدة (حسان عبقر) وهي مهداة إلى ابن عمه لشاعر والأديب محمد المهدي المحذوب، يقول عبدالله الطيب في مطلع تلك القصيدة^(١).

مرحي لكنَّ حسانَ وادي عبقر

اللابسات من الندي المتقطر

السابحات إلى السماء يرودها

شدو القريض على الجمال المُسكر

مرحي لكنَّ فكم تولي خاطرُ

منكن رد حياة قلب مُهدّر

أدركن أسمال النفوس فإنها

تبكي على أمل الهوى المتعثر

وأرقن من علياء العزاء مُدامة

تشفي غليل فؤادي المتسعر

ثم يقول فيها مستعطفاً (حسان عبقر) أن يطرن به بعيداً من واقعه التعس النّفس:

أبنات عبقر والقريض مزامر

تبعثنها في كل قلب مبصر

أصعدن لي نحو السماء وطرن بي

حتى أبُلّ صداي عند الكوثر

فهناك مسبح كل قلب طاهر

خالٍ من السحر العلي معطر

يا شعري يا شمس الحياة وجنة

السايرين في ليل الزمان المنكر

إني سأثبت في رياضك جنة

سكري بألحان الطيور السُّمر

(١) المرجع السابق، ص ٥١ .

ثم يُحد في الشكّي والتظلم: يقول محاضاً الشاعر ابن عمه محمد المهدي المحدث:
دعني أقاسمك الحياة إذا غدت

سوداء تقذف بالوغي والعشير
ولقد تراني ضاحكاً متهللاً

والنفس في آلام حزن مُسَعَّر
هذا قضاء الله فينا إنا

نرضى رضاء الحائق المتحسر
أنا لنعتنق الخطوب ودوننا

بحر السعادة فاض غير مكدر
ونسبر في ظلم الزمان وحولنا

أطياف وقت مشمس أو مقمر
ماذا لقيت من الجمال سوى الأسى

تلو الأسى والمدمع المتحدر
ومحضي - ربما في عتب ابن عمه الشاعر محمد المهدي المحدث قائلاً:

سمعاً أخي فني فسؤادي عبرة
سأريقها من دمعي المتحير

أفردت وحدي للزمان وكيد
وسُقيت مُورد مائه المتكدر

ورأيت أهواء البرية شُرْعاً
أنيابها نحو الحضيض الأعقر

وخشيت أن أبقى هنالك حاسراً
بين الشراة والعديد الأكثر

فأسبح معي نحو السماء مرتلاً
لحن العفاء على الزمان المعسر

وفي قصيدته "عظي" يلمح نفس الشعور بليأس ونفس الشكوى من زمان يائس ومن
دهر عابس يقول عبدالله الطيب في "عظي" (١):

(١) عبدالله الطيب: سقط الزند الجديد، ص ٥٨.

عظمي فـلـانـي في ظلام دامن
 أبكي على رسم الحياة الطامس
 فلعل لي مما وعظت هداية
 تُذكى الرجاء على فؤاد يائس
 عظمي ففي أنغام صوتك رنة
 تجتاز لبي مثل نار القابس
 ويمدها من نور طرفك رائش*
 يندس بين خواطري وهو اجسي
 وتصوغها آيات وجهك سورة
 غراء تبهر كالنهار الشامس
 هذي جراح تستطيع شفاءها
 في قلب منحطم المطالع يائس
 فانشر عليها من روائك بهجة
 تحو بها أثر الزمان العابس
 يا من تقلب في السعادة ناعماً
 وأطل من روض الشباب المائس
 ما حبيب الإيمان عندي غير ما
 أسقيه من جفنك المتناعس
 فأسكب فإن معين حسنك غاسل*
 ما بت فيه من الشقاء الخالس

فيم يحسد الفتى عبد الله الطيب ؟

يحب الإنسان ويتساءل فيم يحسد الفتى عبد الله الطيب . . وهو يتيم لوأدين رفيق
 الحال . . فقير ، فهل العدة والعناد ؟؟ وفيه بعض ويعادي ؟ لأنه حرر في دراسة ، حرم
 في تحصيل المعرفة ، من كان دوماً يحزر الأولوية في الدراسة ، في كفة الراحل ، أفي ذلك
 يعادي فإن ذلك مما يؤجب حب الفتى ، كما قال المتنبي رحمه الله :

أعادي على ما يوجب الحب للفتى
وأهدأ والأفكار في تجسول

سوى وجع الحساد دار فإنه

إذا حل في قلب فليس يحسول

ولعل لسان حال البروف عبدالله الطيب هو نفسه التي نعبرُ عنه أبيات أبي الطيب

المتنبي في هذا الصدد:

ما أعجب الدنيا وأعجبه

أنني بما أنا شاك منه محسود

مهم يكن من شيء، فعبدالله الطيب كان فتى موهوباً منذ البداية، برغب في الدراسة، حفيظاً للعلوم والمقران الكريم ولشعر العربي، عيون الشعر العربي منذ أيام الخاهلية ومروراً بالعصور الإسلامية ولأندلسية، وحتى قصائد المديح من لندن (بانث سعد) لكعب بن زهير بن أبي سلمى، ومدائح عبدالرحيم البرعي (اليممي)، ومحمد البوصيري وحتى مدائح الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين والسيد محمد عثمان الميرغني الكبير... وهذا هو الذي جر عليه حسد الحساد وسخائم المنافسين، خاصة لتبرير في الدراسة وسبل الخطوة عند كبار المعلمين والتفوق في الدراسة من بربر الأميرية الوسطى وإلى كنية عردون التذكارية وحتى جامعة لندن ونيل الدكتوراه فيها. ثم إن عبدالله طيب بعد ذلك تبوأ منصبا عاليا في جامعة الخرطوم، عميداً لكلية الآداب فيها لفترة طويلة ناهية ثم أخيراً مديراً لجامعة الخرطوم، ذلك المنصب الرفيع الذي طالما تاقته إليه نفس البروف عبدالله الحبيب، وطاعن دونه باللسان والقلم والقوافي حتى ناله في عام ١٩٧٤م متوحد حياته العلمية المهنية به. ها هنا تكمن الشهرة والامتيار والعبرة التي طالت جرت عليه حسد الحساد وضغائن العداة والعواذل!

فعبدالله الطيب اليتيم لفقير، عبدالله المفرد والوحيد الحزين لم يكن يُنحَظ عليه حتى في أيام شبابه الأولى وأيام الدراسة أي مهانة أو مدلة أو مسكنة لما تميزت به نفسه من مصابرة ومحادة، وإحساس قوي بالتميز والتفرد والعزة، منشؤها - ولا شك - هو ذلك الاعتزاز بالأهل والعشيرة النبيلة الشماء، ذات النسب والحبس وذات التراث العلمي والديني العريق الذي هو عماد شهرة أسرة المجاذيب، المشهورة بعمران المساجد وتلاوة

القرآن والتذكر وكذلك بالقصيدة واللغة ولعلوم وحب المصطفى صلى الله عليه وسلم
ولتغني بمدحه وإقامة الديالي والمولد تعبيراً دافئاً عن هذا الحب الأسر الحالد

وكان عبدالله الطيب شديد الإيمان بالعين، وهو دوماً يروي حديث الرسول (صلى الله
عليه وسلم). ' العين حق. تدخل الحمل القدر والرجل القصر '، أو كما قال رسول الله
(صلى الله عليه وسلم).

وعبد الله الصيب يعزو وفاء والده إلى الأجل محتوم وكذلك "العين" وقد ضل يؤمن
بالعين، في شبابه وحتى آخر أيامه.

يقول عبدالله الطيب إن العين كادت أن تسعه والده المتوفى في ١٩٣٥ هـ ودنّت منه في
مسألة تأييد شيخهم الفكي عبدالله النقر قد أشد قصيدة همزية بصوت جهير، وأداء
قوي وثقة نفس، وكان مطلع هذه القصيدة الهمزية :

لقد كنت خريفاً للبرايا

بداً ما كان صيباً أو شتاء

فمرض بعد إلقاء هذه القصيدة مرضاً شديداً، يقول عبدالله الطيب في ذلك^(١) :

وأصبتني العين بعد ذلك الانشاد فأحسست بوجع ثم بحمي ثم بعيوبة وشرفت
على الهلاك، ومضت لأيام ولأسابيع أربعة أو ثلاثة. وانكسرت أي صرت كالمقعّد
فوق العنقريب لا أستطيع حراكاً^(٢)

ويقول عبدالله أن والده أيضاً عليه رحمة الله - كان شديد الخوف من عين 'وكان
بداً أحذني معه يُكبر من الاستعداد يحاف عيني' العين وقلمو ففدت فسه هو
العين، فتوفي^(٣).

عوامل تكوين شخصية عبدالله الطيب :

نُرى من العوامل الأساسية في تكوين شخصية عبدالله الطيب أساساً ثلث
عوامل وهي : ١- تعظيمه - لا سطع - دة - صعوبة كسرة - أن شبر إلى عوامل ثلثه

(١) العامل الوراثي

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق، ١٠٨ .

- (٢) البيئة والجغرافيا
- (٣) الأسرة والتاريخ
- (٤) التنشئة والتعليم
- (٥) رحلة الحياة والتجربة

(١) العامل الوراثي:

لا شك أن العامل الوراثي شديد التأثير في تكوين انفعالية بعضى من الأفراد والأشخاص، وفي تشكيل خصائصهم الذهنية والوجدانية والسلوكية. وكما كان هذا العامل قوياً وعقرياً، كلما كان تأثيره كبيراً وتشكيله للشخصية حاسماً، لأن كل السلالات ليست متساوية في لقوة والعمق، فإن بعض السلالات ضعيفة الأثر ولكن البعض الآخر يتصف بالإيجابية مع بعض الأعراق ضعيفة في أصلها، وبمعصب آخر يتصف بالتوهج، وبقوة الاندفاع والابحاط، وقوة لخصائص ذهنية والعصبية والاعمالية وكذلك بالعفوان الحسدى والشبقي. فمثل هذه الأعراق يكون لها تأثير قوى وحضور فاعل جداً في الذرية والولد.

ولا شك أن عشيرة المجاديب، وهم شيوخ الجعليين ويركتهم كما يقال، هي من العشائر القوية التأثير والاندفاع والحماسة، مشهورة بشجاعتهم ونسبهم.

١ ولأهي فرع من قبيلة عظيمة قوية هي قبيلة الجعيليين الذين يتنسبون إلى نضال بن نعباس بن عبد المطلب بن هاشم بن احدث بن المضر بن عدنان، فسمي يزعمون، بالنسبة مصدقون في أسانهم، كما يقول العلامة ابن خلدون!

٢ وثبت فيهم بيت العلم والقرآن واللغة والشعر بن أولاد عرمان. ولقد تنسبوا مساجد العربيتة، وأوقدوا دار الفراء، ووضعوا قواعد اشرف العلماء والتكريم والإباء، والإصعاد ورفعوها عليه منذ عهد في دأمرهم المعتيقة (المراد بوقدده عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد العال) ونسبهم هي دار مقرن في مساجد المجاديب بالدمر، والتي ضمت متقدمه مد أن أوقدها، أخ عيسى، وهو - في رأي عبد الله الحبيب - معدن سر كنه من آل عبد العال، ولقد أوقد تلك الدار بعد عودته من الحج وبعد حروجه من دنقلا التي أقام فيها زماناً.

٣ ولأنهم تنسبوا إلى كرم وضيافة ولأنهم كانوا يكرمون الضيفاء والفقراء.

اليل وغريه . وكذلك على ضفتي الأثراوي . بهيث عن أوصي الودين السبعة إلى الشرق من لدامر ، وهو ما يسمى بأراضي العتمور . . وكانوا يقومون بزرعة تلك الأراضي ، ويحصلون منها على كميات وفيرة من الحبوب . تساعدهم في تقديم الطعام للمحيران ، الذين يقصدوهم من كل أقاليم السودان من الجنوب والشرق والعرب وكذلك من الحبشة ورتوب والصومال وكذلك تشاد وغيرها من الأقاليم البعيدة .
فالعصبية العربية الهشمية ومحدث العلم وعراقة التدريس وسل الكرم والضيفة وكذلك انفروسية والنجدة ، هي بعض أخصال الكريمة التي توارثها المحاذيب كبراً عن كبار .

وليس في هذا الذي نقول أي تأييد للنصرة لعنصرية انغيزة نتي تفضل بعض الأعراق على بعض ، وتقول كما قال إبليس . ' أنا خير منه خلقتني من نار وحلقته من طين ' فهذه قصة بالية ، وهي حجة أوهى من بيت لعنكوت ، فالبشر كلهم لآدم وآدم من تراب . ولكن أيضاً ففي الشر كلهم نفحة من روح الله ، وسر من أسرار الربانية وهي لطيفة الروح الإلهي والشرارة والربانية في كل أعراق البشر . فبعض هذه الأعراق تعززها وتوقرها وتنميتها وتركيبها وبعض الأعراق تهملها وتدسها ولا حتى تعترف بها ولا تتعهدا بالنماء والرعاية ، فتصمر وتخبو ثم تتفلس إلى أقصى درجة ، فتضل تلك الأعراق ضوياً صامرة مضمحلة ، لا تكاد ترتفع من أفق الحيوان ، ولا تعرف شيئاً اسمه العزة القسعاء أو الرفعة الشماء أو المجد ، لتليد . وذلك نتيجة كسبهم ثمار خمولهم وحبهم وعدم استجابتهم لداعية الحياة والرفعة والشرف . ولكن فيما عدا ذلك فالله قد خلق كل البشر أسوياء أعزاء ، ذوي كرامة وعزة ، لأنه أودع فيهم جميعاً شرارة روح القدس وطهارته وعزته .

قال تعالى :

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقوا . قد أفلح من زكاه وقد حاب من دساها ﴾

(الشمس : ٧-١٠)

وقال تعالى :

﴿ وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسي فسيسره ليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيسره للعسرى ﴾ (الليل . ٣-١٠) .

فالمسألة هي مسألة كسب وكد وكدح ونضال وسعي لإعمار الحياة وإحقاق الحق ونيل
الباطل . هاهنا تنفوت الأعراق والسلالات وتتمايز ، وليس لله عشيرة جيدة ولا شعب
محتد ولا عرق أري ممتاز هو أفضل الأعراق وخيرة البشر وليس لله أئمة وليس له أحباب
تعايير غير معايير الإيمان والتقوى - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فهو رب العالمين وإله
الكونين والثقلين . فإذا سعت بعض الأعراق نحو المجد وسمت نحو الافق العالية من
شرف والمجد ، فهذا هو كسبهم وبه تميزوا وإذا اختارت أخرى الخمول والإرتكاس
إلى درك الحيوانة الهيمية ، وأنكروا أصولهم الربنية وفطرتهم الإلهية ، فهذا أيضاً كسبهم
واختيارهم :

﴿أصجعل المسلمين كالمحر من مالكم كيف تحكمون﴾ (القدم : ٣٥ ٣٦)

٢- عامل البيئة والجغرافيا :

عاشت عشيرة المحاذيب في المنطقة المحصورة بين (حور التلّوب) شيم عشيرة و (خور
المكاراب) حيرب الدامر على ضفاف النيل ، شرقية وغربية ، وكذلك على ضفاف
الأنبراوي وهذه منطقة كانت تزرّق مرابع النجوم (أي الخريف عند) حودّه فرها مها مها
(كما قال ليدين ربيعة العامري) :

رزقت مرابع النجوم وصابها

ودق الرواعد جودها فرها مها

من كل سارية وعاد مذجن

وعشيرة متجاوب أروامها

ويذكر كاتب هذه السطور وقد عاش طفولته في هذه المنطقة السحرية ، أن الأمطار في
الأربعينيات وخمسينيات من القرن العشرين كانت تهطل غزيرة . زرمة بالرعود والبرق
وكانت نسوري (أمطر الليل) لا تنام معها إلا قبلاً . حوام رعد وصور عصفه ومن
شدة ضلّامها وقوة أصواتها وكانت الخيرات تسيل بياه مدفعة ، وكذلك نيل يقصص بانيه
، تعريّة التي تهدد المساكن ومدد ولودي في بعض المسير . وما زال كسب هذه السطور
يذكر فيضان عام ١٩٤٦ عندما حاصر النيل مرثا العامر في مدينة بربر ، حي (المسدة) .
وكانت تلك الأمطار تستقي العتمور هي ناحية لشرقية من بربر وعظيمة والد مر وكذلك
كانت تستقي الأودية كلها ، فنت العشب تعري والكأ ، وكذلك لا شجر أنفاه . كانت

(ام الطيور) أو الدمر العربي، كم يحلو لعبد الله لطيف أن يسميها - كنت عامة عامة وأيكه خصراء وكنت الطيور تحيى اليها من كل حذب وصوب، مهاجرة اليها من بلاد بعيدة... ثم تغير كل ذلك، فحطوطب العشب ونضب الماء، وتصحرت الأودية واقفرت في السنين والسبعينيات وإنى منتصف الثمانينيات. ولكن لأمطار عادت الآن ومنذ عام ١٩٨٨م أصبحت الأمطار ومسيها تزداد سنة بعد سنة ولله الحمد. وعادت الأرض جسيمة محضرة مرة أخرى ونبت العشب ونبت الشجر وعادت الطيور مرة أخرى تغرد أحلى للجان وأعدب التعاريد! *وتلك الأيام بداولها من الناس* كما قال تعنى فالليل وأشجار النحل الناسقة على ضفاف الأثيراوي، والأشجار والأعشاب على شفته، والأودية تعود بها انباه وتدفع - كم كانت تفعل مدفع الريان في ديار بني عذرة. عشيره ندر ربيعة. كل ذلك كان جزءاً من تلك البقعة الجميلة الاسرة التي عاش لبروف عبدالله الطيب فيها طفولته، والتي ظل يصبر اليها ويحن حيشما ذهب وأين ما حل على ما سترى...

يقولون إن للروح عشق واحد وحب واحد وبيت واحد هو ذلك البيت الذي ولدت فيه وترعرعت، والذي كان مسرحاً لقصائد لصب وملاعبها ونهوها ذلك هو الوطن الأول وذلك هو الحبيب الأول وما الحب إلا للحبيب الأول.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

ويقول ابن الرومي:

وحب أوطان الرجال إليهمو

مأرب قضاها الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو

عهد الصبا فيها فحنوا لذلك

للروح مهد واحد، وللقلب بيت واحد هو ذلك الوطن الأول... أم اجسد له بيوت كثيرة وأوطان كثيرة، يمر بها لغتى ويبقى فيها لبعض الوقت، طال أم قصر، ولكنه يظل يحس للوطن الأول: يقول عبدالله الطيب في قصيدة (ندم الشباب)^(١)

(١) أصداء الليل، ص ٧٤.

لو لا اصطحابي عُصبة باظلية
 لقد قاد نفسي للمصالح أميرها
 هم صرّفوني بعد أن كنت سالك
 مهايغ قد يهدي إلى الرشيد نورها
 فأصبحت في وادي خبال وشقه
 من الغي مزجور بنحس طيورها
 ولما تُقم لي في ذرا المجد قبة
 ولا نار صدق كل عاف يزورها
 تحنيت أني في مرابع إخوتي
 ودومة ذات السيل دوى خيرها
 وتهزج أنواح السواقي وتستقي
 ندى ليل غمرء الشيب دورها

وفي قصيدة "بدامر الصدق" (١) :

بدامر الصدق لي رهط وأصحاب
 وبالتميراب لي أهل ومنتاب
 ومنزل كان فيه والدي عتا
 عليه ملحادثات الظفر والناب
 يا حبذا النيل إذ رفّ الأصيل وإذا
 ماء السواقي على الروضات سكاب
 وفتية قد تلوا يس في سحر
 وغيرهم في حشايا الليل ما تابوا
 وغدوة يصبح القمري ساجعها
 قوافياً ما لهن الدهر إعراب
 وحبذا النجم عند الفجر مرتقياً
 تلقاء وجهك والظلماء تنجاب

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢ .

وقادريء بردة المختار مرتقب

وقت الأذان خير ليس يرتاب

جاد الحيا منزلاً قد كنت ألفه

بدومة الغرب لا ذام ولا عاب

وأقبراً مستكناً في حنادسها

أبٌ وأمٌ وأمٌّ وأبٌ وأبٌ

"دومة العرب" بالتميراب، بأم الطيور، أو الدامر العربي كما يسميها هي الوطن الأول وهي لذلك الحب الأول، والمنزل الأول لدي تحدث عنه . ولقد كان السروف عندئذ الطيب كثيراً ما يحن إلى "دومة العرب" هذه "ذات السيل دوى حريها" وهو في لندن، تلك المدينة لأثيرة عنده، ولكنه بالرغم من ذلك يحس فيها بالعربة وباحين شديد إلى الأهل والعشيرة:

بلندن مالي من أنيس ولا مال

وبالنيل أمسى عاذري وعذالي

ألا ليت شعري هل أبين ليلة

بكتبان داري والأحبة أحوالي

وهل أسمع الدهر تغريد طائر

وبالفجر ترجيع المؤذن والتالي

و شيء بالشيء يذكر، فحنين عبدالله الطيب إلى أهله وإلى داره في "دومة العرب" بالتميراب يذكر حنين الشاعر السوداني حسي بزرعة إلى أهله ووطنه في رثعه إلى عرد بها بلبل السودان الفنان عثمان حسين:

أي طائر مرتحل، عبر البحر

قاصد الأهل حملتو أشواقي الدفيقة

ليك يا حبيبي للوطن لترايه

لشطآنه، للدار الوريقة

فانوطن الأول والحبيب الأول، للسروف عبدالله ولكثير من الناس هو موطن الأسرة، ومرل الأم والوالد والأخوة والأخوات والعشيرة والأحب وحيث "مأرب قضاه لشباب هذانت، وحيث أحب الطفولة البرثة والهلو وأمال الرمد . . ."

ومن نكر له مثل ذاكرة البروف عدائله الطيب الأسطورية فهو لا يكديسى شيئاً من ذكريات الطفولة والصبا .

ومهمهم يكن من تأثير الوراثة والبيئة ، فإنهما لا يشكلان شخصية المرء الناضجة تماماً ، يؤثران فيها إلى أبعد حد ولكنهما لا يحددانه بشكل تام ونهائي ، كما رعم بعض فلاسفة وخاصة فيلسوف الأمريكي هوسبر (Hospers) ، صاحب أستاذي فيلسوف الأمريكي . دنع الصيت (ويلفرد سيرس) Welfrid Sellars ونظن قرأ ، في مقدمات الفلسفة بكلية لاداب ، بجامعة الخرطوم الكتاب المهم من تأليف هذين الفيلسوفين الأمريكيين :

Hospers and Sellars:

Readings in Ethical Theory .

ويأتي موضوع حتمية لأحلاقة فيه كوحدم أهم مواضعه هل العومل الوراثية تعرقية والبيئة تحددان أخلاق الفرد وسلوكه بصفة كاملة وائمة أم لا . يحسب (هوسبرز) (Hospers) بالإيجاب عن هذا السؤال ولكنني لم أقتنع يوماً ما أن رأي هوسبرز هذا يمكن أن يكون صحيحاً ، وكذلك أستاذي الذي درست عليه لفلسفة في جامعة بتسبيرج بولاية سلفاب بالولايات المتحدة (ويلفرد سيلرس) Sellares لم يكن مؤمماً بهذا الرأي . لأنه كان فيسوفاً كانبياً يؤمن بان الذات الإنسانية عاقلة وحررة غير ان (كنط) يؤمن في نفس الوقت أن "حرية الإرادة" (The freedom of the Will) من تلك المفولات التي نسميها بالمتناقض (The Antinomies) والتي لا يمكن التمهه عليها وإقامة الدليل على وجودها . .

ومهمهم يكن من شيء ، فإن هذين العامدين الوراثة السلالية وبيئة عوامل تؤثر كثيراً جداً في تشكيل شخصية الإنسان الناضجة ، ولكنهما لا تحددان ولا تختار هذه لشخصية بصورة مطلقة وكاملة . والمحال هنا لا يتسع بالضع للحوصل في تفاصيل هذه المسألة الهامة ، فإن ذلك حد فستفي طويل جداً !! رحم الله أستاذي الفيلسوف ويلفرد سيرس . فقد كانت محاضراته صعبة وممتعة في لوقت داته ، وكان الطلاب يحضرونها من خارج جامعة بتسبيرج من طول الولايات الأمريكية المتحدة وعرضها من نيويورك وحتى كاليفورنيا . . فقد كان ويلفرد سيرس أعظم فلاسفة أمريكا ، عند كنت طالباً أحضر للدكتوراه في لفلسفة هناك من بين (٦٩ ١٩٧٣م) وتعرف كتابات سيلرس

(Sellars) بأنها بالغة الصعوبة والتعقيد وأنه كان يتعمد ذلك ويقول حصومه بها كانت الية للدفاع عن النفس أمام الخصوم المكرين Self-defense mechanism .
ويأتي العامل الثالث ولعله الأكثر أهمية في بناء وتكوين الشخصية الباصحة لدى الفرد ألا وهو عامل الدراسة والتشئة والتربية والتعليم . فكيف كان تعليم السروف عبدالله الطيب ؟!!

(٣) العامل التعليمي والتربوي في حياة عبدالله الطيب :

إنني حد كبير نكون جزء الأكبر والأهم من شخصيته في وقت مبكر في حوزة انحاديث العلمبة العراء ، وعلى صراف النيل في دومة الغرب اخضراء وفي ديار ال الطيب بن عبدالله بن لطيف في التميراب وفي ضواحي أم الطيور ، كن ولده الطيب بن عبدالله عند متصدعا في عيوم القران الكريم ، واللغة العربة وعلومها ، وكذلك الشعر العربي وخاصة أشعر اخاهيين والمدنح النوية ، وكان شاعرا فدا ولكن يبدو أن معظم شعاره قد فقدت . كما أنه توفي وهم صغير السن نسيا ، عن سبع وأربعين أو دون ذلك ! كما كان تأثره بعد رايده سستده وقريه الشيخ محذوب حلال الدين . ويقول عبدالله لصيب أنه تأثر بالشيخ محذوب حلال الدين كثيرا وأفاد عليه لأدب والذغة والعروض والتحويد . كان عبدالله الطيب^(١) بن الشيخ محذوب حلال الدين يوما سأل . لم يقدم أب تمام ويؤثره على سائر الشعراء ويعترف عبدالله الطيب أنه كن كذلك في شبابه . وسأشهد بأبيت أبي تمام السابيه دليلا على علو كعبه في الشعر والبلاغة :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً

شـروداً في الندى والبسـاس

فأله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

يقول عبدالله الطيب إن الشيخ محذوب حلال الدين استحس ذلك منه ، وامس على نفرد أبي تمام ، ولكنه أردف قائلا إنه ليس لأبي تمام مثل قول أبي الطيب المتنبي :
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بدء

(١) مقدمة (أصداً النيل) ص ١٩ .

ولأبيات أبي تمام هذه قصه، كان حالي الأستاذ النبعة محمد أحمد عثمان النعيمة
(والدروحتي د مزاھر) كثيراً ما يذكره ويتندر بها معجباً بأبي تمام وبأنه من عبقريّة
وشاعريّة وبديهة حاضرة عجيبة:

يذكر أن أباً تمام امتدح الخليفة العباسي بقصيدة شبهه فيها بحاتم في الكرم وأيس في
الذكاء والأحنف (بن قيس) في السماحة والحكم ونرى أحد عدّال أبي تمام قائلاً:
يا هذا ما زدت على أن شبهت أمير المؤمنين بجماعة من أجلاف العرب!!
فانحل أبو تمام الأبيات أعلاه على الفور في لحظة نادرة من لدكاء وسوءه لتفتّحي
الذي يجري كلمحة من نور أو كقدحة من برق.
لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندي والبأس

فالله قد ضرب الأقل لتوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

والإشارة هنا إلى آية النور البديعة من سورة نور: قل تعالى:
﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكدر زيتها
يصيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس
والله بكل شيء عليم﴾ (النور: ٣٥)

وسورة النور عظيمة بديعة، ولطالما ألهمت العلماء والفلاسفة والمتصوفة دراء بديعة
وبفكار نورانية متألّفة. ومن هؤلاء الإمام الغزالي^(١) الذي ألف كتاباً رائعاً بديعاً عجيباً
من وحي سورة النور هذه وخاصة آية النور التي ألهمت أباً تمام أن رد على خصومه وعدّه
والذين أرادوا إحراجَه أمام الخليفة العباسي!

وإلى حبيب تأثر عبد الله الطيب بأستاذه وقريبه الشيخ محدّوب جلال الدين، الذي
درسه أيضاً في كلية عردون التذكيرية، فقد درس على يد الشيخ المقيّم عبد الله المقر بن
أحمد بن جلال الدين، ويقول عبد الله الطيب إنه كان دائم الضر والقراءة لديوان

(١) أنظر كتاب الغزالي: مشكاة الأنوار.

وكذلك أنظر د ركريا بشير إمام، الفلسفة الصربية النورانية عند الغزالي، كتاب الناشر، مكتبة
الفلّاح - دبي ١٩٨٩م.

عبدالرحيم البرعي الذي كان في مكتبة والده الشيخ / الطيب بن عبدالله بن الطيب ولقد ترك له والده أيضاً :

- كتاب الكامل للمبرد

- كتاب البيان والتبيين للجاحظ

- ذلك إلى جانب ديوان البرعي

ويقول عبدالله الطيب إنه كان دأبه القراءة والنظر في هذه الكتب، كما كان يحفظ الكثير من قصائد البرعي، وكذلك قصائد الشيخ محمد المجدوب بن قمر الدين في مدح لمصطفى صلي الله عليه وسلم. وكان ربه أشد^(١) من ديوان البرعي :

بانت عن العدو القصوى بواديها

وبالأبرق الفرد اطلال قديمات

ويقول عبدالله الطيب أنه أيضاً كان يحفظ :

- قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير أبي سلمى

- والبردة والهمزية لمحمد البوصيري

ومعلقه عنتر بن أبي شداد وكذلك لاميته شهيرة حكم سبوت

- كما كان عبدالله على إلمام واسع بأشعار العرب، من جاهليين وإسلاميين ومعاصرين وكان على علم ممتد بعلم القراءات وأحكام التوحيد وكذلك بأحكام النحو العربي وكان كذلك يحفظ ألفية ابن مالك

- وعلى إلمام ممتاز بعلم العروض

ولقد كانت ريادة الشاعر والأديب والمفكر المصري علي الحارم منسبة استعرض بها التسميد عبدالله الطيب، اطالب الذبحة انذاك بالمدارس العلي علومه وقراءته في اللغة العربية والشعر العربي :

عندما مثل عبدالله لطيف للامتحان الشهري أمام الشاعر علي الحارم، سأله أن يفر شيئاً من محفوظاته فاندفع ينشد لامية أبي العلاء :

طرب لضوء البرق المتعالي

ببغداد وهذه منهن ومالي

(١) مقدمة ديوان "اصدااء النيل".

يقول عبدالله لطيب ولم تكن تلك القصيدة مما أملاه أستاذ الأدب أو حضر عنه . وربما
أراد أستاذ الأدب لعربي بأكلية أن يسه إني ذلك ، ولكن علي اجازم ثم بأنه لذلك وطيب
من عبدالله لطيب الاستمرار في الإنشاد^(١) . وسأله عن معاني بعض الكلمات وتعابير
ثم طلب منه أن يشتد شعراً آخر ، فأنشأ ينشد :

مفاني اللوى من شخصك اليوم أطلال

وفي النوم مغنى من خيالك محلال

يقول عبدالله إن علي اجازم نسي أمر لامتحان برهة وتوئى هو بأدائه السارع أمر
الإنشاد :

فيا وطني إن فاتني بك سابق

من الدهر فلينعنم لساكنك البال

وإن أستطع في الحشر أنك زائراً

وهيهات لي يوم القيامة أشغال

يقول عبدالله الصيب أن علي الحارم بعد ذلك سأله إن كان ينظم الشعر ، فنشده عبدالله
الطيب بعض قصائده فأعجب بها علي الحارم أي إعجاب !

وأهل السودان يذكرون قصيدة علي الحارم الطنانة :

بغداد يا بلد الرشيد

ومنارة المجد التليد

يا بسمة لما تزل زهراء

في ثغور الخلود

وعندما احتفل السودانيون في نادي الخريجين ، أشد عليهم قصيدته

أخلفت يا حسناء وعدي^(٢)

وجاراه فيها الأستاذ أحمد محمد صالح بقصيدته :

فينوس يا رمز الجمال

وزينة الألباب عندي

(١) عبدالله الطيب : من حقيبة الذكريات، ص ٦٤ .

(٢) عبدالله الطيب : من حقيبة الذكريات، ص ٦٤ .

واليث أيها القاريء بعض أبيات قصيدة عني لحارم الشهيرة "بغداد يا بلد الرشيد"،
وفريدة علي الحارم "بغداد يا بلد الرشيد" كنت من محفوظاتنا وأناشيد التي يعمُر أياسا
على عهد الدراسة بالشحى والتوهج والأمل بعودة ذلك المجد التليد:

بغداد يا بلد الرشيد
ومنارة المجد التليد
يا بسمة لما نزل
زهراء في ثغرى الخلود
يا موطن الحب المقيم
ومضرب المثل الشرود
يا سطر مجد للعروبة
خُطّ في لوح الوجود
يا راية الإسلام والإسلام
خفافاق البنود
يا بنة دجلة قد ظمئت
لرشف مسبكك البسود
يا زهرة الصحرَاء، ردي
بهجة الدنيا وزيدي
يا جنة الأحلام طال
بقسومنا عهد الرقود

بغداد يا دار النهى
والفن يا بيت القصيد
نبت القريض على
ضفافك بين أفنان الورود
بغداد أين البحر يري
وين أين إس الوليد

ومجالس الشعراء في بيت
إبن يحيى والرشيد
أين القيان الضاحكات
يسن في وشي البُرود
الساحرات الفاتنات
النحل من هيف وغبيد
لساهرات مع النجوم
الأنفاس من الهجود

كم جاش جيشك بالفوارس
من أساوره وصيد
لنصر في أعلامهم
صلة بأبناء الغمود
ملك إذا صوره عجز
الخيال عن الصعود

الفلسفات عرفت لها
والعلم طفل في المهود
كم موئل للمستحير
ومنهل للمستفسد
بغداد، يا وطن الأديب
وأيكة الشعراء الغرود
جددت أحلامي وكنت
صحوت من عهد عهيد

يا أمة العرب اركضي
ملء العنان ولا تهيلي

سودى، فـمـال المـى
 و لـعبـقـمـرية أن تـسـودى
 هـذا أوان لـعـبـدو لا
 الإبطاء والمشي الوثيـد
 المـجـد أن تـتـوثـبى
 فإذا وثبت فلا تحـيـدي
 وتـحـلـقـي فـوق النـجـوم
 بلا شـبـيـه أو نـديـد
 وإذا شـد الكون المـفـاخر
 كنت عنوان النـشـيـد
 لا تـخـطـئى حـسـد العـلـا
 ما للمـعـالي من حـدود

تُما في جانب العلوم الحديثة، فقد كن عبد لله الطيب برعاً:
 - في علوم الرياضيات، وكان يحرز الدرجة الكاملة،
 - وكذلك الجغرافيا، التي كان يحبها كثيراً،
 - وأما اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي فقد كانا يخلبان له ويقول إن اللغة الإنجليزية
 وأدبها هو العلم الأكثر جدةً في الكلية آنذاك!!

عبدالله الطيب والإنجليز:

يبدو ان علاقة عبد لله الطيب بأساتذته من الإنجليز كانت عموماً طيبة. حصة في
 لمرحلة الثانوية، ويقول عبدالله الطيب أنه استفاد بصفة حصة من دروس استر هـرت
 ومنه تعلم الكثير عن الأدب الإنجليزي خاصة عن:

- ليتون استرتش
- وإدوارد لير
- وشارلس لام
- ووليم هازلت

- وشكبير

- وجمع من شعراء الإنجليزية العظام

ولكنه عندما ذهب إلى بخت الرضا مدرسا لم تعجبه شخصية المستر (غريفت) ولا طريقته في أمر إعداد مديري المدارس لأولى، يقول عبدالله الطيب في ديت^(١) :
كان لمستر غريفت رجلاً متسيصراً من أعضاء من عرفوا من رجالات الاستعمار القديم . . . كانت أيامنا بخت الرضا مع المستر غريفت ومعونه حقاً أيام بلاء وتمحيص ولكن عن المستر براون يقول عبدالله الطيب :

"وكان المستر براون ذكي القلب، مسبق الدهن، داسا وتفن في العمل وإصلاح . . ."

وكان للإنجليز يصقون العقوبات الحسدية بالخيررامة (The Cane) وبالجلده (The Rod).

ومن أقوالهم في ذلك :

Spare the rod, spoil the child

كما كانوا يستعملون لثيلة (The cat) وكان المستر براون مع ذلك شديداً على الطلاب في أول أمره ورمى كان ذلك نسبة لخداثة سه حتى أن الطلاب كانوا يهتمون بسقوطه :

Down down with Brown

ولكنه لأن كثيراً فيما بعد : يقول عبدالله الطيب :

'على أن لمستر براون كان من خيرة المدرسين، ومن أجود من شاهدناهم ونحن تلاميذ وأساتذته من رجالات التعليم أيام احكام الثنائي . . . وقد صار نضر مدرسة حتى توب الثابوية بعد خبرة وطول تجارب"

وعبدالله الطيب يعتذر للمستر براون عن شدته وما بدر منه من قسوة إزاء الطلاب في عمهون شبابه، قبل أن تصقله التحارب فيصير أكثر رحمة . قال كتب قسوته من باب حرم نفسه بيزدجروا ومن يت حارم

فليقس أحيانا على من يرحم

وعبدالله الطيب كأنه أيضاً يلتبس الحذر لسليبات المستر (براون) مستشهداً بيت الشاعرة الديباني :

(١) عبدالله الطيب : من حقيبة الذكريات، ص ٩٧ .

ولست بمسبق أخاً لا تلثمه

على شعث أي الرجال المهذب

ووضح من كل هذا أن عبد الله الصيب يكن وداً لمستر براون وتقديراً، وأنه في قلبه، نقطة عذوبة، وإن كان رأيه في الإنجليز عموماً خصه في البيت (لشوقي).

وللمستعمرين وإن ألانوا

قلوب كالـجـارة لا ترق

وفي عام ١٩٣٦ كتشف أعتى عدائه لصيب ب. الطيب المشي، وسخ قصيدته لرائعة:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم

عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

ثم حفظها. كما بدأ يكتشف الشعر الإنجليزي:

ويقول إنه أعجبه قصيدة شارلس لام (Charles Lamb) والتي يقول فيها

I have had play mates, I have had companions in my days of childhood, in my joyful school. All, all are gone. the old familiar faces.

وعنى كل حال، ومهما يقن عن عروبية عبد الله الطيب، وعن سلاميته، فلا شك أنه كان عميق متأثر بالثقافة الإنجليزية، عضيه الانتماءات إلى عظم الإرث الإنجليزي في ثقافة السودان، واسع الاطلاع والإلم والاهتمام بهذه الثقافة، وعني أستطيع أن أقول إنه بدر في العالم العربي أن يوحد نظير لعبد الله في عظيم يذمه وسعة استيعابه للثقافة الإنجليزية وديها، وخاصة لأدب الإنجليزي والشعر الإنجليزي: ولكن بالرغم من ذلك ظل عبد الله لطيف يؤمن بتفوق الثقافة العربية الإسلامية، وتغوى لغة عربية وديها، وخاصة الشعر العربي، على أعظم ما أنتجته الثقافة الإنجليزية ورموزها لعظم، ليس من باب العصب الأعمى، ولكنه رأي مستنير قائم على أركان متينة من دراسة والنظر والتسحيص. فعبد الله لطيف مفكر حر، يقول ما يعتقد ويؤمن. لا تأخذه في ذلك لومة لائم، رضى من رضى وسخط من سخط!!

والمكون للإنجليزي، في ثقافة عبد الله لصيب، وفي شخصيته مكون كبير، ودو تأثير بالغ في حياته، ولذلك المكون إيجابياته وسببته الواضحة جداً، لدى تلاميذه ومريديه - في تحاضراته الفكرية والوجدانية والسلوكية. وأظنه قد تأثر بعض الشيء بالمستر براون،

الملعب بالنمر، ونشاطه وحيويته ونوقد ذهنه واشتداد حركة خياله في وجدانه - فقد لله
الطيب كاسمر قداماً، دائم الحركة متوثباً، مناضلاً ومصمداً يحب الحركة، ونظام
والإحاز، ويكره الركود والانغلاق، فهو أبدأ مقل على الحياة، مقبل على تفكيره والشاح
دائب الحركة والتدفق والانسياب، وكأله - كم - وُصف - نهر عملاق هدير، ودرعم
من ذلك، فعبدالله الطيب كان يحذر الإنجليز كثيراً، وكان يراقب السياسة الإنجليزية في
سُودان، وينافق معها في الحدود المتاحة له، دون أن يكون ذلك على حسب هويته أو
ثقافته العربية الإسلامية. وكنت أستغل مكاتي الأثيرة عنده، وإطاليه بالتصدي بديحية
كثير منهم لبعث الإسلام والنهضة العربية، ولكنه كان دائماً يعتذر عن ذلك قائلاً إنه
سوف يستهدف من جهات معينة (I will be targeted by them) دون الإفصاح عن
من هم أولئك الذين يشير إليهم بـ (Them)، ولكنني أضن أنه يقصد بذلك الإنجليز!!
وإواقع أن عبدالله الطيب لم يكن يهوى الانغماس الشديد في دهائير سياسة وإدفعه
المظلمة وكان يرى دوره أساساً كمحاضر ومربي وكأكاديمي وأحث في المقام الأول!!
ونوقع أيضاً أن عبدالله الطيب كان رجلاً حاداً جداً في معاملة أسس جميعاً يدرك
بل يؤمن أن البشر يطورون على شر كثير وليلك وجبت الوقاية التقيية ولكنه بالرغم من
ذلك كان مقتلاً ومناضلاً شرساً فيم يؤمن أنه الحق والصدق الصريح. وكان كثيراً ما
يصحني بالترث وبعدم الادفاع. وكان دائماً يستشهد بحكيم العرب. رهبر من ابني
سلمى:

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه

يهُدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة

يُضَرَّسَ بأنياب ويوطأ بمنسم

المصانعة إذن في ليت أعلاه لا تعي السلبية والخور أو الأهرامية والاستسلام ولكنها
نوع من الحيلة والخدعة، وهي بذلك سلاح لا يقل مصداً عن السيف أو المسد!

لم يذكر عبدالله الطيب الكثير عن أستاذة - الثانوية - المسر وليامز، ويبدو أن لسب
في ذلك هو شخصية المسر وليامز ذاتها، فقد كان على الفيض من مستر براون (النمر) بد
أنه لم يكن يحتلط بالطلاب، بل كان يعيش بعيد عنهم - في شيء أشبه بالعزلة أو
الاحباب وكان حاداً وشديداً، ويوقع أشد العقاب بالأولاد الأشفياء (عشرون حدة

كاملة) هذا كن قانونه، ولكنه كن نادراً ما يطقعه على ما ذكر عبدالله الضيب ويظهر أن هذا القانون لصارم بالجند عشرون حلدة لطلاب الخرجين عن نظمته، كن مقصوده الردع أولاً وأخيراً. فالمستر وليمز كن يتحد النظم وفرضه أساساً لعملية التربوية فهو كن نظامياً كالمستر براون أو أشد:

Disciplinarian to the extreme

مع اختلاف كبير في أسلوب الرجلين، أما مستر براون فقد كن على اتصال دائم بالطلاب، بالقول وبالمودج العملي، وكان يشارك الطلاب في كل شيء، خاصة في الرياضة ولأكل. وكان يأكل الكسرة والأدام (الملاح) مع الطلاب السودانيين. ولا يشتكي من ذلك! وصحيح أن النمر كان شديد في شبابه وعنفوانه، ولكن التحارب ورمي الهذف Down Down with Brown الذي كان الطلاب يكتبونه على الجدران، وشده أعداء نه ولاساليه من لطلاب في البداية، قد أضعته بتغيير أسلوبه في لبطش، وإيقاع العقوبات بالطلاب. ورمي أصبح في تقدم عمره أكثر إداركاً لشخصية السودانية ولثقافة السودانية، وأن أولئك الطلاب كانوا يأتون من عوائل عريقة ويتمتعون بشيء غير قبل من الأدب والتهذيب، من بيوتهم ومن أسرهم. وأن ذلك مؤثر إلى عمق وحكمة ساليه التربية الإسلامية التي تقود على لمحبة والاحترام والتوقير للوالدين وللمربين، وكذلك تقوم على الإقناع والقناعة الحسنة، وعلى الترغيب في توارن دقيق مع التهيب. من غير إفراط ولا تفريط. وإن كان هالك بعض أوجه لتصور في التربية اسوديه، مما يؤدي إلى انتساب وعدم الاسعاث الفوري للعمل والإنجاز. وهذا ما كن يضائق المستر براون. وخاصة ترحي في الوقت والمواعيد، والمناطلة في اتخاذ الأعمال في انشراح مما يسميه الإنجليز بالتلكع Procastination. فهذا التلكع سمة سوديه عند الكثير منهم، بل هو صفة مدويه. لكنه بالتأكيد ليس بصفة إسلامية؛ فقد كان لرسول صلى الله عليه وسلم سطورياً في حبه للعمل والإنجاز، وسرعة التوجه إلى العمل وفوريته. وكان يعمل بعد في حارج نسيت في التدريس ولعبادة وفي سن القوانين، ووضع النظم والترتيبات الإدارية. وكذلك رسم ملامح السلوك الراشد. هذا عندما يكون في المسجد، ولكنه عندما يأتي إلى البيت كن أيضاً يعمل في 'مهنة أهله' يشارك روجته بصورة شتة وإبحائية ومشوقة في كثير من الأعمال المنزلية، ورمي شارك في أعمال لطافة البيت، وفي طهو الطعام وما إلى ذلك، كما كان شارك في الأسس والموانسة مع أهله، برفع معوياتهم

ويشار كهم اخديث ويشيع حو من الهجة والسرور عليهم . وكما كان يقصد إلى دحان سرور والبهجة على روحاته ، كلهن ، ويشترك كذلك في اللهو المباح والنعب ، خاصة مع عائشة زوجته المحبوبة ، صغيرة السن . فربما شاركها في اللهو بالعبها وسبقها في جري . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يحب الأطفال والصبيان ، ويداعبهم خاصة الحسن والحسين ويلهو معهم اللهو النري ، السيط بلعب الأطفال ، وربما تأخذ الجارية لصغيرة (أي البنت الصغيرة) يده الشريفة فيذهب معها ، هداً باشاً ، سداً صاحكاً غير أنه كان لا يصحك إلا تبسماً ، ولا يأخذ في الفكهه أو الاسترسال في الضحك بصوت عالٍ ، (فإن كثرة الضحك تغيث القلب) وكان صلى الله عليه وسلم يقول : أ ن سي المرحمة ، أ نبي الملحمة أن القتل الضحك ، رحيماً ضحكاً مع المؤمنين والمستضعفين مقاتلاً فتاكاً بالمستكبرين والظالمين والطواغيت .

عبدالله الطيب والمستر سكوت

حلف المستر سكوت المستر وليمر على نظارة أو إدارة المدرسة الثانوية ، وكان عني خلاف المستر وليامز لا يؤمن بالنظام بنفس الصرامة التي كان يطبقها المستر وليامز والمستر بروان في أول أيامهم ، فألغى المستر سكوت النيلة (The rod) وأطلقه واتبرم جميعاً يقول عبدالله الطيب في وصف المستر سكوت (١) :

كان المستر سكوت من أهم رحلات من مارسوا التعقيم في لسودان اخديث ولعله أن يكون همهم جميعاً ، بعد المستر جيمز كرى ، الذي كان عني يديه أول تدوين مصدحه معارف ، وإنشاء كنية غردون التذكارية ، كان محدداً وذا ثورة وصاحب أفكار ويصف عبدالله الطيب المستر سكوت وصفاً دقيقاً (٢) :

كان صغير الجسم ، محنى أكتاف الطهر حسن ضلعة الوجه ، قصير سنان شعر الرأس يمشيها على طبيعة استدرتها في الرأس فيحدر منها قليلاً على أعلى جبهته وليس بأغم ، أفلت من أن يكون أعماً وليس بأثرع ! . . . يخاط لونه صفرة تعرضه للحركة وللشمس ، يتكلم بنبرة واضحة ، وتمثل للمعني في لأء ونعير لوجه مع مألعة ما وفي عييه نريق ذكاء ، وعنى خديه أسارير ابتسام ، ويموى فمه لعريض يتأمل ، ويصحك

(١) عبدالله الطيب : من حقبية الذكريات . ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٢٨ .

ضحكة تحتسبها مفتعلة، يخالطها من أنفه عنة، وجرس رفير حمي قصير، ساخر متهمكم ..

كان أسلوب المستر سكوت مثل أسلوب المستر براون " لنمر " عندما كبر وبصيح وصار عمر أليف بعض الشيء . كان يحب أن يختلط مع الطلاب ، ويعيش معهم ويؤثر فيهم . وفي أفكارهم وسلوكهم وذلك بالمعايشة والمخاطبة ، يسمع منهم ويناقشهم . وكان يهتم بالرؤساء . لأنهم الأكثر تأثيراً على الطلاب . ورى يدعوهم إلى منزله لتناول الشاي . وكان هذا انتقالاً هائلاً في علاقة الأستاذة الإنجليز بالصلة في المدرسة الثانوية !!

- " الخوذة داتس ، يريد أن يكشفكم " هكذا كان الطلاب ينته مسور عن مستر سكوت وعن أسلوبه اللين المبتكر الإيجابي مع الطلاب .

- " دافيس كبير " .. أعملوا حسابكم !!

ومهما يكن من أسلوب المستر (سكوت) فلم يخلع في تحميم الاستعمار الإنجليزي إلى قلوب لشبيبة السودانية ، وقد كان الطلاب أكثر الطلائع الوضعية وعياً وفكراً مستبشراً وكانوا كلما رآوا المستر سكوت يتوعد إليهم ، ذكروا أبيات لشوقي - رحمه الله :

وللمحررية الحمراء باب

بكل يد مضرخة يذوق

وللمستعمرين وإن ألانوا

قلوب كالحجارة لا ترق

ومن خُدد السياسة أن

تُغروا بالقباب الإمارة وهي رق

عمزت إباءهم حتى تلظت

أنوف الأسود واضطرم المدق

وضج من الشكيمة كل حر

أبني من أمية فيه عتق (عرق)؟

وعندما طلب منهم المستر سكوت أن يكتبوا مقالاً نقدياً عن الحياة في المدرسة الثانوية ، كتب الطلاب آراءهم بحجراً ولم يتهيبوا شيئاً . اما اعنى عبدالله الطيب ، فقد كتب كرساً كاملاً أطلق لنفسه فيها العنان وقاد ما كان يحب أن يقول غير عابىء بأية تنج أو محاسنات قد تأتي من إدارة مدرسة ، أو من المستر سكوت ، كما ذكر . ثم يكن المستر

(سكوت) من خريجي كمبيردج أو أكسفورد كما كان غالب المدرسين الإنجليز . وكان في تعليمه "مزاج لاهوت" كما ظن عبدالله الطيب .

كان المستر سكوت عميق الإيمان يتفوق الحضارة الغربية على الحضارة العربية الإسلامية . وكان لا يخفى ذلك بل كان يجادل عنه بقوة ، ويحاول إقناع الطلاب به ولكنهم كانوا يقارعونه الحجة بالحجة عندها كان المستر سكوت يندحأ إلى الإرهاب الفكري :

- أنتم متعصبون (Bigots) ، ول (Bigotry) معناها لتعصب لأعنى وكان يقول لهم أنتم بس متعصبون ، ويضحك "قه قه قه قه" .

ومع ذلك كان المستر سكوت كبير الإعجاب بمكفة الطلاب اسودانيين ، بحجاجهم النقوي وتحديهم له ولحججه الواهية ولماذا لا يكون هو متعصباً ؟

- الخواجة ده نفس ، أعملوا حسابكم منه . كانوا يتهايمسون ويوصي بعضهم بعضاً ، وكانوا قد كشفوا "موية" الخواجة وعرفوا مرده ، فلم يكن يقدر أن ينال شيئاً من عقيدتهم ولا من أرائهم وإعترارهم لديهم وحضارتهم ، مهما حاول !!

يقول عبدالله الطيب إن ثقافتهم العربية الإسلامية كانت عالمة ومتوعة ونقدية تحسنة :
* كانوا يعرفون عن تيارات التشكك في الدين ولعقيدة ، ومحاولة بعض التيارات الماركسية التشكيك في وجود الله !

* كما كانوا يتحدثون عن القدر وعن حرية الإرادة عند الإنسان ، وعن الإخاد
* وعن كفریات المعري وزندقته وكفریات الآخرين في التراث

* وعن مساجلات طه حسين والرافعي ،
* وعن كفر بشار بن برد ، ومجون أبي نواس

* وعن التصوف الشاطح ومقولة الخلاج "ما في الجنة إلا الله"
* وكانوا قد قرأوا عن النظرية الدارونية وعن نشأة الحياة من البحر ، ثم تطورت إلى أعلى وأعلى في سلم الأجناس .

ولذلك لم تكن محاولات سكوت تشكيك الطلاب في دينهم وعقيدتهم بمجدية ، ويقول عبدالله الطيب إن دراسة المستر سكوت لم تكن محكمة بل كانت جوفاء لذلك لم يستطع أن يصل إلى قلوب الطلاب في شيء (١) .

(١) عبدالله الطيب : من حقبة الذكريات ، ص ٢٢٠ .

'وكان المدرس يمضي فيها كمن يمشي حافياً على شوك يريد أن يكون مؤثراً ولا يستطيع، ومن أجل نوع في نفسه من عدم الإطمئنان، قالوا إنه كان ملحداً .
يقول عبدالله إنه لم يتأثر كثيراً بالفكر الإنجليزى، فكان يراه سطحياً غير عميق ولا مبرهن عليه ولا يرتقي إلى الرتبة العلمية.

وكان قد كره قصة (بند العميان) وكانت هذه القصة ضمن 'بعضات' (من بعض) كتب المطالعة للمصنف السادس، وكذلك كان يكره صورة هـ. ج. ويلز التي كانت معها. ولا كنت تعجبه قصة ويلز 'الرجل غير المرئي' ويقول عنها أنها في رأيه مسروقة من 'طقية الخفاء' التي هي 'ألف ليلة وليلة' في حكاية الحسن البصري الجميلة!
وقرئت على الطلاب قصة 'آلة الزمن' The Time Machine من تأليف 'كانت (هـ. ج. ويلز)، ويقول عبدالله الطيب إنها قرئت عليهم بوعز من المستر سكوت، ونه يصل منها شيء إلى قلوبهم. يقول عبدالله^(١) :

'تأريخه الكبير (يعني المستر هـ. ج. ويلز) عمل عظيم، وتعرض فيه لأخبار المسددين. وبال الكلب - من شخصية السيدة عائشة، يريد بذلك الطعن في رسولنا عليه الصلاة والسلام. وقرأنا ذلك نحن بكل عملة، وأعجب بعصن بها لروح ما كنت فيه من تشيع، فقد نعرض خبيث المعون لما كان من تصدي أم مؤمنين في خمر موقعة الحمن نقبل أمير المؤمنين'

يقول عبدالله الصيب إن إنطباعه عن شخصيه (هـ. ج. ويلز) وعن إخاده ومعالطاته لستطائنة - في ذلك العمر العصر - جاءت صحيحة فأكد لها اطلاعه على كتابات المستر كينغزلي مارتن (Kingsley Martin) في كتاب ذكريات حياته، وتجاربه عن هـ. ج. ويلز (H.G. Wells) فأثت تلك الكتابات على نفس الصورة والرأي الذي حرج به الفتى عبدالله لطيب، عندما كان طالباً يافعاً في المدرسة الثانوية برعم مستر سكوت ومحاولاته إلى التقيض من ذلك!!

يقول عبدالله الطيب إن إستر تيجية المستر سكوت الماكر، كانت تعتمد على مهاجمة حصون المقاومة الفكرية لدى الطلاب، والتي كان يمثلها الدين والنعة ووجود الامة ومبرثها القديم كان يهاجم تلك الحصون في التصميم؛ وتبع في ذلك أسلوباً دقيقاً عذب في الدهاء:

(١) المرجع السابق : ص ٢٣٠ .

ألم نقل إن خروجة ' غرس ' ، وإنه استطاع أن يكشف مك من القوة في شخصيات
 طلاب ، باستدراجهم إلى كتابة مقالات نقدية عن حياتهم في المدرسة الثانوية ؟ !
 * كن يعتمد أسلوب مناقشة الطلاب في آرائهم الحقيقية ، بعد أن يستدرجهم للبروح بها
 والتعبير عنها بصدق وشجاعة ، ثم يحاول ويأخذ بعد ذلك في تشكيكهم في تلك
 القناعات وهزها بطريقة عقلانية جدلية ؛
 * وكان يحاول أن يُعرف الطلاب بجوانب من الفكر الأوروبي ، ولأدب وأنشأ
 انفعلي والتفكير الديني والتشكيك - بالحجة والبرهان - على كل أمر مسلم به وقدم ،
 * كما كان يحاول أن يبرز السياسات الاستعمارية بأنها خدمة الشعوب المتخلفة ، ومن
 أجل إدخال الحضارة والتقدم في حياة تلك الشعوب !
 وكان يعطي الطلاب :

* حثارات من الكتب المقدس ، وذلك من النص لدي ترجم على عهد الملك جيمس الأول .
 The Kings Authorized Version
 وفي ذلك إشارات (في قصة رثاء داود ليوحنا) إلى بات الفلسطينين -The daugh-
 ters of the palestin ويبدو أن هذه الإشارات فيها ما يجرح شعور العرب والمسلمين .
 وتغاضي المستر سكوت عن ذلك ، فيما يبدو .
 * وسئل المستر سكوت عن ترجمة

The daughters of the uncircumcised

فقال : يعني " بنات العلفا " ، وضحك ضحكته تلك الساخرة المحبوسة ، يعني لا تظنوا
 أنكم وحدكم تعرفون هذه الأشياء الحساسة . أن أيضاً أعرفها .
 وكان يقرأ للطلاب من كتاب أوسكار وايلد ، خاصة قصة الأمير السعيد :

The Happy Prince

Vanity of vanities, said the preacher

Vanity of vanities all is vanity

* وكان يقرأ قصائد في الحب وأشياء أخرى !
 وكان في كل ذلك يرمي إلى التأثير على تفكير الطلاب ؛ وإدخال الفكر الغربي إلى
 نفوسهم وقناعاتهم ، حتى يتمكن في النهاية من إضعاف انتمائهم الإسلامي وإضعاف
 ثقافتهم العربية والإسلامية في نفوسهم وهزها من القواعد !

المستر سكوت ونظرية أصل الأنواع عند دارون:

كان تدريس نظرية (دارون) في أصل الأنواع، وفي النشوء والارتقاء، من المواضيع المنفصلة للمستر سكوت، وكان يخصص حصصاً بأكملها لتدريس هذه النظرية ولدفع عنها! ويقول عبدالله لطيب إن نظرية النشوء والارتقاء ونظرية أصل الأنواع، واحتمال أن يكون الإنسان قد انحدر من أنواع أخرى، معروفة لديهم من قراءاتهم في التراث العربي يقول أبو العلاء المعري:

'جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على أثر آدم'

ويقول عبدالله الطيب أن العقاد قيل مقولة أن أصل البشر قروود بلا أدنى شكك، وهو أمر غريب هذا من العقاد (وهو المفكر العملاق!).

وكانت هذه السطور وملاؤه في المدرسة الثانوية، قد تعرضوا لشيء كثير من التشكيك، مثل ما فعل المستر سكوت أو أسوأ، من بعض أقران قلائل ممن كانوا على دين المركزية أو العلمانية في مدرسة بورتسودان الثانوية. وكان هذا منهج كل سياسة متبعة في عصر الاستعمار وحتى في فترة ما بعد الاستقلال إلى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين! والسؤال الآن هو، من متى كان يقف وراء تلك السياسات الخرفاء؟! وماذا كان من أن يحقق من أهداف من وراءها؟ وما لفائدة التي يمكن أن نحصل من سنج لشيء من دينهم وعقيدتهم وهو ينهم الثقافية؟! وبصراحة من كان يتم كل ذلك؟!^{١٤}

'سنة كلها حائرة!!' وهل يا ترى ما رأت هذه السياسة الخفية الباطنة التي في السودان وفي قطر أخرى من لعنة العربي الإسلامي؟!^{١٥}

انتهى فصل الأول وهو مقدمة هذا الكتاب، أردت أن يكون مختصراً جداً في تعريف شخصية عبدالله لصبي وفي ذكر بعض وقائع من حياته وملاحم بسيرة من سيرته. وقد أحللت الحديث عن العامل الأخير من العوالم مكونة شخصيته وهو العامل المتعلق بتجربته في الحياة وسيرته العممية والمنهية إلى الفصل الأخير
سبحانك اللهم ونحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستعيرك وأتوب إليك وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، ، ، ، ،

الفصل الثاني
عبدالله الطيب :
ذلك البحر الزاخر

الفصل الثاني عبدالله الطيب: ذلك البحر الزاخر

أكتب هذا الفصل لأرشي عبدالله الطيب، الذي وصفه بعضهم^(١) - دأنهر ثلث في السود، صو لنيلين الأبيض والأزرق، وهو وصف مدبح، ولكن، قلت في نفسي إن عبدالله لطيب لذي عرفته أكثر من ذلك، إنه بحر زاخر، بحر مغدق بالحيرات واللاء وبكتور التي لا تقدر بأثمان ولا تقاس بالأموال، مهما غمت وكثرت، فهو كثر عرمد، ومن هذا كان فقده أليماً، وكانت لوعة فراقه عظيمة، ولو ربيقت عليه الشؤون وأجريت عليه الدموع أنهاراً وقل له!

وأنا بدأت، إذ أنعي عبدالله الطيب، إذ أنعي نفسي، أي الذي هو في مقدم نفسي. كما قال الشيخ الرئيس ابن سينا، فأنا في بعض أحوالي بضعة من عبدالله طيب. وعبدالله في بعض شمائله وتجذاته إنما هو بضعة مني، إذ هو الشيخ وابن التلميذ الذي تأثرت به تأثر غير محرج في أكثر من معرج، وهو بعد ذلك تربضي به ليس فقط قرابة الدم، إذ أن كلياً يحدر من 'الدامر الغربي' فأهله من التمبراب، شمل ثم لطيور، وأحدادي (العديايب وسلالة الملك عبدالله وملك عدلان وملك عثمان، عميد عموم الخليليين) كما يحدر من أم الطيور خويبة. ومعظم أحدادي وحداه يرفدون هتلك في ذلك الدامر الغربي، سبق الله جوابه بالغمم والرحمة كذلك تربضي بعبدالله الطيب، غير رابطة الاستدبة، مودة ومحبة تحفظها على مدى الأيام حيث وأعزها إنما أعزازه، وهو الذي عمري بالرحمة والرعية منذ أن تعرفت عليه في مكتبته لأول العام ربي جور ذلك المدرج الحبيب (١٠٢). في عمارة كلية الآداب الأولى في جامعة الخرطوم، وكذلك كان يرعى زوجتي وأولادي كما يرعى نواله لروم أبناء وأحفاده، فكيف لا أحد أب يسى مثل هذه المودة والرحمة، وذلك الحب الذي كان تربضي به على تموت في السن والمكينة الاجتماعية، فقد كان هو أذاك من سمع والبصر، ولم تكن سوى طالب فقير معمر، ليس وراثي أو أممي أحد غير نوداد وحب في الله غير مذموم. إنني أكتب لأرشي فريد زمانه، وو حداثته، الإنسان لسيل، والنوحات مؤر بمعني

١: مصال للأساس عبدالمعزم عبدالله المكي بسر هي جريدة الراية المصرية - الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٦/٢٤م.

الحياة وتفكر، الذهن الشاقب ونحتم الزهر. وملك الفصاحة التي لم رها عند أحد من عرفت في كل الدنيا، عرباً وعجماً. فقد كن كلامه الدرر المشور، وكان شعره الملح الشحي العبقرى. وكأنه تلقاه عن مرمر من مز مير داؤود عليه السلام، كما كان نوضعه خم ومحبتة للناس، وجوده وكرمه بدنه وعظمه بالرأي والود وبالصيحة يبدلها، وبالاهتمام والرعاية تفيض عنه كما يفيض الضوء عن الشمس، والنور عن القمر، ضحا وحسنة، وكرماً وجوداً بالسليقة والجوهر، بلا من ولا أدى، ولا يد وعية منه، فكل باب عما فيه يوضح! وتموح منه تلك الشمائل كما يفوح العير من الورد، وهل يمكن لورود والزهور أن تمتع عبيرها أو تكف عطرها عن أحد؟!.

كذلك فإني عندما أرثي عبدالله لطيب، فهذه سنة سنها الرحمن في كتبه العرير، إذ أنه تعاني رثي الخلق كهم، ورثي الحقيقة والكون ضراً:

﴿كل من عنده فان يبقى وجه ريث ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن: ٢٦)
 ﴿واصرب نهم مثل الحياة الدني كماء أنزلده من السماء فاختلط به نبات لأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾ (الكهف: ٤٥)

﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ (الزمر: ٣٠)
 ﴿وما جعب نبش من قبك الخلد أفأبئ ميت فهم الخلدون﴾ (الأنبياء: ٣٤)
 ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواهاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ (النصر: ١-٣)

إذن فنحن حين نرثي عبدالله الطيب، فإنا نرثي أنفسنا، فإن الفناء هو سبيل الأولين والآخرين، ولو كن في الأرض خالداً، لكن مسحمد صلى الله عليه وسلم، ونكن إبراهيم عليه السلام، وكان إخوانهم من الرس والأنبياء والصدقيين والشهداء.

إذن فلا بأس علينا إن نحن رثينا عزيزاً علينا، غيبه الموت ونحن لما شيع بعد من لقائه، ولا قنعت نفوس من نواله وعطائه، الذي كان بهجة الدنيا ورهرة الأديم، ولو كن لن أن نتمنى خلود أحد من أساتذتنا في هذه الدنيا، لتمنينا خلوده، ففي لنفس حاجة من علمه لم تقص، وفي النفود اشتياق إلى وداده، وضماً إلى أفكاره لعقريه، لما يطفئ بعد، وفي النفس لوعة إلى نوره وطلعته البهية الباسمة دوماً لم تقص، فعدالله الطيب، كن النجم الشاقب في سماء جامعة الخرطوم وفي أهلاكها الفكرية والثقافية لا يدانيه ضلع أو كوكب في ثلاثه، وضوئه الساطع المنير.

وَأَنَا أَتَمَثَّلُ فَقْدِي إِيَّاهُ ، أَتَذْكُرُ أَيْبَتِ صَاحِبَةِ الْعَرَبِ وَحَكِيمِهَا ، لِيُبْدِيَنَّ رِبْعَةَ الْعَامِرِيِّ
 بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطُّوَالُحُ
 وَتَبْقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
 وَكُلُّ فَتْنٍ يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْوُهُ
 يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

عبدالله الطيب الذي عرفته :

وأنا بعد ذلك أريد أن أسجل روزنه عن عبدالله الطيب الألمعي الذي عرفته ، فنقد
 تقطعت حياتي معه أولاً في جامعة الخرطوم ، طالباً ، ثم أستاذاً ، وبين هذا وذاك
 نعمت ببقائه أياماً صافيات حميلات عامرات بالفكر والود والثقافة في بريطانيا ، عندما
 كنت طالباً في الدراسات العليا بجامعة درم ، بشمال إنجلترا وكذلك لستر وليدر . وامتدت
 بنا اللقاءات في مجال التعليم العالي ومجالسه العمرة فقد كن إلى رحيله عن منصب رئيساً
 لمجلس جامعة الخرطوم ، التي كان أيضاً من أعظم من تولى إدارتها في تاريخها الطويل .
 كان آخر لقاء لي معه قبل مرضه الأخير في قاعة لصداقة عندما كرمتنا الدولة بمنحها جائزة
 الشهيد الربير محمد صالح وأوسمة العلم والآداب الذهبية ، ولسبب غامض أصررت عليه
 أن يتكرم علينا بيلتقاط صور تذكارية تجمعنا في تلك المناسبة ، فوافق مسروراً ، والتقطت لنا
 زوجته الوفية حريز يلدا (Grisleda) ، صوراً متعددة ، ولكنني لم أتلق منها تلك الصور ،
 وأتمنى على الله أن تكون تلك الصور مازلت محفوظة عنده .

وكان آخر لقاء فكري بيننا ، في تلك لدوات الشهيرة التي عقدها الوزير إير هيم أحمد
 عمر ، عندما كان وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي ، عن " العولمة وأثرها على
 الأوضاع في السودان " والتي امتدت إلى عدة ليال .

لسبب من الأسباب تحدث الدكتور عبدالله الطيب في تلك الندوة عن مشكلة جنوب
 السودان ، وكان من رأيه أن هذه المشكلة لا تحل إلا بالدعوة إلى انفصال الجنوب عن
 الشمال فقال بالحرف الواحد :

(مثلنا ومثل جنوب السودان ، مثل من يقبض على أذني مرفعين (ذئب) فهو لا يستطيع

أن يفكره محافة أن يفترسه إذ هو أطلقه)، وأردف قائلاً: (و ل رأي عندي ان تقول للدول الكبرى، وخاصة أمريكا وبريطانيا وكذلك الأمم المتحدة، تعلوا امسكوا مرفعينكم هذا وحلصوباً منه)، فضح الحاضرون بالضحك، بعضهم، وبعض اخرون ضجوا بالشكوى والندمر، خاصة بعض الحاضرين من أهل الجنوب ومنهم صديقي العزيز ورجل الدولة البارز موسيس مشار. وأما أن فقد أصابني صدمة من هذا الرأي، إذ أنني شددت العيرة على الجنوب وشديد التمسك بوحدة السودان، شريطة أن تكون هذه الوحدة طوعية وأن تتحقق بالوسائل السلمية، فاسريت أطلب الكلمة، وأصرُ عليها إلى أن اضطر أخي وصديقي العزيز إبراهيم أحمد عمر أن يعطيني إيها، فقلت: (الأستاذ عبدالله الطيب هذا أستاذي لذي أجله وأهابه مهابة كبيرة جداً، وما كنت أحلم أنني سوف أحده أو أحتلف معه عند قبل ليوم، إلا أنني لا أستطيع إلا أن أحالف ما قاله بخصوص مشكلة حروب السودان، ومشبي ومثله في هذا الموقف مثل أرسطو وأفلاطون: فقد كان أرسطو يحلّ أفلاطون اجلالاً عظيماً، ولكنه في الوقت ذاته كان يختلف معه في كثير من المسائل لفلسفة، وعندما اضطر إلى مخالفته علانية، قدم لذلك باعتذار لطيف ذكي، صار مثلاً في مثل هذا الموقف بين الأستاذ وتلميذ الذي يختلف معه:

قال أرسطو:

(أفلاطون أثير عندي وحبيب، وكذلك الحقيقة، ولكن الحقيقة أحب إلي من أفلاطون) وبعد ذلك أوردت رأيي عن ضرورة الحفاظ على وحدة السودان. وفوجئت، كما فوجيء الكثيرون، بالأستاذ عبدالله الطيب يعقب على رأيي ويقول: لا يقلل لأن يمثل له بأفلاطون (ذلك الفيلسوف الوثني!) وسقط في يدي، وكنت أص أن ألقاه مرة أخرى وأشرح له مقاتي، وما أض أن معاه قد عاب عنه، ولكنه لم يصر مني أن أعقب عليه، وأن أحالعه وحضنه عند، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر الله لي هذه الصراحة التي طالما كان يعيها عليّ. رابعاً: ان هذه الصراحة هي من تأثير اجبة و لوراثة فكل أبي مثلاً لها، حتى إن أهني كنو يقوون (شبير عبي محمد إمام كأه قد بلغ حبوب الصراحة)، فقد كن، كما يقوون الحوجت (Outspoken) وكذلك كنت أنا في شدي. وكن عبدالله لطيب كثيراً ما يذكرني ببس الشاعر الجاهلي، رهير من أبي سمي

ومن لم يُصانع في أمور كثيرة

يضر من بأنساب ويوطأ بمنسم

ولم تكن ندوة "أثار العولمة" هي المناسبة الوحيدة التي "ضايقت" فيها أبروف العزيز عبدالله الطيب، فقد كانت هنالك مناسبة أخرى:

عندما كن عبدالله الطيب عميداً لكلية الآداب في الستينيات من القرن المنصرم، كنت طالباً بها بقسم الفلسفة، ولوجودي في قسم الفلسفة قصة، كان السروف عبدالله عملاً حاسماً فيها، ذلك أنه قبل بتحويللي من كلية العلوم، قسم الرياضيات، الذي يؤدي إلى كلية الهندسة، في دقائق معدودة، فقد كنت غير سعيد بوجودي في كلية العلوم، لم أجد نفسي فيها، فقد كانت نزعتي أدبية فلسفية، ولم أكن أتصور أن أصبح مهندساً، فدخلت عليه في مكتبه العامر بالمبنى القديم بكلية الآداب بجوار المدرج (١٠٢)، وكانت تلك أول مرة أقابله فيها وجهاً لوجه، وأتعرّف عليه عن كثب.

قلت يا بروف أنا فلان لعلاني، طالب بكلية العلوم - القسم الهندسي، ولكنني غير سعيد بها، ولا أجد نفسي فيها، وأريد أن أتحوّل إلى كلية الآداب، فقال: "نعم، هذا ممكن، دعنا نشوف ناس الفلسفة، اذهب إلى بروفسير تولم بوم Prof. Toulimbaum واعطه هذه المذكرة"، فذهبت إليه ووجدته جالساً على مكتبه، وأعطيته مذكرة عبدالله الطيب، فقبلني على الفور. وهكذا كنت أول طالب بجامعة الخرطوم يحوّل من العلوم إلى الآداب، لأنها صارت سابقة (precedent) في مجلس السنين، واستفاد منها بعد ذلك كل من د. محمد عبدالحفي، الله يرحمه، ود. جعفر ميرعني وآخرين غيرهم. وهذه هي واحدة من تلك التقاطعات التي كانت بيني وبين عبدالله الطيب والتي غيرت مجرى حياتي كما ذكرت.

دخلت عليه مرة في ذلك المكتب العزيز المهيّب، مكتب عميد كلية الآداب، وكان ذلك بعد معركة انتخاب مدير جامعة الخرطوم بعد ثورة أكتوبر، وكان عبدالله مرشحاً لذلك المنصب الرفيع، ولكنه لم يفز في الإنتخابات. وأظن أن الذي فاز كان د. عمر عثمان عميد كلية الاقتصاد، فوحدته في حالة من الغضب والهيجان، وعبثاً ما حاولت تهدئة حاطره وإقناعه، أنه أرفع بكثير من ذلك المنصب. وقلت له في صراحتي التي تقترب أحياناً من حد الإفراط، إذ لم أرفع فارق السن وفارق المكانة الإجتماعية بيني وبينه، غرني في ذلك المحبة المتبادلة بيننا فقلت:

"ياروف عبدالله ، شنو يعني منصب مدير جامعة الخرطوم بالنسبة إليك ، انت بروفيسور قدر لدنيا كلها ، ومعروف عالم كشاعر عظيم وكعميد للأدب العربي بعد طه حسين ، ماذا تريد من منصب مدير جامعة الخرطوم؟؟؟ ، ، ،

وأظن أن تلك الصراحة بل تلك الجرأة فاجتته مفاحة كبيرة بل باغتته ، أو كما يقول الخوجات (he was quite taken aback by it) فمال إلى الخلف على كرسيه ، هنيهة . ثم اندفع إلى الأمام مرة أخرى وعيونه لمعت بتوقد يحارجه شيء من الإحمرار : (أيوه أنا دايره ، دول البقو مديرين أحسن مني؟؟؟) لقد دهجا بروف عبدالله الطيب بعض أساتذة كلية الطب بجامعة الخرطوم ، الدين لم يؤيدوا ترشيحه لمصّب المدير ، بقصيدة عصماء جاء فيها :

وأطبة تركوا العلاج وأقبلوا يز

جون من مرض القلوب ضروباً

لم تكن مثل هذه المواقف من عبدالله الطيب عريّة ، فهي في الواقع تمثل واحداً من أهم مفاتيح شخصيته الفذة .

لقد كنت بعض تلك التقذعت بين دروبنا ، حاسمة جداً في محرى حياتي : بعد ثورة شعبان عام ١٩٧٣م ، قررت حكومة نيميري فصلي من جامعة الخرطوم ، وكان هذا القرار صعباً جداً على أستاذي وصديقي عبدالله الطيب . وعندما أُرِد أن يُعمني بهذا القرار ، دعاني وروحتي (د. مزهر) إلى طعام الإفطار ، يوم الجمعة في منزله الذي هو الآن مكتب مدير جامعة الخرطوم ، والذي يطل على النيل الأزرق ، ووحدت زوجته الإنجيرية (جبريرند) قد وضعت الإفطار في الحديقة المطلة على النيل الأزرق مباشرة ، وكنت جلسة ممتعة ، قرب إلى لسحر منها إلى اختيقتة ، وكان عبدالله مشرقاً وكان فيه معصم بالعصر والمعي الموازة الر حرة ، وطال بالأس ومطارحة الكلام ولشعر ونشر ، ولأدب وتاريخ ونفسفة . وتاريخ جامعة خرطوم وأيمها وأحبارها ، زمن هم الذين كرايد صوبه العذء من الحساد والعوادل ، وعندما أشرت إلى وقت صلاة الجمعة إنه قد أُرِف جاء وجلس أمامي وقال :

(يا ركريب كنت قد أرسلت لك برقية في بربر لتعود إلى عمدة هي جامعة الخرطوم ، ولكن بعض هؤلاء المتفقيين سربوا الحسريتي بس لأمس ، وهؤلاء جاءوا لي مكتسي وبلغوني قرار نيميري ألا ترجع إلى جامعة خرطوم ، اذهب ما في فندة ، فبر رجعت

رفتوك ورفقتومي معاً، ولكن أرى أن تذهب إلى الخارج، للتدريس في بعض الجامعات هناك، ولقد رتبنا الأمر فاتصلت بالسفراء من دول ييجيريا والأمارات العربية المتحدة، وقرظتك كثيراً اللهم وإن شاء الله يكون خير ولعله خير). فصمتت برهة، ثم لتقطت أنفاسي بعد هنيهة وقلت: (لعله خير إن شاء الله) لأنني ما كنت أبداً أفكر في هراق حبيبتي الخرزوم، وكنت قد عدت انذاك حديث من لولايات المتحدة وأوروبا، بعد عيبة دامت أكثر من سبع سنوات، وغيتني حكومة عميري عامين آخرين في سجن كوبر! وفعلاً ذهبت إلى جامعة الملك عبد لعزيز لمدة عامين تقريباً ثم إلى بريطانيا، حيث نشرت أول كتيبي وكان باللغة الإنجليزية (The Meccan Crucible) وبعد هديث هذا الكتاب إلى عبدالله الطيب، لأنه هو الذي أشار علي بكتاتنه باللغة الإنجليزية، وكان هذا الكتاب أول تصالي بسيره المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولقد يسر الله لي بعد ذلك فاتبعت ثلاثه كتب أخرى^(١)، ولا أحب فالمصطفى الشير صلى الله عليه وسلم هو العروة الوثقى وعلاقة الحب الكبير بيني وبين العلامة عبد لله الطيب. (وبغ اللهم روحه الشريفه، صدوات طيبة منيفة، اللهم صلى عليه وسلم تسليماً)

المفاتيح الرئيسية لشخصية عبدالله الطيب :

المفتاح الأول : شعوره تفوقه وتفردّه على الآخرين . ذلك لتفوق الذي لم يحظ بالاعتراف به من الأوساط العلمية في جامعة الخرزوم ، ولا من الأوساط الوطنية . فلم يكن عبدالله الطيب ينتمي إلى أي من الأوساط الوطنية ولا كان منتمياً إلى حركات العقائدية من يسار إشتراكي أو يمين إسلامي ، ولذلك كان يغرد خارج لسرب كما يقول ، وهذا قبل من فرص الاعتراف به وبعبقريته وكان لسان حاله يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريبهة وسداد ثغر

(١) هده الكتب الثلاثة هي دعويين

(1) the Hyra: Story and Significance .

(2) Sunshine at Madina.

(3) War and Peace in the Life of the Prophet Muhammaed (still being prepared for publication).

وكتبها لسرت بواسطة مؤسسه الإسلاميه بليستر بريطانيا . ماعدا الاخير اندي مايرال هده النشر لديهم.

المفتاح الثاني : وشعور عبدالله بالوحدة، وإحساسه بعدم التقدير لموهبته وعبقريته كان دفعاً إلى شكائاته دائماً في أشعاره. وربما عرّض هذا الشعور بالوحدة والعزلة، قلة الأصفياء والأصدقاء الحميمين في حياته، إذ أنه عاش وحيداً منذ باكورة شبابه إذ توفي معظم أفراد أسرته المقربين في فترات متقاربة من صباه وشبابه، جده لأبيه ثم والده ووالدته وبعض أخوانه وشقيقه، فعاش حياته كلها يتتبعه شعور عميق بالوحدة والغربة ولقد انعكس ذلك بظلال كثيفة على حياته ووجدانه، بل على الكون كله وأحدث خطوطاً داكنة الظلال في جنات روحه وأرجاء نفسه فصار لأسى سحابة وطعماً، وصارت الوحدة والعزلة هي كل ما يحبط به. ففي أول مقطوعة من "أصداء النيل" نجد تعبيراً عن هذا الشعور لغريب بالوحدة والعزلة والغربة:

يقول عبدالله الطيب في ذلك: (١)

قضى الله أني هكذا الدهر مفرد
وما عن قضاء الله للمرء مَزْجُلُ
تداولني الأيام بالكر والأذي
ومالي إلا مَعْقِل الصبر مَعْقِلُ
ألا أيها القلب الذي ظل نابضاً
سيسكتك الدهر الذي ليس يغفلُ
ويا أيها النفس اللجوج تئبة
زمانك هذا بالكرام موكل
فكأنه كان يرثي نفسه بهذه الأبيات العجيبة!

وفي مقطوعة ثانية من "أصداء النيل" (٢) نجد نفس الإحساس بالوحدة والغربة.
طربت لذكر النيل إذ شطّ منزلي
بلندن حولي كل أعجم رطان
وهيجني صوت البلابل صدحاً
وأسراب طير ذي وصيع وإرنان

(١) ديوان أصداء النيل طبعة دار جامعة الخرطوم - الطبعة الخامسة ١٩٩٢ م.

(٢) أصداء النيل قصيدة (الصابر) ص ٤٤.

ألم ترني أصبحت في الناس مفرداً
وخان وما خُنت المودة خُلاني
فراق أحياء وثكل عشيرة وإخفاق
أمال وهجرة أوطان
ومثل هذه الأبيات كثيرة جداً في شعر د. عبدالله الطيب في كل دواوين شعره .
يقول في رثاء شقيقته الكبرى وقد نكأت بموتها كل اخروح قلها^(١)
أعـالج لبي أن يطيش من الأسى
وأمنع جفني أن تسيل شكاتي
فليت الردى الظمـآن لما أرادها
يبيل صدهاء من دمـاء عدلاتي
الأختي قد شط المزار فبيننا
مسير على الأيام والسنوات
وعندك في مثواك أهل أحببه
سوى الطين والأحجار والظلمات
أب لم تريه حل قبلك ثاوياً
لدى غرف لاتشبه الغرفات
وأم سقتك العيش في زهرة الصبا
وولت ولم تمتنعك بالنظرات
كدآب الليالي في أخ لك سابق
تخطفنه بالحَيْن مُختَصرات
ذكرتك لما أن هممت بعودتي
وقلت أراها طليقة اليـسمات
فلما تلقيت النعي تبادرت
امسي من جفني مسكبات
فهل لك في تلك الصفائح ملعب
ترين به اتراك الفرحات

(١) أصداء النيل، قصيدة (لا تأس) ص ٦٠ .

لقد طغت الدنيا علينا بجورها
ونخلت جميع الشمل رهن شتات
فلن أتسلى عنك أنك تُغيبه
لظمان من ريب الحوادث آتي
ولن أتسلى عنك إلا بأنني
فقدتك حتى تستقر رفاتي
إذا ابتسم الريحان فاستفت روحه
ذكرت شذى انفاسك العطرات
كـفـى ألماً ألا أراك وإنني

من الحزن قلبي دائم الحسرات
وهكذا استحكمت حقائق الأسى والحزن والوحدة على الفتى عبدالله الطيب، طالب
الدراسات العليا ببلدن، الفتى العميق الوجدان، المشوب العاطفة، سحب الأهل
والوطن:

جاد الحيا منزلاً قد كنت ألفه
بدومة الغرب لا ذام ولا عاب
وأقبراً مستكناً في حنادسها
أب وأم وأمــــــــــــــــال وآراب
الشعر دمع الذي لا دمع يسعده
مما تواتره بالأرزاء أحقاب
وسامر المفرد الأسوان في بلد
ناء وقد عز ندمان وأكواب

المفتاح الثالث : مفتاح آخر في حية هذا العبقري ، شعوره أنه لم ينل التقدير الذي
تستحقه عبقريته وموهبته ، والفنان الكائن في أشعده وإبداعته كلها ، وكذلك حساسه
بأنه مستهدف ، وإنه محسود ، وأن له أعداء يتربصون به الدوائر . ففي قصيدته (لا تأس)
نفس الشعور بالأعداء والعواذل والحساد ونفس الشعور بعدم التقدير وعدم النصرة :

لا تأس فالناس أعداء اللبيب وكم
قد أنذرتك فلم تحفل بها النذر

وكم صبرت على مُرّ الحوادث
والحر الكريم على البأساء يصمطبر
هم العبدو لهم كميّسد وألسنة
ينفذن بالوخز ما لاتنفذ به الإبر
يا أيها الوطن الساعي تدفعه كف
الخيانة والأعداء والقـدر
إني كمثلك أبغي النصر مجتهداً
وكيف بالنصر لاعون ولا وزر

المفتاح الرابع : مفتاح احمر عظيم لشخصية عبدالله الطيب ، هو حبه للإيقاع والموسيقى ،
وما حبه للشعر العربي إلا من حيث أنه نظم بديع عبقرى ، لا نظير له في أي لغة من لغات
البشر ، وبذلك تنفرد العربية وكذا الشعر العربي .
وفي " المرشد " لا اهتمم لعبدالله الطيب لا السعي الذؤوب لكشف عن هذا لتدفق
وهذا الايقاع البديع المعجز في الشعر العربي .

ولقد ذهب كثير من الدارسين (للمرشد) أنه موسوعة صعبة ، وأنه مثل عبدالله الطيب
فيه الكثير من الوعورة في الألفاظ ، إذ أنه (أي عبدالله الطيب) رحل بدوي قد مرد على
حب شعر العمالقة من شعراء العربية خاصة شعراء الجاهلية ، وشعرهم لا يحنو أبداً من
الفاظ غريبة .

ونكر لا بأس بالألفاظ الغريبة ، في رأي عبدالله الطيب : (والعرب حلية الشعر ،
نص على ذلك نقاده من أوائلهم أو الأسود الدؤلي ومن أواخرهم بنو الأثير) .

فجوهر الشعر ، عند عبدالله الطيب ، هو الإيقاع ، ولا بأس بالألفاظ العليظة العربية
التي يسو عنها النسمع .

وحقيقية ، فإن وجه صعوبة (المرشد) ليس في كثرة الألفاظ الغريبة ولكن لأن الإهتمام
فيه منصب أساساً على النظم في الشعر ، بحوره وقوافيه ، وما لم تتوفر لناظر في (المرشد)
إلما طيب بأسس النظم في الشعر العربي ويعلم العروض والقوافي ، فإنه لا محالة يجد فيه
تلك الصعوبة الكبيرة التي يشكو منها البعض .

وعبدالله طيب نبه لذلك في خطبته التي قدم بها (المرشد) في الجزء الأول منه فليس
عليه من ملامة .

فحب الشعر والهداوة مفتاحان في شخصية عبدالله الطيب .
وعندما كنت مدرّس عليه في كلية الآداب فقد كنت في البداية نجد صعوبة كبيرة في متابعة
تدفق إستشهاداته العزيرة بالعشرات من أبيات الشعر العربي ، وخاصة الشعر الأهلّي .
ولكننا قطعاً لم نكن أنصرف همه إلى دراسة النظم وبحور الشعر وقوافيه وأن هذا هو
الاهتمام الذي يستدبه ، وأنه لم يكن يعبأ كثيراً بالمعاني ولا بالأفكار ، وقليلاً ما كان
يتوقف ليشرح لنا لعوامل التي تشكل وجدان الشاعر الأهلّي ، أو القضايا الفكرية
والحياتية التي كانت تستحوذ عليه ، أو البيئة التي هي مصدر الإبداع والإعجاز في تعبيره
عن حياة وعن القيم وعن المشاعر وعن الجمال ، خاصة جمال المرأة ، والبكاء على
الأطلال ، ووقوف عليها يذكر الحبيبة وفراقها ، وما يحد من ذلك من صدمة وشوق ،
وجمال الترحال وأهمية الحرية والفخر والعزة في نفس العربي الأهلّي . وقليلاً ما كان
يتوقف لشرح المفردات العربية الصعبة ، وهي كثيرة جداً في الشعر الأهلّي ، كما هو
معروف .

فقد كان عبدالله الصيب في رحلة دائمة إلى الصحراء ، وإلى بادية العرب وجزيرتهم ،
وفي شوق إلى ذلك الإيقاع ، والنظم الفريد الذي كان العمود الفقري لعبقريتهم بين الأمم ،
فلم تكن للعرب حضارة ولا صناعة ولا علوم ، وكان لبين والنظم والإيقاع هو العبقرية
التي ميّرتهم بين الشعوب والأمم ، وكذلك التعبي بمكارم الأخلاق ، وعلى رأسها الكرم
والشجاعة .

كان عبدالله الطيب لا يقتأ يرحل كل يوم إلى أسواق الشعر في بلاد العرب وإلى أسواق
النظم ولشعر هنالك (عكاظ ودي المحازر ، ودي المنجنة) ، وكنت أن لا أفنأ أرحل إلى بلاد
الحكمة والفلسفة في أثين وفارس والهند والسند ، وأقارن وأحدل بكل ذلك في سوق الجدل لواسع
في جامعة الخرطوم آنذاك ، فبينما كانت فتنة عبدالله الطيب والنظم والقوافي والقصيد ،
كنت فتنتي الجدل في عمومته ولنطق بشكل خاص ، وبينما كان عبدالله الطيب يحوم في
أقصى تخوم الإيقاع والبين والإبداع ، كنت أحول أقصى تخوم العقل وأصول الجدل في
أنواع الألفاظ وأحاسسها ، والموضوع وما يحمل عليه ، وأجوهه وأخاصه والعرض
والماهية ، أي كنت أنظر في الألفاظ من حيث دلالتها على الأمور الموحودة في الوضع
الأول (أي في الوجود من حيث هو) .

وإنما يُقال المحمول على الموضوع من حيث :

* الجوهر

* الكمية

* والكيفية

* الأصالة والإضافة .

* والمكان

* والزمان

* والوضع (فوق أو تحت)

* والملك (هذا كتابي)!

* والفعل

* والانفعال

فهذه هي أنواع التصورات الممكنة لما هو موجود^(١) . فالمعرفة الإنسانية إنما هي الأصل تصور ، ثم هي بعد ذلك تصديق (أي أحكام وقضايا هي التي تكون مداراً للصدق أو الكذب) ، وهذه هي أصول كل مطلق من حيث هو (تصور وتصديق) . ولذلك فالمنطق هو صنو لنحو ، ولا عجب في ذلك ، فاللغة إنما هي مفتاح الوجود والدالة عيه ولذلك كنت الأسماء هي مفتاح المعرفة ، بمعنى أنها الوسيلة والطريق الدال عليها :

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ٣١)

والأسماء بعد ذلك أصناف ، فمنها :

* المتفقة ،

* والمتواطئة ،

* والمشتقة ،

* والمترادفة ،

* والمتباينة .

ومهما يكن من أمر النحر والمنطق ، فهما ولا شك إخوان (أو إخوان) رصعاء لا يمكن لأحدهما أن يقوم مقام أحيه ، وأيهما فقدنا كن الفاجع البين الفقد (رحم الله ابن الرومي!) .

(١) هذه هي المصولات العشر، (The Categories) عند أرسطو ٩ .

ولذلك لم يكن تقاطع دروبي مع أستاذي العلامة، (وإن أن أمه، عدماً وفصلاً وسعة في القرية، وقوة في المعارضة)، لم يكن هذا التقاطع يمضي بعيداً. فهو تقاطع إلى لقاء، ولقاء إلى تقاطع في تدفق دائم وجريان مستمر، فالنهر إنما يصب في البحر، وماء البحر إنما يغمر النهر بالسيول والأمطار فهذا دوران أزلي.

وإنما قصدت وصف العلم والعالم العلامة، وأخبر الفهامة، وصناحة لعرب في هذا العصر، إنما وصفتها بالبحر لأن البحر في طبيعته أقرب إلى العلم والعلم أقرب إلى الكلمات، والكلمات أقرب إلى اللوقوس (Logos) والدوقوس أقرب إلى الباموس (Nomos)، وهذه هي السنن، سنن الله التي تحكم لكون والعقل واللسان وكذلك النفس والاجتماع، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَاءٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَتَبَّهَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (لقمان) ٢٧

وقال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَعْدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ حِصًّا بِمِثْلِ مَدَدٍ﴾ (الكهف: ١٠٩)

سورة الفتح الخامس: حلفيته الأسرية في عشيرة لمجاذيب، وهم علماء صالحون من قبيل الخعيين. وهم كذلك حفاظ العشيرة ورموزها في العلم والتقوى والمضنن، وكذلك الشعر والمسيح في محبة المصطفى، والقرآن الكريم الذي كان سدى الدنيا وخمها في دامر المجذوب، هذا المرحن خالد، ظل يحدو عبد الله الطيب ويدندن في أعماقه في ضوأل حياته وعرضها مهما تقلبت الأيام واختلقت البلدان:

أيا دامر المجذوب لا أنت

قرية بداوتها تبدو ولا أنت بندر

وأم بدوة عبد الله الطيب، فليست في معنى الداوة التقديدي، بمعنى احشونة وإيثار حياة لندية على حية الحضارة والعلم والضمون، فقد كانت شخصية عبد الله الطيب بعد ما تكون عن تلك المعاني، فقد كان أنبل الناس، وأحلى الناس، وأكثرهم رقة ولطفاً ومحبة حية الأسس والتأمن والإيقاع، ومحبة الجمال في كل أوقفه، وكذلك حمل لنفسه والخلق ومكارم الأخلاق.

فقد عاش عبد الله الطيب الحياة الغربية، وسبر أغوارها وعرفها كما لم يعرفها أحد من

نسودانيين ، ولا أقصد مظهر الحياة في بند العربية الكبرى ولكن معرفته بالفكر الغربي وبالآداب والفنون الغربية وبالشعراء الغربيين أمثال :

* شكسبير

* تي . اس . إليوت

* توماس هاردي

* لورد بايرون

* وود وريث

* وكيت

* وليم بيك

* وشيلي وغيرهم كثير

ونقد بين كيف كانت قناعاتهم من شعر العربي ، وكيف تأثروا بالجهل من أمثال .

* أمريء القيس

* وذو الرمة

* ونبيد بن ربيعة لعمري وغيرهم من الشعراء في عصر الإسلام !

الفتح السادس . لا يوجد أدنى شك أن القرآن الكريم كان هو المفتاح الرئيس لشخصية البروف عبدالله الطيب ، وبه كان يتلو الكتاب المعجز ، آية الآيات ومعجزة المعجزات ، في بيانه وبلاغته وجمال أسلوبه لئلا يأخذ بالقلوب والوجدان أثناء الليل وأطراف السهر قال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على رجل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر : ٢١) .

وقال تعالى :

﴿قل لئن اجتمعت الإسم والجن على أن يأتوا مثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الاسراء : ٨٨) .

وهو المعجزة الخالدة والتحدى الأعظم المثل للكافرين والمفكرين في كل العصور والأزمان أن يأتوا سريرة واحدة من مثله فلم يستطيعوا ، وأتى لهم ذلك ! والبروف عبدالله لطيف يقطر عقله وحواسه ووجدانه جميعاً ، مدنعومة أضافه على يقين القرآن الكريم وهو يدخل عليه من كل أقطار نفسه ، هذا القرن لئلا يجمبل لسحر ، هو أعظم ورثة ورثها . من أجداده وجيرانه وأقاربه ومن المسجد . وقبل كل

أولئك من ذلك الوالد الحبيب . ذي الصوت الندي ، يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، وخاصة في لسحر من الفجر . 'إن قرآن الفجر كان مشهوداً' فلا شك عندي أن أن القرآن الكريم هو أكبر مؤثر في شخصية عبدالله الطيب ، ولكن السؤال هنا : هل حفظ عبدالله الطيب القرآن كله وهل كان راسخاً في هذا الحفظ؟!

لا أشك أن عبدالله الطيب قد حفظ القرآن الكريم كله في فترة من حياته^(١) ولكن هل استطاع عبدالله لطيب الحفاظ على هذا الحفظ في كل مراحل حياته؟! على كل حال ، لم أشهد عبدالله الطيب يؤم الناس في الصلاة ، في الكلية ولا مرة واحدة ولا شك أنه كان يصلي منفرداً في مكتبه ، ولذلك لا أكاد أذكر أنني سمعته يقرأ القرآن تألياً إليه في الصلاة وعبدالله الطيب يقول إن صوته ليس ندياً في ترتيل القرآن الكريم كنداوة صوت أبيه . وذكر أكثر من مرة ، أنه لم يكن يتبع نظام التسميع السائد في الخلوة ، بدمار المجدوب . وعبدالله لصيب يسحر من أسلوبه في حفظ القرآن وتسميعه ويقول إنه أسلوب غير منظم وهو ضوي ، يقصد أنه لم يكن يتزم بالطريقة التي كان الخيران يتبعونها في حفظ القرآن في الخلوة : يقول عبدالله الطيب في ذلك^(٢) :

لا أدري كيف صرت إلى شرافة سورة محمد ، ولا شرفت (الرحمن) ولا (تبارك) قلبه . كنت فوضوياً ، كأنما أثبت وثباً : (الدخن) ، (بس) : أذكر لوشي في (يس) ولكني لا أذكر شرافتي لها؟؟ لا أذكر (ص) ولا (الصفات) . . .

ولا شك أن هذه الفوضوية في منهج الحفظ للقرآن عند عبدالله الطيب ، هي التي جعلت زميله في الخلوة ، الأستاذ محمد أحمد الهوري ، يحتج عليها احتجاجاً شديداً ، قائلاً^(٣) : "قرايتك دي قراية جن في جن" .

ويذكر عبدالله الطيب أنه درس زميله محمد أحمد الهوري في حفظه من البقرة وإلى سورة الأعراف . وهذه الدراسة لم تقنع زميله ، فيما يبدو ولذلك قل له .

المفتاح السابع : من المفاتيح المهمة في حياة عبدالله الطيب . التصوف فقد كان البروف شديد التأثير بأهله وشيوخه من المجاذيب ، وشكك خاص كان شديد التأثير بوالديه - عليهما رحمة الله الواسعة .

وكان والد عبدالله ، كما ذكرنا أميل إلى الختمية والشاذلية ، على خلاف عموم

(١) عبدالله الطيب : من حقيبة الذكريات . ص ١٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

المحاذيب الذين كانوا أنصاراً للمهدي من الذين بايعوه في قدير ، وقتلوا تحت أمراء المهديّة
وبعضهم استشهد كما رأينا . وبعضهم أخذ أسير في النجومية !

هل كان عبدالله الطيب أميل إلى الأنصار أم إلى الختمية ؟ لا أعرف على وجه التحديد ،
وعلى ضية صحتي عبدالله الطيب طالبٌ ورميلاً في كلية الآداب ، لم تحيى مناسبة توضح
إلى أي الاتجاهات والطرق الصوفية ، كان يميل ، غير أنه ذكر أن والدته (عائشة) رحمها الله
كانت أقرب إلى الأنصارية أم جدته الرباطية " بختة " فقد كانت أميل إلى الختمية

ومهما يكن من أمر إحيى عبدالله إلى هذه لطائفة أو تلك وهذه الطريقة أو غيرها ،
فقد كان عظيم التأثير بالجو الصوفي حوله ، مندمجاً فيه شد الاندماج ، يحفظ كثيرٌ جداً من
أدكار السادة الصوفية ، ختمية وشاذلية وغيرهم ، كما كان يحفظ الكثير الكثير من مدائح
المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وخاصة مدائح الشيخ محمد لمجنوب ، والشيخ محمد
الموصيري وعبد الرحمن البرعي - كما ذكرنا - وكثيرين غيرهم ، ابتداء من قصيده كتب
زهير بن أبي سلمى المشهورة (البردة الأولى)

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

التي أعجب بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم أي إعجاب ، فقدم من مجلسه إلى
حيث كان يجلس كتب بن زهير وألسه برذته الشريفة . من هنا كانت " بات سعاد " هي
البردة الأولى التي سجع على موالها البرعي والبوصيري ومئات من شعراء المدائح من
بعدهم ، تأليفاً أو تشطيلاً !

على أن صوفية عبدالله الطيب ، لم تكن في جوهرها صوفية روحانية بحتة . . نعم
كانت روحانية قلبية وجدانية بلا شك ، ولكنها كانت أقرب إلى التصوف العملاقي البشري ،
يختر من تلك العاطفة المشبوبة ، كما يحلو من الشطحات التي أودت بحياة بعض رجال
التصوف كالحلاج وغيره .

المفتاح الثامن : هو زوجته الوفية جيزيلد وحبها فلا شك أن حبيبيلد ، (ومعناها
"جوهرة") لا عرونها (عندما أسلمت) أسمت نفسها "جوهرة" ، لعبت دوراً أساسياً في
إضمار عقريّة عبدالله الطيب ، وساعدت كثيراً في توفير الحنان والأمن النفسي والانس ،
وهيات البيئة الصديقة والمرفا الهادي المطمئن لعبد الله منذ زواجهما في الأربعينيات أو
الخمسينيات من القرن العشرين . "جوهرة" سيدة إنجليزية غير عادية ، تمور بالحياة

و نشاط، وتحمل بين جنباتها قلباً كبيراً، وعقلاً كبيراً، وتلك الثروة الفكرية والوجدانية
واسدنية التي تميز ' الإنجليز ' كشعب فعال، يملك موارد هائلة في الفكر والشعور والحركة.
فهي شخصية فعالة مليئة بالحركة، راخرة بالفكر والوجدان الموّار، وذلك الأسّ واخوار
والكلام خلّو العذب الذكي، الذي لا يكف ولا يصمت، ولا يسكت عن الكلام المباح،
كما كانت عادة شهر زاد. فهي تدرك حاجة البروف عبدالله الطيّب إلى الكلام للذكي المرح
الجميل، كما تدرك تقديره للكلام الجميل واخوار المشع، فذلك غذاء عقله وروح
الموارين، لدي لا عنى له عنه آداء الليل وأطراف النهار، خاصة، وقد قاسى مد فتره
مكثرة حد في حياته مرارة الفقد والوحشة، إذ احتطف القدر معظم أفراد أسرته لمقرس
منذ نعومة أظفاره، كما أسلفنا.

ويبدو أن عبدالله بعد أن تعرف على تلك الشبة الإنجليزية (حريريدا أي الحوهرة).
صدفت منه إستعداداً للمحبة والوداد، ولحب ليس بالواني.
ففى قصيدته الرائعة (شكوى وعزاء) التي كتبها ١٩٥٥ م، أي بعد وفاة شقيقته في عدم
١٩٤١ م، نراه يشير إلى المعاني العميقة والمحبة الراحدة التي كانت تربطه بجريريد (أي
الحوهرة)^(١).

مضى الزمان وقد عدنا إلى وطن
فلم نجد غير تثبيط وإيهان
وعقنا النيل إذ يروي بسلسله
وغل العزيرة ذو زيف وبهتان
لولاك أنت لكان العيش أجمعه
محابه من حميم آسن آني
نصرتني حيث لا خل ألوذبه
وحين خان ذوو ودي وأعواني
فكيف أجزيك إحساناً بكفران
هيهات حتى يضم القبر أكفاني
أويتني حين لا قـربى ولا نسب
إلا الوداد وحب ليس بالواني

(١) أصداء النيل (شكوى وعزاء) صفحة ٢٠٤.

وحطتني منك بالعطف الجميل فقد
 رفت بزهر الرضا والبشر أغصاني
 لك التحيات أهديتها وتكرمة
 من الفؤاد وموموقات أوزاني
 فأبقي على الود إنني سوف أحفظه
 على الليالي وإن همت بطغيان

وفاء عبدالله الطيب لجريزilda (زوجته) ووفاءها له :

ولقد شهدنا وشهدت الأيام ، أن عبدالله الطيب ظل وفياً مخلصاً لزوجته (جريزilda) .
 فلم يتزوج عديها ولم يتخذ غيرها حبساً أو صديقاً ، برغم أنه لم تمنحه الولد . بل أنه
 يصرون عليه بالزواج من أجل الذرية ، حتى 'صم القبر أكمنه ' والحقيقة أن شخصية
 (جريزilda) شخصية فذة ماهرة ، جوهرة ثمينة غالية ، فلقد استطعت أن تمنح عبدالله
 الطيب حب ما يحتج به الرجل العبقري الموهوب من سكية ومودة ورعاية شامة ، لم أر
 امرأة كانت تحيط زوجها بالحب والأنس ، وبالمودة والرعاية الرؤوفة الرحيمة تواعد
 الدكية ، كما كنت (جريزilda) كانت تحيط به وبحياته الخاصة والعامة ، كما يحيط السور
 الخميل بالمعصم ، ليست حياته وحده ، فقد امتدت رعايتها إلى رعاية أسرته الخاصة ،
 أحواته وأبنائهن وبناتهن أندين كان عبدالله يحبهم بدلاً عن ذريته التي لم يسجهم ، بل
 امتدت رعايتها إلى أسرته لكبيرة وعشيرته الواسعة ، فكانت تذهب معه إلى در
 المحذور ، التي هي أقرب إلى القرية بدواتها بادية (بلرغم من بيت عبدالله بحلاف دنك)
 بل وكانت تذهب معه إلى الدمر الغربي في (التميراب) ، وهي قرية موعمة في التريف
 الشمني غرب النيل وهي صاحبة أم الطيور ، موطن ال أمام ، ولقد عاش كاتب هذه
 السطور في أم الطيور الجنوبية (كانت قديماً تسمى الديسه) ، وكانت حف عانة عداء في ذلك
 الزمن من طفولتي ، في أواخر الأربعينيات من القرن المنصرم ، يعيش فيها المرء لأسيال لا
 يكذب يرى فيها ضوء الشمس . وكانت بحق (أم الطيور) فائزاً كان يرى فيها من أنواع
 الطيور البديعة الصداحة بألوان من الأحن والموسيقى الرائعة ، وأصناف من لأنون الزاهية
 العربية ما لا يرى في غيرها من القرى والبلدان ، وأغلب الظن أن معظم تلك الطيور كانت
 طيوراً مهاجرة من أوطان بعيدة ، كنت تتخذ من 'أم الطيور' مسجاً وجنة وملاذ ، يد

كانت أم الطيور في تلك الأيام الحالية، قليلة السكان أمة هادئة ساكنة، فكانت نذلك جنة وملاذئلك لصور التي كانت تزورها في الصيف وهي الشتاء خاصة.

تأقلمت (جريزيلدا) النندية على الحياة السودانية تماماً، وكانت تتزين كالسودانيات بأخفاء ويعيرها، وكذلك تأقلمت على الوسمة السودانية، وبالعامة المعروفة في شمال السودان الأوسط.

مرة كن مناقش البروف عبدالله الطيب، في رأيه الذي يدعو إلى فصل جنوب السودان عن شمائه، ويصر بشدة بأن ذلك هو الحل الوحيد لمشكلة جنوب السودان المرمية، هم فوجئنا جميعاً بـ (جريزيلدا) تدخل في النقاش وبالعبوية العامة (الدارجة) قالت

- "مشكلة جنوب لسودان دي مش حتحل، ولا لجنوب سوف يتمص، فاحوييون هم معكم دائماً ولن يتركوكم (هم سيث - سيك معلق فيك) كما يقول لمثل السوداني، فضحكنا وانحل المجلس.

قلت إن (جريزيلدا) كانت تحيط بحياة عبدائه الطيب من جميع أقطارها، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته الخاصة والعامة كذلك.

فعندما تطرق باب منزل عبدالله الطيب العامر في ضاحية بري ضمن مسكن أسنودة جامعة الخرطوم، تكون هي أول من يستقبلك على الباب قائدة:

(تفدلوا... تفدلوا... عبدالله موجود).

وتجلس الرائر في المجلس لأنيق ويلتفت حوله، فبداسسات (جريزيلدا) لفسة الرسامة في كل مكان، في اللوحات على الحائط، وفي العرش الذي تجلس فيه ونوع السجاد والألوان والإنيكيت، وباختصار في كل شيء، فهي هنالك في ذلك المنزل حيث ما يلتفت، ثم هي بعد ذلك حاضرة بشخصه وروحها وعقلها ووحدانها، وسرعان ما تأتي بالضيافة، المشروبات والشاي والقهوة وسرعة شديدة وحرارة ودفع، كما يعبر السودانيون عندما يستقبلون لصيف بالترحاب وبالدفء والضيافة لعجلة غير الآحلة ثم تأتي وتجلس في امجلس تشارك بالكلام والتعليق في كل موضوع يطرق، وباللغة لعربية الفصيحة منها وبالعامة، وهي تعرف المجتمع لسوداني حيداً، لوسط الأكاديمي، والسياسي والإقتصادي وكذلك لوسط الدبلوماسي والسياسة الداخلية للحكومة وكذلك الخارجية.

هي إنجليزية (English) بكل ما تحمل الكلمة، وخاصة تلك الحسوبة و لشراء

(Resourcefulness) الذي يميز الإنجليز ، والدكاء وحب الأنس والسمير وحب الجديد والمخاطرة وحب النجاح واشبع الدات وإرضائها (Self-fulfillment) وحب الحياة الواسعة الحميلة الثرة ، كل ذلك تضفيه (جريريلدا) على مجلس البروف ، لندي هو عدم بنفسه ، بعناء العلم واللغة والشعر والموسيقى ولتاريخ والعلوم كلها ، علوه الشرق والغرب ، وعلوم الفرنجة ، خاصة الأدب الإنجليزي .

فلقد عرف عبدالله الطيب الغرب وحياة الغرب وعلوم الغرب وحصاده ، كما لم يعرفه أحد من السودانيين قديماً وحديثاً ، وكان في ذلك "قلعة" ، كما كان "قلعة" في علوم العربية والإسلام .

كانت (جريريلدا) لا تكتفي بتزيين حياة عبدالله الخاصة وإضفاء الكثير عليها حتى الألوان والأصوات والأصواء ، والفكر والسلوى ، ولكنها كانت تفعل ذلك بحياته العامة كذلك .

كنت تأتي معه إلى المكتب يومياً ، لا تكاد تتغيب أبداً سواء عندما كان عميداً لكلية الآداب ، أو مديراً للجامعة الخرطوم ، وكانت تفعل بأثاث المكتب المتواضع في عمادة كلية الآداب لأفاعيل ، فتغير النظام وتبدل ألوان الأقمشة والستائر ، فيصير كل ذلك صبعة بحيزية زاهية حميلة ، وكذئك كانت تفعل بمكتبه ومزله عندما صار مديراً لجامعة الخرطوم ، وبما أنها كانت فنانة رسامة ، فهي لا تنسى أبداً الجدران ، فتزينها بالوحات الحميمة الأخاذة ، وكما لا يفوتنا شيء من ذلك نلاحظه بالإعجاب ، ونشارك في الاستمتاع بالألوان والأحمال ، وبرتاج نفوسنا (لجريريلدا) ونرضى منها ما تضفيه على حياة البروف العزيز العالي ، ولا غرو في ذلك إذ كنا بوده من ودنا لأستاذنا عبدالله الطيب ، ولم يكن عبدالله الطيب أستاذاً لنا فحسب ، بل كان قريباً ونسيباً وحبيباً ووالداً ، وكما نزره بحرية وبلا مواعيد في منزله العامر أولاً في حي المطار ، وثانياً في بري . فنسعد أيد سعادة بوده وضيافته وتلك الأحاديث حبيبة العجيبة العقريية التي كانت أشبه بالأحجار الحلوة الندية . علماً وشعراً وحمالاً وامتعاً وعراة ، وكان عبدالله الطيب عربياً بدوياً في كرمه إذ كان يخدم على إحلالها له ، وعلو مكانته في قلوبنا ، كان يخدم نفسه ، وكان يفعل ذلك بمودة عجيبة وفي كثير من الأحيان كان يخدم (حافياً) وكان لذلك وقعاً عميقاً في سويد القلب وفي صميمه حياتنا محبة وإجلالاً وكرامة . كانت تربطي بعبدالله الطيب روابط كثيرة كما قلت :

(١) أولاً : رابطة القربى : فقد كان كلانا ينحدر من أم الطيور . من قبيلة الجعليين . كان هو من انحاذيب شيوخ الجعبيين وسادتهم في لعلم و الدين والمجاديب هم فحد من فحذان الشاعيباب (من شاع الدين) عميدهم . وأن من ان إمام يتسبون إلى الملك عبدالدائم إبن الملك عدلان إبن الملك عرمان ، موك أم الطيور (أول مملكة للجعليين في الدامر العربي) والملك عدلان هو أح لكل من لكوك ، مسلمه والأخوان مكار وشاع الدين وريد وعلي وغيرهم وأظنهم أكثر من سعة أخوان تسمى بهم بطون هبيلة الجعليين إلى اليوم .

(٢) وثانياً نحن ننتمي إلى نفس البيئة في الشمن الأوسط ، أم الطيور ، الدامر ، بربر ولعد درست في نفس المدرسة اوسطى التي تخرج فيها عبد الله الطيب (مدرسة بربر الأميرية الوسطى) التي بناها اسماعيل باشا ولد محمد عبي باش . من أوائل مدارس الوسطى التي بنيت في السودان .

(٣) ثم كانت تربط معحة لثرث العربي الإسلامي ومحبة مصطفى (رحمته) فقد شارك عدله مع المستر حولوم (Guillaume) في ترجمة سيرة ابن هشام إلى الإنجليزية . وكان هو الذي اشار علي بكتابة سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) باللغة الإنجليزية ، وقد وفقني الله سبحانه وتعالى في ذلك فكتبت اربعة كتب بالإنجليزية في فقه السيرة كما ذكرت آنفاً .

وحقيقة فقد كان هنالك أكثر مما أستطيع التعبير عنه بالكلمة ، 'الأرواح جنود محنودة' تعارف منها إئتلف وما تافه منها اختلف ' أو كما جاء في اقوال المأثور ، فقد كان هنالك ترفق وجداني وروحي كبير يربطني بعبداؤه ، إضافة إلى علاقة الطالب المجتهد ، بالأستاذ لمروق العبقرى ، فقد كتب الاول في كلية الآداب ، في السنة الثانية (The Inter-mediate) ونلت جائزة شل لأحسن أداء أكاديمي ، وكنت كذلك الأول في السنة النهائية ، خامسة شرف فلسفة ورياضيات ، وكذلك نلت جائزة جامعة الخرطوم لأحسن أداء أكاديمي في السنة النهائية لكلية الآداب .

مهم يكن من شيء ، فاختديت دو شحون وكلامي عن دور (جريريلد) في حياة عبداؤه الطيب كثير جداً ، ويمكن أن يخصني له كتاب خاص في ذلك فلقد كان تأثير (جريريلد) على حياة عبداؤه الطيب كبير جداً ، إذ كانت عاملاً كبيراً في تحاراته النهائية وهي تحقيق المبرغ والموهبة التي كانت كامنة في نفس عبداؤه الطيب ، وربما هيئت له أسس

الراحة والأمن والطمأنينة، والسكينة والمودة، ويقولون أن من أسباب السوء والتعوق لبيئة المنحة الأمة ذات المرافق، وكل ذلك كانت مما هيأته (جيريلدا) لعبدالله لطيف، إضافة إلى أنها كانت تشارك في مؤلفاته المشهورة للطلاب في نخت الرضا بالرسوم المعبرة والأشكال، وهكذا انصب المثل العربي على كل من عبدالله الحبيب (وحريريلدا) وراء كل عظيم امرأة عظيمة).

وتم تكن (حريريلدا) مجرد امرأة، وإنما كانت مفكرة وشاعرة وفنانة إنجليزية من نطرا الأول، ولا عجب أن منحها ملكة بريطانيا وسام (العضو في الإمبراطورية البريطانية) (The M. B. E.) (Member of the British Empire).

ولا أستطيع أن احتشم هذا الجزء الخاص بتأثير (جيريلدا) على عبدالله الطيف إلا بذكر صلة (الحارس الحلفاوي) بتلك الأسرة الكريمة، فقد كان نعم المرافق المحب لأمين لها. وكذلك كان تين (الزغاوي)، ولا زالت صورة (جيريلدا) وهي تجلس أمام مكتب عبدالله الطيف إلى جوار (الحارس الحلفاوي) عندما يكون عبدالله الحبيب في اجتماع مع محسن كنية الأدب عنقة في ذهني، فقد كانت جيريلدا تجلس على الباب أمام المكتب مع الحارس، حتى ينتهي الاجتماع، ثم تدلف إلى المكتب، تنتهي الوفاء ومنتهى المودة والرعية.

المفتاح التاسع : حبه لأسلوب الحياة البريطانية.

وحد أبرز مميزات شخصية عبدالله الطيف حبه لأسلوب الحياة البريطانية والإنجليزية خاصة وليس في ذلك شك، ومدارلت أذكر أنه كان يرتدي (لرداء) أو (Short) حتى وهو قد تقدمت به السن وكان عميداً لكلية الآداب بجامعة الخرطوم، وكنت سستكر ذلك ولكننا لم نكن نجرؤ على البوح به.

ولكن المسائل الأكثر جوهرية هو أن عبدالله الطيف كان يحب الجواب المشرفة في أسلوب حياة الإنجليزية. The English Life Style

فنقد عرف لإنجليزية بكثير من الصفات الإيجابية التي بها سادوا العالم ومنها

* عقلانية الصارمة المعروفة، وكذلك الروح العلمية الموضوعية.

* ضبط النفس والصبر وتوخي الصدق في المعاملات وفي لأحلاق الشخصية.

* النشاط وحب العمل والإنجاح فيه لساعات طويلة مع الصبر على الأعمال المكثرة

والذهنية الصعبة والاهتمام البالغ بالتفاصيل الدقيقة.

* الجلد والصبر في المواقف الصعبة.

- * حب الوطن والمملكة والعلم للإنجليزي The Union Jack .
- * حب اللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية والعمل على بثها في العلم .
- * حب المخاطرة والتغلب على الصعاب والتحديات .
- * حب حياة الكريمة والسعة في المال وتنوع الحياة وثرائها .
- * الشجاعة الأدبية والجسمانية والجلد في الحروب والمعارك .
- * الدهاء والحيلة الواسعة : " This will do the trick " .
- * الحيال الواسع والقدرة الكبيرة على الإبداع والابتكار وحل المشكلات (very in-novative, and very creative) .

لقد كن عبد لله أعرف الناس بخصال الإنحيز الإيجابية ، وأكثر الناس إعترافاً بها وتقديراً لها . ولا عرو في ذلك فقد كانت هنالك عوامل كثيرة ، تضافرت في حياته فجعلته محباً للثقافة الإنجليزية ، وأهمها :

(١) زوجته وحبها وإخلاصه لها كما ذكرنا انفاً ، وكذلك العشرة الطويلة معها التي مدت لما يقارب نصف القرن من الزمان .

(٢) دراسته الطويلة في كلية غردون التذكارية ثم في جامعة لندن وتدريسه في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية School of African and Oriental Studies (SAOS)

(٣) معاشته للثقافة والأدب الإنجليزي ودرسته المتقنة له ويظهر ذلك جلياً في نقده لشعراء الإنجليز وكشفه للنواحي التي تأثروا فيها بالأدب العربي ولشعر العربي .

(٤) كان عبدالله الطيب يسافر كل صيف إلى بريطانيا ويجلس هناك الصيف كله .

(٥) وكنت صلة عبدالله الطيب بالمجلس الثقافي لبريطاني بالخرطوم وثيقة جداً .

عموماً كانت غالبية الخبة السودانية المثقفة أقرب إلى حب الإنحيز من كراهيتهم ، وذلك طبعي ، لتأثر بالثقافة الإنجليزية ، ولأن المثقفين لا ينسون فصل أساتذتهم من الإنجليز . وبعضهم كانوا أهل علم وأدب وخلق وفضل كبير . ولقد ذكر عبدالله الطيب جملة منهم في كتابه " من حقبة الذكريات " ومن ما لا يذكر بعض أساتذته من الخواجات بالفضل والعرفان !

ومن ناحية عامة فالبعض يرى أن الشخصية السودانية تتناقض وتتصادم مع لشخصية

الإنجليزية خاصة، ولكنني لا أرى ذلك : فلشخصيتان تتفقان في بعض السمات والخصائص الرئيسة برغم الخلاف في غيرها :

(١) فلقد عُرِفَ السودانيون بالشجاعة واعترف لهم بذلك الأعداء قبل الأصدقاء (انظر اعترافات تشرشل - رئيس وزراء بريطانيا الشهير إيان حملة كتشنر في كتفه (حرب 'شهر) (The River War) ، (والدي تشراف البروف عبدالله الطيب بتقدير عبدالله محمد سيمان له) . وكذلك عُرِفَ الإنجليز خاصة بالشجاعة واليأس واحديعة في الحروب، وبذلك استطاعوا أن يسطوا سلطانهم على معظم أرجاء الأرض، في القرن التاسع عشر والعشرين حتى وصفت الإمبراطورية البريطانية بأنها الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس .

(٢) عُرِفَ السودانيون بالصبر والموصوعية، وكذلك الإنجليز .

(٣) عرف عن السودانيين - عموماً - كراهيتهم للغش والكذب وانظلم، وهي دت الصفات التي تميز الشعب الإنجليزي عموماً .

(٤) وعُرِفَ عن السودانيين حبهم لقيم الوفاء للوطن وللأهل والعشيرة، وكذلك الإنجليز في حبهم للعلم الإنجليزي وللقومية الأكلوساكسونية ولدعة الإنجليزية .

(٥) وعُرِفَ السودانيون بحب العلم وتوقير العلماء، وكذلك الإنجليز، وب سداد الإنجليز العالم إلا بالعلم والمعرفة .

(٦) وعُرِفَ السودانيون بحب البساطة والطبعة وكذلك الإنجليز .

هذه بعض الصفات لأساسة التي تتفق فيها الشخصيتان السودانية والإنجليزية، ولا تصادم أو تناقص، ولكن بالطبع هنالك صفات أخرى تختلف فيها الشخصيتان .

(١) عرف عن الإنجليز حبهم للعمل والمثيرة الكبيرة في ذلك، ولكن يقال عن السودانيين أنهم لا يصبرون كثيراً على الأعمال الصعبة، ولا يحبون العمل البدوي أو السدي الشاق، ولا أدري إن كان هذا صحيحاً أم لا فالموارع السوداني يعمل من دون سهار حتى آخره، والسودانيون في خارج السودان قد أثبتوا جدارة كبيرة ومحاحات عظيمة في شتى المجالات .

(٢) يمتاز لسودانيون بالكرم الشديد وكذلك التكافل، ويحفظ للبريطانيين أن لهم نظام للتكافل الاجتماعي وذلك هو نظام الفوائد الإجتماعية (Social Benefits) في حالات التبطل أو الشيخوخة أو العجز عن العمل .

(٣) يعرف عن السودانيين إعترازهم بأصولهم العرقية وبالشرف والعرض . وكذلك كان الإنجليز في العصر الفكتوري . على عهد الملكة فكتوري ، ولكن هذه لقيم هتزت بعنف في العصور الأخيرة في بريطانيا والغرب عموماً ، وخاصة في القرنين العشرين والحادي والعشرين .

(٤) عرف عن السودانيين الأدب والتواضع وعدم تحبب الإعتداء على الآخرين . ولكن الإنجليز لهم نعمة عصرية قوية ، ولهم تعال على باقي الشعوب واعتزاز شديد و ستكبار بالعرق الأنجلوسكسوني . وكذلك باخضارة لبريطانية ، ونقد اعندوا على كثير من شعوب الأرض ، وادلوهم واستعمروهم بقوة الحديد والنار . وكان لهم بسهم كبير في استرقاق ملايين بشر من القارة الأفريقية لسمراء في القرون الثلاثة لماضية ، وأسسوا مبادئهم على قهر الآخرين وظلمهم ونهب ثرواتهم . و كانوا يرعمون أنهم يحملون في ذلك مهمة حضارية .

وفي شخصية عبدالله الصيب حب للإنجليز ولكنه حب في حدود فهو لا يعلو من شأن اخضارة الغربية أو الإنجليزية على اخضارة العربية الإسلامية ، نظر إليه كيف يعبر عن فخره وعترازه بأدب العربية وبالشعر العربي خاصة ، مقارنة بالأدب الأوروبية عامة وبالشعر الإنجليزي خاصة يقول عبدالله الطيب في ذلك :

" هذا وقد قلت نظري في كثير من الدواوين الغربية والإنجليزية ، واستمر في نفسي - بعد الموزونة - أن الشعر العربي ليس كمثله مما قرأته في الإنجليزية شيء ولا شعر شكسبير .

هذا لاقتنار بالشعر العربي وبالثقافة العربية الأصيلة سم يعجب عبدالله نضيب من إهداء الحب والإعجاب باخضاره الإنجليزية ، ففي قصيدته "لندن" قل :

أيا خلي هل دمــــــــــــــــعك

من لندن هــــــــــــــــطــــــــــــــــال

وفي لندن من فــــــــــــــــسك

يا ابن النيل أطــــــــــــــــلال

وكم شــــــــــــــــاقك من لنــــــــــــــــدن

أبــــــــــــــــكــــــــــــــــر وأصــــــــــــــــار

وإذ يسمـر في الحانة
يوم السبت عسى مال
ومقهى بالشباب المرح
الأعطاف مسـر هـال^(١)
وذاك المسرح العامر
فيه الفن يخـتـال
فدمع العين في الخرطوم
من جـ فـنـك هـمـال
غريب أنت في الخرطوم
لادار ولا مـال
عسى تسمـدك الأيام
إن العـشـيش أـمـال^(٢)

فهذه لندن، مورة بالنشاط والحيوية والشباب المرح، العظيم الجمال، وهذه الحياة الثقافية الثرة، وهذه المسرح والفنون والآداب والأضواء والأحلام، ومن مـ من المدين درسوا في بريطانيا وأقاموا في لندن سنوات، لم تبهرهم في بادئ الأمر هذه الحياة الإنجليزية المارة المصاحبة الجذابة، وهذا الاستقلال والحرية والجمال والشباب وهذا البهرج والأضواء؟؟

وما أكثر ما خابت الآمال عند عودة الشباب السوداني المثقف إلى الخرطوم، يحدوه الشوق إلى الأهل والعشيرة، ويروم الإسهام في خدمة الوطن، ولكنه يفجأ بالعجز وحتى اليأس ويكون لسان حاله لأول وهلة:

غريب أنت في الخرطوم
لا دار ومـال

وهو حساس مرير جداً، تجرنا مرارته جميعاً عندما عدنا من أوروبا والولايات المتحدة نحمل أعلى المؤهلات، فيصبح الصباح، (فلا مال ولا دار)، على الأقل كان لذك الشباب مال ودار في بلاد العرب، ولكنه تخلى عنها ليعود ليعدم الوطن، وكن هول

(١) أي اهل (ملان) .

(٢) أصدقاء النيل، صفحة ٩٢ .

المفاجأة أن لوطن (لا خيل عنده يهديها ولا مال " ولا حتى كلمات طيبة يهديها ، كما قال الشاعر العربي (المتنبيء) :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

ولذلك يرى هذه الطيور المهاجرة إلى الوطن ، يحدوها الشوق والأمل في الإسهم والمشاركة ، سرعان ما تعود إلى أدرانها ، تعبهم عنهم قصيدة عبدالله الطيب (إلى لندن) ، وفي قصيدته الأخرى (مزدوجة في نعت لندن) يفصح عبدالله الطيب عن إعجابه الشديد بالحياة في لندن ، وخاصة طاهرة قطار الأنفاق (التوب The Tube) :

أما ترى لندن والتيوب

يجعل كل نازح قريبا

خيوطه كأنها العروق

فيها الحياة والدم الدفوق

إن ذكروا الصرح وسور بابل

وافتحروا ببرج بيزا المائل

والهرم الأكبر عند الجزيرة

شيدته العزيز والعزيرة

فإنه عجيبة العجائب

يعجز عن وصفه كل كاتب

لندن قمد أبدع فيك لام

فحظ مثلي العي والافحام

ياقرضة البحر وعز الأرض

ويام مدينة الجمال المحض

فسهل رايت الطرف الأغرا

وقائما أبلغ مشمخرا^(١)

(١) الإشارة هي إلى تمثال (نلسون) القائد الإنجليزي الذي هزم نابليون في معركة (ووترلو) لمحبره الشهيرة!! .

ماششت من إبداع شاكسبير
في مثل (همليت) ومثل (ليرا)

هذا هو الفن وهذا الشعر

فيا لقومي جهلوا لم يدروا

ولاشك أن هذا الإعجاب والانبهار ، إنما يعكس مرحلة الدهشة الأولى ، عندما زار
لندر لأول مرة ، وكذلك حال الانبهار ، الأولي بالحضرة الإنجليزية ، ولكن عبدالله الطيب
قد انتهى إلى الفخر بقومه وبالثقافة العربية والشعر العربي ، كما رأينا ، وننتهي إلى أن
الشعر العربي لا نظير له في شعار الإنجليز والعالم قطبة .

ومهما يكن من شيء ، فإن إعجاب المرء بثرائه الثقافي والخضاري ، لا يمنعه من تذوق
ثقافات أخرى ، وحضارات أخرى . ولقد استقر الحال أخيراً لعبدالله الطيب في الخرطوم ،
وصار له فيها دور وأموال ، وحياة عريضة في رئاسة جامعة الخرطوم ومجمع اللغة العربية
فيها ، كما صار له تلاميذ وأحباب بالآلاف المؤلفة ، وأعطى أعلى الأوسمة ومنح جوائز
مفيسة وكبيرة ، وأخيراً نال جائزة الزبير محمد صالح التقديرية وهي أعلى خواتم قيمة
مالية وأدبية في السودان . وكذلك كرم أحيراً ونال جائزة الملك فيصل في لدراسات
الإسلامية ، وهي جائزة عالمية رفيعة ، كما أن قيمتها المالية كبيرة جداً ، فلم يعد يشتكي من
الخرطوم ولم يعد يستطيع أن يقول عن نفسه :

غريب أنت في الخرطوم

لا دار ولا مال

وعندما توفي عبدالله الطيب في يونيو ، لمصرم لعام ثلاثة وألفين ميلادية ، سار في
جذزته أكثر من ثمانين ألف من المسلمين ، على رأسهم رئيس الجمهورية ومعظم لورراء
وكبار القوم وجماهير الشعب السوداني ، وليس لمثل هذا من يقال عنه أنه في الخرطوم
غريب لا دار ولا أهل ولا مال !! .

جدلية الأدب العربي والأدب الإنجليزي عند عبدالله الطيب :

قلنا إن عبدالله الطيب يعرف الأدب الإنجليزي معرفة مطلقة ، وإنه يتكلم الإنجليزية كما
يتكلمها جهابذة العلماء والكتاب والمفكرين الإنجليز ، وأنه يتذوق الشعر الإنجليزي بصورة
كبيرة جداً ، لذلك نحده ينتقد كبار الأدباء والشعراء الإنجليز ، وحتى وليم شكسبير لم يسلم

من نقده وعمره ولمره ، ففي مقدمة ديوانه ((أصداء النيل)) يقول عن الأديب و الشاعر الإنجليزي العظيم شكسبير :

(غير أنني أخذ على الشعر الإنجليزي ، التطويل وضعف النغم وكثرة التفصيل والتفريع مما لا حاجة إلى حاق البيان الوجداني الشعري إليه : فمن هذه الجهة كان تفضيلي لشعر العربي . هذا شعر المسرحيات الذي في شكسبير أكثره من منهج الخطب ، وهو صنف من نالعة عدل ، لا أنه أبداً مفتقر إلى أن يستعد عليه بالتمثيل حقيقة أو حكماً ، وهذا يُقصر به . ولقد عرضاً لبسط شيء من هذا المعنى^(١) في مقدمة كتابنا (مع أبي الحب) فليرجع إليه من يشاء) .

ولقد أسهب عبدالله الطيب في نقده للشعر الإنجليزي في (المُرشد) وكذلك في كتبه (مع أبي لطيف) وأيضاً في كتبه (ختام نحن مع نفثة بأليوت)^(٢) .

والشاعر (توماس ستيوارت إليوت (Thomas Stearns Eliot) ، ولد عام ١٨٨٨م ، بسبت لويس ، ميسوري ، بالولايات المتحدة الأمريكية وتوفي عام ١٩٦٠م ببريطانيا . تلقى تعليمه الجامعي في هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم في السربون في باريس وأكسفورد ببريطانيا ، واختار لتجسس بالجنسية البريطانية واستقر بعد عام ١٩١٥م في بريطانيا وهو أصلاً من عائلة بريطانية عريقة . شتهر إليوت بمنظومته الشعرية (الأرض المقفرة و الأرض اليباب) (The Waste Land) كما أن له مسرحية مشهورة بعنوان ' حريمه قتل في الكاتدرائية ' (Murder in the Cathedral) .

ذهب الدكتور عبدالله الطيب إلى القول بأن معظم الرؤى شعرية ونصور نسيابية في (الأرض المقفرة) هي من باب ما يسمى (بالسرق المورث) أي السرقة لمحفية ، ويرى جازم أن النصور الأساسية في (الأرض المقفرة) هي ما أحده (إليوت) من معلقة بييدس رسة اعمرى ، وكذلك هي مما أحد من كل من أبي تده في حماسه ودي لومة وكذت تمرؤ نفيس

وحقيقة فإن تشابه كبير بين نصور لأولى في معلقة لسدين ربيعة اعمرى ولأبيات الأساسية (في الأرض المقفرة) واستعرض الأبيات العشرة الأولى من رائعة لييد :

(١) أصداء النيل ص ٢٠ .

(٢) عبدالله الطيب في ختام نحن مع الصلته بأليوت ، الدوحة ٢٠٠١م . نادي الجزيرة الثقافي الاجتماعي

عفت الديار محلها فمقامها
 بنى تأبد غولها فرجامها
 فمدافع الريان عرى رسمها
 خلقت كما صمر لوحى سلامها
 وجلا السيول عن الطلول كأنها
 زبر تجدد متونها أعلامها
 دمن تجرم بعد عهد أنيسها
 حجاج خلون حلالها وحرامها
 رزقت مرابيع النجوم وصابها
 ودق الرواعد جودها ورهامها
 من كل سارية وغاد مدجن
 وعشية متجاوب إرزامها
 فعلا فروع الإيهقان وأطلقت
 بالجهلنين ظباؤها ونعامها
 والعين ساكنة على أطلالها
 عوداً تأجل بالقضاء بهامها
 بل ماتذكر من (نوار) وقد نأت
 وتقطعت أسبابها ورمامها
 ورمى دوابها السفا وتهيجت
 ريح المصايف سوؤها وسهامها
 تجتاف أصلاً قالصاً متنبذاً
 عجوف ألقاء يمين هبمها
 ثم دعنا سيعرض عص ثبات مطومة (لأرض المنقرة) لآثورت :

(The Waste Land. The Burial of the Dead)

April is the cruelest month, breeding
 Lilacs out of the dead land, mixing
 Memory and desire, stirring

Dull roots with spring rain
Winter kept us warm, covering Earth
In forgetful snow, feeding
A little life with dried tubers
Summer surprised us
What are the roots that clutch
What branches grow
Out of this stony rubbish?
Son of man
You cannot say or guess
For you know only
A heap of broken images
Where the sun beats
And the dead tree gives no
Shelter, the cricket no relief,
And the dry stone no sound of water

ترجمة أبيات إليوت إلى العربية:

ولقد قام دكتور / عبدالله الطيب بترجمة أبيات قصيدة إليوت (الأرض المقمرة) أعلاه.

على النحو التالي:

- ١- إبريل أفسى الشهور، منبتاً
- ٢- زهرة ليلى من الأرض الميتة، مازجاً
- ٣- الذكرى بالشهوة، مثيراً
- ٤- الجذور الفاترة بمطر الربيع
- ٥- كان الشتاء قد حفظنا في دفء، مغطياً
- ٦- الأرض في الجليد الناسي، مطعماً
- ٧- حياة قليلة بأنابيب جافة

٨- فاجأنا الصيف .

٩- ما الجذور التي تمسك ، ما الأغصان التي تنمو؟

١٠- من هذه القمامة الحجرية؟

١١- يا ابن آدم!

١٢- إنك لا تستطيع أن تقول بيقين أو ظن

١٣- لأنك إنما تعلم فقط .

١٤- كومة من ظلال متكسرة

١٥- حيث الشمس تصك

١٦- وحيث الشجرة الميتة لا تعطي

١٧- مأوى ولا الصرصور راحة

١٨- ولا الحجر اليابس صوت ماء.....!

وحقيقة فإن الدكتور عبد الله الطيب محق فيما ذهب إليه من غرابة الإلتقاء والتشابه في الأفكار والصور والرؤى لشعرية، بين "إبيوت" ومعلقة لبيد العامري، وقد عدد الدكتور هذا الإلتقاء والتشابه بين الشاعرين، سيد وإبيوت على النحو التالي:

١- قول إبيوت في عنوانه The Waste Land

وقول لبيد: عفت الديار محلها فمقامها

٢- قول إبيوت في عنوان الفصل الأول The Burial of the Dead وقول لبيد (عبي رسمها) (وحلا السيول عن الطلول) أي كشفت الأرض الميتة، وعرتها من الأرض والنبات الذي كان يدفنها (أي الأرض الميتة).

٣- ذكر "إبيوت" أمطار أبريل وقساوتها (وأبريل هو شهر ربيع في بريطانيا) وقول لبيد (رزقت مرايع النجوم) أي أمطار الربيع المبكرة.

٤- قول "إبيوت" بأن أمطار نبت رهور ليلي (Lilacs) وقول لبيد بأنها نبت (فروع الأيهاقان) أي الجرجير البري.

٥- ثم يصرّف "إبيوت" من فكر الربيع إلى مطر الصيف في قوله (فحان الصيف) وقول لبيد (ورمى دوائر السقف، ونهجت ربح المصائب سومها وسهمها)

٦- تذكر "إبيوت" للحبشة بعدما أن سقاها لقهوة وتقصعت أساليب ورميها ما أشبه بقول لبيد:

بل ماتذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمامها

يقول عبدالله الطيب هـ : (هل هذا مجرد توافق خواصر؟).

٧- وقول "إليوت" :

And the dead tree gives no shelter

والشجرة الميتة لا تعطي مأوى

ما أشبه هذا بقول لبيد عن النمرة الوحشية تبحث عن طلبها :

تجفاف أصلاً فالصاً متنبذاً

بعجوف أنقاء يميل هيامها

ولقد ترجم وليام جونز (William Jones) (مترجم المعلقة إلى الإنجليزية) بيت لبيد

هذا البيت أعلاه على النحو التالي :

She Shelters herself under the root of a tree

أى أوت نفسها تحت قعر شجرة .

٨ 'حيراً وليس آخر': هل ذكر 'إليوت' 'مفاجأة الصيف' مجرد توافق خواصر؟

ولقد رأينا كيف أن لبيد ذكر الصيف بعد أمطار الربيع :

ورمى دوابرها السفا وتهيجت

ريح المصايف سومتها وسهامها

ولا شك أن تلك الموافقات كلها غريبة جداً، وتوحي بأن هالك رؤية شعرية مشتركة بين (إليوت) ولبيد، وليس هذا بغريب فلقد ترجم (سير ويليام جونز) معلقة (لبيد) وسائر المعلقات السبعة إلى الإنجليزية في فترة مكثرة من التاريخ الإنجليزي، وذلك في أيام حياته في القرن الثامن عشر (١٧٤٦-١٧٩٤م) خصوصاً وأن (سير ويليام جونز) كان أستاذ مستشرقاً من حهاودة المستشرقين في جامعة كسفورد التي تعلم فيها (تي . أس إليوت) !! .

معذرة يابروف عبدالله الطيب:

ولكن وبالرغم من ذلك، وكل الذي ذكرناه أعلاه، فإنني أرحو المسمحة من استاذي عبدالله الطيب، إذ أنني أختلف معه في الجرم بأن (اليوت) أخذ كل ما أخذ عن (ليد بن ربيعة العمري) وأن قصيدته الشهيرة (الأرض المقفرة أو الأرض اليباب) ما هي إلا صدى لمعلقة ليد بن ربيعة، أعتذر لأستدي عبدالله قنلاً إن اختلاف الرأي لا يفسد لئود قصيدة. وإن اختلاف التلميذ مع أستاذه التبغة الملهم لا يقدر في تلك العلاقة مقدسة، التي هي محل الوفاء والتقدير أبد الحياة، ولكني أقول كما قال أرسطو لأستاذه إفلطون:

(ولكن الحقيقة أحب إليا من البروف عبدالله الطيب)، دنت أن المعاصر التي كوت شخصية (تي. إس. إليوت) الأدبية والفلسفية والفكرية، وإن عوامل نبوغه وريادته لاشك أعمق بكثير من أن ترجع إلى تأثيره بليد العمري، حتى ولو ثبت ذلك ثباتاً قاطعاً، وهو الشيء الذي لم يستطع البروف عبدالله إثباته كلياً وإن رجح التأثير والتأثير ونحو معه في ذلك.

فقد كن (تي. إس. إليوت) بلا شك ابن عصره، والبيئة الثقافية التي نشأ فيها، وأي بيئة كنت تلك التي نشأ فيها (اليوت) وتعلم فيها وكوتت شخصيته الفكرية والفلسفية والإبداعية ؟:

- هارفارد أولاً في بداية القرن العشرين.

- ثم السربون في فرنسا، حيث كانت المدرسة المثالية ترفض أن يكون الوجود كله مادياً. كما ترفض أيضاً الثنائية بين الذات والموضوع، وير العقل والمادة، وترى أن للوجود بعداً رابعاً لم تستطع نظريات الفكر التقليدي أن تعبر عنه، إعادة إنتاج لواقع مادي ذي الثلاثة أبعاد، مهما ارتقى ووصل القمة، كما حدث له عند شكسبير، الذي استطاع أن يوتد ويجسد بعداً ثالثاً للوجود، استطاع أن يصل به إلى أعماق النفس الإنسانية وأن يعبر به عن أعمق أنواع الرعب والشهوة فيها:

"The art of Shakespeare, which consists of the generation of a "third dimension" of the actual world by creating a - network of tentacular roots reaching down to the deepest terrors and desires"¹

1) Eliot "Ben Jonson" in the Scared Wood, Essays on Poetry and Criticism reprinted in London: Methuen 1960.

ويستمر "إليوت" في نفس المقالة عن (Ben Jonson) فيعبر عن إعجابه بأفكاره
 جونسون (Ben Jonson) إلى محاولة التعبير عن "بعد رابع" في لوجود نفس الروح
 التي تسعى فيها ريمان (Riemann) إلى التعبير عن مفهوم غير مفهوم أقليدس (Euclid)
 عندما نشر نظريته عن الهندسة المتعيرة لهندسة أقليدس أو الهندسة اللا اقليدسية :
"The Non-Euclidian Geometry"

يقول إليوت :

The worlds created by artists

Like Ben Jonson are like systems of

Non-Euclidian geometry . they are not fancy

Because they have a logic of their own ;

And this logic illuminates the actual world , because

It gives it a new point of view from which to inspect it"

ويعني هذا أن الفنانين من أمثال "س جونسون" ، على خلاف شكسبير وغيره من
 الواقعيين ، فإنهم يعتبرون من مثاليين لديهم يبحثون عن إسقاط أو إطار حداثي لعالمهم
 للعالم الواقعي ، هذا العالم البديل يمنحهم مبرراً لنقد العالم الواقعي ولتحصنه ، إنهم
 يبحثون عن تصور بديل للعالم نفس المتوال الذي حاول منه (Riemann) أن يبحث عن
 تصور وهندسة بديلة لهندسة إقليدس تسمى هندسة اللا اقليدسية Non Euclidian
 Geometry .

يقول "إليوت" إنهم يبحثون عن "بعد ثالث" ، ولعله يريد أن يقول إنهم يبحثون عن
 بعدد مع للواقع المادي بنفس الطريقة التي حاول فيها اتش. جي. ويلس (H. G. Wells)
 أن يبحث عن "بعد ثالث" لوجود مادي وهو الزمن ، وذلك عندما صمم "آلة
 الزمن" أو 'سفينة الزمن' The 'Time Machine' ويسعى أن يشير هنا إلى تأثير 'إليوت
 المنع بالحركة التكميلية في الفن والأدب (The Cubic Movement) والتي كانت
 مستوحاة بشدة من 'نثار في نهشيم' في جامعة لسبون ، في العقد الأول من القرن العشرين
 (حتى ١٩١٠م) ، في باريس وفي أوروبا كلها . في نفس الوقت الذي كان "إليوت
 يدرس لفلسفة والأدب في محال الدراسات العليا ولاستشراف في سنت خمسة ،
 في حركة التكميلية (The Cubic Movement) كانت تبحث ، ليس عن مشهورة أو

التمثيل (Empathy or Representation) لدوافع المادي للوجود، ولكنها كانت تبحث عن التجريد أو "The Abstraction" مما يكون أكثر فعالية في إبراز ذلك "البعد الرابع" في الفن المرئي أو الأدب البياني "visual art or literary art" ذلك البعد الرابع الذي كثيراً ما تغنى به أولئك التكعيبيون "These Cubists"، في السربون في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين - فهم يرون أنه، أي البعد الرابع، يفتح إمكانيات لا متناهية للأدب البياني والفن المرئي سواء، إلى الحد الذي وصفوه بأنه البعد اللامتناه "The dimension of the Infinite" هذا البعد الرابع هو الذي يمكن للفنان من طرح الرقوى والشعور، وتركيبهما تجاه موضوع التجربة، ويرى أولئك التكعيبيون أنهم يحتاجون إلى بعد أكثر من البعد الثالث

"They needed a dimension greater than the third dimension to express a synthesis of views and feelings toward the object . . this is possible only in a poetic- dimension in which all the traditional dimensions are superseded"⁽¹⁾

ويبدو أن 'إليوت' قد ركب تلك الموجة التي ترى أن التجربة الشعرية هي بعد رابع، يضم على الواقع المادي فيعبر عن شيء حقيقي، شيء مثالي ولكنه شيء لا يمتقر إلى الوجود، فهو ليس خبلياً ولكنه نوع من الوجود العقلي، لأن المادي والعقلي هما جاسد من الوجود، عند أولئك التكعيبين، الذي يرفضون حصر الوجود في البعد مادي وحده. فالوجود عندهم مادي وعقلي في الوقت نفسه، وهذا حراً من رفضهم لثنائية التقليدية عند كل من "ديكارت" "ولوك"، وكل أولئك الفلاسفة الذي يفصلون بين 'الذات' و'الموضوع' فصلاً حاداً. هؤلاء التكعيبيون هم أقرب إلى (إي.نويل كاسط) من وهم حتى أقرب إلى إفلاطون، الذي يرى ضرورة صعود النفس من الكهف في جدار صاعد، إلى خارج الكهف (راجع مثلاً الكهف في الجمهورية) (The Allegory of the Cave) أي إلى بعد رابع مثالي خارج الواقع المادي المحسوس، وكذلك فإن (كاسط) يرى ضرورة أن يصنع لذهن ويألف نوعاً من الفهم التركيبي خاص به (Synthetic Construction) من معطيات التجربة حتى يستطيع أن يتصور الأشياء في حد ذاتها، خدحاً من التجربة أي

(1) Jewe, Spears Brooker AND Joseph Bently Reading the Wasteland, page 26, 27
Published by the University of Massachusetts Press/Amherst, 1990.

من محتويات التحرة The contents of phenomena لأن الأشياء في - حد ذاتها
(The things-in themselves) ليست جزءاً من (الفينومنا) الظاهرة ولكنها جزء من الـ
(Nuemena) أي (النومينا) الفكرة !

ونعود إلى موقف السروف عبدالله الطيب وإصراره على (السرق المؤري) عند
"إثوت" ، من لبيد وحماسة أبي تمام، وكذلك روى ذي الرمة أو حتى امرؤ القيس . فإن
لعر ، جاهليون وعبرهم ، إنما يلجؤون إلى التحرة الشعرية ليعبروا عن حاسب واقعي
من لوحد لا يمكن لتعبير عنه إلا في الروى الشعرية ، وهم بذلك يعتبرون "شعر بعد
رباً" لوحد ، وليس شيئاً حياً صرفاً فالسرد الشعري للوجود هو كإنه لرمي عند
اتش حي ولس (H. G. Wells) ، لأن التجربة ، لشعرية هي تجربة في الواحد ، تحرة
في الذكرى . فالعربي الجاهلي وغير الجاهلي يقرأ في الأطلال أكثر مما يقرأ في حانب
الذي القح (The Crude Materialistic Reality) . فعندما يرى امرؤ القيس أو لند
أورتي من أصحاب المعتقدات لسعة أو الطوائ العشر ، عندما يرون الأطلال فإنهم يبصرون
ذلك بعد لوجداني الرابع الذي هو عندهم أكثر وحوذاً وأكثر تعبيراً عن إحقاق من
الأطلال نفسها :

أمر على الديار ديار سلمي

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

ويقول امرؤ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومتزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فإن تلك التذكرات إنما هي جزء من الوحد ، ولكنها في بعد وجداني هي التذكر وفي
نفس بعد راع ، ولكنه حقيقي . بل أكثر حقيقة من تلك الأطلال لأنه هو الذي يشير
لأع تذكرى ، فيهيح الواحد إلى الصدية ، وإلى نوعه فراق الحبيب - بعيد تلك
للحظات التي نعم فيها سرد حب وإنه الوصل من المحبوبة .

يقول عنترة الغفارس :

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم
يادار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
حييت من طلل تقادم هذه

أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

وما من شعر جاهلي إلا ويكي على اضلال الحسية ، وبذلك تكون التحفة الشعرية عند
أونك انغرب الرومانسيير بعداً رابعاً ، ولكنه بعد حقيقي أكثر وجوداً وواقعاً من تلك
الاضلال في - حد - ذاتها ولعل 'إليوت' كما يرى السروف عندئذ لطيف قد
فتيس هذا المعنى عندما ذهب إلى أن الوجدان ، وليس الزمن - كما زعم إتش جي . ويس
(H. G. Wells) هو السعد الرابع للوجود وحقيقته من الوجدان والذكرى إلى هي
شديدة الالتصاق مع الزمن ، وللمفهومين صلة عضوية لا تحق على الملبس ، وإلى تعلم
لأوريون الرومانسية والبكاء على الخيبة والتعلق بالصوابات من شعراء العرب في
اسباب ، وحتى شعر الترابدور (Trapadur) إنما عرف في أسبانيا المسلمة (لأندلس) ،
ومنها انتقل إلى باقي عواصم أوروبا ، فليس بعيد أن يكون 'إليوت' ، وغيره من
لرومانسيين ، قد اطلعوا على التراث الشعري العربي ، وقد ترحم إلى النحات لأوروبية
مسد لغريب الثاني والثالث عشر الميلاديين ، في معاهد فرطية وأشيائية وتوليدو وعربطفة ،
وغيرها من مدن أسبانيا المسلمة ، التي قامت فيها العديد من معاهد الترجمة ، ونقل التراث
اليوناني والعربي إلى اللاتينية والعبرية .

مهما يكن من أمر تأثر (تي . إس . إليوت) بالشعر العربي أو عدمه ، فإنه لا شك قد تأثر
تأثر عميق بتيارات الفلسفة والفكر الأوروبي والأمريكي فقد بدأ دراسته في هارفرد في
سنة الأثرني (as a freshman) عام ١٩٠٢ وأكمل أطروحته لدرجة الدكتوراه فيها عام
١٩١٠ م ، وفي أثناء ذلك قصى عامين حاسمين في أوروبا ، عاماً في أكسفورد كان الأكثر
تأثيراً ، وعاماً في انسبرون كان لا يقل كثير عن عامه في أكسفورد ، وفي هارفرد درس
'إليوت' على أيدي أساتذة عمالقة :

١- جورج سانتيانا George Santayana .

٢- جوشيا رويس Josiah Royce .

٣- برتراند رسل Bertrand Russell .

٤- هارولد جوكم Harold Joachim .

وفي السربون درس على يد الفيلسوف الفرنسي الكبير هنري بيرحسون (Henri Bergson)، وكانت أطروحته للدكتوراه تحت إشراف جوشيا رويس (Royce) عن الفيلسوف المثالي إف. إتش. برادلي (F. H. Bradley) تمثل الفلسفة المثالية في بريطانيا. ونحن نذكر هنا الجانب الفلسفي الأكثر أهمية في التكوين الفكري لشخصية (تي إس. إنيوت) لأنه ربما ظل مجهولاً لكثير من قراء "إليوت" بالعبية، ولا أقول أنه ظل مجهولاً للبروف عبدالله الطيب (رحمه الله)، لأن عبدالله الطيب درس لفلسفة لبريه أيضاً في جامعة لندن، وله إلمام طيب باتجاهات الفلسفة الغربية عموماً وللإنجليزية خاصة وقد كن على إلمام طيب بفلسفة الوضعيين المنطقيين The Logical Positivists وعلى رأسهم (أير Ayer). ومهما يكن من أمر ذلك، فإن "إليوت" تأثر تأثراً عميقاً بفلسفة برادلي، وكذلك بفلسفة برتراند رسل، وطبعاً فإن الفلسفتين كانت على شفى تقيضين، وقد نحر "إليوت" إلى (برادلي)، وحاول جهده رد إعتراضات راسل عليه، فقد كن (إليوت) أقرب فلسفياً وفكرياً من فلسفة (برادلي) التي تؤمن بوحدة ذات والموضوع، وبأهمية التجربة المباشرة في إدراك العالم بل إزدواجية بين "الذات" والموضوع، بل وهي وحدة كلية، يقول برادلي عن تجربة المباشرة (Immediate Experience).

"We- in short- have experience in which there is no distinction between my awareness, and that of which it is an awareness"¹

وهذا يعني أن تتلاشى العروق بين الذات والموضوع، ويصيران شيئاً واحداً في تجربته كلية موحدة.

ونقد تأثر "إليوت" بهذه الفلسفة امشالية التي ترفض التفرقة الحدة بين 'الذات' والموضوع'، وبذلك ترفض الثنائية بين الذات والموضوع، كما ترفض النظرة المادية الممعة هي الشينية، والتي تعترف فقط بالبعد المادي للوجود. وترفض أن تعترف بجانب عقلي للوجود. و"إليوت" يقول أنه يقيس التجربة المباشرة، عندما يعمس في رؤية بعض

(1) Bradley Essays on Truth and Reality, Oxford Uni Press 1914 Pup 159-160

الأعمال الفنية الفائقة حتى لا يعود يفرق بين ذاته وشعره أو وعيه، وبين اللوحة التي ينشد إليها ويدمج فيها! وهذا بالتأكيد من تأثره بالفيلسوف المثالي برادلي. أم برتراند راس، الذي كان إليوت وزوجته يقيمان في منزله في أكسفورد، فقد كان تأثره به قليلاً نسبياً. وفي أثناء إقامته في السربون، وتعرفه على 'الجماعة الكعبية' 'The Cubic Movement'، تعمقت الفلسفة المثالية في شخصيته أي 'إليوت'، وبعد أكثر وأكثر عن المادية القحة في الفن والأدب والفلسفة. ورددات نزعت المثالية الرومانسية. ولبي كانت تقترب من التصوف العقلاني. وهذا يفسر لحدابه إلى الفلسفات الشرقية، وخاصة الهندية منها، ولذلك نراه يدرس اللغة السنسكريتية! هل درس 'إليوت' شيئاً من لغة العربية؟!.

هذا غير معروف، وإن كان لا يحتاج إلى اللغة العربية لكي نلم بأصرف من الشعر الجاهلي، كما تملأه المعلقات السبع، لأنها كانت مترجمة ومتوفرة في مكتبة أكسفورد، برحمة الأستاذ المستشرق البارز وليام جونز (William Jones) والذي كان هو الآخر أستاذ بارزاً في جامعة أكسفورد. ونستطيع أن نقول أنه من المستبعد ألا يكون إليوت قد تعرف على شيء من كتاباته (أي وليام جونز)، وهو الذي سعى إلى تجاوز الفلسفات المادية السائدة في أكسفورد وكمبريدج، وكذلك في هارفارد على الجانب الغربي من الأطلسي. فذهب بعيداً يبحث عن قيم العطاء ولشاطره وكسئ التحكم:

Give, this is the privilege of man

Sympathize, this the privilege of (a special man)?

Control, this is the privilege of the gods

أمنح، هذا ما يميز الرجل العادي .

تعاطف، هذا ما يميز الرجل المتميز .

تحكم، هذا ما يميز الرب .

وهكذا يشرح إليوت من مناظر الحضارة العربية كلية ويترج شكره إلى الهند

- إلى نهر الجانج The Ganges River

- وإلى جبل الهمافانت (Mount Himavanta)

وهكذا إلى منظور هو منظور المناظر جميعاً منصور قدم أرلي أقدم من مناظر حضاره الغريبة!!.

هذه القيم، قيم الحب والعطاء ولتحكم من أجلها، قيم تبدو بعيدة في أمريكا الرأسمالية، وربما أقرب في أوروبا ذات الصيغة الاشتراكية نوعاً قليلاً؛ (يتكفل الاجتماعي والفوائد الاجتماعية "Social Benefits" ربما)، ولكن الوجود في شرق نهدي له معنى. هو الاندماج في الوجود العلوي، وفي الطبيعة التي تشكل أقدار لنس، الحياة والموت، العطاء والأكل، المحبة والمساورة، والتوحد مع الطبيعة، ومع أصوات الطبيعة. وإن الوجود الفردي إنما يتحقق بالخروج من الطبيعة المحدودة ومع صعوبة إدراك هذه الحركة تحمى الهدم وقيم العطاء والمودة ولتحكم، حكيم، يبدو أن "ليوت" كان يبحث عن فلسفة ذاتية، من حارج الحضارة الأوروبية تسعفه في التعامل مع روحته ومن يحب!! والله أعلم، وربما أن "ليوت" كان يبحث - بصورة حجوثة - عن قيم روحية خارج إطار الفلسفة الرأسمالية الغربية.

البروف عبد الله الطيب ووليم بليك (William Blake) :

يرى عبد الله الطيب (رحمه الله رحمة وسعة) أن "ليوت" : ليس وحده في هذه الاتهام (بالسرق المؤري) من تصورات الشعر العربي ومن رؤاه، فإن (وليم بليك) (William Blake)، في واحدة من أعظم قصائده، يقتبس من الشعر، العرب بعض التصورات الفنية البديعة (ويكون بذلك قد تورط في السرقات الأدبية الخفية) التي أشرف إليها آنفاً).

قلنا أن للعلامة عبد الله الطيب عقيدة جازمة أن الشعراء الإنجليز قد اقتبسوا كثير من معاني ورؤى وصور الشعر العربي عموماً، والجاهلي على وجه الخصوص ولقد رأيت كيف أنه تبع "تي. إس. ليوت" في سرقاته الخفية (السرق المؤري) من لبيد العامري، وذو النمة، وكذلك أبي تمام وأمرؤ القيس، ولكن عبد الله الطيب يعتقد أن ليوت، ليس هو الوحيد الذي اقتبس من الشعر العربي فهناك، أندرو مارفيل، ووليم بليك، وتوماس هاردي، وشيلي.

فعر (أندرو مرفيل)، يقول أنه اقتبس فكرة قصيدته "خواطر في حديقة" (Thoughts in a Garden) عن قصيدة لأبي العلاء المعري (وقد ترجمت بعض دواوينه إلى الإنجليزية في فترة مبكرة) يقول أندرو مرفيل، في قصيدته :

Society is all but rude
To this delicious solitude
Annihilating all that is made
To a green thought in a green shade

الرّفقة هي كل شيء ، ولكنها موحشة ، مفارقة عزلة محتة . إذ تبيد الرّفقة كل ما
جاء من خواطر غضة في ظل ظليل " .

يقول عبدالله الطيب أن هذه الأبيات في (شعر أندرو مارفيل) قريبة الشبه بأبيات في
قصيدة لأبي العلاء المعري :

ذرائي وكتبي والرياض ووحشتي
أكون كوحشي بإحدى الأمالس
يسوّف أزهار الربيع تلعّ

ويأمن في البيداء شر المحالس
و لحقيقة أن الشبه كبير بين أبيات (أندرو مارفيل) أعلاه وأبيات أبي العلاء المعري ،
خاصة . شارته أنه (ويأمن في البيداء شر المحالس) التي وصفها (أندرو مارفيل) بأنها غير
مهذبة (rude) : (Society is all but rude) .

وليم بليك وأبي الطيب المتنبي ،

وعبد لله الطيب لا يحب أن يصف أب الطيب 'بالمتنبي' لأن لفظة 'المتنبي' كانت
في البداية من باب لبذ والإتهام له ، ولكنه يفضل أن يشير إليه بأبي الطيب .
ويرى عبدالله الطيب أن وليم بليك (William Blake) ، على رومانيته الفذة ،
وعلى ما ينسب إليه من الأصالة ، قد اطلع على ترجمة من قصيدة أبي الطيب الرائعة :
ورد إذا ورد البحيرة شارباً

ورد الفرات زئيره والنملا

ما قوبلت عيناه إلا ظنتا

تحت الدجى نار الفـريق حلولا

وعبدالله يقارن هذه الأبيات بأبيات (وليم بليك)

Tiger, tiger, burning bright
in the forests of the night

ويترجمها عبدالله الطيب على النحو التالي :

يا نمر ... يا نمر
ذا اللهب الوهاج
في غابات الظلام

توماس هاردي وسرقاته:

توماس هاردي ، الشاعر الإنجليزي ، كتب قصيدة مدسدة بنوعه الثمنين من اعمره ،
وعبداله النصيب كثيراً ما يورد قول أبي عثمان جاحظ . (إن الشعر لا يستطاع ترجمته) أو
' ترجمة الشعر لا تستطاع ' ولكنه بالرغم من ذلك يعطي الترجمة التالية لقصيدته توماس
هاردي ، بمناسبة عيد ميلاده الثمانين :

أيتها الدنيا لقد وفيت لي
وفيت لي

وعلى وجه الإجمال قد برهنت

أنك حقاً كما قلت عن نفسك

منذ إذ أنا طفل مستلق

عند جانب من المرج انظر السماء

كثيرون أحبوني بإفراط ملح

وكثيرون بهدوء ناعم

بينما آخرون أبدوا لي الإحتقار

إلى أن هوى تحت التراب

إنني لا أعد أكثر مما ينبغي

يا ولدي أكثر مما ينبغي

فقط حوادث باهتة اللون أو نحو ذلك

هكذا قلت للعقول التي مثل عقلي

ومن جانبي ، لم يفتني الإنتفاع بذلك

وبه تمكنت أن أقاوم المشقة والوجع

الذي قد يجيء به كل عام

وعبدالله الطيب يرى أن (توماس هاردي) هنا يحاكي قول الشاعر العربي اخاهلي الحكيم (زهير بن أبي سلمى):

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

وقول الآخر (ليد العامري):

لقد سئمت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس كيف لبس

عبدالله الطيب بين الأعداء والأصدقاء:

تعج دوزين عبدالله الطيب الشعرية، خاصة أصداء البس، من مر لشكوى من حسد الحسد، وكبد الأعداء والمتامرين، ليس سبب سوى تموقه العلمي، وتفرد في الاداء وفي تسجيب والأحلاق، كيف لا وهو سليل لأسرة المرموقة من سادة الخعلين ألا وهم مجاديب الدامر، وبركة الخعلين من أحفاد عبدالعال (بركة الخعلين). ويشهد كتب هذه الأسطورة أن عبدالله الطيب كانت له خصومات وعداوات كثيرة في جامعة الخرطوم، عندما كان عميداً لكلية الآداب وكذلك عندما صار مديراً لها.

والأسباب الحقيقية وراء تلك العداوات والخصومات أن جامعة الخرطوم كانت منذ ميلاده في عام ١٩٥٦م، كجامعة مستقلة، تتميز بإدارة قوية متضحمة من الإداريين ونفسيين، وكان هؤلاء إلى حد كبير يغيرون من السلك الأكاديمي للجامعة لأسباب منها:

(١) كنت للأكاديميين مخصصات كثيرة، لا يتمتع بها الإداريون، ومن ذلك الإلتعاش العموري إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان لبيل المحستير والدكتوراه، مصحوبين بأسرهم.

(٢) كانت مرتبات الأكاديميين أعلى من مرتبات الإداريين، وكذلك كانت ترقيتهم سريعة جداً في الترقية. كان المعيار الوحيد للترقى هو الأبحاث، واستطاع بعض مدعى من الأستاذة أن يترقوا إلى درجة الأستاذية في فترة قياسية وهم صغار السن (منهم مرحوم روفيسور محبوب عبيد، وكذلك الروفيسور محمد عبدالكريم وغيرهم كثيرون).

(٣) ربي كان من عيب بعض الأكاديميين أنهم كانوا ينظرون إلى الإداريين بأنهم أقل منهم في المدة الأكاديمية، أو أنهم من لذين فشلوا في الإضماء إلى لسلك الأكاديمي، لأنهم لم يستطعوا الانضمام إلى صفوف الشرف العلي أو لم يستطعوا إحراز درجات عالية كالدرجة الأولى شرف أو الثانية العليا شرف.

(٤) من ناحية ثانية، كان الأكاديميون يشتكون من أن الإداريين يحسدوهم، لذلك كان هؤلاء الإداريون يحاولون إساءة معاملتهم، أو حتى اصطهادهم في المعاملات المالية وفي شروط الابتعاث بل كانوا لهم بالمرصاد، فالذي لا ينتهي من إحراز مؤهلات لنى انتعت من أجلها في الوقت المحدد، يعامل في أحيان كثيرة بجوء شديد. فلا تمد له مهما كانت الاعتذرات، وقد يفصل من الجامعة، وكذلك الذين يتجاوزون مدة الإشتاد إلى جمعات خارجة مهما يكن من شيء، فقط كان معظم الإداريين لا يحسون عند نله الطيب، وكان هو أيضاً لا يحبهم، وكان يرى أن المراتب العليا في الإدارة، كالوكيل وناوه، ينبغي أن يتولاها أكاديميون، وكانت من اسباب هذه الخصومات التنافس على منصب مدير جامعة الخرطوم، وكان هذا المنصب - في استينات من أعظم المراكز في الدولة. ويمكن أن يعد في مصاف رئيس القضاء أو نوب رئيس الجمهورية، وكان عبدالله الطيب قد حرم منه لقرات، لأنه كان بالتصويت. ولكنه تعلده أخيراً، وفي فترة متأخرة في حياته الأكاديمية (أي في التسعينات) بينما كان عبدالله الطيب حاملاً لبدكتوراه مدة عام ١٩٥٠م من جامعة لندن وبتعوق كبير. وكانت أبحاثه تملأ الأفق وبعوه وإسهامه في الحياة الثقافية في الدولة لا يختلف عليه اثنان، وبالرغم من ذلك لم يصحح عبدالله الطيب مديراً لجامعة إلا في عهد الرئيس نميري وندة قصيرة لم تتجاوز الستين.

يقول عبدالله الطيب في قصيدة (لا تأس):

١- لا تأس فالناس أعداء اللبيب

قد أنذرتك فلم تحفل بها النذر

٢- وكم صبرت على ضر الحوادث والحر

الكريم على الباساء يصطبر

٣- وكم ومقت صديقاً بين أضلعه

جمر العداوة لا ينفك يستعر

٤- وناصح لك وارى القلب من حسد

يبغى اذاك فما يبقى ولا يذر

٥- اوليته منك سمع المطمئن له

وقد تطاير من مكروهه الشرر

٦- هم العدو لهم كيد والسنه

يتفذن بالوخز ما لا تنفذ الإبر

٧- يا أيها الوطن الساعي تدفعه

كف الخيانة والأعداء والقدر

٨- قد نام أبناؤه عن كل مكرمة

أما الخنى فعلى كثرانه سهر

٩- إني كمثلك أبغى النصر مجتهداً

وكيف بالنصر لا عون ولا وزر

ومثل هذه القصيدة المنشئة ، شديدة اللهجة ، سيئة الفن ،ناس كلهم بلا شك ،

نفسر لن بعض المعارضة وبعض الخصومة الشديدة التي كانت تغلب عند الله الطيب .

ويسبب هذه الخصومات التي كان الناس ، بعضهم أو معظمهم من جماعة الخرطوم ،

يحملونها لعبدالله الطيب ، لم يستطع أن يفسر في بيل منصب مدير جماعة الخرطوم ،الذي

كان يري - ويعق - أنه أولى الناس به .

وفي قصيدة 'دعهم' ^(١) وقد كانت سابقة لقصيدة 'لا تنس' ، يعبر عبدالله الطيب

عن يأسه من تأييد هؤلاء الحساد :

١- دعهم جميعاً فما في ودعهم أرب

وإنما ودعهم مكنونه كـذب

٢- لقد صحتهم دهرأ فما حدثت

منهم عليك أوان الحاجة الخـد

٣- فلست منهم ولاهم منك في خلق

هيهات هيهات لا قريى ولا نسب

وفي قصيدة "خواطر مقيدة" ، يبادر عبدالله الطيب اخميع بالعداوة والنعمز

(١) أعداء النيل، ص ٦٠ طبعة جامعة الخرطوم.

شيوعيين' و "أخوان مسلمين" . ولا يرى في الدنيا خير، فهل مثل هذه القصص هذه مما يؤلف قلوب الناس في جامعة الخرطوم حوله؟ هؤلاء الشيوعيون كانوا يصابون به العداء وكذلك النعنعونيون، هما باله يستعدي "الأخوان المسلمين"؟! وكانت ثلة كبيرة منهم تكن له كل المحبة، وكل الوداد ويعتبره علامة العصر؟ وكثير منهم كانوا ممن يعتبرون من تلاميذه المنحبين، فلماذا يستعديهم ويحببهم بـعداوة وأشر؟
يقول عبدالله الطيب في قصيدة "خواطر مقيدة"^(١)

١- وبالناس أعـدااء تراءوا

بأصناف لمحبة وسوداء

٢- ولو كشفتهم لوجدت منهم

سواد الحقد في علق الفؤاد

٣- وكيف تتوق للعلياء نفس

إلى الأثام سلسلة القياد

٤- وكيف يبلغ الإنسان خيرا

ونهج الخير أشرس لا يرام

٥- ومن طلب المحبة فهي أمر

تقطع دونه الهمم العظام

٦- وما يبغى الشيوعيون إلا

وقود الحرب إن قالوا (السلام)

٧- وما يبغى الهدى "الأخوان"

يوماً وإن لبسوا مسوحهم وآموا

٨- ولا تخدعك ألسنة عذاب

بواطنهن فيهن السُّمام

٩- ودع عنك السياسة إن منها

ربيعاً نبتته القوم اللثام

(١) المصدر السابق، ص ١٤٧ .

والأسئلة حول هذه القصيدة كثيرة تندافع :

* لماذا يشك عبدالله الطيب في الناس كلهم ؟

* لماذا يرى أنهم جميعاً غير صادقين في صداقتهم له؟! ولماذا يسأله بعداء أعدوة للجميع يساراً ويميناً؟

* لماذا يهيب الاعماس في السياسة ويرى أن لسانه كدهم قوم لثم ؟

وحقيقة ، فقد كان عبدالله الطيب محاطاً بكثير من القلوب ، التي كنت تودده بصدق وبإخلاص ، لا تمتغي عنده حزاء ولا شكوراً ، إلا المودة في التقربى والإعجاب به وبعمله ، وبقدرة الفذة في علوم اللغة والبيان والشعر . هذه الأسئلة وغيرها كثيرة تمضي بلا إحالة ، ولعل بعض تلاميذه المقربين يستطيعون أن يلقوا عنها بعض الضوء .
أن شخصي كنت من الذين يودونه كثيراً لأسباب ذكرتها آنفاً .

قال أبو تمام :

وحبيب أوطان الرجال إليهمو

مأرب قضاهما الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو

عهد الصبا فيها فحنوا لذلك

حياك (بربر) صوب العارض الغادي

وجاد واديك ذا الجنات من واد^(١)

فكم جلوت لنا من منظر عجب

يشجي الخلي ويروي غلة الصادي

كثبانك العفر ما أبهى مناظرها

أنس لذي وحشة . . رزق لمرتاب

(١) القصيدة لمحمد سعيد العباسي (الحفلي الجموعي) وهي ، حياك (مليط) ، ولقد وضعت "بربر" في مكان مليط ، وأرجو أن تكون القافية سليمة ، فهي بربر السلوة وفي الدامر الحلوة ، والبروف وأنا كلانا ستمي إلى بربر والدامر . عبدالله الطيب وكثير من مشاهير السودان ، منهم لنواء محمد حبيب والأزهري وعبدالله خليل ، وكذلك شخصي الصعييف درسوا في مدرسة بربر الاميرية الوسطى .

وباسق النخل ملؤ الطرف يلثم
من ذيل السحاب بلاكد وإجهاد
كأنه ورمال حونه أرتفعت

أعلام جيش بناها فوق أطواد
فمى بربر السلوه وفي الدامر اخلوة، كما يقول الشاعر السوداني:
هذه بلاد عريقة من بلاد الإسلام ولعروة في السودان، وهي البينة شي عيش فيها
لبروف عبدالله الطيب وكذلك مدرسة بربر الأميرية الوسطى التي درس فيها.

أصدقاء عبدالله الطيب

بالرغم من شكوى عبدالله 'طبيب بأنه وحيد متوحد، فقد كن له أحباب كثر كما
اسلفت، وأنه لم يتم لا إلى اليسار ولا إلى اليمين، ولا انتمى إلى حركة الوطنية ولا إلى
السياسة عموماً، وبالرغم من كل ذلك، فلقد كان له إخوة أعرء وأصدقاء حميم،
وكذلك صلاب وتلاميذ ومريدين بالآلاف (وانظر إلى الآلاف التي خرجت تشيع حثماه
إلى مثواه الأخير).

ونكس عبدالله الطيب لم يذكر إلا القليل منهم في أشعره، ولكنه على كل حال، فلقد
ذكر من أصدقائه كل من:

١- السفير جمال محمد أحمد.

٢- الدرديري محمد عثمان.

٣- د. أحمد الطيب.

ففي قصيدة "كنت حريصاً أن أراه ففاتني" ^(١) يقول:

نعوا لي درديري فأحسست حسرة

على فقدته تنغل في أنفلالها

وكان صديقاً لي وكانت مودتي له

فوق أن يُلْفى البعاد أراها

وكنت حريصاً أن أراه ففاتني

كذلك المنايا حين ترمي نبالها

(١) أنظر كتاب عبدالله الطيب: مع صديقين!

وكم قد قرأنا الشعر أسمع صوته
 يؤكد معنى لفظه وظلالها
 وشعر "شيلي" نختار منه غناءه
 لقُبْرَة جو الصفيح خلا لها
 فنشدوا إذا تسموا وتسموا إذا شدت
 ونفخ في لحن شدته انفعالها
 لأعلى فأعلى في سماء رحيبة
 بها وجدت ملء الجناح مجالها
 وهذه إشارة إلى منظومة شيلي في (القُبْرَة) ' (بضم القاف والياء شدة مفتوحة)،
 وإشارة إلى قول طرفة بن العبد في (القُبْرَة) ، حلالك الحو فيضي واصمري
 ومن مثل درديري عفافاً ونجدة
 وعزة نفس لم تجد من أزالها
 وكان أديباً ناقداً لمحاته
 تفيد عبارات البيان كمالها
 وإذا فطنة حتى لو أن فطانة
 بها أحسن نال السماء لنالها
 وكان أخا الأخوان فيه روية
 وحزم إذا ما كلمة الحق قالها
 وقد كان درديري سخياً بجاله
 إذا معشر بخل بجالها
 نعموالي درديري فقد ساء رزؤه
 فزادي وأجرى عبرتي وأجالها
 سقى قبر درديري سحاب مجلجل
 برحمة ربي ما تغب سجالها

وهكذا، فليس الدس كاذبي لود كنههم، كما في قصيدته 'دعهم' التي استعرضناه
 أعلاه، ولا كلهم على كتمان الحني سهرنا، كما في قصيدته 'لأناس' التي استعرضناه

أيضاً أعلامه، ففيهم مثل لدرديري كثر في بلاد السودان، يشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء.

ومن الذين كان لبروف يودهم كثيراً لسفير جمال محمد أحمد، والذي كان أيضاً وزيراً للخارجية في السودان:

ففي قصيدته التي رثا فيها جمال محمد أحمد قال:

ذكرت جمالاً صديقي درج

وكم جمال الحياة ابتهج

وكان فتى ذهبي المحي

يرى فيه ضوء الحياة انبلج

وعشنا زماناً وراء البحار

وجمر الشباب شديد الوهج

ونقرا في شغف لا غل

بذوق سليم وفكر نضج

نعوالي جمالاً صديقي الفطن

وجئت الصلاة فقالتوا دفن

بكيت عليه بدمع غزير

وقلبي لموت جمال حزن

كذلك رثا عبدالله الطيب كل من صديقه د. أحمد الطيب وعبد الرحمن الأسدي، قال في رثاء د. أحمد الطيب (وهو من العيش، غربي بربر) وكان عبقرياً وذا ذكاء نادر يشع نوراً من عييه النواصيتين الجميتين، وكان لا تمل سماعه، كما كان حائلاً مع البروف عبد الله الطيب، الذي كان إذا حاضره في المدرج ١٠٢، تمنى أن لا يكف عن نشحو والعداء، فقد كانت محاضراته عن الشعر الجاهلي هي أشبه شيء بالغناء الشحي.

هل تذكرن أحمد يا جمال

كان فتى أديب

مهملاً أريباً

وكان حقاً بيننا محموداً

وددكــــــــــــــــــــاء بدر
وذا بيــــــــان ســــــــاحر
كم أعجب الطلاب إذ يُحاضرون
وناقــــــــداً قــــــــددكان
مــــــــة تــــــــدرأ فناناً
وطالما أنشــــــــده الألبــــــــان
هل تذكرن أحمد يا جمال
الذــــــــكــــــــريــــــــات نور
حين دجــــــــا الديقــــــــور
وامتدت الغابة والعتــــــــور
الذــــــــكــــــــريــــــــات زاد
إذ ذهــــــــب الأنــــــــداد

وهكـ كما هو لاء الأصـ فاء جماعـ صدق ورأـ فـكر، وأنداد اجـمـلـ وأشـ
والأـدب، كاموا زملة علم وسياحة في سبيلـ، في ديار الغرب وكنت لهم تحرة و حدة
عظيمة، هي تحريتهم وهم يتنقون العلم وراء لـحـار ويتفاعلون مع احياة العربية. وثقافة
الأحسية، أخذ وعطاء، وتفتحهم ونقداً واستلاء، كانوا زملاء (Peers)، في واحدة من أعظم
روبط لتعمد واسمـكـير والمأقـم في حياة عربية في كل شيء، فسبروا أغوارها واخذوا
لحميل الحلومها، ولكنهم حافظوا على هويهم العربية، وثقافتهم الإسلامية وإيمانهم
لسودسي الأصـل، والذي كن يجمعهم هو العلم والفكر و حياة في ديار لغرب حيث (لا
نس ولا مال) بسند ولا أهل ولا عشيرة: (من قصيدة مردوحة في نعت لند)^(١)

في هول أرض صيفها شتاؤها
مليد بسحبها سماؤها
فسرت لا أعقل في الطريق
صفرأ من العدو والصيديق
أفـرق من شيء ومن لا شيء
لا أنا الجـحـانـي ولا البـريء

(١) أصدياء التليل، ص ١١٣.

أعطش لا أهدي إلى شـراب
بين الوجوه البيض كالغراب
أخستلس المدخل في المطاعم
خشية طرف عاذر أو لائم

وتلك هي محبة العريب الأفريقي أو العربي في لندن، والعصرية برص بسبي نعيم،
وقد كانت فاشية في بلاد الإنجليز في الماضي، ولكنها الآن خفت كثيراً وكذلك هي
الولايات المتحدة الأمريكية.

شخصية عبد الله الطيب الحقيقية:

عند تأمل مكونات شخصية عبد الله الطيب الاسرية الحسية (Genetic) منها
والبيئية، نجد أنها في جوهرها قيس من نوار المحاديث، ومن نورها، قيس بوراني مريد،
مشيع بالنور ولصوت القرآني، وذلك الخيال والعاطفة المشوبة، وذلك الحين إلى المجد
وإلى لسمو النورني، ومن من مجد بلا عرة له ورسونه وهل من مجد إلا مجد محمد
(صلى الله عليه وسلم) وصحبه الأماجد

بلغ اللهم روحه الشريفه صلوات طيبة منيقة

اللهم صلى وسلم وبارك عليه

والشيخ محمد المحنوب ود الشيخ قمر الدين، عمدة المجاذيب وشاعرهم ومدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ملأ تلك النطح، وتلك القبا في الملاح المسح،
وعطره بحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبمدانحه الخالدة على مر الأيام، تبوح
بأخب إلى طيبة، وإلى القبة الخضراء، والمسجد الأزهر، وما تزال أمي (وهي الآن في
الخمسة والتسعين من عمرها - برك في أيامها لفعات) تشد أيتها تقول أنها للشيخ
محمد محنوب، ولقد حفظتها عنها ولا أدري إن كانت سليمة ثقافية والاركان، تقول
لؤلؤة (زين عثمان النعيمة الجعفرية النسب بآرك لله في عمرها المبارك)

كل بيت أنت ساكنه

غير محتاج إلى سرج

كل مريض أنت عانده

قد أتاه الله بالفرج

كل وجهه أنت ناظره
 قد أشرفت أنواره بالبلج
 وجهك المأمول حجت
 يوم يأتي الناس بالحجج
 أنت سيّدنا وهاديّنا
 إلى طريق غير منعرج
 بلغ اللهم روحه الشريفة
 صلوات طيبة مُنيّفة
 اللهم صلى وسلم وبارك عليه^(١).

فعبده الله الطيب وهج من نور الرحمن ، دائماً مشرقاً متأسماً متألقاً فرحاً ، بما تاه منه من نور الإيمان ، ومن نور العلم والبيان ، وأنواره شتى ، وبحره رخرة بالأحجار والأشجان ، وبالألئى والمرجان ، وهوداته حوّهة نفيسة ، جوهرة خصرة (أي سمراء) علق بها من تراب لغرب شيئاً ما ، ومن ظلامه غشاوة ، سرعان ما تذكر وهو من هو وإنى من يستمي ، وسرعان ما زالت تلك الأتربة وانجلت تلك الغشاوة :
 قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنْ لَّشِيطَانٍ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠١)

قال تعالى :

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَيُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه : ١١٤).

ذلك أن عبد الله قد صاحب عصاة من الطلقة في لندن ، فلم يصبه منهم سوى لسوء واسدوم وخسرون ، وهو من لأكرم من الصالحين الذين يتلون القرآن آباء الليل وأطراف النهار .

ففي قصيدته (بدم الشباب) يقول البيروفي عبد الله الطيب :

(١) هذا مطلع قصيدته الشيخ محمد محدوب قمر الدين ، المسماة (صلاة مولد النسخات) اقترأ مرّتين في مسجد المجاذيب بالندام ، يومي الأحد والخميس .

- ١ - نولا اصطحابي عصبة باطلية
لقد قاد نفسي للصالح أميرها
- ٢ - ولم تُلَفِّنِي رِيحَ العِشِي لِحَانَةٍ
أَعَاقِرُ كَأْسًا كَمْ يَخْبِرُ عَقِيرَهَا
- ٣ - ولم اتخذ من تبعة السوء خُلةً
يَمِرُقُنِي جَنحُ الظلام سَعِيرَهَا
- ٤ - هم صرفوني بعد أن كنت سالكا
مهايع قد يهدي إلى الرشد نورها
- ٥ - فأصبحت في وادي خَبَالٍ وشُقَّةٍ
من الغي مزجور بنحس طيورها
- ٦ - إلا لعنت هذي الأعادي و فرقت
عباديد في الدنيا و قل تصيرها

وعن هذه العصبة الباطلية قال في قصيدته معزاة "دعهم" التي ستعرضها سابع
دعهم جميعا فما في ودهم أرب
وإنما ودهم مكنونه كـاذب
لقد صحبتهم دهرأ فما حدثت
منهم عليك أو ان الحاجة الحُذْب
فلست منهم ولا هم منك في خلق
هيهات هيهات لا قربي ولا نسب

إذن، فإن الفترة التي اجتالت نَفْسَ عبد الله الطيب في شبابه، إلى كانت من نزوع
شباب وطيشه وسبب الصُّحَّة السيئة لتلك العصبة الباطلية، التي أشار إليها في قصيده
"ندم لشباب" أعلام فهي من لذات الشباب التي لا تشبهه ولا يشابهها، فقد حقق كرم
نفس محصن صريته .

يقول عبد الله الطيب في قصيدته (لذات الشباب) (١) :

(١) أصداء النيل ، ص ٥٧ .

يقولون لي ماذا تريد من العمر
سوى المال والغيد النواعم والخمر
أجل تلك لذات الشباب وربما
وصلت إليها بعد سير على الجمر
وإني لأستحي من الهُجر والخنى
إذا ما رماني ذو العداوة بالهجر
خلقت كريم النفس محض ضريتي
إذا خلط القوم الرياء مع المكر

فذكر كانت تلك الفترة في حياته التي عشته فيها عشايات من لذات الشباب . قد كنت
فترة عذرة ، سحابة صيف سرعان ما انجلت عن معدنه لأصير ، وتربيته الروحانية القوية
المنشعة . فهو من الذين اتقوا وهؤلاء لهم من إيمانهم وتقواهم حنة وأي حنة !
وهكذا عاد عبدالله الطيب إلى سجنه الأصلية ، كما مكوث في دامر مجدوب ، حيث
دار القرآن ، وسحايا لقرآن وحيث القوم لا يشقى بهم جليسهم ، محبة له ورسوله ،
وحياة ملؤها الحب الرباني والمحبة المحمدية الصادقة .
(وبلغ اللهم روحه الشريفة صلوات طيبة منيفة)
(اللهم صلى وسلم وبارك عليه) .

وحيث انقرآن يتلى في العلس ، وبكرة وعشية ، وثناء النيل وأطراف لمهر ، وحيث
المحبة الأسرية التي لا تنفى على مر الأيام ، وحيث الطيبة الحسة اخضراء . لمفهمة
بالأطوار وتغريد الطير ، وحرير المياه وأنواعير ذات الألحان الشجية في شواطئ ليل
المتدفق ، في أم تطيور وشحر السيل ، وحيث النيل يتدفق بالصداة ولعطاء ، بحبهم
ويحبونه (حبذا النيل)^(١) .

حبذا النيل منزلاً ونخيل النيل
والليل مقمرًا والنجوم
ورمال كأنهن إضئ دارج
مـوهنا بهن النفسيم

(١) المصدر السابق صفحة ٧٤ .

ورباع يشاد فيهن بالذكر
 وتتلّى يَسْ أَوْ حَم
 وقبور ثوين في ذلك القفر
 سقتهن بالذهب الغيوم
 وفي قصيدة (سفر الصداقة) يقول:
 وياحبذا الدامر والمسجد
 العامر والبئر بها مريم
 وبلغ اللهم، قراؤها الفصيح
 والمعتمل^(١) الأعجم
 وفي قصيدته (أمس زربا ' أم دجاج ')^(٢) يقول عبدالله الطيب:
 حبذا بربر إذا قرشك كالكنز التليد
 وسماك صوته الأخرق بيدي وبعيد
 حبذا خبر (بركدال) ومبيض اللبن
 بيعك الماضي من عمرك بالآن غبن
 وقال عبدالله الطيب في قصيدة (روض النيل)^(٣)
 فذكرتني قماري العشير إذا
 ناحت على عشر ورق شجيات
 قد كنت في دامر المجذوب في بلد
 فيه الكرامة والسوح الرحيبات
 ومعشر من أولى صدق ومكرمة
 تضمهم في ذراً مجد أرومات
 وفيه من قرأوا عمراً ومن درسوا
 متن الرسالة والدنيا دجّينات
 وقاري بردة المختار مرتقب
 وقت الأذان خبير ليس يرتاب

(١) اصداء النيل، ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ١٨٠ .

إذا تلووا سور القرآن حي لهم
ميت الظلام إذ النوام أموات
وجلجلت جنتيات العرش وارتمجت
لها الملائكة والسبع السموات

وفي قصيدة (بداير الصدق)^(١) نحد العلامة عبدالله الطيب (رحمه الله رحمه واسعة)
يكشف عن داته ، وهواه الأصلي ، وانتماؤه الذي لا محيد عنه ، إلى تلك النبئة لروحانية
التي كانت مهد روحه وشقيقة نفسه :

بداير الصدق لي رهط وأصحاب
وبالتميراب لي أهل ومنتصاب
ومنزول كان فيه والدي عتا
عليه المحدثات الظفر والناب
ياحبذا النيل إذ رف الأصيل وإذ ماء
السواقي على الروضات سكاب
وفتية قد تلوأيس في سحر
وغيرهم في حشايا الليل ما ثابوا

ولقد كان عبدالله الطيب يقضي جزءاً من إجازته السوية بالداير وبالتميراب قريته
المحصنة في أم الطيور ، وكانت زوجته حريزilda (Grisleda) تصحبه إلى الداير وأم
الطيور ، وتندمج في حياة الأهل والعشيرة ، كما تنسجم مع البيئة المحلية القروية ، وكأنها
قد ولدت هنالك وترعرعت ، وهذا من عظم حبها وإخلاصها لزوجها ، كما أنه علامة
حقيقية على عمق وجدانها وإنسانيتها ، ودكانها الإنجليزي العظيم ، حتى أنه أي
(حريزilda) قد أتقنت الحديث باللغة العربية العامية التي تميز السودا لأوسط كأحسن ما
يكون الإتقان ، وياعجبي لما يمكن أن يصنعه الحب !

وكد عبدالله الطيب كذلك يندمج في حياة المسجد الذي هو محور الحياة في حي
المحاديث بالداير ، فكان يشارك في الدروس ، وفي إنشاد الشعر ، وأهم من ذلك كله ،

(١) المصدر السابق ١٨٢ .

كان يشارك في إشاد المذبح النبوية التي كان يتقنها كل الإتيقان، ويحس الإنشاد به كل الإحسان .

وللعامة عبدالله الطيب قصائد كثيرة في حب المصطفى منها قصيدة طويلة في (أصدقاء النيل) بعنوان (قصيدة نبوية)^(١) يقول فيها :

سلام على المختار ساكن يشربا
نبي الإله أريحيا مهذباً
ونهدي له حرّ الثناء كأن شذى
المسك أو يلفى من المسك أطيباً
نبي تبسعنائه على كل حالة برغم
الذين عادي ومن كان كذياً
به قد هدى الرحمن للرشد بعدما
تخبطن في ظلماء ومغرباً
ألا يا رعى الله الذين توسدوا
لدى العدو القصوى صعيداً مطيباً
أولئك قومي لا يزال لذكرهم
رئيّ إذا ما صاح الفجر أطرباً
أراهم أمامي آخر الليل موهناً
شخصاً تراءى أبعدين وأقرباً
بأيديهم الألواح فيهن أسطر
كتاب الإله هادياً من تنكباً
وما فتئوا قوماً تسيل دماؤهم
مخافة مقرووف من العيش أجرباً
بلندن مالي من صديق أعدّه
لعشرة دهري إن تنكر أو كبا
ومالي من رده فستلفسيني به
أردّ شيباً ألب على تألباً

(١) أصدقاء النيل، ص ١٩٤ .

وهكذا في آخر المصنف - رجع عبدالله الطيب إلى أصوله الطيبة لذكىة، وتكشف له
ن لآئمتاء إلى انثقافة الإنجليزية وإلى البئنة الإنجليرية، ليس بدي طائل، إءا حءا حءا
وذهب الهمل، وحاء آحق ورهق الباطل، إءا لاطل كء رهوق .

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا نِزْدَ فَيَذْهَبُ جُحَاءً وَأَمَّا مَسِيْقُ النَّاسِ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾
والعلامة عبدالله الطيب يءنءم قصيءءه، الءي قلها في عءم ١٩٥١م، والإنجليز مارأوا
يحكمون السودان، ولقد أهمل الإنجليز مسقة الءامر، وعطبرة، وبربر، س ومنحق
الءعلير عموماً، فسم يسعو إلى ءطويرها أو عمارها، لأن أهل هذه المنطقة، وأغلهم من
الءعيرين، ما كانوا يخضعون للإنجليز، وما كانوا يءحزون الاستعمار، بن كانوا يكرهونه
ويقاومونه بكل الوسائل المتاحة، والقصيءة لءنء لا ءللو من ءعريض بالاستعمار، وأنه
جور آحل بأهل الءامر.

ويقول عبدالله الطيب، مءاحاً الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرءاً بالإنءيز
والاستعمار، وفاضحاً انظم الءي "ءعلب" على أهلء الأعرة الأمءء:

لعل رسول الله أرغب من ءعا

إلى الله قلباً في الأنام وأرءباً

وأصءقهم في حجة الله لهجة

وأقءعهم إن صارم باءر نبا

وأكرمهم جءاً وأكرمهم أبا

وأكرمهم خالاً وعمماً ومنسباً

يُعين به الرحمن قوماً أعزة

أذلهم جور عليهم ءغلباً

(عليه من المولى سلام ورحمة)

(أءف من النكبا واذكى من الكبا)

واشطر الأول من البيت الآخر هو للشيوخ محمد المءءوب بن قمر الءين
وفي آءءام، اسءقر المقء بالعلامة عبدالله الطيب في وسط الءبة لعمية والءربوة
والءقافية في السودان، وءحقق له ذلك لطموح العزير أن يصير مءيراً ءامعة الءرطوم -
آءساء العراء - الءي طالما وصفت بأنها 'حميلة ومستحبة' . فقد طلب ءءابئة على
عءائه لطيب أن يصير مءيراً آلها، ولكنها جاءت طائعة وءوءة، ءخطب وءه في عهد

لرئيس ممبيري . وصار عبدالله لطيف - راعياً أعظم مدير للجامعة في تاريخها الطويل . ولم يأت من بعده من يزه في ذلك ، فقد كانت فترته كمدير للجامعة على قصرها حافلة بالإنجازات العظام ، وترجت جامعة الخرطوم في أزهى الخلل وأجمل البرينة ، وبدعت شهرتها العالم ، كجامعة مجيدة ، رفيعة المستوى ، عالمية المناهج والتوجهات ، فستقطبت أعظم الأساتذة من بريطانيا واسويد وفارسا وألمانيا وسائر أقطار العالم ، خاصة علماء أوروبا الشرقية والهند وباكستان وحتى جنوب أفريقيا ، وقليل من الأمريكان ولكنها كانت معترفاً عالمياً وفي كل تخصصاتها ، خاصة الطب والهندسة والعلوم المحيطة (نظر إلى تفوق كل من المرحوم د . محجوب عبيدود . محمد عبدالكريم ود . عبدملك عبدالرحمن ود . الزبير بشير صه . ود . تاج لسر مصطفي والعشرات وغيرهم) .

عندما ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لنيل الدكتوراه من جامعة بتسبيرج في ولاية مسلماتيا ، فوحتت بالرئيس الأعلى للجامعة يستدعيني ، وتوجست شراً ، لأنني كنت متأخراً حوالي الثلاثة أسابيع من بدء الدراسة ، لأن السفارة السودانية في سنن اندك أبدت بعض انشكوك في توجهي للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان ذلك في بداية حكم ثورة مايو في سبتمبر ١٩٦٩ م .

ولكن المقابلة جاءت على غير ما توقعت ، فقد رحب بي ذلك الرئيس الأعلى بجامعة بتسبيرج وقال بالحرف الواحد :

(سمعت بأن طالباً سودانياً من جامعة الخرطوم إلتحق بقسم الفلسفة بهذه الجامعة . فوددت رؤيته لأعبر له عن إعجابي وتقديري لجامعة الخرطوم وهناك سبيل لذلك .)
(١) لأن جامعة الخرطوم جامعة متميزة جداً ومعترف بها علمياً ، وربي هي واحدة من أعظم الجامعات الإفريقية والشرق أوسطية .

(٢) وهناك سبب آخر شخصي لإعجابي بجامعة الخرطوم ، وهي أنها استوعبت صديقي البروفيسور البرز لفيلسوف والفيربائي المعروف تومبوم (Toulmbaumn) السويدي لأصل ، فقد كان أستاذاً في جامعة أوسلو بالسويد ولكنه فقد منصبه لاعتبارات غير موضوعية ولأن البروفيسور تومبوم سعيد جداً ومستقر في عمله في جامعة الخرطوم ، وكان كثيراً ما يكتب لي مشيداً بمستوى الجامعة لأكاديمي وخاصة مستويات الطلاب الجيدة جداً في العموم ،

وبعد ذلك أخبرني أنه أصدر توجيهات لي قسم الفلسفة يعفني من

١/ اختبارات اللغة الإنجليزية ومطلوباتها.

٢/ اختبارات تحديد المستوى The Aptitude Test.

وقال لي :

"يمكنك الالتحاق بالدراسة فوراً ومباشرة"

(Good luck to you, and have a good time)

ولقد كنت تلك المقبلة بدابة عظمة حصوري إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لها وقع السحر في نفسي وفي معنويتي، وأزلت كل المخاوف التي كانت تعشعش في ذهني، عن سلوك الأمريكيين متعالي، والذي يمكن أن يتميز بالعنصرية: فقد كان الرجل ودوداً إلى أقصى درجة ولطيف، ومتواضعاً تو صاع العدماء العظم، وبذلك كانت تلك المقالة أعظم هدية لي كطالب حديد في الجامعة، قادم من فريق السمر، ومهدت لي لصريق وأرالت كل العقبات. وكنت أعضه لفته في إعدادي للإيفاد في حياة الجمعية الأمريكية (Best Orientation)، ذكرت تلك لحادثة والدكتور عبدالله الطيب حارس في النصف الأول في اجتماعات المجلس القومي للتعليم العالي. وكان وزير التعليم العالي حينذاك صديقي العزيز الروفيسور إبراهيم أحمد عمر، فاهتر عبد الله الطيب نسمعه الإطراء على جامعة الخرطوم، من لرئيس الأعلى جامعة بيتسبرج، وكنت قد ذكرت تلك القصص في معرض دفاعي للإبقاء على نفعه الإنجليزية، كواحدة من لغات التدريس في الجامعات السودانية إلى جانب العربية، خاصة في الكليات العلمية والتقنية، وهي أيضاً اللغة العالمية، ولغة الإنترنت، وأن الإبقاء على اللغة الإنجليزية كوسيط للتدريس في جامعة الخرطوم، هو أحد أعظم عوامل تميز جامعة الخرطوم، وسدتها العالمية وفي قدرتها على جذب علماء وأساتذة متميزين من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والهند وباكستان.

ونم كن بالطبع نحن أهمية لتدريس اللغة العربية، كلفة عظيمة، لغة نقران والخصرة وكذلك لأنها اللسان القومي (The Mother Tongue)، وعلى القول أن أطفالنا يتعمدون بصورة أحسن بأحد عدم يكون للسان القومي هو وسبب التدريس.

الفصل الثالث
عبدالله الطيب :
الرجل والبيئة والإيقاع

الفصل الثالث عبدالله الطيب: الرجل والبيئة والإيقاع

عبدالله الطيب: الرجل والبيئة والإيقاع

في هذا الفصل ، ندرس المكونات الرئيسة في شخصية عبدالله الطيب :

- ١ عبدالله الطيب الرحن والمكونات الجينية الوراثية والسوسولوجية .
 - ٢ عبدالله الطيب و البيئة : المكونات البيئية ، تعليمية وطبيعية و شرعية .
 - ٣ عبدالله و لإيقاع : القرآن والمديح والشعر في حياة عبدالله الطيب . أي النظم والإبداع والموسيقى والأنغام ، وتأثيرها البالغ في حياة عبدالله الطيب .
- وكتب هذه السطور يدعي أنه يمتلك استبصار خاص في هذه المسائل جميعاً ذلك أنه -
وتوفيق عجيب ، يكاد يعيش نفس هذه المكونات في حياته .
* فهو ينتمي إلى نفس السلالة البشرية من قبيلة الجعلين ومن بطن وعشيرته قريب جداً من
البطن التي ينتمي إليها عبدالله الطيب .

* وعاش في نفس البيئة ذاتها ببربر وعصبرة والدامر وأم الطيور في القرية التي تلامس
' التميمير ' التي عاش فيها عبدالله الطيب السنين الأولى من طفولته . ' فلتميميراب '
هي أم الطيور الشمالية والديبة ، قرية آل إمام . هي " أم الصبور ، الجنوبية "
* وعشيرته عبدالله الطيب هم المحاذيب من ذرية شاع الدين وهم بركة الجعلين ، وأهل النعم
والتقوى والفضل منهم . وأهلي هي ذرية الملك - يعني الملك - عبدالدائم بن الملك عدلان ،
ودائم عمران - عميد عموم الجعلين ، ولكن أمي تنتمي إلى ' آل النعيمة ' وهم قوم
جعافرة من ذرية الحسين بن علي ، كانت هجرتهم قد بدأت من وادي فاطمة من بطاح مكة
وإلى أريد بشرق الأردن ، ثم المصورة عصير ثم حجازي لجعافرة في مركز قد . وأخيراً
استقر بها المقام في مدينة بربر من ولاية ليل في شمال السودان ، وهم أهل قرآن يحفظونه
جيلاً عن جيل ويرتلونه ناء الليل وأطراف النهار . وكانت لهم خلوة مشهورة يحفظ القرآن
لنصيه ببربر وعلى رأسها الشيخ ودونس ، من الرباطب . وكتب - تقيمه في منزل حدي
عثمان النعيمة ، ذلك البيت العام الفخم الذي يقع في أكثر من ستة آلاف متر مربع . والدي
كان سورة المرتفع الشاهق يجعله يبدو كأنقلعة للناظر إليه من الخارج ، فكان ركب الجمل
لا يستطيع أن يرى ما بداخله نسبة لعلو سوره .

عبد الله الطيب الرجل سليل المجاذيب :

عميقاً لا يمكن الحديث عن عبد الله الطيب كرجل من دون الحديث عن " جعلية عبد الله الطيب " ومن دون الرجوع إلى خلفيته الأسرية كسليل لواءة من أعرق الأسر السودانية في شمال السودان ؛ تلك هي أسرة مجاذيب الدامر ، التي تسمى الدامر باسمهم فهي " دامر المجذوب " .

يا دامر المجذوب لا أنت

قرية بداوتها تبدو ولا أنت بنذر

فعبد لله الطيب لا يكاد يكف أو يفتر من ذكر قومه بدامر المجذوب ، أو " بالدامر العربي " وهذه إشارة إلى قريته التي نشأ فيها والتي تسمى " لتمييرات " أو أم الطيور الشمالية . بالشاطيء الغربي لليبيا ، محاذية لدامر المجذوب بالضفة العربية ومن هنا جاءت إشارته لها " بالدامر الغربي "

ألا حي بالدامر المنزل

تمنيت بالسعد أن يؤهلا

وسدراً وطلحاً وسنطاً

مطلاً على النيل تحسبه أجبالاً^(١)

وفي قصيدته " حنين " (٢)

أقول لخافق في الصدر ثارا

ودمع في مجاري الخد مارا

رويدكما فدونكما ليال

أستطيعان فيهن اصطبارا

بذكرت الشمال وساكنيه

وهاتيك المعاهد والديارا

وأهلاً قد هجرتهم طويلاً

وإخواناً أحبيبة صغارا

(١) ديوان "سقط الزند" ص ٩٨ .

(٢) ديوان "سقط الزند" ص ٣٧ . قرأها على الشاعر علي الجارم عندما رار السودان

رويدك أيها القلب المعنى
 أما تنفك تقولني أدكأرا
 تصور لي مساكن كنت فيها
 أباهي الدهر تيهأً وافتخارا
 وتذكرني مرابع مشرقات
 سقيت بها الصبا صرفاً عُقارا
 حنان قرابة وصفاء ود
 وأياماً مضين بها قصارا
 وفي رثاء جده لأمه الشيخ (جلال الدين الطيب)، يذكر عبدالله الطيب ^(١) ذاك نود
 وتلك المحنة التي تميز عشيرة المجاذيب والروابط الروحية العميقة التي كانت تلفهم جميعاً:
 شر الموت برده فاحتواك
 ليت نفسي قبيل ذاك فذاك
 يا سليل الكرام من روح مجذوب
 عزيز على ألا أراك
 ومسيل الكتاب كالروح من فيك
 قويا لا يفضفض الموت فاك
 حينما كانت الليالي من الهم
 تباعاً من كان يومي سواك
 يا منير الطريق في الزمن المظلم
 من لي بومضة من سناك

هذه بعض العواطف والصبابة التي كن عبدالله الطيب ينطوي عديها، وهو شاب طويّر
 لعود غص لشباب. وللشباب - في العادة - فسوة وغفلة ولكن عبدالله الطيب، وهو
 بعيد في ديار الغربية "لندن" ما يفتأ يذكر أهله بالتميراب ويحي ذلك المنزل في "لدمر
 لغربي"، ويحن لديار أهله المجديب، وأخوته الصغار في "التميرات" لا تغره حبة
 لدن الصاخة ولا يلهمه بهرجها ولا أضواؤها ولا معنيها السافرة بالجمال والضياء ولكن

(١) سقط الزند ص ٥٤ .

هذا الشوق إلى الأهل وهذا الحنين إلى المرافق المشرقات يردد قوة وشجى، فيشتد رنينه وتقوى ترانيمه في "أصداء النيل":

ففي قصيدة 'ذكرى النيل' يحن عبدالله الطيب، من وراء البحار في 'لندن' إلى ديار الأهل والأحبة بالخرطوم وبالذامر العربي حيث شجر السيل والسنت والسدر، وحيث نسوقي والنواعير ذات الألحان العذبة، (وقد غدت بألحان عبري ثرة العين مثك^(١))

بلندن مالي من أنيس ولا مال
وبالنيل أمسى عاذري وعذالي
ذكرت التقاء الأزرقين كما دنا
أخو غزل من خدر عذراء مكسال
إذا الأبيض الزخار هاج عبابه
له زجل من بين جبال إلى جبال
ويا حبذا تلك السواقي وقد غدت
بالحان عبري ثرة العين مثكال
ونخل إذا ما البدر أشرق خلفه
أطل على الرائي كالعنق الحالي
وشوك السيل يلمع النور فوقه
طرائق مثل الذر يلمع في الال
ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
بكتبان داري والأحبة أحوالي
وهل أسمعن الدهر تغريد طائر
وبالفجر ترجيع المؤذن والتالي

معنى 'لندن' أنيس سوى الوحشة والقمر المطلق 'لا أنيس ولا مال' ولا سوى لتروح بقرب الأحبة والأهل وجمال الطبيعة المعناء في "الذامر العربي" حيث تغريد الطيور بهزار وترجع صوت المؤذن وتلي القرآن - المعجر وأناء الليل والبهكور والأصا - وحيث ككتبان القمر سب فوقها شجر سيل السنت وأشجار السدر اخضراء، ورحمة

(١) أصداء النيل، ص ٥٠ .

الله العباسي ، ذهب إلى مثل ما ذهب إليه عبدالله الطيب حيث تعنى أيضا بحماة الكتبان
(وأي جمال فيها يا ترى) غير محبة الأوطان وعشقها :

حيالك "مليط" صوب العارض الغادي

وجساد واديك ذي الجنات من واد

كثبانك العمر ما أبهى ماصره

أثس لذي وحشه رزق لمرتاد

قلت أي جمال في الكتبان القفر (وأي جمال للطبيعة لإدراك الجمال الذي كان صول
كنية غردود التذكارية يراه في شارع "الظلط" وقد امتلأ بمياه الأمطار ، على ما رواه
عبدالله الطيب في مقدمة كتابه "سقط الزند ص ٧"

ولكنه حب الوطن : (يقول ابن الرومي) :

وحبب أوطان الرجال إليهموا

مأرب قضاهما الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهموا

عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

ويشند الحنير بعبدالله الطيب ويشند اشوق والصبابة إلى ربع أدنه الصيد . حب الأس
وحب عراء الروح في نلکم الآيات تُتلى في "قبل الغلس"

يا رحمة الله على والد

لي كان يتلو السُّبع قبل الغلس

ورحمة الله على ربع آبائي

عـمـت ثـبـاره واندرس

يا حبذا الدامر والمسجد

العامر والبئر بهما مريم

"ويلغ اللهم" قمرأهما

الفصيح والمعتمل الأعجم

ما أنا والعيش وقاسيته

كأنه الصواب أو العلقم

وخلّثني لي سلف صالح
أغر من سبّخى أو أكرم
يقرأ من جيد ما أنشأ
الماضون والشعر الذي احكموا
ويجـتلي في هداك الدجى
عـرائس النظم التي أنظم

فعيشه في دار الغربية (بلند) كأنه الصب أو العلقم، أم سالف حياته في دامر
المحذوب وفي الدامر العربي، فكانت حياة ملؤها الحب والإيقع والأعام والمسجد العمر
والبنز به مريم وذلك الانشد الذي لا ينقطع والمديح لذي يعج بلصباة والشوق والمحبة
القصوى للمصطفى (صلى الله عليه وسلم).
كنت ليالي دامر المحذوب، خاصة ليلة الجمعة (الليلة الغراء) ويوم الجمعة ويليها كنت
ليالي ملاح. عامرة بالذكر والاجتماعات الحشدة واللقاءات الجامعة في تلك السوح
لمسيحة، العطرة بأنفاس القوم الأخرى بالمحبة والشوق. وبالبخور السوداني تعطر
الفواح وكذلك كانت تلك الليالي عامرة بالقوى والطعام. وشعر رجال الطرق الصوفية
(لا دين بلا عجين) فقد كانت تلك الجموع الهائلة من الرجال والنساء والصبيان تطعم كلها
بلا استثناء، الغني والفقير، البعيد والقريب، لعكف في مسجد المحذوب ولادي...
وطعام الشريد المشهور (المتة أم توم)، وكذلك الشاي بالحليب وفي بعض الأحيان
" للقيمات أو للراية " مع الشاي بالحليب، المعطر بالقرفة النهدية الأخاذة الرائحة. ذكر
وسمر وقري... والروح سكرى بالهيام والمحبة للمصطفى: وكانت قصائد الشيخ محمد
المحذوب قمر الدين، وكذلك مولد السيد محمد عثمان الميرغي الكبير، هي لموالد النبي
يتغنى بها الجميع هنالك في هيام وسكر وصباة.

فكان حقاً على عبدالله الطيب أن يفتخر بأهله وأجداده. ففي (قصيدة نبوية) نجده يذكر
أهله وأجداده الثاؤون في ذلك الدامر، أغربي (التميراب) متوسدين ذلك التراب الطيب:

ألا يا رعى الله الذين توسلوا
لدى العدو القصوى صعيداً مطيباً
أولئك قومى لا يزال لذكـرهم

رئي إذا ما صادح الفجر أطرباً

أراهم أمامي آخر الليل موهناً
شخصاً تراءى أبعد من وأقرباً
بأيديهم الألواح فيهن أسطر
كتاب الإله هادياً من تنكاً

الحديث عن قبيلة الجعليين :

نعود إلى الحديث عن " جعدة " عبدالله لطيف وقوة ينتميه إلى عشيرته من الشاعبيات
أولاد الشيخ عبدالعال " سرقة الجعليين . فمعروف عن الجعليين قوة أحسنهم بنفوقهم
على مجموعة القبائل العربية في السودان ، خاصة المجموعة العدنانية والتي تصممهم إلى
جانب :

- الشايقية

- الرباطات

- الجموعية

- الجمعيات

- الانقريبات

- الميرقات

- البطاحين

- العبدلاب وغيرهم

فهم عباسيون وهم ملوك شمال وسادة العرب في السودان ، ويمثل موفعهم ومكنهم
موقع ومكنة قريش وسط العرب في الجاهلية ولا يديون بالولاء لأحد إلا لسادة
الأشراف من عترة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من آل الميرغني وآل المهدي والأدارسة
والأشراف الهندي وغيرهم من بيوت السادة الأشراف في السودان .

والجعلي في غالب الأمر - إنسان جميل ، كريم شجاع ، وهو يحب المحر والسرور
والسمعة الطيبة والثراء . وهو كذلك يشعر بالتموق والتمرد على الآخرين ، ولا يحمل ذلك
على لعنصرية لأن المحمدين أكثر القبائل لعربية احتلاً بالقبائل غير لعربية ومدان
تشتتو شزر مضر على أثر حملة الدفتردار التركية عليهم إثر مقتل سماعيل باشا
الطاغية محمد علي باشا . حاكم مصر آنذاك . ذهبوا شرقاً فاختلطوا بقبائل السح والسي

عامر و حبشة وأرتريا وجنوباً دخلو حبال النوبة وتصاهروا مع السكان الأصليين وكذلك
دخلوا ماصو الدينكا في أعالي النيل ومنطقة البحيرات وكذلك بحر الغزال وتصاهروا مع
قبائل الدينكا واليوم هنالك أفخذ من الدينكا تسمى 'دينكا عالياب' وكذلك 'ديك
زيدب' وملامح هؤلاء ملامح جميلة ورفيعة وكذلك شمائلهم فيها الكثير من الشجاعة
والرحومة والعزة والاحساس العظيم بالشرف وبالعرض والتفوق على الآخرين وكلهم من
صفات الجعليين ومن شمائلهم ولكن يأتي شعور التفوق لا من العصرية ولكن من
الاتصاف بمكارم الأخلاق وجميل الشمائل ومنها :

* الشجاعة والنجدة .

* الكرم والسخاء .

* حب الجمال .

* وحب المجد والسؤدد

* وحب الحياة الواسعة الرغبة

ولذلك مجدهم أكثر ما يشتغلون بالتجارة ويهجرون في سبيل المال والشرف والسؤدد .
وهم يشعرون بإتساء قوي لعروبة وللعباس ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وكانت
للجعليين ممالك في :

* أم الطيور

* المئمة

* العبدلاب في قري

* والعبدلاب في الحلقاية

* وأسسوا ممالك في مناطق كثيرة من السودان ، حيث ما يهجرون يرتقون إلى المحد
والسؤدد أعلى المراتب .

ولذلك ليس بمستغرب أن يعجب عبدالله الطيب كثير بأبي الطيب المتنيء . ويردد مع
ابن الاثير - أنه - أي أبا الطيب - خاتم الشعراء ومهما وُصف من وصف ، فهو فوق
الوصف وفوق الاطراء^(١) .

ويعول عبدالله الطيب أن أبا الطيب قال يمدح نفسه ويمدح مولاه :

(١) أنظر عبدالله الطيب "التماسة عزاء بين الشعراء" .

لا تطلبن كسرياً بعد رؤيته
 إن الكرام بأشخاصهم هذا عُتِموا
 ولا تبال بشعر بعد شاعره
 قد أفسد القول حتى أحمد الصم
 وإني جانب ابن الأثير، فإن لذهبي فيما روى عبد الله الطيب - هو لآخر قد ذهب
 في 'تذكرة الحفاظ' إلى أن أنا طيب هو حامل نواء الشعراء .
 ومن مثل أبا الطيب المتنبى من يجرؤ على القول :
 أنا الذي نظر الأعشى إلى أدبي
 وأسَمعت كلماتي من به صم
 أنام ملء جفوني عن شواردها
 ويسهر الخلق جراحها ويختصم
 وعبد الله الطيب وزملاؤه من الشعراء والأدباء يحتمون كثير، بأي طيب المتنبى
 وينشدون أبياته المشهورة التي يمتخر فيها بريادته في الشعر العربي وإمامه فيه وأنه بحق
 حامل لواء الشعر العربي . ربما من بعد أمرؤ لقيس ، الذي وصف في القول النبوي المأثور
 أنه يحمل لواء الشعراء في نار جهنم :
 أنا السابق الهادي إلى ما أقوله
 إذا القول قبل القائلين مقول
 وما لكلام الناس في ما يريبنني
 أصول ولا للقائلية أصول
 أعادي على ما يوجب الحب للفتى
 وأهدأ الأفكار في تحيول
 سوى وجع الحساد دار فإنه
 إذا حل في قلب فليس يحول

وقريب من هذا قول أبي الطيب ، الذي ذهب مثلاً :
 ما أعجب الدنيا وأعجبه
 إني بما أنا شاك منه محسود

فها هو المتنبئ كثيرأ ما يشتكي من الحساد ومن الذين يكيدون له كيدا عند صديقه
ومولاه سيف الدولة الحمداني وخاصة منافسه الفحل أبو فراس الحمداني .

أعيذها نظرات منك صادقة

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

يا أعدل الناس إلا في معاملتي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

إن كان يجمعنا حب لغرته

فليت أنا بقدر الحب نقسم

وها هو يهدد الأمير سيف الدولة بأنه سوف يدم عندما يهجره ويذهب إلى مصر .

لئن تركن ضميراً عن ميامننا

ليجدثن لمن فارقتهم ندم

وعبد الله الطيب لا شك يسير في بعض أشعاره على خطى أبي الطيب الذي لا يكاد يخل
من الإشادة به ويفحولته في الشعر :

* فهو يشتكي من الحساد ومن العواذل

* وهو يقول أنه وحيد زمانه وفريد أفرانه ، وهيئات هبّات لا أحد في زمانه أن يحاربه في
سوعه أو شاعريته أو في إدراكه خفايا ودقائق اللغة العربية والشعر العربي معانيه وأوزانه
وقوافيه ففي قصيدة (بدايم الصدق)^(١) :

الشعر دمع الذي لا دمع يسعده

مما تواليه بالأرزاء أحقاب

وسامر المفرد الأسوان في بلد

ناء وقد عز ندمان وأكواب

إني لعمرك ما فارقت مقلية

قومي ولكنها الأقدار تنساب

وما أردت حطام العيش أطلبه

ورب غيري له ساع وطلاب

(١) أصداء الثيل، ص ١٨٢، ١٨٣ .

ولكن نفاني جور طعمه مقر
وحاسدون من الأنذال عياب
ومقردون إلى الإفرنج قد خلعوا
ثوب الحياء عبيد قيل أرباب
وفي شيبابي وإن ضمن الزمان به
أخو حجاجاً لكتوز العلم كساب
مذاكر لكتاب الله معترف
من البيان إلى الغايات وثاب
حمالٌ أعباء صبر لسن يحملها
من قلبه لسوى الرحمن رغب
دعهم وغن بسيط الشعر سلسلة
قيادها لك أوتادٌ وأسبابٌ

وفي قصيدته (إلى الخرطوم) التي كال فيها الساب والذم لأعدائه وحساده، يقول
عبد الله الطيب إنه سوف يبقى كالليل برعم كل شيء - بقاء النجم والصخر الصلاب -
وألسنه من الجلاء هوج
تعثر حائرات في سبباني
عبأت لها طويلاً حلم عها
وأثرت الجميل من التغابي
سيفني الأردلون غداً وأبقى
بقاء النجم والصخر الصلاب

وكان لسان حاله يقول :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

مهمم يكن من شيء، فإن عجات عبد الله الطيب بأبي الطيب المتنبي وحنى البحري
ليس يستعرب لأنه يشبههم كثيراً في ذلك الاعتماد لعظيم بالنفس وتلك العرة المسعاة
ودلك المحر بالقدرات وبالموهبة الفطرية لعظمة . فعبد الله الطيب، مثل أبي الطيب
المتنبي يرى أنه ليس فقط عالم اللغات الأوحده في العالم العربي ربما بعده حسن

و'عقد - ولكنه أيضاً الشاعر الفد المحل الذي يحمل لواء الشعر في العالم العربي بعد الجبهة الكبار من أمثال ابارودي وشوقي وحافظ ، أما الأوائل من أمثال أبي الطيب و'محترى وأبي العلاء المعري وأبي تمام ، فهو يحذو حذوهم ويتشبه بهم : ولسن حنه يقول :

وتشبههوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبيه بالكرام فلاح

وعبدالله الطيب قد ذكر صراحة - في مقدمة ديوانه 'سقط الزند' مدى تأثره بأبي العلاء المعري ، ومن هنا جاءت تسمية ديوانه الذي يعبر فيه عن فترة الشب وفورته الأولى وتطرفه في كل شيء .

وفي كتابه "القصيدة المادحة" أفرد عبدالله الطيب مقالة كاملة بعنوان "الدرعيت" . ويكفي دليلاً على مدى تأثر عبدالله الطيب بأبي العلاء المعري أنه أنجز رسالته لنيل الدكتوراه في جامعة لندن (SAOS) في الأدب العربي درساً لأشعار أبي العلاء المعري ، وكان عنوان الرسالة :

"أبو العلاء المعري شاعراً"

Abu Al-Ala Al-Maari as a Poet

ويعرف عن أبي العلاء المعري أنه قضى شطراً من حياته الباضجة في عرلة طوعية تامة عن الناس والخلق ، وكان سيئ الظن بالناس قاطبة . . وهذا يذكرنا بالطريقة التي كان عبدالله الطيب ينظر بها إلى كل الناس - في فترة طويلة من حياته ، إذ كان سيئ الظن بالخلق جميعاً ولذلك ما كان يتوانى من هجاء أهل الخرطوم - خاصة أساتذة جامعة الخرطوم الذين كانوا - بعضهم - يناصرونه العداء ولكن هجاء عبدالله ما كان يعرف حدوداً يقف عندها . وما كان عادلاً في كثير منه .

ففي قصيدته 'إلى الخرطوم'^(١) يكيل لهجاء كيبلاً إلى أهل الخرطوم (هل هو يقصد بعض أساتذة جامعة الخرطوم الذين كانوا يعادونه) :

إلى الخرطوم من بعد اغتراب

وبعد بلى الشهى من الشباب

(١) أصداء النيل، ص ١٩٩ - طبعة دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٣ .

وما الخـرطوم داري غير أني
غريب حيثما حلت ركابي
دفنت بها الحبيب من الأماني
وباينت القريب من الصحابي
وأثرت الكتاب على خليل
يرائيـني بأصناف الكذاب
يحدثني عن الأشجاء ولو
فحولي معشرٌ مثل الذئاب
وشهد من حطام العيش يدعو
نفساً منتنات كالذباب
ولولا النيل والذكرى وصبري
وأني للمكاره ذو غلاب
لهاجرت البلاد فليس فيها
سوى ذلٍ ورجس واحتراب
أرى الخرطوم من قذر وعار
ومن دنس وإدهان وعاب
وزهو منافقين لهم نفوس
تبض من الخيانة والغلاب
وحساد إذا ما رحت أبني
تنادوا بالمعاول للخراب
وشغل بالسفاسف وازدهاء
بإيثار القشور على اللباب
فيا وطناً طویل الحزن أمسى
يدبر أمره غير الصواب
أرى نهر الجحيم طمسا ونادى
بيك ألا هلم إلى شبراسي

فعمسوا كلهم فيه عطاش
 فبشرهم بعاقبة العذاب
 تناسوا كل مكرمة وفضل
 ونحو المخزيات أولو هباب
 وما يتزاجرون عن الدنيا
 وقد برزت تبرج كالقحاب
 وسود كل مأفون جبان
 عقوق النفس ملعون الإهاب
 تحف به الخبيثات من الأفامي
 وتتبعه الخساسة من الكلاب
 بكيت على بلادي حين سارت
 تخبط من يباب في يباب
 تسيع الحق وهو أغر نضر*
 يبيع الوكس في سوق التسباب

أراحه الله الدكتور / عبد الله الطيب، فلا بد أنه قال هذه القصيدة في لحظة كان يعاني فيها من غصصة مصرية، وفي حادثة يأس ثم أن ينال موقعاً في السودان عمدة وفي جامعة الخرطوم خاصة، ولا أشك أن معظم من وجه إليهم بيراه الحارقة كانوا من أساتذة وإداريي جامعة الخرطوم من الذين كانوا يناصبونه العداء ويكيدون له كدّاً . . ولا جرم أن عبد الله الطيب قد دأب كثيراً في هذا لهجاء وتجاوز فيه كل الحدود. ولا شك عندي أن الأغلبية الساحقة من أساتذة جامعة الخرطوم هم علماء على قدر كبير من حسن الخلق ودمانة الأخلاق. ولئن كان هنالك بعض الأفراد التقليديين من الدين ينطبق عليهم بعض ما قال عنده الله الطيب، فهم شريحة قليلة وهم الشواذ، (والشاذ لا حكم له)، كما يقول في فلسفة التشريع.

وفي قصيدته التي استعرضها أعلاه وعنوانها "لا تأس"^(١) نرى عبد الله الطيب - يرحمه الله رحمة واسعة - يتمدد في هجاء أعدائه من أساتذة جامعة الخرطوم، الذين

(١) أصدااء النيل، طبعة دار نشر جامعة الخرطوم ص ٦٠.

119

الجامعة الأساسي، وكذلك القوانين العرعبة والدوائح، كان يحفظها عن "ظهر قنب" كما يقُل. يس هذا فحسب، بل كان يحفظ معظم أسماء الأساتذة الإنحيز وغيرهم من الدين أسسوا كلية عردود التذكارية لتي صارت جامعة الخرطوم فيما بعدا ويحفظ كذلك معظم ممتلكات الجامعة وعقاراتها وأوقافها وكافة الأراضي لتي منحت لها بواسطة الدولة. لا عرو إن استطاع أن يوظف تلك المعلومات الموسوعية في إدارة جامعة الخرطوم، عندما صدر أخيراً - مديراً لها. ولا عرو أن صار من أحمج وقوى المديرين الذين عرفتهم الجامعة، في تريحها الطويل (أسست كلية عردود التذكارية عام ١٩٠٢م).

وله يقتصر الأذى لذي سسته تلك (العصبة لاطلية) في حرمان عبدالله الصيب من منصب مدير جامعة الخرطوم لفترة طويلة فحسب، ولكنها تعدت ذلك إلى فصله تعسيف وتشريده من جامعة الخرطوم ومن السودان كله، فذهب إلى التدريس في بيجيريا ومن بعده إلى جامعة الملك محمد الخامس في المغرب العربي (مراكش) فيما بعد حيث قضى فيها سنوات مديدة بالبدل والعطء والشهرة أيضاً، واكتسب فيها شهرة علمية ولم تكن تلك "العصبة لاطلية" على حد تعبير عبدالله الصيب - تشريد عبدالله الطيب (وتظهيره) وإنما إمتدت حملة لتظهير تلك إلى أعظم وأبرر علماء جامعة الخرطوم ونذكر منهم: (١)

١- بروفيسر / دفع الله الترابي - عميد كلية الهندسة بالجامعة
٢ بروفيسر / عوض سالم الحكيم أيضاً من الذين تولوا عمادة كلية الهندسة ومن الدين أسسوا معهد الكليات التكنولوجية الذي صار الآن جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

٣- بروفيسر / عثمان سيد أحمد - الذي صار وريراً للتعليم العالي على عهد غيري.
٤ بروفيسر / فريد العتباني - أستاذ العلوم الاقتصادية والإدارية
٥- بروفيسر / زكي مصطفى - عميد كلية القانون
٦ بروفيسر / عبدالحميد جابر أبو العز ولقد كان نابهة عبقرية في محاله (الاقتصاد والتمويل ودراسات المصرفية) وهو كذلك من أسرة عريقة جداً

(١) كانت رابطته الأسانده الأشراكيين "نقبة وراء الاتجاه والإجراءات الرامية إلى تشريد كبار أسانده جامعة الخرطوم، وكان شعارها "تظهير الحامعة" من سدة الفكر الراسماني العربي، الذي يصف حجر عثرة أمام انتشار الفكر الماركسي في جامعة الخرطوم.

٧ وغيرهم (أبو سينة، حجار، النذير دفع الله، د. يوسف سلفيت، الحج الح) وهكذا تمكنت تلك "العصبة الباطنية" من تشريد وفصل عدد نادر ومؤثر جداً من عتساء جامعة الخرطوم المؤسسين الأباء ومن هنا يمكن أن نتفهم - بعض لتفهم - تلك الغصبة المصرية وذلك السخط الكبير الذي يحل في قصائد عبدالله الطيب. كما يذكر السودان أو تذكر جامعة الخرطوم، والمُمرات المؤلمة التي تجرّعها بسبب كيد وعداوة تلك لمجموعة من "سائدة وإداريي جامعة الخرطوم الذين كانوا لا يعدون عبدالله الطيب فحسب، بل كانوا يعدون كل كبار الأساتذة الذين كانوا يمثلون رموزاً لهويته الخمسة الوطنية أو الإسلامية.

ولتر كانت عدائتهم شديدة ضد عبدالله الطيب، فقد كان عبدالله الطيب يواجه صدهم حملات إعلامية وأدبية ويخطب الشعر في هجائهم، وكان شجاعاً لا يهاب أحداً ولا يكثر كثير الحملات صده، كما كان عبدالله الطيب محبوباً جداً في داخل الجامعة وخارجها، وكان أيضاً يتمتع بشعبية كبيرة وسط الجماهير التي كانت تتابع محاضراته وبرامجه الثقافية في الإذاعة والتلفاز بشغف كبير.

وعبدالله الطيب يعتبر واحداً من أعظم رموز الثقافة الإسلامية في السودان ومن الداعين إلى تعريب جامعة الخرطوم، ذات الإرث الأكاديمي الإنجليزي الغربي، ألم تؤسس جامعة الخرطوم ككلية تذكارية لجنرال غوردون، وبأموال إنجليزية وكسبية^{٤٤}. وكانت هذه الدعوة إلى تعريب جامعة الخرطوم وما تزال تشكل أمراً مزعجاً للعناية لمن يسمون "بسدنة الميراث الإنجليزي" لجامعة الخرطوم وهؤلاء يريدون أن تبقى جامعة الخرطوم أبد الدهر صورةً للجامعات الإنجليزية، خاصة جامعات لندن وكمبريدج وأندره، التي كانت ترتبط بها تاريخياً.

وسبب تلك الاعتبارات، كانت تند "لعصبة الباطنية"، في الخرطوم وفي بريطانيا، تشن حرباً لا هوادة فيها على بروفيسر عبدالله الطيب.

ولقد جاءت الفرصة المواتية لعبدالله الطيب، عندما استولى جعفر نميري على السلطة. ودعا إلى إجتماع لأساتذة جامعة الخرطوم لمناقشة أوضاع جامعة الخرطوم، التي كانت تحت الحصار المديوني في أواخر عام ١٩٧٢ أو أوائل ١٩٧٣ م. ولكن عبدالله الطيب لم يذهب إلى ذلك الاجتماع. بل ذهب مباشرة إلى القصر خمهري حيث كانت شحشيات صديفة لعبدالله الطيب قد رتت له لقاء مع نعتد جعفر نميري اداك!!

وبينما كان «سيدة جامعة الخرطوم المناوئ للمايو الثانية» (بعد طلاقها مع احزاب الشيوعي في اجتماعهم ذلك) وردنا عاجل في الإذاعة السودانية بعيين د. عبد الله الطيب مدير جامعة الخرطوم بأمر جمهوري بإمضاء العقيد جعفر محمد نمري! وهكذا صار عبد الله الطيب مدير جامعة الخرطوم أخيراً، وشرب «سيدة جامعة الخرطوم» خاصة لاشتراكيين منهم المؤيدين للحزب الشيوعي السوداني واحد من مر وأقصى لمقنن، من د. عبد الله الطيب، وضربة بضربة والبادئ أظلم!!

عبد الله الطيب والجعليون؛

لم يكن عبد الله د. نزعة قبيية، فبالرغم من اعتراجه لشدة بقومه وشدة امتنائه إلى أخته وأجداده إلا أنه لم يكن يتعصب بصفة خاصة إلى «جعليين» كقبيلة، وإلى كبر يعتز بقومه وعشيرته من المجاذيب، كونهم أهل علم وبيان وأهل قرآن ومساجد. ومعاهد للتعليم والتدريس، وللذكر والثقافة الإسلامية، وخاصة محبتهم بمصطفى (صلى الله عليه وسلم) ونظم الشعر والقصائد الخرد في مدحه.

واقدم سمعته مرة يعلق على سب قبيلة الجعلين، وإدعائهم أنهم يتنمون إلى الفصل الأصغر، أي الفضل بن عبد الله بن عباس، لأن الفضل الأكبر (الفضل بن عباس) لم تعرف له ذرية، بل كان بلا ذرية (كان عقيماً).

كان يعنى على ذلك لسب بصورة لا تحلو من نقد وتشكك: فمن ضمن الأسماء التي ترد في سلسلة النسب الجعلي العباسي أسماء:

* ياطل

* وهاطل

فقال:

«أطل أن هذه أسماء شياطين، فلم يُعرف في اللغة العربية أو القائل العربية أسماء مثل هذه الأسماء!!!»

وأعترف أنني (كجعلي) شديد الاعتراض (من دون عنصرية) تقومي جعليين قد أصيبت بصدمه بهذا التشكك في أنساب الجعليين. ولكن بالطبع لم ييوح بهذه المشاعر بأسرها يوسف في نفسه ولم يبد لها أنهم واستغربت لقوله أن هذه ليست أسماء عربية. فهاطل من المطر الهطال،

'ويُظَلّ ، يمكن أن تكون من " ظلال " أو حتى من هلال ولكن من أنا حتى أحرق على
مناكفة عبدالله الطيب في أمر يتعلق بعلوم العربية . . '

نوعه من ذلك ، فعبدالله لطيف يعني من برعة عربية قومية فهو شديد الاعتزاز
باعتزازه ، عبدالله الطيب شديد الاعتزاز بأصوله العربية وبارعه من سمرة نوبه فقد
كان كثير ما ينسها إلى العرب الأوائل . الذين لم يكونوا يصطاك لأعاجم من الأوربيين أنه
من قبل بابض الشوام ذوي الأصول الفببيقية فالعرب أقرب إلى السمرة أو لسواد :
ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

'إِنَّمَا بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ (يعني العرب) وَالْأَحْمَرِ (يعني الروم)'
وعبدالله الطيب يقول أنه يصف العرب بأنهم " خَضِرُ اللون لأن اللون الأخضر إذا
اشتد اخضراره فهو يميل إلى السواد .

قال نعتي : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا حَتَّانٌ وَدَيٌّ ۚ لَاءَ رَبِّكُمَا تَكْلَفُنْ مَذْهَبَاتُكُمَا ۖ الْمَذْهَبَاتُنْ ، أَيِ
السوداوتان من شدة التفافهما واخضرارهما .
يقول عبدالله الطيب (١) :

قال حسد بن ثابت (شعر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم) يدح بي حمح ،
وكنيت أوانهم أقرب إلى لسواد " أو من بي حمح خضر الجلاعيد فعدسو دهم حضرة ،
والخضرة من ألوان العرب . .
قال الفضل بن العباس اللهي :

وَأَنَا لِأَخْضَرٍ مِنْ يَعْزِشِي
أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ لَوْنِ الْعَرَبِ
مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جَدَا
يَلَا الدُّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
فذكره أن الفرزدق - وهو الفخور أقر له بهذا الفخر الذي افتخره !

وقال ابن الرومي - يفضل العلويين - وكانت لخضرة أغلب على ألوانهم ، في أوساط
الدونة نعبسية ، بعد أب أكثر نعباسيون من بيض الإمام ، وأبيضت لذلك ألوانهم :
وعيرقوهم بالسواد ولم يزل
من العرب الأمجاد أخضر أدمج

(١) صداء السبل ص ٢٢ ، طبعه دار جامعة الخرطوم للنشر

ومــا ذاك إلا أن تزيـن جلودكم
بـنى الروم ألوان من الروم تُعج

نُعج " أي بيض اللون!

وكان عمر بن الخطاب أسمر اللون، أي أخضر اللون. وقد وُصف رصي أنه عه
بأنه كن أدلم أدعج. وحاء في النهاية^(١) في وصمة عمر بن الخطاب!
"أميركم رجل طوال أدلم. والأدلم هو لأسود الطويل!

راى عبدالله في انتماء الجعيلين إلى العروبة وإلى العباس عم النبي؛

وعبدالله الطيب يتمرجح في تأكيد عروبة جعيلين، وتأكيد نسبهم إلى العباس عم
النبي.

ففي بعض الأحيان يشكك في هذا النسب أو على الأقل يشكك في عروبة جعيلين
الحائصة، فهو يظنهم قومًا هجينًا. عربًا احتلطوا بالنوبة وبلعج وهم السودانيون
الأصليون، الذين كانوا يعيشون على ضفاف النيل، قبل هجرة العرب إليها
وأحيانًا أخرى يدم الذين ينكرون هذا النسب، ويوحى كلامه أنه يعتقد أنهم عرب رغم
سمرة ألوانهم، لأن لعرب الأصليين كانوا 'سمرًا أي خضرًا، ومنهم العباس عم النبي
وعمر بن الخطاب وعشيرة بني جُمح من أحباش قريش. وراه في هذه الحالة معرض
بكتاب من أمثال:

- كاتب الشونة

- نعيم شقير

- إبراهيم فوزي

- الشيخ الحضري

ولقد دم عبدالله الطيب الكاتب والمؤرخ المصري إبراهيم فوزي. صاحب كتاب:
'السودان بين يدي غوردون وكتشنر' ووصفه بأنه 'جاهل'، لأنه أنكر نسب جعيلين
إلى العرب عامة وإلى العباس خاصة.

قال إبراهيم فوزي:

"وبعد عن الإحتمال أن يستوطن بنو العباس السودان في عمواو دونتهم الح"

(١) لعله يعنى 'السادية والنهاية' في الكبير لأن كثير رجمه الله

ورد عليه عبدالله - في حدة على النحو التالي :

"عاب عنه الجاهل أن الصحابة بلغوا دنقلة زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومنهم من هجر إلى شاطئ البحر الأحمر العربي من بلاد السودان في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد طرأ إبراهيم فوزي من حقه على الخعليين بوجه حاس واثم كره منهم العروية^(١) .

وبرى عبدالله الطيب ، إن نجي الكتب المصريين على الخعليين ، ومنهم إبراهيم فوزي كاتب الشفونة . وكذلك نعيم شقير والشيخ الحضري وغيرهم يرجع إلى معارضة الخعليين للغزو المصري التركي بقيادة إسماعيل باشا ، ابن محمد علي باشا .

كما يرجع إلى المقاومة العنيفة التي جابه بها الجعليون لجيوش الغارية . . وكذلك ما قام به منك الخعليين - الملك عمر - من قتل إسماعيل باشا وحرقة مع أركان حربه وهم أحياء ، بسبب الإهانة التي وجهها ابن الباشا ، إسماعيل ابن محمد إلى الملك عمر وقذفه بالخعليون في وجهه ، أمام وجهاء قومه وعشيرته وشتمه إياه بأقذع الألفاظ : وقد كان الخعليون هم القبيصة العربية الأكثر مقاومة للغزو المصري التركي في القرن التاسع عشر . وكذلك كان الإنكسار أمام القوة العسكرية الغاشمة ، سواء من الجيوش المصرية لسركية والقوات الإنجليز . وإن كان بعضهم قد تعاون مع جيش كشنر في البداية ، لأبهم تعرضوا للإبادة والاضطهاد ، من قبل الخليفة عبدالله التعايشي ، خليفة المهدي على حكم السودان في عهد المهدي .

فمهما يكن من افتخار عبدالله الطيب بقومه من قبيلة الجعليين ، ومن لعرب جميعاً . وهو يعتقد أن بلاد السودان أصل في العروية ، وأن بني إسماعيل هجروا إلى الجزيرة العربية من السودان . ولا أعرف على ماذا استند أستاذي عبدالله في هذا الزعم الغريب ، فمن الثابت أن إبراهيم عليه السلام هاجر ببنته إسماعيل وبهجر - مولاته - من فلسطين بسبب الغيرة والمنافسة التي كانت بينها وبين - سارة - ابنة عمه العربية التي لم تكن في ذلك الوقت قد درجت بالأثناء ، لأن إسماعيل هو ابن إبراهيم عليه السلام البكر . ولقد ترك إبراهيم روحته هاجر عند البيت المحرم ومعها إسماعيل وهو بعد طفل صغير . . وفي هذا نزل قرآن يتلى :

(١) اصداء النيل، صفحة ٣٠ .

قال تعالى :

﴿ربما أني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة
فاجعل قبضة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا﴾
(إبراهيم: ٣٧).

كذلك فإن عبدالله الطيب، يعتقد أن الحيل العربية الأصينة موضعها الأصلي هو
السودان، وأنها عبرت البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية.

مهم يكن من هذه الآراء الغريبة التي قل بها عبدالله الطيب، فإنها تظل معقدة معتقدة
إلى الأذنة وإسرائيل، مثلها في ذلك مثل رعمه أن الجاشي كان بالسودان. وكانت مملكته
على صفاق النيل ولم تكن ممكة اكسوم. وهذه قضية أخرى قل بها عبدالله الطيب.
ونعه في ذلك أسندة سودانيون أجلاء، منهم بروفيسور/ حسن الفاتح قريب الله، ود.
جعفر ميرغي ولكني لا أجدها مقنعة البتة - ولكن هذا موضوع يطول وله موقع آخر إن
شاء الله!

وكرر ما حاولناه أعلاه، هو أن نبين أن عبدالله طيب - رحمه الله - لا يحلو من أفكار
عربية وعبر مقبولة، وكذلك معظم العباقرة والموهوبين، ومن هذه الآراء رأيه عن
جنوب، وعن ضرورة فصله من السودان، وكذلك آرائه عن أن السودان أصل في العروبة
وأصل في موطن إسماعيل بن إبراهيم وأنه - أي السودان - أصل كذلك في شاة الحيون
لعربية الأصينة وأن الجاشي كان يقيم في السودان، في دنقلة. وأن هجرة أصحاب
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأوائل كانت إلى السودان ومن آرائه العربية اعتزازه
لرائد العروبة، وربما عدم حساسيته تجاه الأجاس الأخرى من غير العرب. ولكن ذلك
لا يرقى إلى اتهامه - أي عبدالله الطيب - بالعصرية، فقد كان عبدالله الطيب ذكي وأحل
وأرفع من أن يكون عنصرياً، وهو الرجل المؤمن الذي يعشق المصطفى (صلى الله عليه
وسلم) وهو النبي الذي أبطل العنصرية والتفاخر بالأباء والأجداد، كما أبطل حمية
الجاهلية ودعوتها ووصفها بأنها دعوة منتنة،

وعبدالله الطيب قصيدة، يتغزل فيها بفتاة زنجية بعنوان "زنجية جنوبية"^(١)

وجارية ما ثوبها غير يارق

وحق من الأغصان والورق الخضضر

(١) اصدااء النيل، ص ٥١.

لها لون كحليّ الحبر وقد طفت
من الابنوس موجتان على الصدر
ففض سوام الطرف واعلم بأنها
عليها ثياب من طبيعتها البكر
هي إينة غاب النيل كوثر ك الذي
سقى الحقب الماضين تجربة الدهر

ولقد عاش عبدالله الصب رمزاً طويلاً في بريطانيا، وفي لندن خاصة، وتعرض
شخصياً للتفرقة العنصرية... وأصبح يحس بهويته السوداء، بالرغم من أصوله العربية
وملامحه العربية الواضحة.

ففي قصيدته "مزدوجة في نعت لندن"^(١) يقول:

أخاف أن تصدمني سيارة
فالمشي يحتاج إلى مهارة
أعطش لا أهدى إلى شـراب
بين الوجوه البيض كالغراب
أختلس المدخل في المطاعم
خشية طرف عاذر أو لائم
وقد أظن نظير النواظر
أشد وقعاً من شبا البوادر
وحادج بطرف من طرفه
وباسم يشعـرنـي بعطفه
وذا ت طفل أسكتت صغـيرها
لما رأت من سـحـنـتي ديجـورها

كذلك، تغزل عبدالله الصب في سيات لندن اسمراوت من جزائر امست اندير^(٢).

يقول عبدالله الطيب:

(١) نفس المصدر، ص ١١٣ .

(٢) أصدااء النيل، ص ١٠٦ .

بنات انديز الحسان
 السُّمُرُ في الغلائل
 تطم أمواح صدورهن
 صحر ساحل
 شفاههن المفعمات
 حُقل المناهل
 يهمنسن بالفتنة في
 الأذرع والأنام
 وسوقهن يلتهمن
 كالسراب الجائل
 شعورهن هذب النحل
 على الجسد
 يهمن بالشوق الملح
 في البريق الجاذل
 من كسل ذات يارق
 وذات جيد عاطل
 لحاظهن قدنفدن
 منك في المقائل

كوكب

ولقد عذب عبدالله الطيب على صديق لسانى أو شامى ، أنه باخت حماسته لقصيدة
 قالها عبد الله الطيب يتعزل فيها فتة من (كانو) نيجيريا . وكان قبل متحمساً لها فما علم
 أن الفتاة سمراء أو سوداء ، دحت حماسته بالكامل بالرغم من أن عبد الله لم يقل أنها
 سمراء أو بضاء وإنما قال فقط أنها من 'كانو' فاستنبح الصديق اللبانى أن فتاة سمراء أو
 سوداء واستنكر على عبدالله الطيب المحاسن التي وصفها بها . وكان لسان حاله يقول أن
 السوداء لا يمكن أن تكون جميلة فاتة!! ولقد استنكر عبدالله الطيب على ذلك الصديق
 البانى عنصريته فكيف يمكن أن يصف عبدالله الطيب بالعنصرية .
 بالرغم من ذلك فعبدالله طيب لا يخفي عروته الشديدة أنه يريد للحرصوم أن تكون

عربية - خاصة لا تراحمها في ذلك الثقافات لرجحية أو لأفريقية الوثنية . وهو في ذلك مثله مثل مسر تاتشر التي كانت لا تمتأ تشتكى من خطر تفشى ثقافات الإسلام والشعوب الآسيوية في بريطانيا وتهديدها للطريقة البريطانية أو الثقافة البريطانية وسلوب لعيش البريطاني : (The British Way of Life)

from here

هنا

عبدالله الطيب، عاشق النيل،

عبد لله الطيب يعشق النيل عشقاً شديداً، فهو أبدأ متم بحبه متنون بحمله وألقه .
وتلك الحيرة لعجبية التي تميره وكذلك الكرم والإعلاق .
ففي قصيدته " ذكرى النيل " يقول (١) :

يلندن مالي من أنيس ولا مال
وبالنيل أمسى عافري وعذالي
ذكرت النقاء الأزرقين كما دنا
أخو غزل من خدر عذراء مكسال
ينازعها كيما يجود وينثني
وقد كان محبوباً موانس أمال
ويا حبذا تلك السواقي وقد عدت
بالحان عَبري ثرة العين مثكال
ونخل إذا ما البدر أشرق خلفه
أطل على الرائي كالعنق الحالي
ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
بكثبان داري والأحبة أحوالي
وهل أسمع من الدهر تغريد طائر
وبالفجر ترجيع المؤذن والتالي

وفي قصيدة " حبذا النيل " (٢) :

(١) أصداء النيل، ص ٥٠ .

(٢) أصداء النيل، ص ٧٤ .

حبسنا النيل مرلاً ونخيلُ
 النيل والليل مقمرأ والنجوم
 ورمالُ كـأنهن إضي
 دارج مسووهناً بهن النسيم
 ورباع يشاد فيهن بالذكر
 وتلى "يس" أو (حَم)
 وقبور ثوين في ذلك القفر
 سقتهن بالذهاب^(١) الغيوم
 فرق الدهر بيتهن عزى
 نفسه بعد عهدهن اليتيم

وهكذا فالتل حياة تامة كاملة، وهو أيضاً بيئة كاملة من الأنوار السندسية الرهية والأحضان العبقريّة الشجية، والأمال والأمانى والدكریات، ولأهل أحياء وأموت. فحياة ناس في السودان الأوسط كنها تدور حول النيل. الررع والنضرع. والسوقي وأخانها، وآيات القرآن تتلى أثناء الليل بأطراف النهار، والآذان في المحر وفي العشية والمساء. ثم أوثت الأحباب الذين عمروا تلك المعنى زمناً. ثم مصوا وأصبحوا ذكرى وقبور مستكنات القفرات. وغابوا وما غابوا عن الذاكرة والوجدان. وعندئذ الطيب كثيراً ما يذكر تلك القبور لمسكنة في أم الطيور لأهل أمجاد وأحباب أعزّاء

إن النيل، بالنسبة لسكان شمال السودان هو "شريان الحياة" وهو في ذات الوقت روح الحياة وريحانها. وهم يعيشون على استنشاق عييره. فالنيل تميز بعرفه وعييره أهل الشمال والأوسط الذين يعيشون على ضفافه. وأذكر أبا كما ستروح ذلك العزف والعيير كلما عدنا إلى بربر نقضاء الإجابة. ومعجزة الوصف إلى محطة أسكه حديد وبمجرد أن ندلف إلى الشارع الكبير الذي يفصل بين حلة أسكه حديد وحده "النيديرة" نشم سب الرثحة العبقريّة فتنتعش نفوسنا، وترتج راحة عجيبة ونقول "نحن الآن وصلنا المنزل" "We are home now" وي آر هو م ناو.

(١) الذهاب جمع ذهبية وهي الدفعة من المطر.

وقاريء بردة المختار مرتقب
وقت الأذان خبير ليس يرتاب
جاد الحيا منزلاً قد كنت آلفه
بلومة الغرب لا ذام ولا عاب
واقبراً مستكننا في حنادسها
أبٌ وأمٌ وأمــــــــــــــــال وآراب
الشعر دمع الذي لا دمع يسعده
مما توالته بالأزراء أحق قاب
أرقت للنيل يهديه الكرى حُلماً
عليه أشرة كالطير تنساب
والأزرق الهادر الجياش منحدر
والأبيض الجون ذو الأذى صخاب

والنيل فهو حياة الناس كلها، وهو محور عيشهم وأمنهم، وأمالهم وأحلامهم، وكذلك أحرانهم وصادتهم. وهو الوطن والدار والأهل والعشيرة. وهو الجمال والحب والالوان، وكل أمان انفتى في العيش والحياة، ولذلك عنى عبدالله الطيب ليل، كعب نعى شعراء كثر في شمال الوادي وجنوبه. ومنهم التحاني يوسف شبر ومبارك المغربي وغيرهم. غير أن النيل بالنسبة إلى عبدالله الطيب هو الأهل والعشيرة والحياة كلها. وفي قصيدة "إلى الخرطوم" (١) يقول عبدالله الطيب:

أحب النيل حين صفاء وشعت

تهاويل الأصيل على الروابي
تهب به الشَّمالُ على شراع
كسالفة الإوزة ذي انسياب
ولو لا النيل والذكرى وصبري
وإني للمكاره ذو غســــــــــــــــلاب

(١) "أصداء النيل" ص ١٩٩ .

وحبُّ مَحَبِّينَ إِلَى قُواذِي
 لَهْمُ مِنْهُ الْأَثِيرُ مِنَ الشُّعَابِ
 وَإِيمَانِي بِقُومِي فِي قَرَاهِمِ
 أُولِي الْإِيمَانِ وَالشُّيْمِ الْعِرَابِ
 لَهَا جَرَتْ لِبِلَادِ فُلَيْسَ فِيهَا
 سَوَى ذَلِّ وَرَجَسٍ وَاحْتِرَابِ
 تَدْفُقُ أَيْهَهَا النِّيلُ الْمَغْدَى
 وَهَلْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ وَالْهَضَابِ
 عِزَاءُ النَّفْسِ أَنْتِ إِذَا تَفَشَّيْ
 رَبَا الْأَمَالِ يَأْسُ كَالضُّبَابِ

وفي الحقيقة، فكل ديوانه "أصداء النيل" لا تكاد تخلو قصيدة فيه من ذكر نيل، ومن الصباية سديها له، والمحبة له بتعني بها أي غناء فهو بحق أصداء للنيل، وما أصداء نيل إلا أصداء نفس الشاعر عبد الله الطيب، وإلا أصداء حياته، سواء كان قريباً من النيل سعيد بقربه، أو بعيداً عنه، في بلاد الضباب، شقياً ببعده!

وديوان "أصداء لنيل" هو ديوان الأوسع في شعر عبد الله الطيب. وقد دون فيه قصائده عنقوان شابه العقلي والوجداني، ولدت جاءت الكثير من قصائده محمولة مدوية وفيها الكثير من نرق الشباب ومن طيشه ومن أبا صيله وصلالاته وكذبت رثته وبصوحه وحتى ديوانه (سقط الرند) والذي يقول عنه أنه يمثل ركورة اشعاره، ومن جملة جاءت تسمية: "سقط الرند"، لا تكاد تجد فيه نفس الفتوة الشعرية ونفس العتقوان نعطفى وانساعيه الحامجة التي نعدى في ديوانه "أصداء النيل"!

عبد الله الطيب والشجرة:

عبد الله الطيب مولع بشجر، خاصة تلك الأنواع منها التي يعمّر مساحات م
 الطيور المتميراب" وتعمل أرحنها الخضراء واحة فيحاء ومها.

- شجر السنط
- شجر السيال
- شجر السندرة

- شجر الطلح

- وعشب النال

- وشجر الطرفة (السلم)

- وشجر الدوم

وعبدالله الطيب لا يفت يذكر الشجر، كلم اشتق إلى مهد روحه، وموطن جدده
وُحِبَّه من آل المجذوب، في لدامر الشرقي دامر المجذوب، وفي لدامر الغربي "أم
الطيور والتميراب":

جاد الحيا منزلاً قد كنت ألفه

بدومة الغرب لا ذام ولا عاب

'والدومة' هو الحي الذي به نزل أهل الدكتور عبدالله لطيب، في شمال التميراب،
ولا بد أنه سمي "بالدومة" بكثرة أشجار لدوم الشهقة الشمخة فيه وشجر الدوم ينتشر
في كل أرجاء (أم الطيور) وفي حيههم الموسوم (بالديبة) تنتشر أشجار الدوم الشمخة حتى
دخل النار نفسها وتعشش فيها لطيور المقيمة والمهاجرة، وكثيراً ما كانت توقف بالليل
عندما يغشها الكرى والأحلام فتنتفض وترتعش في نومها وتحدث تلك الشقشقة. وتلك
الصرفرة التي توقظنا من النوم، عندما يرور أمنا في أم الطيور، ولكننا من فرط التعب
والركض أثناء النهار في مطاردة تلك الطيور لغريبة المهاجرة، سرعن ما يعود إلى نوم
ونحلد فيه إحلالد الشجر نفسه، وهو يسكن سكون غريباً بالليل وكأنه - أي الشجر - ينام
أيضاً، وربما تحلم كذلك كما تحلم الطيور النائمة فوقها!!

وعبدالله الطيب، ليست الشجر وحدها التي تنام وربما تحلم، كما تحلم الطيور التي
تفزعنا في منامنا ليلاً، ولكن النيل أيضاً ينام^(١):

أرقت للنيل يهديه الكرى حلماً

عليه أشرعة كالطير تنساب

والأزرق الهادر الجياش منحدر

والأبيض الجون ذو الأذى صخاب

والسنط مشتمل بالنور خافقة

أغصانه والنسيم الغض هباب

(١) أصداء النيل، قصيدة (بدامر الصدق)، ص ١٨٤ .

وفي قصيدته "إلى الخرطوم"^(١) :

أحب النيل ذا التيار يطمو
ويلطمُ جانبيه بالعُباب
أحب النيل زمجر ثم لجّت
سواقيه الشجوية في إنشحاب
سمعت بكاءها والعمر غص
يعلّلني بأمال عذاب
وعزّاني تنهدا مُطِفا
به سجع القماري الطراب
وبين السنط في الأسـمـال
شعث دلفن مع العشيّة لاحتطاب

ولقد كنت حبة الفتى عبدالله الطيب، في دومة التمراب، على أيام الصفا فيها،
كانت أغلبها ذكية حريّة، بل دامية أسيه، لا يكاد يمر بها عام دون فقد عمرز أو ثكل
حبيب وأطر إليه في الآيات أعلاه، يبكي ويبكي معه الكون (ذاك الكون لصغير في
دومة التمراب) :

فالسواقي الشجوية "في ابتحاب" ولقد سمع بكاءها ذلك الحزين المنهد والعمر غص
ولقد كان غناء السواقي الشجوية بمثابة "انعزاء" له في فقد من فقد من الأحبة والأعزاء،
وكذلك سجع القماري الطراب ألم أقل أن الإيقاع والأوران والقوافي، ومنها نسجع هي
شيء أساسي في وجدان عبدالله الطيب، وكذلك فإن غناء القماري دي السجع الطرب
كان أيضا بمثابة عزاء له في أحزانه الجديدة المتطاولة .
وبين السنط في الاسـمـال شعث

دلفن مع العشيّة لاحتطاب

صورة معهودة ودائعة في أم الضيور، فعلى السات الصبيا وهن جميلات وشعورهن
طويلة جدا وملامحهن حادة عربية وإن كنت حصراء كنيمور، كما يقول أسود بيور .

(١) أصداء النيل، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

وهؤلاء الصبايا لا يدلن كثيراً ماذا يلسن . ومن هنا كلمة عبدالله الطيب ' في الأسفار شعث ' . وعلى هؤلاء الصبايا وجب تحصر وجبة العشاء وهي في العالت يتم طهيها على نيران الحطب - في الساحة وفي ' التكل ' وتكون من -

- الشاي باللبن

- اللقيمات (الذلاية)

- والروب

- واللين الطازج (أي الحليب)

- وبعض الأحيان الأرز باللين أو الفطير!

وبعض الأسر المسورة ربما تحشي اللقيمات بالديب الشامي (لعيب الحاف) ومعه عسل لنحس نطيعي . وهو (هد المحشي) لذيذ جداً وكنت عندما نذهب لزيارة أهلنا (آل إمام) في أم ' ظبور الحوية . (وكنا نكثر ذلك في العطلات المدرسية، خصوصاً بعد زوج شقيقتي ركية من ابن عمها عبدالله محمد إمام) يأتي أهل الحوار كله من آل إمام ومن أصهارهم للسلام على (وليد بشير إمام) وبعضهم كنت نراهم لأول مرة . ويأتون جميعاً . كل واحد منهم يحمل وجبة العشاء، ويصر الجميع أن نأكل من رادهم . . حتى بعد الشبع على الشبع حتى نكاد نسكي من كثرة الطعام (زاد الحان له مكان)!

وعبدالله الطيب دائماً يوزع الفؤاد بين:

- الدومة في التمراب، بالدامر الغربي، حيث أهل أمه

وحي المجاذيب، بالدامر الشرقي - دامر المجذوب، حيث المسجد العم وتلاوة القرآن

والذكر ومديح المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

- وكذلك لندن، حيث نسبه من آل جون أي الإنجليز أهل روجه وحبه الكبير

(جريزدا):

يقول عبدالله الطيب، في قصيدته (يا جارة البين)^(١):

أما تراني على الدنيا أخسا جلد

والناس جهدهم جهل وتخذيّل

إن أشرق العيد لي في أرض (مالطة)

بين النصاري ففي الأعماق تهليل

(١) أصدااء النيل - ص ٢٠٧ .

وبالسيالة^(١) من قوم أحبهموا
 لحكم الآي إدغام وتسهيل
 يتلون حرف أبي عمرو^(٢) إمالتهم
 محض ومالءوس الآي تقليل
 من شأنه قومه ألا يتيه بهم
 فقومي الصدق الصيد البهاليل
 بجري عليهم من النيلين منبعق
 وفي أكفهم من جودهم نيل
 هينون لينون إن ظن الغبي بهم
 ضعفاً ففيهم لأهل البقي تغليل
 ومن الأشجار التي يحبها عبدالله الطيب، إلى حاب ما ذكرنا أعلاه، شجر الخيل
 وشجر السيال :

ونخل إذا ما البدر أشرق فوقه
 أطل على الرائين كالعنق الحالي
 وشوك السيال ساطع النور فوقه
 طرائق مثل الذر يلمع في الآل
 وعبدالله الطيب يعجبه شجر السدر، وهي صرب من شجر العضاء وهو كثير جداً
 بالسودان وأهل السودان يعتبرون من أجود أنواع غسل الحبل التي يتجها الحبل من رحيق
 نوار وزهرات شجر السدر.

يقول عبدالله الطيب في قصيدة (السدر)^(٣) :
 ألا تعجبك السدر
 ذات النبق الداني
 وما يبلغ النصبج

فتجنيه يد الحاني

(١) لا ند أن اسم الحي (السيالة) لكثرة أشجار السيال فيه، كما سمي حي أهل عبدالله، بالتميراب
 (بالدومة) لكثرة أشجار الدوم فيه.

(٢) هذه قراءة (أبي عمرو) المنتشرة في السودان خاصة وهي تتميز بكثرة الإمالة .

(٣) أصداء النيل، ص ٨٨ .

وقد دحف بأشـواك
وقد دلف بأغـصان
وهذا ظلهـا الوارف
لواسـمع ناداني
ولولا الشـمـأل القـرة
لبـست وأواني

وفي (النخلة) ^(١) قال :

يا نخلة تميسُ قد
شاق العيون بُسرُها
تلوح كـالفـادة زان
اليـارقـين نحـرُها
وشع فـوق النـيل من
خلف الفـروع بدرها
علـق قـريبـاً أن يـرى
في راحـتيـك تمـرُها

و عندئذ الطيب بذلك ، الرجل والعشيرة والبيئة ، يظهر لنا جلياً أنه إنسان شاعر مرهف احس ، بعشق الجمال الطبيعي ، ويعشق الأهل و لوطن . وكذلك تلك البيئة خمينة . حول النيل في السودان الأوسط . هي لدامر الشرقي ، حث حي المحاديب ، موطن أمته المجذوب وحيث المسجد الجامع يذكر الله والعلوم والقصيد والأخـذ - ومجديع المنصطفى . . . وتلك الصدات العميقة إلى المسجد الحرام في مكة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في (طيبة) ذات القبة خضراء وصدات المحاديب إلى المنصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، عميقة وندية .

عبدالله الطيب العربي الأصيل :

عند الله طيب ، في قررة نفسه ، مؤمن محب لله ورسوله ويتمي بكل وحدانية إلى

(١) أصداء النيل ، ١٠٢ .

بنة للإسلام وإلى حضارة الإسلام وأم عشقه الأبدى فهو العربية شعره وشعرها، أورانها
ونظمها وقوافيها.

وهو من بعد ذلك ومن قبل ذلك، عربي أصيل وبدوي أصيل لم تغير منه الحضارة ولا
التمدن شيئاً من رجولته ولا من نخوة العربي الأصيل المستكنة في أعماق أعماق وجدانه.
يقول في قصيدته (تذكر البداوة)^(١):

لقد طال المطال على أرجو
لقاءك يا أميم ويا أماما
تذكرت البداوة في ديارى
وأياماً سعدت بها غلاما
وهافية الفؤاد إلى بكرأ
على إشراقها شجو اليتامى
وأي الزائرين ألم دأوى
بخمر جماله هذا الهياما

ولقد عاش عبدالله الطيب حياته كلها وفيّ (لذاته) العربية لدوية الأصيلة، كما داود
على وداده وحبه للعربية ونظمها وقو فيها وأورانها. وهو يعتقد حازماً أنه الوريث
الشرعي لذلك الميراث العربي الفذ الغاي الذي فرط فيه الكثيرون فأصبح عبدالله الطيب
"المجلى في البيان الأول"

وهو يتبجح في ذلك أيما تبجح ويحق له ذلك:
يقول في قصيدته (خمر البيان)^(٢):

ألقت إلى شيوخ يعرب سرها
فأنا المجلى في البيان الأول
أوتيت كل كريمة مكنونة
غراء فيها الجوهر المتنخل

(١) أصداء النيل، ص ٦٣ .

(٢) أصداء النيل، ص ٦٩ .

حُسَانُهُ مَا رَأَى مِثْلَ جَمَالِهَا
 غُمْدَانِ قَصْرِ الثُّبَعَيْنِ وَمَوْكَلِ
 خَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ الرِّصِينِ خَبَأَتْهَا
 مَا مِثْلُهَا الْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرَيْلِ
 أَغْلَى بِهَا إِغْلَاءً مَنْ هُوَ عَارِفٌ
 بِخَبَائِثِهَا إِنْ رَامَهَا مَنْ يَجْهَلُ
 وَأَصْوْنَهَا حَتَّى يَعْزَّزَ مَنَالَهَا
 وَأَبِيحَهَا يَوْمَ الْفَخَارِ فَأَجْزَلُ

أَلَا رَحِمَ اللَّهُ الْعَلَامَةَ عِدَالَةَ الطَّيِّبِ رَحْمَةً وَسَعَةً وَحَجَلَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيعِ الْجَنَّةِ،
 سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَنُصِّي وَوَسَّلِمُ
 عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

الفصل الرابع
عبدالله الطيب والشعر العربي
نظمه وأوزانه

الفصل الرابع عبد الله الطيب والشعر العربي نظمه وأوزانه

عبد الله الطيب والشعر العربي نظمه وأوزانه:

شخصية عبد الله الطيب، شخصيه فريدة في أكثر من بعد من أبعادها المتضعة . . من هذه الأبعاد الكثيرة التي تدخرها شخصيته حبه للجدل والحوار والأنس . فهو إنسان من الدرجة الأولى الممتازة . . لا عجب أن يكون حبه للأنس وللحوار بهذه لدرجه تقصوى فلقد وصف الفلاسفة الإنسان بأنه مخلوق انس " يحب لأنس " ، كما أن لقراؤ الكريم وصف الإنسان كذلك بأنه ﴿ أكثر شيء حداً ﴾ (الكهف . ٥٤) .

و﴿ بن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ (القيامة : ١٥، ١٤) .

﴿ يوم تأتي كل نفس تجدل عن نفسها ﴾ (الحل : ١١١)

كما وصف الفلاسفة الإنسان :

بأنه حيوان ناطق . .

قال تعالى :

﴿ ارحم من علم القرآن حلل الإنسان عمنه البيان ﴾ (الرحمن . ١ إلى ٤)

فالمعنى هو أن الله خلق الإنسان ، وعلمه البيان لكي يفقه القرآن ويتعنه .

قال تعالى :

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (القمر . ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠)

وكان أول شيء في برنامج التعليم الرباني للإنسان تعليمه لأسماء كل شيء . لأنه لا يبدل

ولا لغة ولا فكر بدون الأسماء ومن هنا يتسق القرآن تساقداً خالياً عجيباً

* فاخص خصائص الإنسان النطق والفكر ،

* ولئذ أتزل القرآن كتاباً عربياً مبدعاً ، غير ذي عوج .

* وعلم الإنسان الأسماء لكي يتقن البيان والفصاحة ولغة ،

* ومن ثم يكون مؤهلاً لكي يتعلم القرآن ،

* وهو دستور الحياة وما بعدها ودستور الكون ، ما يُبصر منه وما لا يُبصر ^{١١}

* وكل ذلك مسخر للإنسان مما في ذلك تعلم القرآن وإدراكه

❖ وكذلك الكون كله مسخر للإنسان - سيد الخليفة،
❖ لأنه - أي الإنسان - يحمل في جسده شيء من روح الله ❖ ثم سواء ونفخ فيه من روحه ❖
(السجدة: ٩).

❖ وكل ذلك لكي يتأهل الإنسان من التمكن في الأرض،
❖ ولكي يقوم بواجب خلافة الله في الأرض، والشهادة على العالمية.
❖ وإذ قل ربك لدملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ❖ (البقرة: ٣٠)
بعض الناس يقولون إن شخصية عبدالله الطيب شخصية مثيرة للجدل . وانه شخص
"مناكف" أو "متلقي حُجج" بالتعبير السوداني، والصحيح إن عبدالله الطيب امتلك
ناصية البدر العربي، كما لم يمتلكه أحد ممن عاش في هذا العصر ولا طه حسين . ولا
العدد! ولذلك فهو يتبجح بذلك ويعبر عنه بأوسع الطرق وأبدع الأساليب . انظر إليه كيف
يعبر بذلك:

أَلَقْتُ إِلَيَّ شَيْخُوحَ يَعْرُبُ سَرَّهَا
فَأَنَا الْمُجَلَّى فِي الْبَيَانِ الْأَوَّلِ
أَوْتَيْتُ كُلَّ كَرِيمَةٍ مَكْنُونَةٍ

غراء فيها الجوهر المتنخل

فهو يقول إنه ورث العربية، القاه إليه أجداده من شيوخ "يعرب" فهو الأول المتحلي
في بينهم . . وكل الآخرين في لمسة الثانية ولعمري فقد صدق أستاذي وما كان في
ذلك دعي:

فقد كان كالسيل المتدفق في الإعراب عن العربية . . عن سحرها وبيائها وعن قوافيه
الواردات والشاردات، السليمات والتي تشتكي من عيوب لاقواء والإيطاء والإسناد
والتضمين. (١)

❖ للاقواء: الالتزام بقواعد النحو العربي في القوافي، حتى عند الوقوف بالسكون؟ .

❖ لإيطاء: تكرار نفس القافية بعد ككل سبعة أو عشرة أسطر .

❖ الإسناد: وأنواعه كثيرة وهي الجمع بين أنفاط متشابهة ولكنها مختلفة الارتفاع مثل

"لدن" أو "لين" ونحو "لين ودون" . . الخ . . الخ

(١) المرشد إلى أشعار العرب الجزء الأول ص ٤١ دار جامعة الخرطوم للنشر. عام ١٩٩١ .

❖ التضمين : هو أن تعلق قافية البيت على ما بعدها ، فلا تكاد تستغن بنفسها ، كما في قول الفرزدق يصف امرأة :

فلو أن ذراً أو أباه رأى التسي
رأيت أبت عسيناه أن تتأخرا
إذن لرأى مثل الذي ظل رائياً

إلى فسرعها داؤد حتى تحمدا
إليها من المحراب وهو على الذي
يُفضلُ قيسه كل شيء مسطرا

ونهاية البيت الثاني موصولة ببداية البيت الثالث :

حتى تحمدا إليها من المحراب
وهناك بعض أنواع أخرى من عيوب القافية وهي :

❖ الإكفاء

❖ والإصراف

❖ والإجازة (١)

وليس هاهنا مجال للدخول في تفصيل ذلك ولقد أوفى الدكتور عبدالله الطيب ، رحمه الله ، شرح ذلك بإسهاب كبير ، فمن أراد المزيد فعليه (بمرشد) !

مهما يكن من تسع العربية عموماً ، وتوسع افاق نبيذ والايقاع فيها ، فإن عبد الله الطيب قد أحاط من ذلك بما عرّ أن يقدر عليه أحد من المعاصرين وُلدي يهيم هـ أن شت أن عبد الله الطيب قد كرس حياته كلها لدراسة العربية وخاصة لشعر العربي وما فيه من روعة النظم والقوافي والإيقاع وأنه قد حقق في ذلك أبداً كبيراً ، وإنك .. يا أيها نقارئ العزيز - لو اجد من ذلك بقدر ما تقدر عليه من التحصيل والمهم والإبحار

فلما إن العصف يقولون إن عبد الله الطيب يحب " المناكفة " والصحيح إنه يحب الحور و حدان . كيف لا وهو الذي حماه الله تلك الحافظة الخيالية ، وتلك العارضة خجائية التي عزّأد يحودبها لرمز . وقدرة على تدوق الجمال لسياني . . والتعبي بالأحسن والأور . . و لترغم بالشحي من القوي وأصناف الببان . وتلك لقدرة لعقريّة على التمييز بين وزن لشعر العربي وأوزانه بحوره وعروضه . . الصحيح منها ونعتل ولا

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

الخليل بن أحمد . . كل ذلك جعله يعاش شعراء العربية الأقدمين منهم والمحدثين .
 حاليين منهم والإسلاميين . ويحاربهم كما جازى الشعري ويحكيهم كما حاكى من
 روية . ولم يترك حتى الجس في شعرها وأرجيزها . . فجاراهم وحاكاهم ونسخ على
 متولهم ومواليهم . ففي قصيدته " عمرو بن يربوع والسعلاة " ^(١) التي كنا نتعنى بها
 عندما كنا في المدارس الأولية " الوسطى في بربر الغراء :

سرى ليلاً على ظلماء
 لا تُسلك مـهـوـبـة
 وللريح دوي يُتـسـرك
 الأنفـس مـعـرـوـبـة
 ونار البـرق مـن حـين
 إلى آخر مـشـبـوبـة
 وللغيم سـتـور خـلفـها
 الأنـجـم مـحـجـوبـة

 ولكني الفـتـى عـمـراً
 شـجـاع القـلب لا يـخـشـى
 يرى الإـدـلاج كـالنـوم
 وظهـر الفـرس الفـرشـا
 وقـد يـحـسب سـتـر الغـيم
 مـن جـرأته عـرـشـا
 ولا تـرـهـبـه أـلـجـن
 إذا مـا هـرـشت هـرـشـا

 تغنى وهو لا يشـعر
 بالـجـن حـوالـيه

(١) أصداء النيل : ص ٢٨٢ .

تنادوا وهو لا يــــمــــرهم
 قــــدآم عــــينــــه
 بأصــــوات لــــهــــارئة
 أجــــراس بأذنيــــه
 وقــــالوا: وهه ونهه
 وهه ويهه وهه ويهه
 ومــــعناها بلفظ الأنس
 هدا لمرء كــــدأب
 وقــــال الجن ربرابو
 تربــــرابو تربــــرابو
 ومــــعناها بلفظ الأنس
 نحن الجن المــــجــــاب
 وشجــــعان وفرــــسان
 على الأعــــداء وثاب

وقال الجن: تب تبــــري
 ومــــعناها اقــــتلوا عمــــراً
 كلوا من لحمه خــــبــــراً
 وصــــبوا دمــــه خــــراً
 كذا قد أجــــمعوا أمــــراً
 فبما قبــــحأله أو أمــــراً
 ولكن القــــتى عمــــراً
 حــــصيف لم يــــكن غــــمــــراً

ولكن الشيء اللافت للنصر . . والذي يشكل في اواقع طاهرة علمية وشهد من شوهد سوع عبدالله الطيب وابداعه هو هذا الخوار المتصل المتناول له مع شعراء العربية . ابتداء شعراء العصر الجاهلي . . بل وبدايات الشعر العربي . منذ كان شر وسحراً وحرراً وشعراً أشبه بالشعر الحر . . ومنذ كانت قوافيه تعابي من عيوب لقافية نتي ذكرها :

قوتها وابطؤها وإسنادها وتضمينها: فلم يترك عبدالله شاعر من شعراء العربية لم
"يدكه" ويعلق على شعره، نقدًا وتقويًا إعجابًا أو تعريضًا

ونعل مؤثر يلم عبدالله الطيب بالشعر العربي كله أنه يستنكر تقسيم الأدب العربي إلى
جاهلي، وأموي وعباسي، ثم تقسيم العباسي إلى العصر الأول والثاني والثالث ويقول
إن الأدب العربي كله وحدة واحدة وإنما وصل إلينا من الشعر العربي المرحلة النضجة فيه
ابتداء من المعلقات السبعة أو الطوال العشر:

"ذلت أبا بإراء درس الأدب العربي كله ويرى تهتم فيه القمم . . . (١)"

ويرى عبدالله الطيب أن النقد الأدبي الصحيح هو أن يكون موضوعيًا ولا يجبح تحه
مؤثرات لاجتماعية أو امدھية فاللغة العربية لغة كلاسيكية لأنها لغة الكتاب العربي .
لقد ن الكريم ولا يسعى بشيھھا باللغات الأوربية الحديثة:

نكر اللغة لعربية لا تعلم من أمرها إلا من لدن هي نضجة، فلا شيء يدر تقسيمها
إلى عصور إلا أن يكون نقد صيغة الإفراج في درسم آداب لغاتهم. عني أنهم حين
يدرسون آداب اليونان والسلاطين وهي عندهم أصول ويسمونهم 'الأدب الكلاسيكي' لا
يفعلون شيئًا من ذلك. هي لديهم كل واحد من أوميروس (هوميروس) إلى سيكس،
ولديهم نحوها نظرة تقديس . . . (٢)"

عبدالله الطيب يضع عنقرة بن شداد في المقدمة:

وعبد الله الطيب يقول إنه يدرس الأدب العربي كله والشعر العربي كله، كوحدة
وحدة، لأنه وابتداء من العصر الجاهلي أدب نصح كنه. وعبد الله الطيب يقول به معي
بالقمم، وبعد كن قصيدة عن (المنخل الشكري) يأخذ في الكلام المعصب بعشرة من شداد،
قبل حديث عن لأربعة الكسار وهم (١) أمرؤ القيس، (٢) ورهيرس أبي سلمى، (٣)
ونبيدس ربيعة، (٤) وطرفة بن العبد فهؤلاء هم الأربعة المقدمين عبد الإمام خطيب أبي
دكريا يحيى بن علي البريزي (المتوفي ٥٠ هـ) والذي كان معاصرًا للإمام أبي حامد العراقي
 وغيره من كبار الأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرين.

أما عبدالله الطيب فهو يتكلم أولاً عن المنحل الشكري، ويورد أبياته نديعة.

(١) المرشد إلى أشعار العرب، الجزء الرابع (القسم الأول)، ص ٣١٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣١٩ .

إن كنت عاذلتني فسييري

نحو العراق ولا تحوري

ونتي يقول فيها الأبيات الرائعات التي تدل على أن اجاهليين كانوا على مستوى رفيع من الرفاهية والمدنية . برغم جاهليتهم وضلالهم المبين :
ولقد دخلت على الفتاة

الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسنة ترفل

في الدمقس وفي الحرير

ويرى عبدالله أن في هذه الأبيات غرر رفيع وإمتاع وترجم وشعر رفيع ونمدد بالوصل والفوز بالحبيب .

ثم يدلف إلى الكلام عن لشعر الجاهلي ذي الأصول الأفريقية العربية انهجية

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم

وفي شعر عنترة إمتاع وترجم ولكنه غير مقصود لذاته . أي ذلك الإمتاع والترجم وبما يرمى عنرة إلى الدفاع عن نفسه وتبريره وهو ذائب في نفسه ، صادق في التعبير عن مكوناتها . فالترجم مساوق للتعبير الذاتي مضن له . ولنطير في الإشاد الشعري هو أن تنو صل أصوات المنشدين ، يبدأ الأول وقبل لانتهاه من اشدا أبياته يدخل عليه يشد الثاني لنفس الأبيات التي سبق إنشادها .
وكذلك قول عنترة :

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى

إذ تقلص الشفتان عن وضع الفم

في حومة الحرب التي لا تشتكي

غمراتها الأبطال غير تغمغم

إذ يتقنون بي الأسنة لم أخم

عنها ولكني تضايق مقامي

يدعون عنترة والرماح كأنها

أشطان يثر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بشجرة فجرة
ولبانه حتى تسربل بالدم
فأزور من وقع القنا بلبانه
وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي

ويدافع عبدالله عن عترة بن شداد، ويدفع عنه نهمة التردد أو التراجع في لزحف (ونو)
كان عترة فسر يخيم "أي يتردد من خيام بخيم" لم تكن الأفاضل يصح لتجعله أن
القوارس (١).

والصحيح أن عترة لم يكن يعرف التردد بل كان لإقدامه هو عادته وطريقته، إلا أنه كان
كذلك على علم بفن الحرب والكر والفر على عادة الحاهليين، وكان يقدم عندما يكون
الأقدم مجدياً، ويحجم عندما يكون الإحجام هو الأمثل، ولكن الإقدام هو الأكثر شهرة
عنه، يدل على ذلك قول رفاقه في السلاح:
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

فيل الفوارس ويك عترة أقدم

ويقول عبدالله الصيب أن ابن الأنباري وضع معلقة عترة في الترتيب الرابع وقدم معلقة
عترة بن شداد على معلقتي ليبد العامري وعمرو بن كلثوم، ولا يمكن تهم من الأنباري
بالتحيز لعترة على حساب ليبد أو عمرو بن كلثوم، ولكن الحقيقة، وأنا أتفق مع أستاذي
عبدالله الصيب في هذا، أن شعر عترة يتفوق على بعض شعراء العشر لظلاله.
(١) الأكثر ريناً وإيقاعاً

(٢) والأكثر جزالة في الألفاظ والتعابير،

(٣) والأكثر صدقاً في التعبير عن الصبغة والأسى والحزن، وعن مشاعر إنسانية عميقة
جداً. كالشعور بالظلم من ذوي القرابة ودوي الأرحم والأحرمان من حب دون
مرد، وعن عدم الاعتراف بالاستحقاقات والحدارة، وغيرها من المعاني الإنسانية
العميقة والتي لا يجد ما يجاريها عند أصحاب المعلقة الآخرين.

(٤) وشعر عترة كذلك الأكثر إمتاعاً،

(١) المرشد إلى أشعار العرب الجزء الرابع القسم الأول ص: ١٣٣.

(٥) وهو الأصح لترجم والغناء، بسلاسته وجرالة ألفاظه .

(٦) ولكن، وهو الأهم أنه يعبر عن أمل والام المستضعفين والمُعبدين والمحرومين في الأرض، وما أكثرهم . والمُعبدون في لأرض والمستضعفون في الدنيا هم الأغلبية الساحقة . . ومن هنا، فإن الملايين من لعرب وغيرهم طبوا على مر لعصور والأزمان، يتغنون بملاحم عترة بن شداد :

* ملاحمه التي تعبر عن طيبة نفسه وعن نبيلها الفريد .

* وملاحمه التي تتحدث عن مكارم الأخلاق . . وفي كل الظروف والأحوال . لقد تغنى عترة بمكارم الأخلاق كما لم يتغن بها غيره . وليس هذا إنكاراً لحكم زهير أو لبدا العامري . ولكننا نقفد حرارة عترة وعمق عترة وفصاحة عترة في التعبير عن لقيم العربية الأصيلة والتي لم يعبر عنها امرؤ القيس أو طرفة بن لعبدأو حتى لبدا العامري أو زهير بن أبي سلمى !

إن الملايين يحفظون قصة عترة وحبه العذري العفيف لإبنة عمه حسناء عنة، والتي كنت تبدله حناً بحب وصباة بصباة إلا أن العنحية الحاهمية والنعرة العنصرية عند أبيه وعمه مائلت حرمته من الظفر بحبه وظلمته من الاعتراف بمكائنه وعبقريته، وهو الشاعر ملهم العبقري والفارس الذي لقب بأبي الفوارس بالاحماع من قومه، واعترفت له جزيرة العربية كلها بالشجاعة والنبل والكرم . . وبالصعاع الكرام والشمائل السدرة وفي دوره العظيم في الدفاع عن قومه، على ظلمتهم إياه وإنكارهم لبطولته السدرة وكفه استحقاقاته . . بسبب تافه حقير وهو أن لونه كان أسوداً وأنه كان من غرباء لعرب وبن كان مشقوق الشفة (أفليجاً) .

ولا يصغر عترة في شيء أن أبا عبيدة والمفضل فيما ذكر بن رشيق - لا يقبلون عترة بن شداد، بل يخرجان قصيدته "هل غادر الشعرء من متردم" من المعلقة السبع، كما يخرجان أيضاً قصيدة الحارث بن حرة اليشكري من قائمة لمعلقات . . لأن هذا نراي يحتقر إني الموضوعية، كما يعتقر إلى التوثيق، لأن الرواة يكادون يتوارون على تضمين قصيدة عترة ضمن المعلقة السبع . فليست هنالك شك في كونها إحدى المعلقة السبع بالرغم من مقولة أبي عبيدة والمفضل . ولكن يدور التساؤل والاختلاف عن رنيتها في قائمة المعلقة، فلقد رأيت أن الإمام السبريري يضعها أي معلقة عترة في المعلقة الخامسة، بعد امرؤ القيس وطرفة بن العبدولبدا العامري وزهير بن أبي سلمى .

ولكن عبدالله الطيب، مع ابن الأنباري - يضع معلقة عنترة تلميحاً لا تصريحاً - في مرتبة عالية، لأنها لأكثر إيقاعاً وترنيمًا وامتاعاً. ولأنها الأكثر صدقاً وشاعرية. ولذلك فهي لأكثر تعبيراً عن المشاعر الإنسانية الشفيفة العميقة. ولأنها كذلك تعبر عن مكارم الاخلاق وعن ميثاق الشرف العربي في حفظ الحقوق والعفة والعرض والشرف والشجاعة السيلة التي توطف في حماية الحقوق ودفع الظلم ونصرة الضعيف وكراهة العدوان والاستكبر ولعنف الذي لا مبرر له. وكذلك تدافع عن المساواة بين الناس ولأنصف بينهم، واعطاء كل ذي حق حقه:

أما الصنعة والرفقة رقة الخواص والألفاظ، فعنترة في القمة من ذلك:

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم
أعياك رسم الدار لم يتكلم
حتى تكلم كالأصم الأعجم
ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي
أشكو إلى سفع رواكد جثم
يا دار عيلة بالجـواء تكلمي

وعمي صباحاً دار عيلة وأسلمي

العصنة قوية صادقة طبيعية وهي عميقة دافقة فوّاره، ولكن للألفاظ سهلة حرة جميلة الجرس لا تنوع على السمع وهي أعلى درجة لفصاحة (السهل الممتنع): لا وعورة فيها ولا حشو، وكأنه شعر إسلامي أموي أو عباسي قد هذبته إحصارة وشذبه طيب العيش وسهولته وهي في ذلك لا تُشبه شعر الجاهلي في شيء وكأنها - أي معلقة عنترة - تنتمي إلى عصور متأخرة:

ثم انظر إلى الرفقة والصبابة التي تلمس شغف القلوب وتحرك الصم الخوالد^١ فهي عنترة يخاطب تلك الصم الخوالد وكأنها المملوء حبا وشوقاً إلى الحبيب عيلة^٢ وانظر إليه كيف يردد اسمها:

يا دار عيلة بالجـواء تكلمي

وعمي صباحاً دار عيلة وأسلمي

ثم انظر إلى تلك التلميذات وتلك التحيت الحرة الصادقة الودودة وإلى تلك الشكوة

احارة . وذلك البث واحرن الذي يبديه عترة . . وهو يطيل الوقوف أمام ريع الخبيب
ويطلال اخبيب بالرغم من أنها 'سفع رواكد حشم' ثم انظر اليه وهو يتمرق بين اليقين
والتشكوك بين التعرف والتوهم . وتلك المعابة . وتلك الصعوبة الكبيرة التي تكدها في
التكدم أن تلك الأطلال بعينها لا غيرها هي أطلال الخبيب ، حيث كنت أنه ذكريات
حلوة . . وعيش صاف هنيء ولسان حاله يقول :
ألا ليت أيام الصفا جديد

وعهد تولى (يا عبيلة) يعود
فهو يشكر . وهو يبكي فرق ذلك الخبيب . . ولحظت وصال وفوز وطفرة كانت
الدنيا كلها . . وكانت البهجة جميعها والحمدل شاعداً . . والوصل كاملاً
دار لأنسة غضيض طرفها

طوع العناق لذيدة المتبسم
ولمعة 'أنسة' وكأنها لمعة صدره من صوالين عدد ، أو دمشق أو القاهرة أو
قرطبة . . عاية في الظرف والحصارة وأبعد ما تكون من الفاظ اأهلية اللمعة الوعة التي
يسر عنها السمع . . ألم نقل أن عترة من فرط رفته وجرالة أنفاطه - وكأنه ينمى إلى
العصور الإسلامية الأموية منها والعباسية خاصة؟!
فهذا المحبوب حين لين طوع العناق / تجذبه فيميل نحوك 'هونة غير مجال' وتندعي
وتمشي وكأنها البانة تميل بكل دلال وغنوجة نحو الخبيب إمعنا في امتاعه واتساعه والجود
عليه بكامل الوصال وكامل الحب والنشوة :
كما يقول النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيج نثى جيدها
تداعت عليه فكانت لباسا
ويتابع عترة في التدفق الوجداني الدافق :
حييت من طلل تقادم عهده

أقوى وأقصر بعد أم الهيثم
وكيف يحيي الطلل . . ؟ إن يحيي في الوجدان والذكرى وفي التوهم والخيال . . وهي
خضة ستر جاع عاطفي يعود الحي شخصاً وخياة ندب فيه وأصعب الخبيب تمر في التوهم
والخيال ويمثل شاحصة أمام العاشق الصب فيتحيل إليه في لحظات أنه يراها بحمها ودمها

وجماليه المائق والشوق في عيونها واللوعة تلغها وايدائها وخطراتها وهو يحقق في
خفة - نوعاً من الرّي العاطفي ومن الشفاء الوجداني ، فيستر الشوق وتلج العروق من
ظماً الشوق وهجير الفراق ولوعة الذكرى ، والنوى والبعد هما أجمل التخيل هما
أجمل التوهم !!

وانظر إلى خسارة في ملامح وجه عترة ، وانظر إلى الحزن حين يقول :
شطت مزار العاشقين فاصبحت

عسراً على طلابك ابنة مخرم

وهذا العسر ليس بسبب بعد المسافات لمضائية فحسب ولكن هنا بعد أفسى وأعنف
وأعد مجلاً ألا وهو البعد الذي يسببه رفض ولد عيلة أن يسمح لهما بالتلاقي أبداً . ولا
المواصل . فهو ينكر حق عترة لأسود في حب ابنة عمه (عمة) البيضاء برغم الدم ورغم
وشائج تقربى والرحم . يا للظلم . وبالهول المسافات التي أصبحت تفصل بينهما حتى
شطت المزار وتعسر اللقاء والطلاب !!

ونظر إلى العقل والحكمة . . لدى هذا نحب المظلوم وانظر إلى الببل ومراعاة حق
الأهل والقرابة والبر :

علّقها عرضاً وأقتل قومها

زعماً ورب البيت ليس بمزعم

ونظر إلى القسم الذي يفصح عن تقوى ومراعاة لدم والعهود وحنط حقوق
وتقديسها بأنها صادرة عن رب البيت الإله المعبود عند العرب - حتى في جاهلية خضراء
كانوا أم بادية تستوي في ذلك أهل الحرم وأهل الخل . القريب العاكف والبعيد النادي .
وأين امرؤ القيس من هذه المعاني :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة

قالت لك الويلات إنك مرجلي

تقول وقد مال الغبيظ بنا عقرت

بعيري يا أمراً القيس فنانزل

فقلت لها سيري وأرخي زمامه

ولا تبعديني من جنالك المعلل

فممثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتهما عن ذي تئاتم مسحول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشق وتحتي شقها لم يحول
و بين عث إمرو القيس ومجونه وخلاعه . من عفة عترة وأحلاقياته التي يرعى فيها
ميثاق اشرف العربي : يقول إمرو القيس ، راصفاً مغمراته الخسعة التي لا نعرف حدوداً
ولا قيوداً :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقالتم يمين الله ما لك حيلة
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها أمشي تجر وراءنا
على اثرينا ذيل مرط مـرحـل
هصرت بفوري رأسها فتمايلت
عليّ هضميم الكشح ربا المخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
تراثها مصقولة كالسجنجل
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها
متارة عمسى راهب متبـتل
إلى مثلها يرنو الحليم صباية

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
وانصر إلى غزل عترة ونسيبه ولاحظ لمرق الشاسع بيه وبين غزل إمرو قيس ، نحو
عن عبدة : تجدد عند عترة بن شداد ، الماديء واققيم والشرف الرفيع :
- الغزل العفيف العذري .
- وتجدد قيم الشرف وصور العرض ،

وتجده للعدالة والإنصاف في التعامل مع أهل الخبسة وقومها ووآلديها وذوي رحمها
ثم نجد ذلك الأفق العالي الرفيع من العرطف للإنسانية السامية التي تحب ما يحب كرمها
وتشريفها لا استغلالاً وإذلالاً وترفعاً أو استعلاءً.

ثم نظراً إلى المعاني السامية في غزل عنترة، وكيف يهتم كثيراً أسمعه حبيبته، وكيف
يصور شرفها، وكيف يكرمها ويدافع عنها بنفسه والنفس، وكيف يكرمها ويكرم
آلها. فلا يعيش معتصماً ولا زانياً، يسرق عرضها وشرفها ثم يمضي في سبيله غير
عائز بما آلتها بعد ذلك، بل لا يغشها أصلاً إلا وحليلاً أو وليها موجوداً، فإن غاب فلا
يعشها أصلاً بل لا يطر إلى نفسها، ناظراً إلى محاسنها، حتى تغيب في دارها نتي بؤسها:
يقول عنترة في ذلك (١):

فرجعت محموداً برأس عظيمها
وتركتها جزراً لمن ناواها
ما استمت أنثى نفسها في موطن
حتى أوفي مهرها مولاهها
ولما رزأت أنا حفاظ سلمة
إلا له عندي بهما مثلاًها
أغشى فشة الحي عند حليلها
وإذا غزا في الجيش لا أغشاهها
وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها
إني إمرؤ سمح الخليفة ماجد
لا اتبع النفس اللجوج هواها
وإن سألت بذاك عيلة خبرت
إن لا أريد من النساء سواها
وأجيبها إمدعت لعظيمة
وأعينها وأكف عما ساءها

(١) ديوان عنترة بن شداد، ص ٢٠٨ شرح الخطيب التبريزي. الناشر دار الكتاب العربي (بيروت)
الطبعة الثانية ١٩٩٤م

ففي هذه الأبيات يبرز "عنترة" وكأنه شاعر إسلامي، يعبر عن إعرازه بكثير من القيم الإسلامية الرفيعة . ولا يعطي انطباعاً بأنه شاعر جاهلي .
 * فهناك الاعتزاز بمبادئ العمة، ومراعاة عقود الزواج، ومنها إبقاء المهر لفئة أو هبتها
 * وهناك رفضاً لرب الذي كان منتشر في زمن الجاهلية،
 * والنيت الثالث، يظهر عنترة متصفاً بقيم العدالة والانصاف، فهو لا يزر أحداً مالا أو شيئاً أو سلعة إلا وفاها وعوضها بمثلها،

* وهو يحب الأس السريء مع الجميلات الصغيرات من الأهل والخيران . ولكن دور ربة أو شبهة . . ولذلك فهو لا يروى إلا في وجود الأهل والمحارم، أم إذا غاب الزوج أو الولي، فإن عنترة لا يروى الفتيات الجميلات محافة أن يُلطخ سمعتهن أو يفسد عرضهن .

* س وهو يلتزم بعض البصر إذا ما بدت له حرته حتى يوازي جارته مأواه .
 * وهو رحل ملتزم بالأخلاق الحميدة، عاقل حكيم راشد لا يتبع النفس اللوحج هواها،
 * وأنه شريف مخلص في حبه، لا يجري وراء الشهوات ولكنه محب مخلص جداً لحبيته (عبله) لا يريد سواها من النساء، فأنسألة ليست لذة عابرة ولكنه حب كبير شريف عذري، باق على العهد ما بقي الحدثان .
 * وهو يحمي حبيته ويدافع عنها بنفسه والنفس وإذا دعا داعي الحرب، سارع للدفع عنها وعن قومها بكل ما يملك .

* وهو يعين حبيته على نوائب الدهر ويلبي حاجاتها ويكفها بما يملك من مال وغيره
 * ولا يفعل شيئاً ابداً، إذا ظن مجرد الطر أن ذلك الفعل مما يسىء إليها .
 "وأكف عما ساءها: أي أكف عما ساءها" .

وأي حبيب هذا بهذه الصفات الرفيعة؟ انه حبيب يتمناها كل واحد لفدته وتتمناه كل فتاة عاقلة راشدة أن يكون فتى أحلامها وفارس حياها وشريك مصيرها في رحلة الحياة العاتية القاسية . ذات الوحدة والوحشة والغربات!!
 * ولتغني مكارم الأخلاق وافر في ديوان عنترة وخط أصيل في حياته وشعره ووحدته
 فقصيدته القتالية عقيدة أخلاقية "لا حمية جاهلية" يقول من بحر الكامن^(١) :

(١) ديوان عنترة، ص ٢٤، شرح التبريزي .

- ١- إني إمرؤ مني السباحة والندي
والباس وأخلاق أصيت لبابها
 - ٢- وأنا الربيع لمن يحل بساحتي
أسد إذا ما الحرب أبدت نابها
 - ٣- وإذا لقيت كتيبة طاعتها
وسلبتها يوم اللقاء عقابها
 - ٤- فاذهب فأنت نعامة مذعورة
ودع الرجال قتالها وسبابها
- ***

* ويقول من "البسيط" (١) :

لا يحمل الحقد من تعلوبه الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب

* ويقول في معلقته الشهيرة (٢) :

اثني علي بما علمت فلإني
سمح مخالفتي إذا لم أظلم
فلإذا ظلمت فلإن ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم
فلإذا شربت فلإني مستهلك
مالي وعرضي وأقر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندي
وكما علمت شمائي وتكرمي
هلا سألتني الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلم
يخبرك من شهد الوقعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغتم

(١) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٧ .

ويقول 'عنترة' أنه يفعل الواجب ويخوض غمرة الحروب الكريهة غير متصبر
بعواقبها، إذ أن عليه فعل الواجب مهما تكن النتائج:
وإذا حملت على الكريهة لم أقل

بعد الكريهة ليستني لم أفعل
وعنترة شجاع القلب، لا يخاف الموت وكذلك لا يخشى الوعى، لأنه يؤمن بالقضاء
والقدر ويؤمن كذلك بأن الآجال مقدرة ومحتومة في مواعيدها لا نستأخر ساعة ولا
تتقدم، وليس هنالك من سبيل لدفعها إذا جاء أجلها:
فهي قصيدته المشهورة "حكم سيوفك في رقاب العذل"^(١).
حكم سيوفك في رقاب العذل

وإذا نزلت بدار ذل فـأرحـل
وإذا بليت بظالم كن ظالماً
وإذا لقيت ذوي الجهالة فأجهل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة
خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها
وأقدم إذا حق اللقاء في الأول
وأختر لنفسك منزلاً تعلو به
أومت كسرياً تحت ظل القسطل
موت الفتى في عزّة خير له
من أن يبيت أسير طرف أكحل
لو أنكرت فرسان عيس نسبتي
ففسنان رمحي والخسام يقرؤني
ويذابلي ومهندي نلت العلى
لا بالقراية والعديد الأجل

(١) المصدر السابق، كان الوالد، عليه رحمة الله الواسعة ورصوانه يحفظها ويتمنى بها حتى حر أبياته
وقد ناهز المائة من العمر.

لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل وأسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل

ولا يكاد تغني عشرة بمكارم الأخلاق يكف أو يتوقف لحظة واحدة في كل قصئده:
قال (من الطويل) (١):

ونحفظ عورات النساء ونتقي

عليهن أن يلقين يوماً مغازيا

هل هذا - تريك - قول حاهلي قح: فكم من المتسقين اليوم إلى الإسلام وإلى كفة
الأدين السمدوية ممن يسعى لحفاظ على عروض النساء وكرامتهن بل وما أكثر المعتدين
على هذه العروض وهذا الشرف اليوم ممن بدعون ظلماً وحوراً - أبهم متسبون إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد، صدوات الله وسلامه
عليهم أجمعين!!

وفي تغني عشرة بمكارم الأخلاق، هذه القصيدة بجزلة البصعة الجميلة
فيقول عنقرة (من الوافر) (٢):

ويوم البذل نعطي ما ملكتنا

من الاموال والنعم البهية

ونحن العادلون إذا حكمنا

ونحن المشفقون على الرعية

ونحن المنصفون إذا دعينا

إلى طعن الرماح السهمية

ونحن الغالبون إذا حكمنا

على الخيل الجياد الأعوجية (٣)

(١) ديوان عنقرة، ص ٢١٦ شرح التبريزي .

(٢) الصدر نفسه، ص ٢١٧ .

(٣) الأعوجية نسبة إلى فحل قديم - والرماح السهمية نسبة إلى سمهر روح رديئة

ونحن الموقدون لكل حرب
ونصلها بأفئدة جرية^(١)
ملأنا الأرض خوفاً من سلطاننا^(٢)

وهايتنا الملوك الكسروية
بئله عديك هل هذ وجدان عبيد عيسى لا صلح إلا للحلب والصر . . أم هو وجدان
بطل وأمير . . بل وملك يتحدث عن الانصاف والعدل والبذل ولسماء وكذلك الإشفق
على الرعية !!!

وفي قصيدته المشهورة (يوم المصانع) ، (وكان والدي رحمة الله عليه) يحبها حاشا
ويتغنى بها كما تغنى بالأخرى 'حكم سيوفك في رقاب العذراء' حتى آخر حياته ، وقد
عمر حتى ربي على التسعين من عمره :
وهي من (الوافر)^(٣) :

إذا كشف الزمان لك القناعا
ومد إليك صررف الدهر باعا
فلا تخش المنية والقينها
ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تخترف فراشا من حرير
ولا تبك المنازل والبقع
يقول لك الطبيب دواك عندي
إذا ما جس كفك والذراع
ولو عرف الطبيب دواء داء
يرد الموت ما قاسى النزاع
وفي يوم المصانع قد تركنا
لنا بفعلنا خيراً مشاعا
أقمنا بالذوايل سوق حرب
وصيرنا النفوس لها متعا

(١) حرية أي حربية

(٢) سلطانا أي سيطرنا وغلبتنا .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠ .

حصاني كان دلال المنايا
فخاض غمارها وشرى وباعها
وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي رأس من يشكو الصداها
العبء الذي خُبرت عنه
وقد عاينتني فدع السماها
ولو أرسلت رمحي مع جبان
لكان بهيبتتي يلقي السباعا
ملأت الأرض خوفاً من حسامي
وخصمي لم يجد فيها إتساعا
إذا الأبطال فرت خسوف بأسي
تري الأقطار باعاً أو ذراعاً

وكما أسلفنا لقول، فإن تعني عترة مكارم الأخلاق لا يكاد بكف أو يترقف. وليست هذه لدرسة عن عشرة خاصة، فذلك موقع آخر إن شاء الله. ولكننا وددنا أن نضم صوت أبي أستاذنا عبد الله الطيب في تقديم عترة على الكثير من أصحاب المعينات، إن لم يقدمه عليهم جميعاً لأنه صاحب اللواء ليس فقط في جزالة الألفاظ. ولكن أيضاً في رفع راية مكارم الأخلاق والتغني بها.

النبي (صلى الله عليه وسلم) يذكر عترة،
روت عائشة (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) أن النبي 'صلى الله عليه وسلم' أشد قول عترة.
ولقد أبى بيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كرم المأكَل

وقال :

"ما وُصف لي أعرابي قط، فأحببت أن أراه إلا عترة"^(١).

ولهذه لأسباب، فإننا نتفق مع ابن الأثير. ومع أستاذنا المرحوم عبد الله طيب، في أن عترة يستحق موقعاً عالٍ بين شعراء المعلقين، ليس فقط لأنه لأكثر تعباً مكارم

(١) ديوان عترة شرح القبريزي ص ٢٢٧ الناشر دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٤م

لأخلاق، وبالتالي أكثر تمثيلاً لميثاق الشرف العربي، الذي خرقه أمرؤ القيس، وسبب ذلك خلفه أبوه الملك الكندي وكذلك المجتمع العربي كله. . فأصبح يلقب "بالملك الطريد" و "الملك الضليل" ولم يشفع له سبه الشريف ولا مكنته الملكية كواحد من أشعر أولاد معدوية بن حجر الكندي. بل ومن أحسن شعراء المعلقات شاعرية وموهبة. .

يُقدم أمرؤ القيس على أنه الأكثر سعة في اللغة والأقدر شاعرية في غرض الشعر - المتصلة بالوصف. . وبالعزل وحتى أكثر قدرة على البكاء في الأطلال. . فقد انتكر مثل هذ السكاء عني الأطلال "ابن حزام". . ولكن عنترة لا يقل شاعرية عن أمرؤ القيس، خصوصاً في العزل العذري العميق وكذلك في التغني بالشجاعة والكرم ولتعي بمكرم والحكم والأمثال والصبر على مكاره الحياة خاصة الظلم والابتلاء والعنصرية لني عني منها كثير وبدرغم من موقعه الاجتماعي المتدني في عيون العرب الجاهليين الذين كانوا عنصريين إلى أقصى حد - ولم يشمع لعنترة أنه لابن الطبيعي لوالده شداد! وكذلك لم يشفع له شجاعته وكرم نفسه ودوره الفعال في الدفاع عن دماء وأموال قومه من عبس، إلا أنه لم يفقد نبلة ولا علو نفسه. . بل ظل يدين لأبيه وحتى عمه الظالم 'مالك' وال "عيلة" وظل يفتخر بهم على ظلمهم وعدوانهم عليه:

يقول عنترة يفتخر بقومه من آل عبس، رغم إنكارهم حقه في الانتساب إليهم و الزواج من ابنة عمه مالك "عيلة" التي يحبها كل الحب^(١).

ولا عاش إلا من يصاحب فتية

غطاريف لا يعنيههم النخس والسعد

إذا طولبوا يوماً إلى الغزو شَمُّروا

وإن تُدبوا يوماً إلى غارة جدوا

ألا ليت شعري هل تبلغني المنى

وتلقى بي الأعداء سابعة تغدوا

وتصبحني من آل عبس عصابة

لها شرف بين القبائل يمتد

بهاليل مثل الأسد في كل موطن

كأن دم الأعداء في فمهم شهد

(١) ديوان عنترة - شرح التبريزي، ص ٥٥ .

وقال يعاتب قومه^(١) :

إذا فاض دمعي واستهل على خدي
وجاذبني شوقي إلى العلم السعدي
أذكر قومي ظلمهم لي وبغيهم
وقلة إنصافي على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً
فلما تنأى مجدهم هدموا مجدي
يعيبون لوني بالسواد وإنما
فعالهم بالخبيث أسود من جلدي
فوا ذلّ جيرانني إذا غبت عنهم
وطال المدى ماذا يلاقون من بعدي
وقال عنترة في قصيدة أخرى^(٢) :

إذ الريح هبت من ربى العلم السعد
طفأ بردها حر الصبابة والوجد
وذكرني قوماً حفظت عهدهم
فما عرفوا قدري ولا حفظوا عهدي
ولو لا فتاة في الخيام مقيمة
لما اخترت قرب الدار يوماً على البعد
فهل تسمع الأيام يا ابنه مالك
بوصل يداوي القلب من ألم الصد
ساحلهم عن قومي ولو سفكوا دمي
واجرع فيك الصبر دون الملا وحدي

ويقول عنترة في قصيدة أخرى يفتخر بقومه ويشيد بهم يعوّل : " نه در سي عبس^(٣)

(١) ديوان عنترة، شرح التبريزي، ص ٥٩ .

(٢) ديوان عنترة ص ٦١ .

(٣) ديوان عنترة، تقديم وشرح وتعليق د محمد محمود، دار الفكر السناني بيروت ١٩٩٦ (الطبعة الأولى) .

يا عجل قرى بوادي الرمل آمنة
 من العداة وإن خوّفت لا تخفي
 فدون بيتك أسد في أناملها
 بيضٌ تقدُّ أعالي البيض والحجف
 لله در بني عبس لقد بلغوا
 كل الفخار ونالوا غاية الشرف
 وفي قصيدة بعنوان "ابنة السادات" (١) :
 عذابك يا ابنة السادات سهل
 وجور أبيك انصاف وعدل
 فجوروا واطلبوا قتلي وظلمي
 وتعذّبي فإني لا أمل
 فلا أسلو ولا أشفي الأعداي
 فساداتي لهم فخر وفرض
 أناس أنزلونا في مكان
 من العلياء فوق النجم يعلو
 إذا جاروا عدلنا في هواهم
 وإن غرروا لعجزتهم نذل

ومثل هذا الشعر كثير عند (عنترة) وهو يدل على نبى رفيع ، وكرم رائد وسماحة عس
 نادرة تصير على لظلم وتعفوا على المسيء . مهما تمدى في الظلم والجور وعلى حرمانه
 من حبيبته عبلة التي تدله حب وحب وعشق بعشق . وهي بعد كانت أمة عمه لا يفصلهما
 شيء سوى سود جلده . برغم فروسية "عنترة" ودوره المهم في الدفاع عن قومه
 وعشيرته !! غير أن تسامح "عنترة" مع أبيه شداد وعمه مالك لم يمنعه من الاستمسك بعرة
 نفسه وأنه يشعر بقدره الرفيع وأنه فارس ذو ولؤلؤة نادرة ، لا يعيرها في ذلك سواد لوبه
 لأن اللؤلؤة لا يعيبها أنها مستورة :

وإن يعيبوا سواداً قد كُسيّت به
 فالدر يستتره ثوب من الصدف

(١) المرجع السابق ص ١٢٣ .

فذل عترة لقومه ليس من باب الانكسار أو الخضوع للباطل والذل والتعاني والعصرية . ولكنه أمر يدل على حبه الكبير لقومه . لأنهم أيضاً قوم "عنة" وهي بالنسبة له احياة كلها، والدنيا كلها، والسر والأمل والشوق والصبابة . فهي عيونه وقلبه ونفسه ذاتها فليس هو بمعزل من قومه . فقومه هم نفسه ووجد نه، ولا يمكن للإنسان أن يكره نفسه أو يدينها أو يستنكف عن حبه وتقديرها والمحاربها!!

مهما يكن من شيء، فإن عترة في وجد ن عبدالله الطيب ولا عجب . لانه يستحق التقدير والمحبة وعبدالله الطيب ليس بدعا في ذلك، فكل السودانيين يحون عترة ويتغنون بقصائده في كل المناسبات، فعترة في دم كل سوداني . وهو في وجدان كل كريم يعشق لعدالة والانصاف ويقدر الرجال الأبطال من أمثال عترة . وعترة . . كان في بيت آل إمام منذ أن تفتحت عيوننا على الدنيا، وعلى أنغام الشعر العربي الرفيع . فالوالد - رحمة الله عليه - وكذلك العم مبارك إمام . والأستاذ محمد أحمد عثمان النعيمة خالي والذ زوجتي د . مزاهر كلهم يحفظون أشعار عترة وقصائده البديعة .

ولقد حفظنا لكثير من تلك القصائد من كثرة سماعنا لها من الوالد، خاصة قصائده الرائعة :

- معلقته الرائعة

- حكم سيفك في رقاب العذل

- وفي يوم المصانع .

والسودانيون يحبون عترة ليس فقط لأنه أسود اللون مثلهم . . ولكن لأنه شاعر مدع ويصل أروع . . وفارس شجاع . . هو أبو الفوارس . وهو بعد ذلك تعرض لطم فدح وجور وإكثار وحرمان لا يستحقه من كن مثله عشقا وصبابة وإقدام وشجاعة . وذلك النبل الرفيع . . وتلك الشاعرية النادرة . . وكذلك التغني بمكارم الأخلاق والدفع عنها وحفظ الموثيق والعهود والصفح . والعفو عن المسيء وعن المذنب . -- وهم يتعاطفون معه لأنه عانى الإزدراء والتهميش والحرمان والعنصرية بلا أدنى مبرر سوى أنه أسود اللون . وهذا شيء مرفوض عند كل كريم وعند كل إنسان ذي وجدان إنساني رفيع .

عبدالله الطيب ولييد العامري:

من شعراء الآخرين الذين طالع شدا عبدالله لطيب بأشعارهم وهم كثيرون نذكر منهم
لا على سبيل الحصر:

١- لييد العامري

٢- ذا الرمة

٣- الشنقري

٤- أبا العلاء المعري

٥- أبا الطيب المتنبّي

٦- البحتري

٧- أبا تمام

وفي الواقع ، فإن عبدالله الطيب لم يترك شاعراً من شعراء الجاهلية أو الاسلام لا وذكره في موضع من مواضع ' المرشد ' وذلك في معرض الحديث عن قو في الشعر وأوزانه ، أو عن أجراس القافية : صيغتها وبيئتها . ولم يترك في ذلك شاردة أو واردة إلا ألم بها .

أما لييد ، فعبدالله مُعجِب به إلى الدرجة التي جعله فيها أصلاً لشعر من أعظم شعراء القرنجة ، الا وهو أس تي . إنيوت (S. T. Eliot) . شاعر الملحمة المشهورة " الأرض المتفجرة أو لأرض اليبس ' The Wasteland . وكذلك فهو يعتقد أن الكثير من شعراء الإنجيل خاصة ، أخذوا من الشعر العربي وخاصة من دي الرمة (إلى جانب لييد) ، وأني الطيب و المعري وأبي تمام . والبحتري . ولا يخفي عبدالله اعجابه لشعر لعشرة الطوال التي تعتبر قمة الشعر العربي ، خاصة أمرؤ القيس وعنترة ولييد وزهير بن أبي سلمى وكذلك 'شعري و تأبط شراً . أما شعراء الإسلام ، فلم يكن يترك منهم أحداً إلا واستشهد به في درسته عن النظم العربي في الشعر وفي الأوزان والبحور التي جاء بها لخليل بن أحمد ابن هشام أو غيرها ، سلمها ومعينها ! وكذلك أجراس الألفاظ وصيغتها وبيئتها ومذاهب الشعراء في ذلك في الإسلام وفي الجاهلية .

المرشد إلى فهم أشعار العرب :

ولقد أسلفت القول - قبل هذا الموضع أن عبدالله لطيب ، يتناول أشعار العرب في

"المُرشد" لا من حيث شرح المعاني والألفاظ، وبيان الدلالات والفحوى من حيث صحتها بعادات العرب وتقاليدهم ومواهبهم في العيش والفكر والعقائد والأسبب و لتأريخ . ولكنه يتناولها من حيث نظرية النظم أو النغم المتظم، وهذه هي دراسة بحور الشعر العربي وأوراده أو ما يسمى (بالعروض)، وكذلك من حيث أجراس الكلمات أي الصيغة والتبيان . . . وقلنا إن الذي لا يلم بعلم (العروض) أو علم القو في سوف يلاقي صعوبة كبيرة جداً في الاطلاع على كتاب (المُرشد). وفي الواقع، فإن معظم دارسي العربية ليس أطلعوا على (المُرشد) قد اشتكوا من وعورة هذا الكتاب وصعوبة دراسته وأنهم يلاقون في ذلك الأهوال. وزاد الأمر صعوبة ووعورة أسلوب عبد الله الطيب وسعة إطلاعه على مذاهب شعراء العربية، المشهورين منهم والمغمورين وسرعة انتقل قريحته الشديدة الدكاء، السريعة الإيقاع والتقلب، فهو لا يكاد يتوقف ليشرح أو يبين. بل هو في بعض الأحيان وهو يناقش بحر من بحور الشعر أو عيأ من عيوب القافية أو محسنها يكتب بالقاء إشارة عابرة. كلمة أو كلمتين وتعنيق هنا وهناك وشيء من الاستحسان أو الاستهجان ثم يمر بعد ذلك مرور الكرام. . . !!

ويترك القارئ في حيرة معتاصة وفي وحشة شديدة لا يدري أين يستمر في القراءة أو يتوقف. وفي كثير من الأحيان يضطر إلى الرجوع إلى أول الباب أو الفصل أو المبحث ليلتقط اخبل من أوله. . . حبل الفكرة 'العبيدية' نسبة إلى عبد الله الطيب. . . وفي النهاية يوطئ النفس على طريقة عبد الله الطيب وفي أنه يسير ولا يبالى وكأنه يتحدث إلى النفس بطريقة المنولوج. . .

ولقد عانيت منه هذه الطريقة، عندما كنت طالباً معه في كلية الآداب في عام ١٩٦٢م وبالرغم من أنني كنت من الطلاب الأوائل (البرنجيين) فقد كنت أول الأمر أعاني صعوبة كبيرة في متابعة الكم الهائل من الشعر العربي، وخاصة الجاهلي ذي الألفاظ الوعرة الشادة التي لم تعد متداولة في اللغة العربية المعاصرة. . . ولا حتى في القرآن الكريم أو كتب السير والفقه في العربية وغيرها من العلوم العربية الكلاسيكية. وعبد الله الطيب يطر عيوننا المعتاصة (من عويص) المتحيرة ولكنه لا يفعل شيئاً. . . بل هو يستمر في دفعه للغوي وفي تدفق استشهاده بالشعراء العرب من الجاهليين أو الإسلاميين في عجلة شديدة وسيلان دائم.

و كنت في بعض الأحيان أذهب له في المكتب، وأحاول أن استوضحه بعض الأمور

والاشكالات فيد بالشرح أصعب من المسؤول عنه فيدركني الاستحياء وأنظهر أنني قد فهمت شيئاً. حتى لا يظني من الأغبياء ولقد سامى عدي لشعور بعد ذلك أن عبد الله الطيب ربما كان يعتمد الاغراب والوعورة حتى بطل بعيداً عن وعن قدرته على (المنافسة) والتساؤل... حتى لا نظل يوماً أننا يمكن أن نكون قريباً منه في الفهم أو التحصيل أو الإبداع. فهو فريد زمامه ووحيد أيامه ولقد قويت تلك القناعة على الأيام. خصوصاً كان يصاعد في المستويات ويركض إلى أعلى في المنعرج العلوية والإدراكية. عندما يكون غير مرتاح 'من حائبي أو 'غير سعيد' من صراحتي... واني في بعض الأحيان أجعل 'البساط أحمدنيا' معه كما يقولون، فكان يعاقبني على ذلك بالتعالي المنعرجي وبالصعود إلى عرائب المعاني وعريبتها... كما كان يراد في سرعة التدفق بالاستشهاد بشعر أكثر صعوبة ووعورة عن الشعر الذي كنت أسأل عنه وعندما تفرغت لدراسة "المُرشد" اجتمع عدي وتوفر لي مزيد من الفهم لعقيدة عبد الله الطيب ولطريقته في تدريس الشعر العربي وفي تدوله على السواء... وهو نفسه يبين ذلك في خطبة كتابه (المُرشد).

يقول عبد الله الطيب في ذلك:

'والكتاب ككل مبني على فكرة بسيطة، وهي أن الشعر لعربي يقوم على الأركان الآتية: النظم. واجرس اللفظي. والصياغة. ثم إلقاء الكلام على صور خاصة من الأداء...'

(أ) النظم. وهو يتناول (١) البحر (٢) القافية:

وبحور الشعر العربي التي جاء بها الخليل بن أحمد لفراهمي، ثم حاول من جاء بعده ابتكار أوزن جديدة ومستحدثة. وهذه البحور هي التفاعيل أو التفعيلات. وعبد الله الطيب مفتون بهذه البحور ومسحور بها أو قل هو معجون بها أيما جوار. وما كتابه إلا دليل واضح على مدى تعلق عبد الله الطيب بهذه التفعيلات... فهو ببساطة مفتون بها ومسحور... يعرفها كما لم يعرفها أحد من علماء الشعر العربي سليمها ومعيبها. محاسنها وما يقصر منها عن الأداء الكامل للقريض وللإيقاع الكامل فيرتد إلى شيء من الأوجيز أو البحور الناقصة النغم. وهو يستشهد على ذلك من وقع قصائد شعراء العرب من الأحمليين ومن الإسلاميين ولا يترك شيئاً يفوته ولا شاردة ولا واردة. حتى يعجز الإنسان من محاراته ويعجب أين نحصل عبد الله الطيب على كل ذلك

(ب) الجرس اللفظي :

فاللفظ هو أداة البيان ووسيلته وفي ضروب من الجنس ، والطباق ، ومن السجع والترصيع والتقسيم " والمعنى قرين اللفظ . وذلك أن اللفظ من أجل المعنى أصبه استعماله ، وإن شئت فقل اللفظ شكل ، والمعنى مضمون^(١) والمعنى منه :

* مباشر مكافح : كقول (عمرو بن كلثوم) :

إلا لا يجهلن أحداً عليها

فنجهل فوق جهل الجاهلين

" نجهل أي نغضب ونحامي . . "

* ومنه مبطن يفهم من السياق : كقول (عترة) :

نبئتُ عمراً غير شاكر نعمتي

والكفرُ مخبئةٌ لنفس المنعم

* ومنه ما يكون جارياً على الحقيقة ، كقول (زهير) :

من يلق يوماً على علاته هرماً

يلق السحابة منه والندى خُلُقاً

* ومنه ما يكون جارياً على المجاز ، كقول (طرفة بن العبد)

وفي الحي أحوى ينفضُ المرءُ شادن

مظاهر ممطى لؤلؤ وزبرجد

* ومنه الجزئي ومنه الكلبي :

* ومنه الإيحاء (وبعض الإيحاء ضرب من المحاز) كقول (جعفر بن غلثة الحارثي) :

فؤادي مع الركب اليمانيين مُصعدٌ

جنيب وجثمانني بمكة موثق

* ومن الإيحاء محض ، كقول (زهير) :

قامت تراءى بذني ضال لتحزني

ولا محالة أن يشتاق من عشقنا

* ومنه لكناية القرية والكنية البعيدة : أما الكنية القريبة فكقول (الخنساء) :

(١) "المُرشد" الجزء الرابع (القسم الأول) ص ٦٨ .

طويل النجاد رفيع العماد

سَاد عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا

* أم الكناية البعيدة، كقول لحرث بن خالد المخزومي :

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَمَّا بَيْنَ مَنْزِلِ

فَالْأَقْحَوَانَةُ مَنَا مَنْزِلَ قَمْنِ

* يَمُونُونَ (يقول عبدالله الطيب) انهم يقصدون عائشة بنت طلحة وكانت من الحميلات الباهرات الجمال :

* ومنه الكناية التي هي رمز : (كقول عمرو بن قميئة) :

قَدْ سَأَلْتَنِي بِنْتَ عَمْرٍو عَنْ

الْأَرْضِ الَّتِي تَنْكَرُ أَعْلَامُهَا

قَالُوا عَنِي نَفْسُهُ بِقَوْلِهِ "بِنْتَ عَمْرٍو" يقول عبدالله الطيب :

* إذن من المعنى الرمز وهو قريب العلة بالكناية

ومن الرمز قول (زهير) :

وَقَالَ الْغَوَانِي إِنَّمَا أَنْتَ عَمْنَا

وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نَزَائِلَهُ

لَمْ يَطْلُلْ بِالْجَنْزِ عَافَ مَنَازِلَهُ

عَفَا الرِّسَ مِنْهُ فَالرِّسَيسُ فَعَاقِلَهُ

يقول عبدالله الطيب^(١) :

'فعى نفسه (يعني زهير) وزمان شبابه بهذا الطلل كم ترى ، ولا أحسب الررس والرسيس وعاقلاً ، على ما يظهر أنهم من أسماء مواضع ، يحلون من دلالة رمزية معوية ، ومن معاني الررس والرسيس الحُمَى : وقد يشبه بها بعض ما يعرض من حالات الحب " .

ومن المعنى ما يكون سهلاً بسيطاً كقول المرقش :

سَرَى لَيْلًا خَيَالًا مِنْ سَلِيمِي

فَأَرْقَنِي وَأَصْحَابِي هَجُودِ

(ج) الصبغة :

بدخل تحت الصبغة (١) اللون (٢) اللفظ (٣) والمعنى (٤) وطريقة التأليف .

(١) المرشد "الحزء الرابع - القسم الاول .

والوزن قائم بذاته وهو أي الوزن والايقاع خاصة الشعر الأول وهو قائم بذاته ولكن لا يمكن فصله عن الصياغة وقد تم مناقشته في موضوع النظم . " البحور والقوافي " وأما اللفظ والمعنى فقد تم مناقشتها أعلاه
بقي لنا لتأليف وهو يتعلق بتركيب الألفاظ لتؤدي المعاني وتقوم بمهمة اليبان والأداء اللغوي .

(د) أما البيان فذلك هو الأداء اللغوي . وتدخل فيه الصياغة بطرف وكذلك سلاعة أساسيتها البديعة والمتنوعة في هذه اللغة العجيبة الواسعة الحميلة . والبيان والنقصة تقود إلى الحجاج المبين .

كما تقود إلى التعبير الجميل الشعري عن أوسع معاني الحياة ومظهرها وياتها وبذائع لصنع وإبداع والتدبير الإلهي فيها . كما تعتر للغة من أوسع جيشان المعاني في النفس الإنسانية . معاني الحياة وأغانيها ومحاويلها وأمالها والامها وشكياتها وما أكثرها . كما تعبر عن سوقها للجمال والكمال والخير والحق والعدل ! إضافة إلى حديثها مع الكون وحالت الكون وما حوى الكون من أشياء وفكر وعلاقاتها " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " !

كما أن البيان والأداء اللغوي لا يتفصل عن الصياغة كما أسما ، فالصياغة اللغوية هي أوسع مواعين البيان .

المطالع والمقاطع في الصياغة العربية:

* مطالع . للشعراء العرب ، منذ الجاهلية ، مطالع بديعة يستهلون بها قصائدهم وهي لسان لحال حياتهم ووجدانهم . وأشواقهم وصواباتهم ولهم فيها الكثير من الأعرض الدقيقة الجليلة ، كما بين عبدالله الطيب في (المرشد)^(١) .

والمطلع هو أول القصيدة ، ومنذ أمرؤ القيس (وقبله ابن خدامة) درج الشعراء الجاهليون - وتبعهم في ذلك الشعراء في العصور الإسلامية وسائر العصور إلى يومنا - استهلال القصيدة بالسب أو الغزل في النساء وجمالهن . وأول هذا الغزل هو البكاء على الأطلال ، وكذلك سميت هذه المطالع بالمطالع للظلية . وللمطلع وكذلك لمقطع بالطبع

(١) المرشد الجزء الرابع القسم الأول ص ٩٥ . طبعة جامعة الخرطوم ١٩٩٢

صلة قوية: صلة عصبية تأليف الفصائد. والمطلع يراد به التنبيه لما يحكي من أعرص
القصيدة وهو قرع قوي للاسماع لكي ترهف لسمع وتنبه اذهن لكي يحضر ويتوحد.
وهذا ابن رشيق - في باب عمل الشعر وشحن الفريضة. إن الشاعر اذا وفق في مطلع
القصيدة " فقد ولح من ابواب، ووضع رجله على الركب " (١)
* والمطالع قد تبدو متشابهة، ولكنها عند تدقيق النظر على العارفين، خد مختلفة
يا دار مية بالعليا والسند

أقوت ودام عليها سالف الزمن
يا دار مية بين الحزن والجرد

يا دار عسيلة بالجواء تكلمي

يا دار سلمى بعيداً ما أكلفها

وعبدالله الطيب يرى، كما ذهب إلى ذلك ابن رشيق في لعمدة - حاكياً عن الحاقمي أنه
قال: ' من حكم النسب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجة كما بعده من مدح أو
دم، متصلاً به، غير مفصل عنه: فإن لقصيدة، مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض
أعضائها ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر باينه في صحة التركيب، عذر بالحسه
عادة تتحول محاسنه، وتعفي معالم جماله، ووجدت حدائق الشعراء، وأرباب الصناعة
من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحاة احتراماً يحميهم من شوائب لنقصان، يقف
بهم على محجة الإحسان!!

١ - والذبغة، عندما ذكر ' العيا ' و ' السد ' إما كان يريد الإشارة إلى سوء التماهم الذي
كان قائماً بينه وبين النعمان بن المنذر، ملك الحيرة!

٢ - وامرؤ القيس ظاهر من مطلع معلقته أنه يتغنى ويتروم بذكريات وأشجان من لماضي ما
زالت قوية حاضرة في نفسه تثير لاعم الذكرى وتأحج نيران الوجد والصبابة.

قفا نيك من ذكرى حبيب ومترل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(١) المصدر السابق، ص ٩٧.

٣- ومطلع معلقة (طرفه بن العمد) تشير إلى علاقة من الحب والوجد، أصبحت واهية
تلوح كبقية وشم على يد هيئتها ضعيفة غير واضحة تماماً ولكنها ما زالت موجودة على
آية حال:

لخولة أطلال ببرقة نهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

٤- ومطلع معلقة (زهير):

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلّم
وأدمنة مكان 'للأزمال' ويكسى بها عن 'الصعينة' وغرض الشاعر أصعدن يريد
إزالتها بإصلاح ذات البين.

٥- ومطلع معلقة 'عنترة' أن يحكي عن مكنونات صدره وقلبه في حبه لعيلة. وهو لا
يستطيع بها وصلاً عند ذلك بعد أن منعه ذلك أبوه وعمه، ورحلاً من الربيع حتى لا
يتشبث بها عنترة العبد فيمضحهم بين القبائل، وهو ابن عمها البطل "فب للنفق ويا
للعنصرية ويا للظلم... والقسوة"

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عيلة بالجواء تكلمي

وعمي صباحاً دار عيلة واسلمي

ومعقبة عنترة هي الرابعة عند ابن الأثيري، وإن كان يقدمه على لبيد لعمري، كما

أسلفنا القول!

٦- ومطلع معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا

ولا تبقي خمور الأندرينا

يريد بها أن يذكر ما كان منه وبين عمرو بن هند، من ترات وثارات وكيف أن عمرو بن
هند الملك قد حرق ميثق الشرف العربي عندما حاول الأساءة إلى أم عمرو وهم ضيوف
لده لأنه أمرهم بخدمة زوجته. وقد نال عمرو بن كلثوم ثأره قتل الملك عمرو بن هند حراً
الإهانة التي تلقاها منه، تمام كما فعل الملك عمر ملك الجعديين، عندما حرق حي إسماعيل

بشا ابن محمد علي باشا حاكم مصر - لأنه آساء إليه أمام قومه بقذف الغليون في وجهه !
والعرب هي هي لم تتغير :

وفي هذا الصدد قال امرؤ القيس - عندما نال ثأره من بني أسد :

فاليوم أشرب غير مستحقب

إثمًا من الله ولا واغل

٧- ومطلع معلقة الحارث بن حلزة :

أذنتنا ببينها أسماء

رب ثاو . . يمل منه الثواءُ

باطبع لا يمكن أن يكون مراده منها خبيثة ؛ فأسماء ليست خبيثة . لأنه لا يمكن خبيب

أن تمل ثواء خبيثته وإقامتها :

وأي مراده اصلاح ذات البين بين قومه وبين أخوانهم من بني تغلب . هو رد لصلح

وهم أرادوا الشتات والفراق :

أجمعوا أمرهم بليل فلما

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

من منادٍ ومن مسجيب ومن

تصهال خيل خلال ذاك رغاءُ

أيها الناطق المرقش عنا

عند عمرو وهبل لداك بقاءُ

لا تخلنا على غراتك إنا

قبل ما قد وشى بنا الأعداءُ

فبقينا على الشنائة تنمينا

حصون وعزة قعساءُ

٨- ومطلع معلقة ليبد بن ربيعة العامري :

عفت الديار محلها فمقامها

بمى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عرى رسمها

خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

دمن تجرم بعد عهد أنيسها
 حجج خلون حلالها وحرامها
 رزقت مرابع التجوم وصابها
 ودق الرواعد جودها فرهامها

مذكر "ليد" عفاء الديار ، ديار الحبيب وذلك أحزبه وأثار لأعج الذكرى وانصاة
 والنوح ولكن آثار الحبيب لم تعف كنيه فقد بقيت منه أثر خلقه ، لآثار القدماء في الكتب
 ثم ذكر الدمن ' كما فعل (رهير) دلالة على الضغينة . فكيف أنه من أسباب رحيل
 الحبيب ، وعما أديار وحول الوحوش فيها بدلاً من الحبيب لأنيس (فبا ليوحشة) .
 والفرق بين "ليد" و "زهير" أن زهيراً يتساءل وأما ليد فيتحسر ويتعذب صباه
 ووحيد وفي مطلع معلقة (ليد) شبه بمطلع الحارث بن حلزة
 أذنتنا بينهما أسماء

رب ثاو ميل منه الثواء
 إلا أن الفرق كما قال عبدالله الطيب - إن الخدر لا يبالي وهو غير مكترث ، فيما
 يبدو لفرق الحبيب ، وأين ذلك من رقة ليد وصفاء قلبه وحسن طويته .
 رب ثاو ميل منه الثواء

أم (ليد) ، فهو ، وإن كان موقفه موقف الند فبذا وصل الحبيب وصله أما إذا أصرم
 صرمة : ولكنه بعد ذلك إلى الوصال راغب وفيه طامع :
 فأقطع لبانة من تعرض وصله

ولشر وأصل خله صرامها
 وأحب المجامل بالجزيل وصرمه
 باق إذا ضلعت وزاغ قوامها

٩- وأما مطلع معلقة (الأعشى) :

ودع هريرة إن الركب ~~م~~رتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وتختلف هذه لمعلقة وهذا المطلع أن الأعشى يودع حبساً ما زال موجوداً حياً شخصاً .
 ولكنه قد أرمع الرحيل . ودنت ساعة ذلك لفراق المر الذي لا يطق مع محاولته أن يكون

مرحاً هرباً ربحاً لبخفي صديته ويظهر جلداً وصراً هو في لواقع سوء به غير صائق لذلك
الفراق المر . .

١٠ أحيراً وليس احراً، فسطر إلى مطلع معلقه 'عيد بن الأبرص'
أفسر من أهله ملحوب

فالقُطبيات فالذنوب

عهد بيت يكثر من تكراره والاستشهاد به عند الله الطيب في كل اجراء 'ارشيد' وهو
يورده كمثال لبعض عيوب القوافي عند جاهليين . ولا يسم من ذلك حتى يو شعراء
المعتدب السديعية التي هي قمة الشعر اجاهلي بلا منازع ألا وهو عيد بن الأبرص .
وهذا العيب يرد في معلقته ذاتها :

أفسر من أهله ملحوب

فالقُطبيات فالذنوب

أرض توارثها شعوب

وكل من حلها محروب

إما قتيل وإما هالك

والشبيب شين لمن يشبيب

عينك دمعها سرروب

كأن شأنيهمما شبيب

تصبو وأنى ذلك التصابي

أنى وقد رعت مشبيب

فعيد هنا يكي عفاء الديار في ملحوب "القُطبيات" و "الذنوب" ولكنه يعزو ذلك لا
إلى هجرة الاحباء ولا إلى عوامل لتعري في الطبيعة، ولكنه يعزوه إلى اختلاف ماكين
تلك الديار والذين توارثوها جيلاً بعد جيل ويسبب لحروب والبرعات العظيمة التي در
رحاها بينهم (أما هلك أو قتيل)!! . ثم هو بعد ذلك يكي نفسه واشتات ندى ونى ولى
يعود وأنه بعد ذلك أنى له يسي النفس بالدموع في عراه لصبايا والتصابي عليهن
وهو يحزن لذلك ويدرف عليه الدموع اسواحه التي هي اشبه في احداها من عييه
بالشعب من الوادي .

فهذه هي المعلقة العشر وهذه هي مطالعها النديعة . . عميقة متأملة رائعة . . وكن
عبدالله الطيب رحمه الله كعدته في الاستغراق والتوسع الذي ربما يريد أن يفهمه
رسالة إلى الطلاب ولقراء - كيف أن العربية واسعة سعة لا تعرف التوقف أو الانتهاء
وكانت سعة بلا حدود بل هي سعة لا متناهية . فالعربية تسع الكون وما وراء الكون ولكون
نفسه واسع : قال عز من قائل :

﴿والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون﴾ (الذاريات : ٤٧)

وقال عز وجل :

﴿خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾
(غافر : ٥٧)

وقال تعالى :

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه قسم لو تعلمون عظيم﴾ (الواقعة : ٧٥٠ - ٧٦)
وأخذ عبدالله الطيب - بعد العشر الطوا - يناقش موضوع مطالع عند غيرهم من
شعراء الجاهلية :

المسيب بن علي

شامة بن العدير (خال زهير بن أبي سمي ، ومنه تعلم زهير تحمير الشعر وتجريده)
ويقول عبدالله الطيب إن المحدثين من النقد كثيراً ما يجهلون معاني وإشارات مطالع
الجاهليين فدفعهم ذلك إلى اتهامهم بالسطحية والحسية ، وعدم اتوحد !!

مقاطع الشعر الجاهلي :

المقطع كما أسدنا لقول : هي خواتيم القصائد ، في مقابل الطوالع التي تقدم
الحديث عنها . وأمرها قريب من أمر المطالع ، ذلك أنه كما نلمس روعة المطلع نيقرع
لاسماع ويسه الأذهان لما هو قادم من أغراض القصيدة ومعانيها ومواضيعها ، كذلك
يلمس حسن المقاطع ليكون مؤدناً بالخواتيم ، كقول امرؤ القيس .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل

وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه

بمدرك أطراف الخطوب ولا ألي

فهذه هي آخر أبيات قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي :

ويقول عبدالله الطيب إن الصلتان العبدى قد أخذ من أبيات إمرؤ القيس أعلاه ، قوله .

تموت مع المرء حاجاته

وتبقى له حاجة ما يبقى

ومن المقاطع لبديعة ، في رأي عبدالله الطيب ، قول المثقب العبدى - في نوبته الشهيرة

البديعة :

ولا أدري إذ يمت أرضـــــــ

أريد الخير أيهما يليني

الخير الذي أنا أبتغيه

أم الشر الذي هو يبتغيني

ومطلع تلك البونية مطلع متميز جداً ، ويدل على كثير من 'غراض القصيدة' .

أفأطم قبل بينك متعيني

ومنعك ما سألت كأن تبيني

ولا تعدي مواعد كاذبات

تربها رياح الصيف دوني

فإنني لو تخالفني شمالي

خلافك ما وصلت بها يميني

إذن لقطعتُها ولقلت بيني

كذلك أجتوي من يجتويني

وواضح أن مطلع القصيدة التي يحذر المثقب العبدى فيها حبيبته فاضمة أنها إذا هي

أمعت في قضع وصاله ومنعه من لذت هذا الوصال ، فإنه لا يرى بأساً في أن تذهب

ونرحل وتعد عنه ، بإقامتها على الهجر والتمنع بالبين سواء سواء . . ثم يدلّف بعد ذلك

إلى مخاطبة صديقه عمرو :

إذا ما قسمت أرحلها بليل
 تأوه أهة الرجل الخــــزين
 إلى عمرو ومن عمرو أتتني
 أخي النجدات والحلم الرصين
 فإمّا أن تكون أخي بحق
 فأعرف منك غشي من سميني
 وإلا فاطرحني وأخذني
 عدواً أتقيك وتتقيتي
 ويصف عبدالله الطيب مقطع بولية المثقب العبدى بأنها خاتمة رائعة ومقطع بيل^١
 ومقطع معلقة عنترة، مقطع رهيب:
 ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
 للحسرب دائرة على إبنى ضمضم
 الشامي عرضي ولم أستمهما
 والناذرين إذا لقيتهما دمي
 إن يفعلًا فقد تركت أباهما
 جزر السباع وكل نسر قشعم

ومقطع معلقة (طرفة بن العبد):
 مستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
 ويأتيك بالأخبار من لم تُرود
 سيأتيك بالأخبار من لم تبع له
 بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
 "والبتات" هو زاد المسافر . (وتبع) هنا معناها "تشتري" .
 ويقول عبدالله الطيب أن لأبيات التالية ليست (لطرفة) ولكنها من قول (عدي بن
 يزيد) . وهما أشبه بحكمة زهير:
 لعمرك ما الأيام إلا معارة
 فما استطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وسل عن
قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي
ومقطع معلقة الأعشى :

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا
أو تنزلون فإننا معشر نُزلُ
قد تُخضبُ العير في مكنون فائله
وقد يشيط على أرماحنا البطل

"مكنون فائله " أي عرقه .
" ويشيط " أي يُضرج بدمائه !
ومقطع معلقة (لبيد) :

وهم السعاة إذا العشيرة أفضت
وهم فوارسها وهم حُكَّامُها
وهم ربيع للمجاور فيهم
والمُرملات إذا تطاول عامُها
وهم العشيرة أن يبطيء حاسدُ
أو أن يعيل مع العدو لثامُها

وَأَب (زهير بن أبي سلمى) فهو بحيد ختم قصائده ، ومقاصعه رائعة في رأي عبدالمه
الطيب :
فقلوه :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجة
وتغرس إلا في منتهى السحل
هو مقطع قصيدة (زهير) إلتي مطلعها :
صحا القلب عن سلمى
وقد كساد لا يسلمو

أما مقطعه :

لو نال حي من الدنيا بمجدهم
أفق السماء لنالت كفه الأفقا

يختم بها قصيدته في مدح هرم بن سنان :
وهي القصيدة التي مطلعها :
إن الخليط أجْدُ البين فأنفرقا
وعُلّق القلبُ من أسماء ما علقا
وأما مقطع معلقة زهير ، والتي مطلعها :
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحر ومائة الدراج فالمتلثم
مقطعها هو هذه الأبيات التي تذخر بالحكمة :
ومهما تكن عند امرئ من خليفة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وأعلم ما في اليوم وأسمه
لكنني عن علم ما في غدٍ عم
هذه الأبيات على ما فيها من حكمة لا تحلو من تشكك وتشاؤم ، لأنه لا يدري إذا
كان إتفاق لسلم الذي عقده لسدان ، سوف يستمر ولا يتعرض للنكوص والخيبة ، على
نحو ما فعل حصين بن ضمضم . وكذلك يروي الروزني - بعد البيتين أعلاه - هذه
الأبيات والتي لا تحلو من حكمة ظاهرة هي الأخرى .
وكائن ترى من صامت لك مُعجب
زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
سألنا فأعطينم وعدنا فعدتم
ومن يكثُر التسئال يوماً سيُحرم
وأما معلقة امرئ القيس ، فتكاد أن تكون بلا مقطع - يقول عبدالله الطيب - لأنها
ليست بدات إنتهاء واضح " . قال ابن الرشيقي (في العمدة) في أواخر باب المبدأ والخروج
والنهاية " ومن العرب من يختم القصيدة ، فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها رابعة مشتهية ،
ويبقى الكلام مستورا كأنه لم يعتمد جعله خاتمه . كل رغب في أخذ العفو ، وإسقط كلفة
ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر .

كأن السباع فيه غرقى غُدِيَّة

بأرجائه القصوى أنايش عُنصل

فلم يجعل لها قاعدة، كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها^(١).
هذه بعض المقاطع التي ستعرضها عبدالله الطيب، وهي غيضة من فيض ولكس مكتفي
بهذا القدر إذ أن هذه الدراسة ليست في نظريات عبدالله الطيب الأدبية، ولا دراسة في
مسائل (المُرشد) وما أكثرها وما أصعبها ولكننا فقط حاولت أن نعطي القارئ لمحة من طريقة
عبدالله الطيب في دراسة الشعر العربي من حيث أنه نظم وإيقاع وصناعة وبن!!

بحور الشعر العربي ومدى مواءمتها لأغراضه المختلفة:

يرى عبدالله الطيب رحمه الله، أن بحور الشعر العربي نشأت من واقع إيقاعات
الحياة، وأن أغراض الشعر المختلفة تناسبها بحور بعينها، ولقد استكرر هذا القول بعض
للس، فيما يبدو، وقالوا إن أي بحر من بحور الشعر (فلنقل الطويل أو البسيط) يمكن أن
نجد في نفس العرص. فالرثاء مثلاً يمكن أن نحده في الطويل أو البسيط وهكذا وهم
جرا. ولكن عبدالله الطيب يعارض ذلك بشدة:
يقول عبدالله الطيب^(٢) في ذلك:

"وقد يقول قائل: ما معنى قولك هذا؟ أتعني أن أغراض الشعر المختلفة تنصب بحوراً
بأعيانها، وتفر عن بحور بأعيانها؟! هذا عين الباطل! لسا نجد مرثي في الطويل، وأحر
في البسيط وأحر في المنسرح، وهلم جرا! لا يدل هذا على أن أي بحر من البحور يصلح
أن ينظم فيه لأي غرض من الأغراض الشعرية؟

وحوايي عن مثل هذا السؤال: بلى، كما يبدو ويظهر، ولكن كلا وألف كلا، لو تأمل
النقد ودقق وتعمق فاحتلاف أوزان لبحور نفسه، معناه أن أغراضاً مختلفة دعت إلى
ذلك. فقد كان أغنى بحر واحد أو وزن واحد".

وعبدالله الطيب محق فيما ذهب إليه. فلأعاني و لرقص لا يصلح لها بحر الطويل
مثلاً ولا الرجز يمكن أن يصلح للبكاء على الأطلال أو الوصف أو الفخر أو الهجاء!
ومهم يكن من شيء، فإن بحور الشعر في مجملها تعبر عن حياة العرب وعط

(١) "المُرشد" الجزء الرابع - المصم الأول ص (٤) طبعة جامعة الخرطوم.

(٢) المُرشد - الجزء الرابع - القسم الأول - ص ٩٣.

معيشتهم، وهم يترحلون في الصحراء ويعبدون الام السمر ومشقته في اراض صحروية قاحلة في معظمها، كم يقدسون معاناة الحياة كاملة من تروق، وبين، ولقاء، ووصل أو حروب متطاولة أم سلام وكر في مصارب قتلهم وما إلى ذلك، كم تعكس تلك البحور الشعرية وتلك الأوزان وتيرة الحياة وتقلب الأيام والسنين، ويعبر كذلك عن المصنوع والأفان وما في لصبيعة من أمطار وحيوان وأودية وحيران وما يصاحب ذلك من برق ورعد وطلام وإشراق وما بعشى تلك الفياهي من أفوام وقبتن، أصدقاء وأعداء، وما فيها من حن أو أمله وما يعتريها من قتل أو فتق أو إيء وحور . حياة مضطربة ومتغيرة، وكذلك هي حياة قليلة الموارد، ما عدا الحيون لأليف وحصة الإبل والحيل، ونقوم والعشيرة وهو أجمل ما فيها . وكذلك الواحات والأودية الخضراء . كل ذلك انعكس في بحور الشعر العربي، خاصة حركة الإبل وحركه لتقل والبين صباً لكلاً والماء والأمان من الغارات والثرات والكر والفر .

من هنا كانت الموسيقى والايقاع، عنصراً أساسية في الشعر العربي، ومن هنا كان مدخل عبد الله الطيب في (المشند) وكما ذكرنا، هو دراسة ظاهرة شعر العربي من حيث نهضم، وعمده لبحور وانغ في والأوزان . وأوزان لشعر العربي وموسيقاه أمرن .

- النغم المنتظم وهو التفعيلات

وحرس الألفاظ وهو ما يتصل بالمعاني وأساليب البلاغة والبيان والصياغة والأداء لغوي، كما فصلنا ذلك بإيجاز في الصفحات أعلاه .

وكذلك لا يفتأ عبدالله الطيب، وهو العربي الهوى، ونحب لأسلوب حياة لغوية . ما يفتأ يتغنى بالشعر العربي وينرم بما حدث به قراتع شعراء لغرب لبيديين . وما أكثرهم . ما روع ما قالوا وما عثروا عنه من اضطراب حياتهم وتياراتها الخارفة في أحياء كثيرة والهدنة المتألمة الشجية في أحياء كثيرة أخرى أيضاً . وواحد من وحوه إبداع عبدالله الطيب - وهي كثيرة - أنه ما ترك شعراً عربياً عرفه التاريخ وذكرته المصادر إلا سنشهد به ضمن آلاف الاستشهادات الشعرية التي سطرها في كتابه الأسطورة (المشند) . وكأنه قد عاش تلك الحقبة المتطاولة في كل أجزاء جريدة العرب منذ الأزل . وهو شهد لكل مجلس وكل متدى وسوق تليد أو الشعر، لا عجب أن الدارس (للمشند) على ما فيه من صعوبة ووعورة، لمتنحه أساس عجيب بالسحر والروعة والسكر . ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

"إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة".

وكثر استشهاد عبد الله من شعراء جاهلية هم أصحاب العشر الطول ودي الرمة
والشعري وتبط شراً والخنساء وسائر الصعاليك وعدد لا يحصى من شعراء الجاهلية.
أما من الإسلاميين، فهو الأكثر إعجاباً بأبي نعلاء المعري وشمسي، (أبي الطيب) وأبي
تمام والبحتري.

الفصل الخامس
عبدالله الطيب
وأبو العلاء المعري

الفصل الخامس عبدالله الطيب وأبو العلاء المعري

ليس أدل على إعجاب عبدالله الطيب بأبي العلاء المعري، من أنه كتب رسالته ليل الدكتوراه عنه كشاعر (Abu Al-Ala' as a Poet)، وكتب تلك الرسالة في لندن، مدرسة الدراسات الأفريقية والشرقية، بجامعة لندن (SAOS) وكان عبدالله نذاك في عصفوان اشبيب، وعنفوان قواه الذهبية والوحدانية، فتى جامعاً متفتحاً لقلب وحواس مستشرفاً كل آفاق المعجد والشهرة والمستقبل الزاهر الواعد.

وحال أن عبدالله انجذب إلى أبي العلاء لأنه شاعر محدود وفيلسوف وصاحب حكم وعبر ونجوة عميقة في الحبة... وصاحب أسى ووحدة، وأشواق م من سبيل إلى تحقيقها، لأنها أرفع من حياة الناس وما يعتورهم من نقص ومن أحقاد وصعائر وحسد... وهو كذلك ذو عقيدة فذة أثبت صحتها الناس إلا أن تنكرها وتهملها وتدرى بها وتعمد اضاعتها.

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كرهية وسداد ثغر

ولقد عانى عبدالله، كما عانى أبو العلاء المعري:

* عانى الوحدة والوحشة وفقد الأحباء. الألم ولأب والحد وخذة وعدد من شقيقاته وأشقائه في فتراب متقاربة من حياته، وعدا وحيدا أسيفاً أسيراً للوساوس ونهوا حس والصبايات والأسى.

* ثم عانى الغربة أولاً في الخرطوم.

غريب أنت في الخرطوم

لا دار ولا مــال..

كحال لدى يأتي إليها من الريف الشمالي فقيراً يتيم لا أهل له ولا أصحاب ولا جيران.

* رحل إلى العرب إلى لندن وهو شاب يدفع، غض شباب، طوي العود حصر لوجدان، رهيف حساس ذا عقل متوقد ووجدن مسعمر، وإحساس عميق بالحمل والكمال لبواجه التفرقة العنصرية لأول وهلة في حياته، وليواجه بالدرء والاحتقار

وانتوحس وهو العربي دي المجد والسؤدد. حفيد المحذوب العلماء لشعراء ذوي
الأصول العربية الياقة السامقة . .

فكنت غربة كثيرة ووحدة مركبة كثيفة . وعاش لمدة في حياته وهو "سير كهوف
هذه الغربة التي هي كالظلمات بعضها فوق، حتى إذا أخرج يده لم يكديرها وإذا ذهب
إلى السوق أو الحانة في لندن وكأنه الغراب لأحون، وسط الوجوه البيضاء التي تخترقه
اختراقاً . وهو يتلظى بسعير نيرانها الموجهة إليه؟
يقول من قصيدته "مزدوجة في نعت لندن"^(١):

في هول أرض صيفها شتاؤها
مليد بسحبها سماؤها
فسرت لا أعقل في الطريق
صفراً من العدو والصيد
ناء عن الأهل بعيد الدار
مستشعر الحيرة ذا أفكار
أفرق من شيء ومن لا شيء
لا أنا الجاني ولا البشري
أخاف أن تصدمني سيارة
فالمشي يحتاج إلى مهارة
أعطش لا أهدي إلى شراب
بين الوجوه البيض كالغراب
أسأل مرتاباً أتلك حانه
في بلد فصيح الرطانه
أختلس المدخل في المطاعم
خشية طرف عاذر أو لائم
وقد أضن ظر النواظر
أشد وقعاً من شبا البواتر

(١) أصدااء النيل، ص ١١٣ .

أخال كل موضع مشغولاً
 وكل أمرهين مهولاً
 وحادج بطرف من طرفه
 وياسم يشعـرنـي بعطفه
 وذات طفل أسكتت صغـيرها
 لما رأت من سـجنتي ديجـورها

فعبد لله الطيب، كأبي العلاء المعري، الذي وصف بأنه "رهين المحسين: العمى والمغنى لاخـتـياري" . . "المنأى والمنعزل"، وعبد الله الطيب، كالمعري تماماً، كرهاً لنفاق المنافقين، قائل الحسد وكشع العواذل والحساد، مرتاباً بهم متشككاً في ودهم وصدقتهم وهو - كالمعري تماماً - صاحب فلسفة ورؤية وتأمل . . وهو متفوق عبقرى مدع . ولكن لا أحد يقدر ذلك أو يعترف به أو يمتدحه :

إلى الخرطوم من بعد اغتراب
 وبعد بلى الشهى من الشباب
 وما الخرطوم داري غير أني
 غريب حينما حلت زكابي
 غريب في بلادي سوف يفنى
 غريباً في سباسبها سراي
 دفنت بها الحبيب من الأماني
 وباينت القريب من الصحاب
 وأواني الرضا في ستر بيتي
 من الأهواء والإحن الغضاب

فهو إذن في منفى اختياري، رهين ستر منزله وستر اماله التي خبت، وأمنه التي توارت بالحجاب وصحابه الذين باينهم في سراب الحية وسراب صحاريها اتحالة اخديية . كالمعري تماماً، الذي أوى إلى ركن شديد . . يحض اختياره ورض نفسه . فأصاف محبباً اصطاعياً إلى محسه الفطري من هنا جاء وصفه "رهين المحسين" ١
 وعبد الله لصيب مؤمن محب لله ورسوله، قوي العقيدة واثق الإيمان! عيـست له كعـريـات المعري ولا زندقياته . ولكن يؤخذ عليه شكوكه وريبته حول حركة الصحوة

الإسلامية، فقد ذم الأخوان المسلمين نفس القدر الذي ذم به الشيوعيين. لا فرق عنده بين
 حادويجان وعصبة باطية أو عصبة إيمانية وتعبير "عصبة باطية" أخذه من معري
 أو كما يقول هو نظر فيه إلى المعري نظراً شديداً.

كدئت يتردد عليه تعاضفه مع (محمود محمد طه) وأنه نظم قصيدة عصماء فقرأه بها
 رثاء زصب. وهو (أي محمود محمد طه) صاحب الطريقات الصوفية التي يرغم فيها أنه
 رسول رسالة ثانية وأنه عيسى رسول الله، بل وقد رعم في آخر أيامه أن ابنه قد جلى نه في
 مجمع النحوس في المقرن وحاطه وكلمه. ثم حل فيه حولاً تنبه بحلول حلال وعبره
 من علاء اباطية وصار النسوت لاهوت. أي صار محمود محمد طه للسان القاصي لها
 صمد سمرديا خالداً. وعلى ذمة المرحوم عبد الجبار المبارك الذي أخبرني أنه رآه ذات
 مرة، وكثيراً ما كان يروره ويتحاور معه - في منزله بالحارة الأولى في ثورة بدم درمن
 فوجدته قبل نعروب حائساً في الوسط وقد خلق به جيرانه رمزيوه وهريو سصره إلى
 السماء وهم يثيرون إليه ويقولون:

الله... الله... الله... الله... الله...

منها يكن من شيء فعند الله الطبيب ثم ينهمه أحد بترندقة وهو الذي فسر القرآن
 الكريم، كما ثم يفسره أحد. في سهوئة مداحله وحركة أسائيه. لذلك شغف به عامة
 السودايين وأحبوه حباً جم... حتى سار في حازنه أكثر من مائة ألف منهم عند تسييعه
 إلى مشواه الأخير... ألا رحمه الله رحمة واسعة.

* وعند الله الطبيب سمي ديوبه الأول، بمعنى ديوان الشباب سقط الربد متاعاً في ذلك
 أبا العلا المعري وناظراً إليه.

* كما حصه فصل خاص في كتابه "القصيدة المدحة بعوان ندرعيات" وشب أبي
 العلا بالمرور أمر عريب وربما يرمز الدرغ إلى ما تصعه من نفي حنبري طوعي
 يتقى فيه شرور الدس ويستر نفسه من أضغاثهم وأحقادهم

* لقد افترس المستشرقون بأبي العلا لدقة معانيه ووعورتها ولبله نحو التتلسف والترندقة
 ونظف في الإسلام وفي عقائد الإسلام في مرحلة من مراحل حياته ولكن هناك ما
 ندل على أنه تاب وثاب إلى إسلامه وبني رشده، في آخر حياته، كما هي عادة كثر من
 الأدباء والشعراء ولعلاسفة، عندما تتركهم الشيخوخة ونكهة، فنذهب عنهم

صلااتهم ، وتنفي عنهم صلاتهم فيثوبون إلى رشدهم ، ويظهر حكمتهم وتحذيرهم ،
وما ألهمتهم السنون والبلايا والمحن .

وقد كان أبو العلاء المعري شديد الثقة بنفسه يقارب في ذلك درجة الغرور والتعجب .
حتى أنه كان - كما كان أنا الطيب قبله - لا يمدح أحداً أو عظيم من لعظماء أو حذيفة من
الخلفاء ، لا يمدح نفسه أيضاً وذكر عمو مرتبه ، كما ذكر علو مراتبهم ؛ حتى لم يكن فوقه
إلا الخليفة فحسب ؛ وقد ذكر ذلك صريحاً ، حيث قال :

مهلاً أمير المؤمنين فإننا

في دوحه العلياء لا نتفرق

إلا الخلافه ميتزك فإنني

أنا عاطل منها وأنت مطوق

وكقوله في رثاء الصاحب :

قد كنت أمل أن أراك فأجبتني

فضلاً إذا غيّرني جنى إفضالاً

وفيد سمعك منطقي وخصائي

وتفيدني أيامك الاقبالا

وأبو العلاء يقول أنه سوف يحني فضلاً واحداً ، ولكن " لصاحب ' الأمر سوف

يسفيد منه أفضالا من سماع منطقته وسماع قصائده

ومثل عبدالله الطيب ، فالمعري يرى نفسه - على فصله وتعوقه وعبقريته - غريب في

وطنه :

أولوا الفضل في أوطانهم غرباء

تشذ وتنأى عنهم القسرياء

وأظرف لي هذا المعنى عند عبدالله الطيب في ' لا تأس ' (١) :

لا تأس فالناس أعداء اللبيب ولكم

قد أنذرتك فلم تحفل بها النذر

يا أيها الوطن الساعي تدفعه

كف الخيانة والأعداء والقدر

(١) أصدااء النيل، ص ٦٠ .

إني كمثلك أبغى النصر مجتهداً
وكيف بالنصر لا عون ولا وزرُ

وفي قصيدته 'شكوى وعتاب' ^(١) يقول عبدالله الطيب:

قد حَزَّ في النفس أني ليس يشكر لي
قومي بلاني وإبداعي وإحساني
أمسى ينوء بي من ليس من وطني
وبات يحسُدُّني أهلي وجيراني
ولم أرُ بينهم تيهاً ومفخرة
يأبى لي الفخر علمي ثم إيماني
وقد بلوتُ رجلاً قِيلَ أنهم
عند الخطوب ذوو رأي ورجحان
فلم أجد غير أشباح مخلقة
من الدناءة في مسلاخ إنسان
من أعجم النفس، فدم القلب ليس له
إذا بدا الحق صلتاً غير نُكران
وأخرين ضباع لا طباخ بها
أبناء كيدٍ ومكرٍ وإدهان

ويرى عبدالله الطيب، أن البيت الآتي للمعري لا يخلو من زبدقة:

وقد زُوِّجمت بالجيش رَضُوْى فلم تَبْلُ
ولزَّ برايات الخميس قُبَاءُ

ويتساءل عبدالله الطيب عن مغزى البيت أعلاه ويقول:

"هل صلح (أبو العلاء المعري) مع سفين ووحش في أحد".

ههنا أم صلح مع جيش مسمم بن عقبة. وهو - أي أبي العلاء - هي هذه القصيدة
قدرى موغل في الجبر وهو كافر في الإسلام.

(١) أصداء النيل، ص ٢٠٢.

إذا نزل المقـدار لم يك للقطا
نهوض ولا للمـخـدرات إباء
وفي الأبيات التي تظهر فيها "زندقة" أبي العلاء، قوله :
هفت الحنيفة والنصارى ما أهدت
ويهود حسارت والمجوس مظلة
أثنان أهل الأرض ذو عقل بلا
دين وأخسر دين لا عقل له
ومن أبياته "الكفرانية" أيضاً البيتان أدناه :
أتى عيسى فأبطل دين موسى
وجاء محمد بصلوات خمس
وقليل يجيء دين بعد هذا
فأودى الناس بين غدٍ وأمسٍ
ومنها أيضاً قوله :

جـائز أن يكون آدم هذا
قـبله آدم على إثر آدم
ومنها قوله :

ما الحج في رأي قوم لست أذكرهم
إلا بقـيـة أوثان وأنصاب
ويوجد أمثلة كثيرة مثل هذه الأقوال الكفرية المترددة في ديوان "لروم ما لا ينزّم"
وكذلك في كتابه "رسالة الغفران" !

أبو العلاء المعري وتقديم المستشرقين له :

من أجل ذلك أعجب بعض المستشرقين بأبي نعلاء ومنهم من قدمه في ترجمة ومكانة
على أبي الطيب المتنبي ومنهم (بيكلسون)، وهيئات هيئت أن يعلو أبو نعلاء على أبي
الطيب. ندي هو - من بعد إمريء القيس قد فخر لعربية أحد وأورب ومعاني هي من
العرائس لدرة حمالا وسحرا! . وهذا هو رأي أبي العلاء نفسه ، أنه لا يتفوق على أبي

الطيب وهو أبصاً رأي عبدالله الطيب ورأي كتب هذه النسطور . ألا رحمه الله أن العلأ،
المعري وغفر له زلاته وهفواته إنه غفور كريم يحب العفو !
يقول عبدالله الطيب (١) :

ونقد كار أبو العلأ ضحم الملكة ، عزيز لعلم ، عجيب اليبين وقد كان شديد التقديم
لأبي الطيب ، ولا أشك أنه كنت تدفعه إلى طلب التفوق عليه رغبات ، غير أنه كان عقل
من أن يخذع نفسه أو تخدعه بأنه سوف يُربى عليه . . .

ثم إن عبدالله الطيب تساءل عن الأسباب التي جعلته واخرين يقدمون على الطيب
المتنبي ، على أبي العلأ معري وهو من المدعين وقد تدون كل أغراض الشعر والأدب
لتي سولها أبو الطيب وزاد عليها ! فيقول إن هنالك عدة أسباب يتفوق بها أبو الطيب
المتنبي ، على أبي العلأ :

« أولاً ، معظم شعر أبي العلأ ما يذهب مذهب الفلسفة والفكر الرصين واحكمه ومثل
هذا الشعر كثيراً ما يكون خلباً من جمال الشعر ورونقه فينسده الناس ولا يترحمون به .
« وقد سبه أبو العلأ نفسه أن الشعر متى ما حمل على وجه الحق أدركه تضعف ، وإنما
نقوي الشعر بالباطل ، على حد تعبيره . ذكر هذا أبو العلأ في مقدمة ديوانه (الروم ما لا
يلزم) معتدراً أنه عم عسى أن يفقده القاريء فيه "أي ديوانه" من حمل شعر . وهذا
القول لا يخلو من صواب ولكن ليس حقاً باطلاً . من ذلك أشعار (زهير) :

من يوف لا يُذم ومن يهد قلبه

إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه

يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

ويقول (طرفة بن العبد) :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي

لكالطول المُرخي وثناياه باليسد

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) (المرشد) الجزء الرابع - القسم الأول ص ١٧٧ .

ويقول حبيب (أبو تمام):

إذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

❖ وشيأ، وأبو العلاء نفسه يقول عن نفسه أنه لم يعط لشعر انطلاقة النفس... بل كان حذراً مقيداً طواعية واختياراً:

خليلي لا يخفي إنحساري عن الصبا

فحلاً إساري قد أضربني الربط

ومهما يقل عن "كفريات: أبي العلاء المعري، فإن بعض الحملات عليه ربما كانت من قبل المناصرة والحساسية المفرطة بالمدس بالعقيدة الإسلامية، فيما يرى عبد الله النقيب. من هذا الباب دعوة أبي العلاء كبار لسن من النساء وكذلك العذارى مهبط الحج ليس فريضة عليهن. وهذا خطأ من قبل أبي العلاء. ولكنه - في رأي عبد الله النقيب - لا يتعدى مع لثناء من ريادة المسحود. فقول أبي العلاء المعري:

أقيمي لا أعد الحج فرضاً

على عَجَر النساء ولا لعذارى

ففي بطحاء مكة شر قوم

وليسوا بالحماة ولا الغيارى

تري أبناء شيبه سادنيها

إذا راحت لكعبتها الجمارى

قياماً يدفعون الناس شفعاً

إلى البيت الحرام وهم سكارى

وفي هذه الآيات يوضح أبو العلاء المعري لماذا يرى أن الحج ليس فرضاً على عَجَز النساء والعذارى منهن. لأن الحج ليس أمراً لطريق إليه ولا سادنيها من بني شيبه بأداء أو أكفاء في الحفاظ على الأمن والسلامة في وحول البيت الحرام الذي هم سادنيها!! مهم يكن من أمر كل ذلك، فأبو العلاء احتفظ بمكانة كبيرة في لأدب العربي. وحفظت عنه أشعار رائعة - ربما في الفترة الأخيرة من حياته - تدل على سلامة عقيدته في آخر أيامه:

يقول مخاطباً شاباً مسلماً (اسمه طارق) كان قد ارتد عن الإسلام:

عددت زماناً في السيوف وفي القنا
 فأصبحت في السهام الموارق
 وحسبك من عارٍ يُشب وقوده
 سجدك للصليبان في كل شارق
 تركت ضياء الشمس يهديك نورها
 وتبعث في الظلماء لمحة بارق
 ويحفظ للمعري كثير من اشعر الجميل لساحر، المنيء بحكمة والتأمل : وهو السب
 الذي جعل بعض المستشرقين يقدمونه حتى على النبيء .
 ومن هذا الشعر الجميل نورد بعض النماذج :
 وينشأ ناشيءُ الفتيان منا
 على ما كان عوده أبوه
 يقول في " درعياته " :

نحن إلى المكارم والمعالي
 ولا تثقل خطاك بعبء حنة
 يقول أبو العلاء تبريراً لعزلته الطوعية :
 ذريني وكتبي والرياض ووحدي
 أكون كوحشي بأحدى الأمالس
 يُسوّف أزهار الربيع تعلّة
 ويأمن في البیداء شر المجالس
 ويقول أيضاً تبريراً لعرضته عن معاده الحياة والكدر في سبيل العيش الكريم
 تعب هذه الحياة فما أعجب

إلا من راغب في إزدياد
 ويقول أبو العلاء المعري " يشير إلى قافية رؤية " :
 مالي غدوت ككاف رؤية فئدت
 في الدهر لم يُقدر لها أجزاءها
 ملّ المقام فكم أعاشر أمة
 أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وَعَدُوا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا
وقافية "رؤية" التي يشير إليها أبو العلاء هنا هي القصيدة التي مطلعها:
وقائم الأعماق خاوي المخترق
مشببة الأعلام لماع الخفق
تبدولنا أعلامه بعد الغرق

في قطع الآل وهبوات الدُّق

وهي على مذهب الحُداء، وآية ذلك أن هذا سيرٌ وانخراطٌ وهو الذي بدا فيه من دون
توطئة من سيب - أخذ في الخروج رأساً وأكتفى به، وذلك أنه إنما كان بعد حين فقد
مصاحبة الدَّو، ومعرض ذلك الخروج ووصف لسير وطبيعة الصحراء وحيوانها^(١).
والمعتنق هو المكان الذي تعتنق فيه أعلامُ الصحراء (جبلها) خارجة من قطع السراب
وتكسو دونها هبوات الدق من الغبار وفي وصف ناقته، يقول (رؤية):

تنشطته كل مغلاة الوهق

مضبورة قرواء هرجاب فُنُق

كأنها حقباء بلقاء الزلق

يصف ناقته بأنها "الحقباء" وهو الأتان الوحشية!

ويلاحظ كيف يولع (رؤية) بالكلمات الغريبة الوعرة الجرس الغليظة النبرة:

✻ المخترق

✻ الخفق

✻ هبوات

✻ الدُّق

✻ مغلاة الوهن

✻ مضبورة

✻ قرواء

✻ هرجاب

✻ فُنُق

(١) عبد الله الطيب - المرشد الجراء الرابع - القسم الأول، ص ٩٩٦.

✽ حقباء

✽ بلقاء

✽ الزلق

وعند نله الطيب أيضاً معجب بالألفاظ العربية . وهو يرى أن في ذلك إثراء للغة العربية كما ينبغي لها أن تكون ، كونها أغنى لغات الأرض كلمات ومفردات . فلماذا نتكس إلى التعابير سطحية الفقيرة في تنويع الألفاظ الشحيحة في تشكيل المعاني البديعة . . . ودلت عند نله الطيب يعن في استعمال الألفاظ الغريبة على عمد وقصد . . . !!

لا عرو أن يُعجب كل من أبو العلاء المعري وعبدالله الطيب (برؤية) وبدر حيزه .
وعبدالله الطيب يورد أرجوزتين (لرؤية) في كتابه "المصيدة المدحة" (١)
و(رؤية) هذا من شعراء العصر الأموي . وقد مدح في أرجوزته الثانية - مسلمة بن
عبد الملك بن مروان .

- أرجوزة (رؤية) في وصف المقارة والسرب والتي مطبعتها :

١- وبلد عامية أعماءه

كأن لون أرضه سماءه

٢- أيها من جوز الفلاة ماءه

يحسر طرف عينه فضاءه

٣- هابي العشى ديسق ضحاؤه

إذا السراب انتسجت إضاءه

٤- أو هجن عنه عريت أمراؤه

واجتاب قَيْظاً يلتظي التظاؤه

٥- ذا وهج يحيي الحسا أحماؤه

يبحث مكن الثرى ظبأؤه

٦- في كركب ملتهب صلاؤه

تقلص من مكنسه أفياءه

٧- في الظل حيث اصطفت أفياءه

من ظل أرطى خضل الأؤه

(١) عبدالله الطيب . المصيدة المدحة ص ١٤٨ نشر دار جامعة الخرطوم ١٩٧٣ .

معاني الكلمات في مطلع أرجوزة (رؤية) أعلاه :

- وبلد أي رب بلد

عامية أعماؤه أي خافية أرجؤه (عامية يعني ذات عمى ، وأعماؤه أي اعطاله ومراحيه)

- ايهاات يعني هيهات

- جوز يعني وسط

- الفلاة : الصحراء ، أي الماء بعيد من وسط صحرائه

- هابي العشى أي لونه مغبر في وقت العشى

- الديسق : أي الحوض الملائ ، الحلي من النقضة البضاء أو البياض

- ديسق صحاؤه أي شديد المعان عند ارتفاع النهار أو كثير السراب في هذا الوقت (عند

ارتفاع النهار)

- والضحاء يعني ارتفاع النهار

- اضاؤه جمع أضاة وهي الغدير .

ومعنى الآيات : أي إذا بد السراب وكثته عدران تهب عليها الريح وتسبح فوقها

الأمواج .

- ومجن أي تحركن كالموج (أي الغدران)

- عريت أعراؤه أي ظهرت فضائه والعراء هو الفضاء وأعراء جمع عراء . أي إذا

انتسجت عدران السراب أو تحركن كالموج انحسر السراب بعص جوانب الأرض العراء

فبدین منه عاريات منكشفات .

- اجتاب أي لبس حراً إذا نار ملتبهة

- يحمي الحصا أي يجعله حامياً لشدة حره

الثرى أي لثرب لاندی أي ظباءه تبحث عن التراب الندى المكنون في جوف الأرض

تقلص : أي تقلص وتنكمش أفياءه أي ظلاله عن مكس أو كداس لطبيعة أي بيئته

والمكن لذي تستريح فيه عند المقيبل . أي لتقلص ظلاله عن مكاس الطيب

اصطفقت : أي تحركت واصله من اصطدق الشجرة إذا هتزت أعضاؤها .

- الافاء : أي / النواحي أي أطلال أفدته أو طلال حوانه ونواص .

مهمم يكن من اعجاب إيي العلاء المعري وعبدالله الطيب (برؤية) فليس إلا لأنه - يمعن

في انتقاء كلمات جديدة ، وإن كانت مشتقة من كلمات عادية في بعض الأحيان وفي

أحيد أخرى فهو أي رؤية (وهو إسلامي) يعتمد إلى استعمال لفاظ غريبة حتى لتضنه جاهلياً لأول وهلة. والبديع فيه كيف يتفنن في وصف ظاهرة كظاهرة السراب لا يعرف معظم الناس أن يزلف سطرأ واحداً في وصفها، لأنه ظاهرة معتادة لبس فيها شيء من غرابة أو حادية. ولكن "رؤية" يجعل منها شيئاً عبقرياً لأنه متمكن من ناحية البيان ولأداء 'الغري' وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

"إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة".

نعود مرة أخرى إلى أشعر أبي العلاء، خاصة التي تتميز بالحكمة والعمسفة، إلى جانب الفصاحة والبيان المعجز الجميل.

ومن أعمال المعري المشهورة:

✽ نثر وميات: وهي أعمال شعرية وقصائد يغلب عليها ظاهرة التأمل وتعليل والتشاور.

✽ وسقط الزند: وهو ديوان الشبب ولا يحلو من ضلالات انشباب وأدب طيب وطشه

✽ وله الدرعيات

✽ وله أيضاً ملقى السبيل وما ألفه من الأغاز

✽ وله أيضاً ديوان بقل له (فيما رواه عبد الله الطيب) استغفر وا واستغفرى.

✽ وله الفصول والعيات: وهو كتب فلسفي راحر الأفكار والآراء.

نظريات عبد الله الطيب في تفسير ظاهرة الدرعيات عند المعري:

ولعبد الله الطيب ولع شديد بدرعيات المعري. وله فيها وقفات تأمل ونظر شديد وحق له ذلك. فما الذي يجعل "رهن المحسين" ولعاً بالدرع لهذا الحد؟ حتى أنه ليكتب فيها القصائد الطوار يعزل فيها وفي جمالها ويذكر فيها الكثير من مدله الضبيع (أي التي ضاعت وتبعثرت) ١٩٠.

ما هي المعاني التي كان هذا 'الرهين' يرها في الدروع؟!

(١) هل هي رموز للمناى والمتعل؟ وللسحن الاختياري الذي وضع نفسه فيه واحتمى

خلفه من شرور البشر وشرور مجالسهم ومخالطتهم؟

(٢) أم هي هذه الرهينة والتسك الذي أوى إليه كملجأ أمين من ببات أوى والصراع التي

كانت تتعقده تريد أن تفتك به وتقضي عليه قضاء مبرماً؟

(٣) ثم لماذا هذه القصص الخيالية التي يصطنعها ويتحور معها بكل الجدية والصرامة والاستغراق؟

(٤) ولماذا يصطنع في "درعياته" هذه اللغة الجميلة الرفيعة في الين والبلغة والصيغة؟ وإن كانت مرصعة بألفاظ هي في غاية الغرابة والوعورة أحياناً.

(٥) وماذا لا ينفك يذكر المرأة . ويحن إلى الغرام والصبابة من طرف حفي . . وقد عرم على الرهنة والتسك وعدم الزواج محافة الإيجاب . . الذي يعده جبايه وثماً على الولد والذرية؟!

(٦) ولماذا يفتحص أن الأولاد سوف يكونون عطلاً من كل إبداع وعبقريه أو نفع للإنسانية والبرية؟ ألم يكن هو نفسه عبقرياً مبدعاً؟

(٧) كل هذه الأسئلة أو معظمها طرحها عبدالله الطيب في مقالته الحيد عن "الدرعيات" في كتبه البديع "القصيدة المادحة ومقالات أخرى" الذي أشرنا إليه الذي يهتما هنا هو استعرص أهم النظريات والتفسيرات التي قال بها عبدالله الطيب، وهو يحول أن يُفسر هذه الطاهرة الفريدة، عن أبي العلاء المعري! وهي ولعه الشديد بالدروع وكيف أفرد لها ديواناً أكمله فيه الخرائد الحسان من القصيد والحكم والأمثال. وكثيراً من الإبداع اللغوي والشاعري!

يرى عبدالله الطيب رحمه الله أن الدرع يرمز - عند أبي العلاء - إلى واحد من شيئين: المحسن والسجن الذي لجأ إليه أبو العلاء بعدما يس من الناس ومن الأصدقاء والأعداء على النساء: تشبه الدرع لأنه ملجأ وسكن يحمي الإنسان من التعرض لأذى الناس وضغثهم وكيدهم ومؤامراتهم، خاصة وقد اتهم أبو العلاء بالكفر والزندقة، وهذه تهم خطيرة يمكن أن تقود إلى الموت إذا ثبتت على أبي العلاء . . وفي هذا الإطار ليس غريباً ولا مستنكراً أن ينسحب أبو العلاء عن الحياة كنية وعن المجتمع الذي يتربص به ريب المنون. ولقد فعل أبو حامد الغرالي نفس الشيء عندما كان مهدداً بالقتل من قبل الباطنيين الذين قتلوا صديقه وراعيه الوزير النابغة نظام الملك - فلهذا إلى صحراء الشام في عرلة تامة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات.

ومهما يكن من أمر البوارع التي حدثت بأبي العلاء إلى محبسه، فإنه لم يركن إلى الراحة أو الهدوء، ولكنه لجأ إلى العمل الفكري والأدبي والفلسفي يناوش به الحياة والأعداء، ويبسط على الورق - مواهبه الفكرية ومواقفه لفلسفية . . ويهاجم ويهجو

أعداءه وتلك " الضباع " من " بات آوى " والتي كانت تطارده انتعاء الفتنة . وانتفاء اتهامه بالكفر و لزندقة ، حتى تستحل دمه وتبرر قتله و فتراسه . . ومن هذا المنصور ، فإن إبي العلاء لم يكن - في الواقع - محتاراً كل لا حثير في الانسحاب إلى المسأى والمنعزل - ولكنه فعل ذلك حمية وتقية واحترز لدمه من أن يهدر عبثاً وبلا طائل ، وما لا يدرك كله لا يترك جله أو حتى بعضه . . وما الحياة الذكية إلا فعل الممكن من بين لخيارات المتاحة . . ولذئت كن الخيار الهروبي . . وكان الفرار هو الخيار الوحيد المتاح أمام هذا لرحل الصعيف ، من حيث أنه أعمى وصاحب عاهة ، وليس على المريض حرج في عدم دفع عديت لحياة ولا فى التحلف عن الجهاد في سبيل دفع الباطل ومقاومته .

على أن أما العلاء لم يتخل عن المقاومة كلية ، ولكنه لجأ إلى الميدان لذي يستطيع فيه أن يقوم بالأسلحة التي يمتلكها وي جيد استعمالها واستخدمها ألا وهي الأدوات الأدبية والكمة المكتوبة والقصيدة المقتلة . . ومن هه فإن استخدام مصطلح " الدرعية " يأخذ بعداً آخر لم يخطر على بال العلامة عبد الله الطيب رحمه الله . . والدرع أداة من أدوات المقاومة والدفع . وإن لم يكن سلاحاً من أسلحة الهجوم .

ومن هذا المنصور فإننا يمكن أن نفهم أشواق أبي العلاء ، وهو مضطر إلى الانسحاب من الحياة ، أشواقه إلى ماضى الحياة وفي مقدمة تلك الماضى المرأة والمذ والمحبون

قال تعالى :

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

" حب إلى من دباكم الطيب والنساء وحملت قرعة عيني في لصلاة "

إن لا يمكن أن نفهم أشواق وصبيت أبي العلاء المعري إلى امرأة وذكره لها على الدوام إلا في إصر أنه وهو في عفو ملكاته الوجدانية والجسمانية قد اضطر إلى الانسحاب من حدة والمجوء إلى المحس صيانة لدمه وقلاً لأولئك العدة الذين كانوا يترصون به اندوائر ، ولو كان فعلاً زهداً كزهد ، ور غداً كل الرعة في التبتل والتسك والرهنة ، لا بدرت منه تلك الأشواق وذلك الحنين إلى المرأة وإلى الحب و نصباية . وذكره لها بهذه التورية المتكررة في الدرعية - يدل على أنه ما زالت رغبته سليمة وأشواقه عارمة وتوفه إلى الحياة قوي وعيف . ولا يمكن لرجل تكون له تلك العوطف الجياشة وذلك لوجدان

الشاعري وتلك القريحة لتوقدة وذلك الإبعاث القوي نحو الحياة والفكر والشعور، ويكون بعد ذلك برد الحرارة، هامد العرائز، ميت الشعور والاحساس.

وفي المثل العربي "كل دي عده جبار"، ولقد عبر أبو العلاء عن جبروته في المجال لذي يحسنه ويتفوق فيه ألا وهو المجال اللغوي والمجال الشعري ومجال لقدرة على الابتكار والإبداع في مجال البيان والأداء اللغوي وفي القدرة على لفكر الأصلح احلاق. الفكر الرفيع الذي لا يقدر عليه إلا الخبيرة من أهل البيان والتفكير النقدي الإبداعي المتخصص في أعلى مستويات الفكر وفلسفة البيان.

من هنا كانت 'الدرعيات' هي الأدوات التي اختارها والأسلحة التي ادخراها لميسر للخليقة والبأس أنه فريد زمانه ووحيد أيامه، وأنه الفيلسوف لمرء العلم، شيء من شيء وأنى من أبى... فهو في مستوى وفي عو لا يستطيع أن يصل إليه أو تلك الذمماء والرعاع وانزعاف من 'الضباع' وينت أوى، ومن مصاصي دماء الفلاسفة والموهوبين بدعوى الكفر والزندقة... وما من مبدع في الفكر العربي الإسلامي، بل وما من مبدع أو فيلسوف أو مفكر أو حتى مصلح أو سي إلا واتهم بالكفر والزندقة وبالسحر والجن... وقدي انهم سقرط بالكفر والزندقة وقتل بارغامه على تدول السم. في الوقت الذي كان فيه يدعو إلى مكارم لأخلاق وإلى توحيد الآلهة وإلى إصلاح الحياة لسباسبية وتحقيق العدل والإنصاف بين الناس...

من جانب آخر، "فالدروع" كناية عن القوة والحسوت، ألم نقل إن كل دي عده جبر. وما ذلك إلا أن ذوي العدهات إنما يعوصون عن ضعفهم اخلقي والصيبي بامتلاك مواصي نقوة ولجبروت في محالات أخرى. ولقد حاول أبو العلاء أن يثبت حسوت فكره وفهسيا - وفي المقام الأول لغوياً وفي الشعر وبيان وفي امتلاك مواصي النظم عربي ولشعر الفسفي لذي لا يمكن لأحد أن يتفوق فيه عليه

فما لم يكن أن أبو العلاء يلجأ إلى شخوص حياسبية ليتخذها أدوات للحوار ولتجدل فهو أمر واضح فيما يبدو لي: ذلك أنه لا بد له من أن يخلق مسرحه وأنواعه في ذلك لمسرح! لا بد أن يخلق كل ذلك خلقاً ويُسَّنه إنشاء... وكيف يتسنى له ذلك وهو في هد متأى والمنعزل وفي هذا المحبس الذي هو رهينه إلا أن يصطبعة إصطناعاً ويتدعه ابتداءً لكي يتحور معه ويتحادل! وبذلك يهين المسرح والمستمعين الذين يلتقي عبيهم بطرياته ورائه وفلسفته، وكذلك الحكم والمبادرات الكلامية والإشباتية التي يتفنن فيها أي تمنن؟!!

يقول عبدالله الصيب رحمه الله^(١)، معقفاً على القدرة الخارقة التي تتحلى في أسلوب
"الدرعيات":

« وأسلوب الدرعيات مما يستحق الدرس والعناية، وهو عدي تحفة من تحف النظم
العربي. وللمؤلف الأدبي في فنونه المختلفة متأسّماً بما متأمل
ويقول عبدالله الطيب^(٢):

"والتأمل لطريقة الوزن ولقوافي في "الدرعيات"، يجد أن المعري ذهب فيه شوطاً
بعيداً نحو المسلك الذي صيره مهيباً في النجوم". فمثلاً نجد أن المعري أكثر فيه من
استعمال "السريع"، وتعاطى "المشرح" وأضل، وهما بحران يوشك أن يتحاما في
(سقط الرند). وبجده قد استعمل أخفيف خامس، وهو وزن ساق عسر لا يعرض له من
لا يحصر نفسه على الكلف. وأما في القوافي فنجد أن المعري قد جرب أصنافاً من
الصعوبات، منها جيم الوافر الحسانية، وسين لطويل المرقشية، والعين لمتعة هذا الخروج
في الكامل. وما التأنيث المقيدة مع النون في الطويل...

وقد وجد المعري في "السريع" مادة خصبة لإرصاء الجانب اللغوي والأستاذ المعلم من
نفسه... وضمّن قصائده "الدرعيات" ثروة ضخمة من مجاز العرب القدماء وتشبيههم في
هذا الباب...

وفي هذه الفقرة المهمة من "القصيدة المادحة"، وضع عبدالله الطيب، أن أبا العلاء
المعري قد استعرض قدرته الباهرة في البيان والتأليف وفي الشعر والحكمة والفلسفة، وأنه
أستاذ عالم متمكن من علمه، ولكنه في لوقت ذاته فنان مطبوع، فهو اللغوي القدير والمعلم
المتنطس بعلمه المتبجح بفنه وعبقريته، فنجدته يكثر من:

- الطباق

- والتجنيس

- والتوشيح والترصيع

وهو يفعل كل ذلك في رصانة وإحكام، انظر إلى قول أبي العلاء المعري:

قصار الخطا يدرمن أو مشية القطا

فكيف إذا ما سرن في الخلق الدرهم

(١) عبدالله الطيب: القصيدة المادحة، ومقالات آخر ص ٨٥ طبعة جامعة الخرطوم ١٩٧٣م.

(٢) عبدالله الطيب: القصيدة المادحة ص ٨٨.

والمراد من هذا البيت أنه يمشي كمشية القطا، واختزال الأداء هكذا، بالاكتفاء بالمفعول المطلق وحده مذهب من الفصاحة العذبة.

يقول عبدالله الطيب في ذلك :

"هذا ويذكر المعري بحضرته وعلاسيته، وعلمه وأنه من الخواص المتوفرين على الدرس، حين يطعم هذه جرانة السدوية المحي، لقوية المنحة، بعذرت لعماء المنتسبين، كقوله :

ألم تعلمي أنني مدامة بابل
هجرت ولم أقبل خبيثة عانه
وكقوله :

وليس أبوها* بالذي أنا بائع

ولو ساق فيها إبله وحصانه

وفي هذين ليتين أصناف من البلاغة والبيان بارعة باهرة، كما بين عبد الله الطيب تفاصيل ذلك في كتابه "القصيدة المادحة".

وكما ذكرنا أعلاه، فإن المعري يستخدم رموزاً لأشخاص خياليين يتحاور معهم ويحادل... وفلت أن ذلك من ضروريات نه عاش وحيداً في محبسه في معرة رهن الحبسين. فلم يكن له من أن يخلق شعوراً خيالياً يتكلم معهم ويتحاورهم ويظهر أفكاره ونظرياته بهذه الطريقة الفذة.

من ذلك قصة فتاة أو فلتقل غانية سامته درعه هي وبوها فتمتع عبيهم، فحاولت العاينة عوؤه ولا تحليها الذهبية 'قرطها أو حبها' فب لم يحدث ذلك حاولت عوؤه بخمر يسجل أبو العلاء المعري تلك لقصة بالشعر البديع على النحو التالي^(١).

رمتني بحبيبيها وآخر صامت

من النضر لا أعني به ابن كنانة

وليست وإن جاءت بحلي وزينة

علي كدرعي عزة وصيانة

* يقول عبدالله الطيب أن في رفع "أبوها" كناية بلاغية شاذة ومثليها كثير مما تعتمد أبو العلاء في "الدرصيات" وهذا مما يثير الجدل بين النحويين^١.

(١) عبدالله الطيب "القصيدة المادحة" ص ١٩٤.

وليس أبوها بالذي أنا بائع
ولو ساق فيها إبله وحصانه
وما سامحت نفسي بها عند حادث
فلاناً فما بالي ويال فلانة
وجاءت بكأس من سلاف تُزيغني
خلابا على قضاء ذات رصانه
ألم تعلمي أنني مداممة بابل
هجرت ولم أقبل خبيثة عانه
وهذه الأبيات مليئة بالرموز، بل وفيها فلسفة كاملة :

✽ فالدرع يرمز إلى عزة نفس أبي العلاء وأنه اثر العرلة والوحشة والانسحاب من الدنيا ورهرتها لأن البديل لذلك هو قبول الذل والمهانة وهو ما لا يقبده أبو العلاء
✽ والغانية ودوتها من الحلي الذهبية أو الخمر للإغواء والاضلال مما ترمز إلى نوع الحياة التي كانت سائدة في بغداد التي هجرها ونأى عنها، طلباً في الظفر بكرمه وصور ماء الوجه عن المهانة والذل وبهرج الحياة التي ملؤها النفاق والدهان والمكر والحديعة وكان لسان أبي العلاء المعري هنا، كما قال نبي الله يوسف عليه السلام، عندما رودته امرأة العزيز عن نفسه فقال :

﴿قال رب السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ (يوسف : ٣٣).

وأرى أن قصة نبي الله يوسف مع امرأة العزيز كانت في ذهن أبي العلاء، عندما ذكر قصته مع الغانية التي أرادت الاستيلاء على "درعه" وهو رمز عفته وشرفه وعزته، فتأبى عليها، كما تأبى يوسف على امرأة العزيز. وأبو العلاء المعري اختار لعرلة والسجن على فقدان شرفه وكرامته وعرة نفسه، فهي أثم عنده من الذهب ومن الخمر ومن غواية العواني والحميلات وكان لسان حاله قول الشاعر (عترة):

حكم سيوفك في رقاب العُزل
وإذا نزلت بدار ذل فــــأرحل

وكان لسان حاله أيضاً قول الشاعر :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن طلب العلاء متعزل

وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِمِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)

وأبو العلاء يقول بوضوح أن "درعه" هو عزة نفسه وكرمتها التي لا يبيعها بأي ثمن ولا لأبي الفتاة ولو ساق كل أبله وخيه . ولا بنته رغم حلالها وإغوائها ، وأبو العلاء بعد ذلك لا يحفى أنه اختار المنأى والمتعزل لأن الحياة في بغداد التي هجرها كنت منيئة بالتناق والكيدهم والرخيص والضغائن . . وأنه لم يجد فيها صديقاً عزيزاً ولا ولياً مخلصاً . . ولم يجد فيها سوى الحقد والخيانة والكذب :

يقول أبو العلاء في ذلك :

وقد طال فوق الأرض كوني وشبهت

ثغاما بجوني عاذلاتي وعذالي

وحرمت شرب الراح لا خوف سائط

ولكنها ترمي العقول بعقال

ومن سره ثوب يعز بلبسه

فلا تجر منه أم دفر على بن

هلوك تهين المستهام بحبها

وتلقى الرجال المفضين بإجلال

بنو الوقت إن غرورك بحكمة

فما خلفها إلا غرائر جهال

لذلك سجن النفس حتى أرحتها

من الأنس ما إخلاء ربح بإخلال

يعلق عبد الله الطيب على هذه الأبيات لأبي العلاء ، فيقول أنه لا يشك قط أن سر الوقت ' هم عند أبي العلاء هم أهل بغداد الذين تركهم وهجرهم لأنهم غرروا في

البداية بنظائرهم أنهم أهل علم ودراية وحكمة، ولكنه سرعان ما اكتشف حقيقتهم وأنهم أهل جهل ونفاق ومكر، فمحرمهم وأسروا سجن النفس حتى يريحهم من هؤلاء المحتالين ويريحها من كيدهم ومؤامراتهم وكيدهم وضغائنهم.

وفي آيات أخرى، قال أبو العلاء إنه اكتشف أن أولئك الأصدقاء لكذابين المخادعين هم أهل كيد ونفاق وبخل فليسوا يحفظون العشرة ولا إكرام الصديق أو ترفيق يقول أبو العلاء في دم أولئك النمر الذين حسبهم ذوي ودد وصدقة في رديء الأمر ونكته عدم خبرهم وحدهم لا يكرمون الصديق ولا يقدر على عشرة لأيام:

مالي جلس الربع كالميت بعد

السبب لم أسف ولم أندم

على أناس من يُعاشِـرهم

تعوزه فيهم عشرة المكرم

وكان نمر من هؤلاء الأصدقاء المزعومين يتعقبونه بغية يذانه أو حتى تدميره وقتله وتدنيت أسمائهم بالضباع. . . ومهم اثنان كان يعدان في يذانه ويبانغان في الكيد به. وتدنيت كتب فيهم رسالة سماها (برسالة الصغين) كتبها إلى معز الدولة ثم بن صالح يشكو إليه رجلين: أحدهما الشريف بن المحيرة الحلبي:

"كان يؤنس عليه، وينسانه إلى الكرم والإخاء، ولقد حرف بيتنا من "لروم ما لا يلوم ليثبات عليه الكفر بذلك. . ." (١).

وهؤلاء "الضباع" موجودون في كل زمان ومكان، ولقد عانى منهم أبو العلاء عانى، وكبد عدايته الطيب، وليس يوجد مدح ولا عبقري، في أي مكان إلا ونوشه هذه الضباع وتستهدفه ولا تالوا في الكيد له والنيل منه.

فهم أبو العلاء محسبه في معرفة لنعمان، وتمترساً فيها بالرشد (ومن هذا سقط لرد) كما تمترس بالدرع، وفوق هذا وذلك تمترس بالمئالي والمنعزل.

وقد يشتكي أبو العلاء من ضعفه وأنه 'شيخ مكذوب عليه' وأنه شيخ طعن في لسن، وعجز عن حمل لدرع وازدترته الغواني والصباب، واعرضت عنه النساء (مماذا يريد بالساء إذا كان فعلاً قد تسك وترهن طواعية وزهد في زهرة الحياه الدنيا)، وفي رأي أنه لم يره في الحياة، ولكن حمل على الوحدة والوحشة خوفاً على دمه من أن تهدره الضباع

(١) شرح المحار من "لرومياب أبي العلاء" لأبو محمد بن محمد بن السيد البطلينوس ١٩٧٠م

من سات اوى^(١) ولم يكن أبو العلاء بهذا لضعف ابداً في محبته، ولكنه كان داهية ينضهر بالضعف ليستدر عطف جماهيره التي يخاطبها ويريد أن يؤلفها على الأوضاع الصعبة بالعرف وبقصبة الخلافة بعداد (وما أشبه الليلة بالبارحة)!! ومثل هذا لدهاء يلجأ إليه للتمويه وخذاع البريء (دأ أن غلبن) عديم يكون الإنسان في أوج قوته وفي قمة عنفوانه وبطشه!! فاعتبر.

أعمال أبي العلاء المعري:

والمعري قمة من قمم لأدب والشعر والفلسفة في التراث العربي الإسلامي، وهو يمتاز عن الآخرين بعمق تجربته في حبة وسعة إطلاعه، وأهم من ذلك كله بميله إلى التمل ونظر انفسكي وبالموسوعية في الفكر والعلوم، ومن أهم أعماله الأدبية:

- ١- سقط الرند وهو ديوان لشعره في فترة الشباب وعموان الملكة الأدبية والشعرية. وهو رائع وقمة من قمم البيان والشعر العربي وسماها 'سقط الرند' كناية عن أول الشر من تورية الرند في أول الإنتاح الشعري لأبي العلاء.
- ٢- لزوم ما لا يلزم: وهو قمة أعماله جميع وأشقها على لفهم وأعصاه على شرح، ذلك أنها تضمنت الكثير من الآراء الفلسفية والحكمية واللغوية الصعبة. ولدت تاجر الأدب عن شرحه، وترددو في ذلك إلى أن قيص الله له علامة من اعلام الأندلس وأفادها لتاديرين لشرحها!! وبالآخرى شرح أو لا بعض المختارات فيه وهذا النعم لأندلسي هو ابن السيد البطليوس (نسة إلى بطليوس من أعمال الأندلس) وبعد ذلك قدم د. طه حسين أيضاً بنشر مختارات من "لزوم ما لا يلزم" ومن بعد ذلك "أحيراً" توفر عدد من الأفاضل بشرح الكتاب كله.

و بن السيد البطليوس هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد ولد عام ٤٤٤ هـ وكن من أشهر علماء عصره، وأشهر من أنجبته تلك ابلدة الأندلسية الصغيرة صديوس؛ وكن موسوعياً بما حفظها في شتى ضروب معرفة وأفرع العلوم وكذا الفلسفة والمنطق وعلوم الأوئير ولغاتهم. لا عرو إن كن أول من تحراً على محاولة شرح مختارات من "لزوم ما لا يلزم" إضافة إلى شرحه لكتاب "سقط الرند".

(١) أدن هجون جلوي (J. Gallway) ليس أول من وصف أعداءه بأنهم "ضباع" من كتاب وى أو دناب ممتربه كما فعل عندما وصف جورج بوش وبلير بأنهما دنابان. بل صعبان من سات اوى!!

وفي تسمية الكتاب "لزوم ما لا يلزم" قال أبو العلاء المعري:
'وحسنت كل ذلك من العبر والأقفية، ومن تمجيد لمة وتذكير لناس، وتنبية الرقدة الغافلين^(١)' في كتاب لقبته (لزوم ما لا يلزم)، ومعنى المقب: أن القافية تلزم لها لزوم لا يعتقر إليها حشو البيت، ولها أسماء تعرف، وسأذكر منها شيئاً مخفة أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المعرفة بتلك الأسماء^(٢).

وهذه الأحرف واحركات التي لا تلزم القافية، شرحها أبو لعلاء نفسه شرحاً وافياً في خطبة كتابه (لرؤم ما لا يلزم) ونكناها - أي شروح أبي العلاء لهذه الأحرف والحركات - عدية في الصعوبة، ولذلك لن نحاول الدخول فيها وإنما أردنا أن نشير فقط إلى معنى هذه التسمية المتاحة لواحد من أهم أعمال أبي العلاء المعري على الإطلاق، وإن كنت أعمائه الأخرى هي الأكثر شهرة خاصة ديوان "سقط الزند" و "رسالة الغفران".

(٣) رسالة الغفران - وهي الرسالة الأكثر شهرة والأكثر تأثيراً في العالم من أعمال أبي العلاء المعري - فقد ترجمت هذه الرسالة إلى العربية واللاتينية وبعض اللغات الأوروبية بعد ذلك. وترجمت أجزاء منها إلى العربية واللاتينية في فترة مسكرة من تاريخ الإنسانية. وقرأها وتأثر بها بعض الكتاب الغربيين المشهورين خاصة "دانتي Dante الايطالي صاحب "الكوميديا الإلهية The Divine Comedy".

(٤) رسالة الصاهل والشاجح: وهي رسالة في تفسير وقائع التاريخ و لعصر والبيئة التي عاشها أبو العلاء في روية وتأمل وبصيرة. وهي - مثلها في ذلك مثل (لزوم ما لا يلزم) - ذات لهجة فلسفية تأملية. وفيها الكثير من الحكم والأمثال السائرة، كتبها أبو العلاء، على لسان حيوانين هما:

- الفرس (الصاهل)!

- والبغل (الشاجح)!

محاكي في ذلك - بلا شك - صاحب كلبية ودمثة. وهذا النوع من الأدب إنما يلجأ إليه الأدباء في الظروف الحالكة المظلمة التي تكثر فيها المخاطر ومهددات الحياة لأديب أو الشاعر ولذلك يلجأ إلى الترميز وإلى التعمية في الكتابة ويستحدم الخيوط. كما

(١) الأوهاس هنا من وضع كاتب هذه السطور - ملخصاً لأفراض الكتاب كما ذكرها أبو العلاء نفسه في مقدمته لكتاب لزوم ما لا يلزم وهي أن تسمى عادة خطبة الكتاب أي مقدمته المؤلف^(١).

(٢) اللزوميات من جرائب شاعر الملاسفة وفلسوف الشعراء - حققه جماعة من الإحصائيين دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣.

بستخدم الشخصيات الخيالية من الجن أو الحيوان أو الأساطير! وكل ذلك نوع من التقية
ولمحاصة بغية الدفاع عن النفس والاحتراز من القتل والقتل!
(٥) الفصول والغايات:

أما الكتاب من الناحية العلمية، فإنه متعة الأديب، وأمية العالم، فإنه ملأه شتى
العلوم من اللغة والأدب والعروض والنحو والصرف والترييح والحديث والفقه والملك
وعلم النجوم، وغير ذلك مما لم يسبق لفترة جمعه بالصيغة التي سلكها؛
ذلك أنه يُملي الفقرة على تلاميذه، ثم يختمها بالغاية، وهي عنده بمنزلة لقافية من بيت
الشعر وقد تطول الفقرة وقد تقصر، ثم يُملي التفسير.
الفصول: هي الفقرات

الغايات: هي التفاسير التي يعطيها أبو العلاء لتلك الفقرات والتي يُمليها لتلاميذه بعبارة
الشرح والإيضاح^(١).

(٦) الآيت والعصون: كتاب ضخيم من مائة مجلد، ضاع كله إلا الجزء الأول (وهو
المعروف بالهمزة والردف)

نماذج من أشعار وأفكار أبي العلاء المعري (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ):

فيما يلي سوف نستعرض بعض أشعار وأفكار أبي العلاء المعري، لا من جهة الإحاطة
أو لخصر ولكن على سبيل المثال السريع، حتى يستطيع القارئ المبتدئ أن يتعرف بعض
الشيء على شخصية وأفكار هذا الشاعر والفيلسوف المبدع ودعا بتدني حيث تكون
البدية من أول ديوان لأبي العلاء في فترة الشباب وعنوان الفتوة الفكرية والوحدة
بعض نماذج شعر أبي العلاء من "سقط الزند"^(٢)

يقول في النسيب (الشعر العاطفي)

معان من أحببتنا معان^(٣)

تجيب الصاهلات به القيان

(١) "الفصول والغايات" لأبي العلاء المعري وشرح عنوان هذا الكتاب هو لمحقق الكتاب، محمود حسن
زياتي، حاول فيها شرح عنوان الكتاب "الفصول والغايات" ١١.

(٢) "سقط الزند" لأبي العلاء المعري (شعر أول دواوينه)، ص ٢٢، منشور مكتب الحياة (بيروت)

(٣) "معان" الأولى: اسم موضع والثانية: منزل.

وقفت بها لصون الود حتى
أذلت دموع جفن ما تصان
ولاحت من بروج البدر بُعداً
بدور مها تبرجها أكتنان
فلو سمح الزمان بها لضنت
ولو سمحت لظن بها الزمان
رزقن تمكنا من كل قلب
فليس لغيرهن به مكان
وقال أبو العلاء مفتخراً (سقط الزند، ٥٦):
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف وإقدام وحزم ونائل
أعندي، وقد مارست كل خفية
يصدق واشي أو يخيب سائل
أقل صدودي أنني لك مبغض
وأيسر هجري أنني عنك راحل
إذا هبت النكباء بيني وبينكم
فأهون شيء ما تقول العواذل
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لي إلا العلي والفواضل
كأنني إذا طلت الزمان وأهله
رجعت وعندي للأنام طوائل
وقد سار ذكرني في البلاد فمن
لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل
يُهمُّ الليالي بعض ما أنا مضمّر
ويُثقل رصوي دون ما أن حامل
وإني وإن كنت الأخير رمائه
لأن بما لم تستطعه الأوائل

هـ وقد كانت حياة أبي العلاء المعري، في محبسه بالمعرة، حياة حلوة فيها الكثير من
 شططف الحياة والعزلة، وحتى وهو رهين المحبسين لم يسلم من نوسبات ولؤامرات
 والكيد والندسات، مما حداه للزهد في الناس والحياة! وضح شعره بطبع زهدي فلسفي،
 يميل كثيراً إلى التشاؤم من الحياة ذاتها ومن الناس ولذلك تجده يذم حياة ويهجو ناس
 ويشكى كثيراً من صروف الدهر ومن شططف العيش ونؤسه وهو يكي الحياة "أه دهر" أي
 ذات الرائحة الشنة. وتظهر نزعتة المتشائمة هذا أكثر في ديوانه "لزوم ما لا يبرم" وكذلك
 في كتابه "رسالة الغفران" وأعماله الأخرى.
 وقال في الحكمة والأمثال (١):

أرى العنقاء تكبر أن تُصاذا

فعماند من تطيق له عنادا

وما نهنت عن طلب ولكن

هي الأيام لا تعطي قـيـادا

فلا تلم السوابق والمطايا

إذا غرض من الأغراض حادا

لعلك أن تشن بها مغاراً

فتنجح أو تجشمها طرادا

مقارعة أحجتها العوالي

مـجـنة نواظرها الرقـادا

نلوم على تبلدها قلوباً

تكابد من معيشتها جهادا

إذا ما النار لم تطعم ضراماً

فأوشك أن تمرّ بها رمادا

فظن بسائر الأخوان شرّاً

ولا تأمن على سر فرّادا

فلو خبرتهم الجوزاء خبري

لما طلعت مخافة أن تُكادا

(١) "سقط الزبد" ص ٦٠. منشورات مكتبة دار الحناة، بيروت (بدون تاريخ).

تجنبتُ الإنامَ فــــــلا أواخي
وزدت عن العدو فلا أعادي
ولما أن تجسهمني مرادي
جريت مع الزمان كما أرا
وهونت الخطوب عليّ حــــتى
كأنني صرتُ أمنحها الوداد
فأي الناس أجعله صديقاً
وأي الأرض أسلكه إرتيــــاد
كأنني في لسان الدهر لفظ
تضمن منه أغراضاً بعداد
يكررنى ليفهمني رجال
كما كررت لفظاً مستعداد
ولو أني حُبيتُ الخلد فرداً
لما أحببت بالخلد انفراد
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
مــــحائب ليس تنتظم البلاد
وقال مراسلاً أبا حامد الاسفاريني^(١):
لا وضع للرحل إلا بعد إيضاح
فكيف شاهدت إمضائي وإزماعي
يا ناق إجندي فقد أفنت أناتك
صبري وعُمري وأحلامي وأنساعي
إذا رأيت سواد الليل فانصليتي
وإن رأيت بياض الصبح فانصاعي
ولا تهولنك سيفٌ للصباح بدا
فإنه للهوادي غير قطاع
وفلسفة أبي العلاء المعري ذات نزعة تشاؤمية وضحة، من أحل ذلك لقب بفيدسوف

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢ .

اشعراء، وشاعر الفلاسفة. فمن قصائده دات النبرة الفلسفية المتشائمة قصيدته المشهورة.
"غير مجد في ملتي واعتقادي" قالها يرثي فقيهاً من الأخف^(١) :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح بك ولا ترثم شهاد
وشبيه صوت النعي إذا قيس
بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنت
على فرع غصنها المياد
صاح هذه قبورنا تملأ الرحب
فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم
الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد
هوان الآباء والأجداد
سر إن استطعت في الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
رب خذ قد صر لحداً مراراً
ضاحكاً من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين
في طويل الأزمان والآباد
فأسأل الفرقدين عمن أحس
من قبيل وأنسا من بلاد
كم أقام ما على زوال نهار
وأنا را المدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعجب
إلا من راغب في إزدياد

(١) سقط الزند، ص ٩١.

إن حزننا في ساعة الموت
أضعاف سرور في ساعة الميلاد
كل بيت للهدم ما تبني الورقاء
والسيد الرفيع العماد
والفنى ظاعن ويكفيه ظل السدر
ضرب الأطناب والأوتاد

ومن قصائد أبي العلاء المعري العاطفية الرائعة قصيدته التي يجيب فيها صديقه لشريف
أبا إبراهيم موسى بن إسحاق^(١) :

عللاني فلإن بيض الأماني
فتيت والظلام ليس بفان
إن تناسيت ما وداد أناس
فاجعلاني من بعض ما تذكران
رب ليل كأنه الصبح في الحسن
وإن كان أسود الطليسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما
وقف النجم وقفه الحيران
كم أردنا ذاك الزمان بمدح
فشغلنا بدم هذا الزمان
فكأنني ما قلت، والبلد طفل
وشباب الظلماء في عنفوان
ليلتني هذه عروس من الزنج
عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفوني فيها
هروب الأمن عن قواد الجبان

(١) المرجع السابق، ص ٤٥ .

وكان الهلال يهوي الشريا
فهما للوداع معستقنان
وسهيل كوجنة المحب في

اللون وقلب المحب في الخفقان

وقال أبو العلاء المعري^(١) يحتاج بعض المتشككين في البعث والجزاء ، قائلاً إن الإيمان بمعاد رهان غير حاسر ، فإن كان هنالك بعث وجزاء ، نحن المؤمن بهما وهنالك كفر ، وإن لم يكن هنالك بعث ولا جزاء ، لم يحسر المؤمن شيئاً ، كما الكافر : (ومثل هذا القطعة تكذب لدين يرمون أبا العلاء المعري بتهمة الرندقة والكفر) :

قال المنجم والطبيب كلاهما

لا يُبعث الأموات قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر

أو صح قلبي فالحسار عليكما

أضحى التقى والشرُّ يصطرعان

في الدنيا فسأيهما أبر لديكما

ظهرت ثوبي للصلاة وقبله

جسدي فأين الطُّهر من جسديكما

وذكرت ربي في ضميري مؤنساً

خلدي بذاك فأوحشا خلديكما

ويكرت في البردين أبغي رحمة

منه ولا ترعان في برديكما

إن لم تعد بيدي منافع بالذي

أتى فهل من عائد بيديكما

بردُ التقى وإن تهلhel نسجه

خير يعلم الله من برديكما

أم نوعة أبي العلاء المعري العقلية و فلسفية ، فلا شك فيها ، ولذلك رمى برندقة ،

(١) شرح المختار من لروميات أبي العلاء المعري، القسم الاول تحقيق د. حامد عبدالمجيد، ص ٢٦٦، طبعة دار الكتب ١٩٧٠ ل.

كما رمى سائر الفلاسفة المسلمين والمفكرين ، حتى حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، له
يسلم من هذه التهمة وكذلك ابن سينا وابن رشد وغيرهما كثير
قال يعجد العقل^(١) :

كذب القوم لا إمام سوى
العقل مشيراً في صبحه والمساء
فإذا ما أطعته جلب الرحمة
عند المسير والإرساء

ويسمى أبو العلاء المعري رهين المحبسين أو رهين المحبسين
- أي سجين بصره ، كونه أعمى .

- وسجين منزله بمعرة النعمان

لأنه أثر العزلة وانتعد عن الناس والحياة ، وسجن نفسه في منزله طواعية . ولكن المعري
يقول إنه حبيس ثلاثة سجون في الآيات التالية :

أراني في الثلاثة من سجونني

فلا تسأل عن الخبر النبئ

لفقدي ناظري ولزوم بيئي

وكون النفس في الجسد الخبيث

وأبو العلاء المعري يعتقد أن كون الروح في جسد مسجونة فذلك محس ثلث ، لأنه
يعتقد أن الجسد المادي الشهواني هو أشد انحباس : وإنما تتطهر الروح و نفس بمادة
جسد ، وهذه هي أيضاً عقيدة البوذيين والهندوس ، فلاسفة المشرق القديم ، الذين يرون أن
من أوجب واجبات الفلاسفة هو ممارسة " لعبة الموت " أي إماتة الجسد والشهوات لتخلص
لروح وتشتع وتتلأأ بضياء الإله ، منشأ الروح وبردتها وأصلها ومنشئها . . والتطهير يعني
إماتة الشهوات من أكل وشرب ولذات بالنساء .

وقال أبو العلاء^(٢) آيات من لحكمة في أن أخلاق الناس قد تتغير وكذلك حظوظهم .

ألا إن أخلاق الفسنى كزمانه

فمنهن بيض في العيون وسود

(١) المرجع السابق، ص ١٥٧ .

(٢) شرح لروميات أبي العلاء الطليوس، القسم الأول، تحقيق د. حامد عبدالمحيد ص ١٢٥

وتأكلنا أي ما وكــــأنا

تمرينا الساعات وهي أسود

وقد يخمل الإنسان في عنفوانه

وينبئه من بعد النهي ويسود

فلا تحسُدن يوماً على فضل

نعمة فحسبك عاراً أن يقال حسود

وإن العلاء في كثير قصائد "لزوم ما لا يلزم" يبالغ في ذم الدنيا، ويقول إن النجاح فيه كالفشل، والعلو كالخبط، ولو أنه في بعض قصائده يقول إنه يجاهد ويكدح من أجل العلاء. وذلك في "سقط الرند" فنظر إلى تنقض الشعراء: يقول في "سقط الرند" وقد سبق استعراضه:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل

عفاف وإقدام وحزم ونائل

ويغني في "سقط الزيد" كأجمل ما يكون لغناء للجمان وخب:

يا ساهر البرق أيقظ راقداً السمير

لعل بالجزع أعواناً على السهر

وإن تخلّيت عن الأحباء كلهم

فأسق المواطن حياً من بني مطر

ويا أسية حجليها أرى سفهاً

حمل الحلي لمن أعيا من النظر

ما سرت وإلا وطيف منك يصحبني

سرى أمامي، وتأوبباً على أثري

لو حظ رحلي فوق النجم رافعه

ألفيت ثم خيلاً منك منتظري

يود ظلام الليل لودام له

وزيد فيه سواد القلب والبصر

لو اختصرتم من الاحسان ذرتكم

والعذب يهجر للافراط في الخمير

أبعد حول تناجي الشوق ناجية
هلا ونحن على عشر من العشر

كم بات حولك من ريم وجازية
يستجديانك حسن الدل والخور

قارن هذه الرقة وهذه الصيانة العذبة في الأبيات أعلاه من 'سقط الرند' بقوله في
"لزوم ما لا يلزم" لدم الديب 'أم دفر' ويقول أنه لا جدوى من الاجتهاد في طلب العلاج
ونجاح. لأنه في النهاية يستولي "الخامل" والسيد رفيع العماد وكلهم إلى التراب ثم
إلى النسيان المطلق:

أرى كل أم عبرها غير مبطيء
وما (أم دفر) بالتي بان عبرها

هي النفس نهوي الرحب في كل منزل
فكيف بها إن ضاق في الأرض قبرها

وأخر عهد القوم بي يوم تنطوي
على جـرورُ الورد يُكره زبرها

فهل يرتجى خضر الملابس ظامن
وقد مزقت في باطن الأرض غبرها

أتنتي أنباء كثير شجونها
لها طرق أعبي على الناس خبرها

هفا دونها قس النصارى ومويذ
المجوس وديان اليهود وجبرها

تخالفت الأشباع في عُقد الردى
وتلك بحار ليس يدرك عبـرها

وفيل نفوس الناس تستطيع فعلها
وقال رجال بل تبين جبرها

فلو خلقت أجسادنا من صبرة
لقلّ على كثر الحوادث صبرها

(والصبرة هي الحجارة).

يقول أبو العلاء إن الأنام يكون على الذنب أو ييكون منها ولكنها لا تنكي على أحد
فليس (لأم دفر) دموع أصلاً. ويقول م فائدة المحدث والغنى والبيت الرحيب، صلاً كنت
نهيأة دائماً قمرأ صيقاً في الأرض المقفرة؟! ويقور مهماتكن شهرتي (يعني نفسه) فيار
النس سوف ينسوني بمجرد موتي 'وليس هذا حقاً، لأن أبي العلاء قد توفي في عام
٤٤٩هـ، وما نحن نذكره حتى اليوم. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كونه من
الأدباء نعر الحالدين. بل هو من ادباء الإنسانية كلها الخلد ذكره م خلد لدهر. فقد
ترجمت آثاره الأدبية، خاصة "رسالة العفرون" إلى العبرية والملايينية منذ القرنين الثامن
عشر والثالث عشر الميلاديين.

ثم يعود أبو العلاء مرة أخرى إلى تبخيس حياة الدنيا وريبتها فيقول م فائدة الملابس
البهيمة حضرء. طالما كن مصيرها إلى الراب فيمزقها، كما يمزق الملابس لغراء سوء
بسواء!؟

ثم بعد ذلك يعرج إلى اختلاف الملل والأديان والأهواء. فيقول ان علماء لأدين
وأحبرها كنهم قد محيروا في معنى اختلاف العقائد والملل والنحل من نصارى ومحوس
ويهود وغيرهم. ولقد اختلفوا كذلك فيما يكون عليه الوضع بعد موت وهل هناك معد
أم رقد سرمدي؟! لأن تلك المحالات، ما بعد الحياة، هي حذر ليس لأحد أن يعبرها أو
يتجاوز لجحها!؟

كذلك اختلف لباس في العقائد والفلسفات، فمهم من يقول أن لعباد تحلق أفعالها
(هؤلاء هم المعتزلة) وبعضهم يقول إن الجبر هو سيد الموقف (هؤلاء هم المتحررة أو الخيرية)
الذين يقول شاعرهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له

إياك إياك أن تبـــــــــــــــــتل بالماء

ويقول أبو العلاء إن الحياة صعبة ومرة وإنه لو قد الإنسان من حجر لصعب عليها معادة
الحياة والصبر على مكارها.

وما هن تبدئي فلسفة أبي العلاء المعري المتشائمة...!! ونسب في هذا الاختلاف
الواضح في شخصية أبي العلاء من "سقط الزند" إلى 'لزوم ما لا يلزم' هو اختلاف
التحررة الحياتية، وهو الموقف الفلسفي الذي يتساء الإنسان في حياته فالإنسان كما هو ابن
بيئته هو أيضاً ابن تجربته. بل أن تجربة الإنسان الحياتية نهى أعظم تأثيراً على حياته وتعد

أثراً في تشكيل تلك الحياة . فبينما كان أبو العلاء الشاب الغض يغني للحياة وصببتهم وزهرتها في "سقط الزبد" فهو أصبح ياتساً عنها، زاهداً فيها كل لُزهد وعتروا يا أولى الأبصار .

ومن هنا، فعنى المربين والمصلحين والعلمين أن يراعوا كيف تكون تجربة النشر في الحياة، وخاصة في أيام الدراسة الأولى التي فيها تتشكل شخصياتهم، وتكتسب ملامحها الأساسية، فلا بد أن تكون تجربة ثرة، وأن تهيأ لهم الفرص لتدوق الآداب العلمية إلى جانب كنوز الثقافة العربية وما أغناها وما أبهاها . فكل واحد من قمم فلاسفة ولآداء العرب الشعراء "كون" في حد - ذاته . وإيه لمن العار أن يحرم الطلاب العرب من ارتياد تلك الآلوان العجيبة الرائعة . مهما كانت تخصصاتهم العممية والمهنية في نهاية المطاف وأبو العلاء، "كون" بحاله . وكذلك أبو الطيب المتنبي، وأبو تدم والسحتري وبس الرومي . وما أكثر القمم الثقافية العربية حين تعدها . . ونكنه في تحصيل أنثنا من ناشئة هذا العصر قليل نزر .

والرحل المقيم عبد الله لطيب رحمه الله قد حياه الله بذلك الذه استوقد الذي كلم التهم المعرفة زاد توهجاً وتوقداً حتى تمكن من الساحة في تلك الأكون ذات المواقع السحيقة . . ولأغوار المديدة التي تزداد اتساعاً كلما حاول الإنسان سبر عورها والتماذ إلى نهاياتها!!

رسالة الغفران ' واحدة من لأعمال الخلد لأبي العلاء ولقد أثرت هذه الرسالة على الأدب العالمي طراً وألهمت المثات من الفلاسفة و لكتاب العرب وغير العرب من الأعاصم ومنهم الفيلسوف الايطالي "دانتي" صاحب الكوميديا الإلهية :

The Divine Commedy

وهذه الرسالة هي جزء من أدب الرسائل الذي نحا إليه أبو العلاء في أحر أيامه ومن تلك لرسائل والتي تضمنها كتابه "ديوان الرسائل :

- رسالة الملائكة

- الرسالة السنديّة

- رسالة الغرض

- رسالة المنيع

- رسالة الاغريض

- رسالة الصاهل والشاحج

- ورسائل شخصية كثيرة إلى الأصدقاء والزملاء.

* رسالة الغفران: " ورسالة الغفران " تمتاز من بين رسائل أبي العلاء، وكنت تشابه إلى حد ما رسالة الملائكة لدرجة أن البعض يعتقد أن رسالة الملائكة هي مقدمة لرسالة الغفران، وختصار لها. والبعض يعتبرها - أي رسالة الملائكة - متداد لرسالة الغفران.

مهما يكن من شيء، فقد تفرّدت " رسالة الغفران " بأمور:

أولاً. هي احرم كتب أبو العلاء، وبذلك فهي تمثل مرحلة ليس فقط النضج الفكري والفنسي، ولكنه أيضاً تعطيها آخر أفكاره وخواطره الحياتية والفلسفية، وهو مقبل على الموت، مستقبل الحياة لأزلية ومستديراً الدنيا الفنية، (أم دفر) التي طاب حقرها وهون من أمرها، وطبما وصى الناس بألا يعيروها أي إنباه، أو يعصوها أي قيمة، فهي مكرمة وعظيمة الجحود ولا عهد لها ولا أمن ولا مقة أو مودة إلى آخر تلك الأوصاف التي كان أبو العلاء يحرض على تكرارها وترديدها

- ثانياً. هي من أعظم أعماله الأدبية والفكرية، وقد حقق فيها وبها درجة عالية من الإبداع والابتكار. فهي بذلك قمة في حياته الفكرية والأدبية والوجدانية جميعاً. ولقد عمد فيها أبو العلاء إلى الخيال، كما عمد فيها إلى الترميز وسيلة لإعلام كثير من المبدعين والأفكار والردود الفكرية والفلسفية.

- ثالثاً: تسمير " رسالة الغفران " بنهج الرائع المبتكر، إذ يعر أبو العلاء عن إعجابه ببعض الشعراء في الجاهلية والإسلام، فيضعهم في الجنة - في مسراه الخيالي لها، ويعبر عن نقده وعن عدم إعجابه بآخرين بوضعهم في نار السعير ولقد وضع كثيراً من شعراء في أخنة وكذلك الأنبياء وصالحى هذه الأمة. . كما وضع كثيراً من شعراء الجاهلية والإسلام في النار. وهو يفتش هؤلاء هؤلاء ويسألهم عن الأعمال والأشعار التي استحقوا بها الدخول إلى الجنة ويناقشهم في ذلك، ذكر أ محاسن أشعارهم وكذلك عيوبها ويفعل نفس الشيء مع أهل النار. إلا أن ردود أهل النار قصيرة مقتضبة، نسبة لما هم فيه من العذاب والهم. أما أهل الجنة فيطيل الحديث معهم ويطلب فيه لأنهم في خير حال ولذلك يطيب الحديث معهم ولقد تأثر بهذا النهج كثير من الأدباء والشعراء. وعلى رأسهم الايطالي دانتى. الذي صور أخنة والنار وكذلك الأعراف.

رابعاً أبو العلاء يرد - في المقام الأول - على رسالة ابن القارح وهي رسالة عميقة تحتوي على أخبار الأدباء والشعراء وكذلك على أخبار أهل الزندقة ونكصرت النصلالات من أصحاب الملل الضالة الفاسدة من غلاة الشيعة والقرامطة ، وأصحاب العقائد الرائجة من انصارية والملاحقة والقرامطة ومن لف لف نفهم . وهي بديعة في أساليبها اليبية وبلاغتها وما تحتويه من بديع لسجع وعريب الألفاظ والمحسنات البغضية والسلاعة وفيها غرامة الأحبار وضرائف الأنباء والقصص ، وأبو العلاء يجري صحبه ابن القارح . وهو يضعه في الجنة مع الشعراء الذين يرى أبو العلاء أنهم أصحاب حكمة ومكرام أو كانوا على ملة إبراهيم الخفيف .

من الذين يضعهم أبو العلاء في الجنة :

* ابن القارح ، بالرغم من ذنوبه وخطايا إلا أن الله غفر له في تصور أبي العلاء
* والنعويس أيضا في الجنة وقد أزال الله ما في قلوبهم من عل وإحن وصغاش على بعضهم البعض

* من الشعراء الذين يضعهم في الجنة :

* الأعشى

* وزهير بن أبي سلمى

* وعبيد بن الأبرص

* وعدي بن زيد

* وأبو ذؤيب الهذلي

* النوابع : النابغة الذبياني والنابغة الجعدي

* ليبد بن ربيعة العامري

* وحسان بن ثابت

أهل النار : أما أهل النار ، في تصور أبي العلاء فهم :

* صخر بن عمرو وأخو خناس

* إبليس

* وبشار بن برد

* أمرو القيس بن حجر

* عنبرة بن شداد

- * وعلقمة بن عبدة
- * عمرو بن كلثوم
- * الحارث اليشكري (ابن حلزة)
- * أوس بن حجر
- * الأخطل التغلبي
- * المهلهل التغلبي
- * المرقش الأكبر
- * المرقش الأصغر
- * الشنفرى الأزدي
- * تأبط شرا

ملاحظات حول رسالة الغفران،

ويلاحظ أن أبا العلاء المعري لم يعلق على كثير من الموضوعات التي حوتها رسالة ابن القارح: فهو مثلاً لم يعلق بشيء على الأسئلة الكثيرة التي أوردها (بن القارح) في رسالته، خاصة تلك المواضيع التي تتعلق بأراء الزنادقة وأصحاب تفرق الضالة، كخلاج، وابن الروندي، والقرامطة، وصلاح عبدالقدوس وغيرهم، كما لم يعلق على الأساليب الدموية التي كانوا يعملون بها من قبل السلاطين والأمراء والملوك الذين كانوا يعمدون إلى قتلهم في كثير من الأحيان، كما فعلوا ماخلاج وصلاح عبدالقدوس . وأبو العلاء المعري لم يعلق، كذلك، على اتهام ابن القارح لأبي الطيب بأنه فعلا ادعى النبوة وحس على ذمة ذلك، على تهمة لكفر والزندقة، كذلك، فإن أبا العلاء لم يستخدم فكرة البرزخ، كما فعل 'دانتى' في 'الكوميديا الإلهية' . وكما جاء في القرآن الكريم في فكرة الأعراف، وهي "منزلة بين المنزلين" أي بين الجنة والنار، على حد تعبير المعتزلة .

ومهم يمكن من شيء، فإن لمراء لا يستغرب لجوء أبي العلاء المعري إلى الدار الآخرة ليعبر من خلال مشاهدتها عن أفكاره ومعتقداته وكذلك لكي يستعرض نظرياته في الشعر والشعر، وفي "العروض" وفي محاسنها وعيوبها . . طالما انشغل أبو لعلاء بالقوافي والأوزان وبحور الشعر وتفعيلاته، وطالما افتتن باستعراض دخليته الواسعة بمفردات اللغة

العربية، وخاصة تلك التي تنزع إلى الإغراب والصعوبة، وكذلك كان أبو العلاء حريصاً على استعراض ثروته الطائلة من تعبير اللغة العربية ومن ذخيرتها الواسعة في البيان والبلاغة وأساليب السجع والترصيع وأنواع البلاغة من جندس وتورية وطباق وما إلى ذلك. وكأنه كان يجاري صديقه (ابن القدرح) وهو الآخر لم يترك طريقاً إلى البيان والبلاغة والسجع إلا سلكه وكذلك كان (ابن القارح) مثله مثل المعري، يحب أن يستعرض ثروته اللغوية الوسعة ومعرفته تراسخة بمعاني العربية ومفرداتها، خاصة تلك التي تحو نحو الإغراب والصعوبة ولكنها تعبر عن فصاحة العرب البدوية. ويعجب المرء كيف استطاع أولئك العرب البدو مع شطط العيش في الصحراء وقلة الأشياء وضمور المظهر الطبيعية وفقرها، أن الصحاري قفرة يباب لا ماء فيها ولا زرع، ولا زهر ولا ورد، فمن ذلك لقعر في مظهر الطبيعة وتلك الدرة في البيئة ومواردها، استطاع أولئك العرب أن يتدعوا للسيف عشرات الألفاظ وكذلك للمراح والحيل والأسد والبيل والنهار وكيف استطاعوا أن يضعوا للتلال والحجاج والأودية والخيران ولأشجار والأطلال عشرات الألفاظ والأسماء والمعاني، مما يهول المرء ويحعله في أشد العجب والخيرة من قدرة أولئك البدو في استدع أساليب البيان والبلاغة وفن تطوير اللغة العربية إلى تلك الأبعاد العظيمة من الألفاظ والمعاني والبديع والبلاغة والبيان والنحو والصرف والإعراب!!

ولم يهتم أبو العلاء كثير ببيان الأسس والقواعد التي بموجبها وضع في حنة من وضع، ووضع في النار من وضع، سوى أنه كان يورد لأولئك الشعراء الذين وضعهم في الحنة آيات من الشعر فيها نوع من المعاني التوحيدية أو الحكيمة. وإني هذه الأبيات عدا غفران الله لهم وانقاذهم من النار.

ومن ناحية ثانية لم يأت أبو العلاء المعري بأسباب مقنعة لوضع كل من مريء القيس وعشرة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، وإحارث بن حذرة البشكري، وضعهم في النار، خصوصاً أنهم من أهل الفترة، ولم يبلغوا رسالة الرسول، صلى الله عليه وسلم. فهم لم يأثمهم بدير أو بشير وهو شرط في لعذاب. أم أهل الفترة، ولم يأت ذيل أنهم يعذبون أو يقدفون في النار.

أما أمرؤ القيس، فلقد ساق أبو العلاء بعض الأسباب التي توجب له النار خاصة منية إلى المجون والخلاعة وإلى التهلك والاستهانة بأعراف العرب وبأعرافهم لصاحته، وقيمهم الموروثة، حتى أهدر أباه دمه بين القبائل، وحتى حلقته عشيرته وقبيلته، ولم يشفع له في

ذلك أنه من سلالة الملوك أو أنه من الشعراء المبدعين الذين فجروا العربية بكاء على الأطلال وتغنى بالحسان وبالجمل وأنه وصف كل شيء في بادية العرب فأحاد وت فوق وأنه بعد ذلك تغنى للحياة وللطلاقة والسرور وأنه بعد ذلك كان جواداً كريماً شجاعاً لا يخشى شيئاً وأنه قد قبل بالتحدي أن يعيش أميراً بين صعاليك العرب، تحبه وتوقره وتهابه في نفس الوقت وأنه عاش أميراً مع الأوبد والقفرة والجبن والغول والشتاء والمطر، ثم بعد ذلك أبه ترك كل شيء وتاب إلى رشده وأقبل - كعادة العرب في أحد التآثر لأبيه - وترك العيب والمنجوب والخمر والساء إلى الأبد. وهو نقائل في ذلك:

اليوم خمر وغداً أمر

صيعي صغيراً (يقصد أباه الملك معاوية بن حمر) وحملني دمه (يقصد ثأره) كبيراً!!
وكان الأجدر بأبي العلاء أن يلتبس له أبو ب من المغفرة عند الله، ورحمة عند المليك الذي وسعت رحمته كل شيء، كونه كان من أهل لفترة لم يدرك الرسالة المحمدية ولا أية رسالة أخرى وأهل الفترة تشملهم رحمة الله، ربم يوضعون في الرزح فيكونون بذلك من أهل الأعراف، في مثلة بين المترلين - كما يقول المعتزلة.

وكذلك كان من الممكن لأبي العلاء أن يلتبس لأمرى القيس معذرة أن أنه قسى عليه لفجوره في وقت الشباب المكر، وكان الأجواب أن يصبر عليه حتى يرشده، لأن الشبب عادته الطيش والعيب والنزع وأنه بعد ذلك يؤمل رشده وتوبته إلى الرش والعقل!

وكذلك كان من الممكن أن يلتبس له العذر كونه شاعراً مبدعاً بتلك الصورة التي بز فيها الأولين والمتأخرين، وفجر فيها العربية الحداً وأوصافاً وبكاء على الأطلال، حتى ملأ أروبي والآفاق قصيداً ونشيداً وملأ الأفق وتقي في أورا وقوافي وبحوراً، فلم يترك حراً من بحور شعر ولا عرض من أعراضه إلا قال فيه وأجاد: ألا يستحق المغفرة والرحمة من أخرى عربية وهي من بعد ذلك لغة القرآن ولغة أهل الجن؟!

فإذا أدخل أبو العلاء الأعشى الجنة ونجده من لسان كونه استغاث بأبي صلى الله عليه وسلم وقال إنه له في ذلك 'حرمه' يقصد بذلك الآيات التي مطلعها^(١).

ألا أيها السائل أي يمت

فلإن لها في أهل يشرب موعدا

(١) رسالة العنصران ص ٩٤، منشورات د رومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٦

فأليت لا إرث لهما من كلاله
 ولا من حفي، حتى تلاقى محمداً
 متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
 تراحي، ونلقى من فواضله الندي
 أجذك لم تسمع وصاة محمد
 نبي الإله حين أوصى وأشهد
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
 وإنك لم ترصد لما كان أرسداً

فإنه . أقصد أنها لعلاء - كان من الممكن أن يجد لأمرؤ القيس أبياتاً يستحق بها رصداً مولاه . . وهي الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء . إنه تعالى لا يغفر أن يشرك به ولكنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

كذلك أنقذ أبو العلاء رهير بن أبي سلمي من النار كونه القائل^(١) .

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
 ليخفى، ومهما يكتنم الله يعلم
 يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
 ليوم الحساب أو يُعجل فيتقم

وبجى أبو العلاء عبيداً بن لأبرص من النار وأدخله الجنة مع رهير بن أبي سلمى كونه القائل :

من يسأل الناس يحرموه
 وسأل الله لا يخيب

أبو العلاء يضع عنترة بن شداد في النار:

إن ما قلناه من استحقاق أمرىء القيس أن يدخل الجنة لبعض تلك الأبيات . من الحكمة أو من الإشادة بمكارم الأخلاق، والتي كن من الممكن لأبي العلاء المعري السحث عه وإبرازها لتشفع لأمرىء القيس فيدخل بها الجنة، إن ما قلناه بخصوص أمرىء القيس

(١) رسالة الغفران، ص ٩٨ .

يصدق بصورة قوية جداً على "عنترة بن شداد" الذي طالما تغنى بمكرمه لأحلاق وتشئت
بأنفصائل وبكل ما يصون الفتى من العار والشر . . وإن المرء ليعجب كيف القى أبو العلاء
'عنترة' في أوار السعير من لمار غير منان ولا مكترث! هل هذا من وحي تعصرية لنتي
كان أولئك الشعراء من بعض أهل الشام يتصنعون بها ؟ "أنظر في ذلك أشعار أبي الطيب
في كافور الأخشيدي وفي العبيد من ناحية عامة".

لا تشتري العبد إلا والعصا معه

إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقوله:

العبد عبد ولو طالت عمالته

والكلب كلب ولو ترك النسيح

وفي الواقع فإن عنترة أولى بالجنة من الأعشى الذي طالما تغنى باخمرة . . وأولى من
عبيد بن الأبرص الذي ادخل الجنة بيت واحد من الشعر ولعنترة اثنتان . بل الآلاف من
الآيات التي تنضح بالحكمة وبالعفة وباللبل . وكفى عنترة فخراً ما رونه عائشة أن لرسول
صلى الله عليه وسلم قل . ما روى له من أخبار إعرابي وحب أن يره إلا عنترة، لو صح
الحديث لذي أورده التبريزي في شرحه لذيون عنترة . . وحسب عنترة أنه كان يقب ربي
لفوارس . وحسبه أن ديوانه وأشعاره ما رأيت خالدة يحفظها ويتعنى بها الآلاف من
الناس . حتى يومنا هذا . وحسب عنترة أن ديوانه كله دعوة إلى الفصائل وإلى مكرمه
لأحلاق وإلى العدالة والإنصاف والتسامح حتى مع الأعداء أو الظالمين . وحسبه عفة
وكرم نفس تلك الآيات التي يقول فيها أنه يعد نفسه وجيرانه ومن يحب من لشبه
والتهم، لذا فإنه لا يزور جارته إلا وزوجها موجود:

ما استمت أثنى نفسها في موطن

حتى أوفى مهرها مولاه

ولما رزأت أخا حفاظ سلعة

إلا له عندي بها مثلاًها

أغشى فتاة الحي عند حليلها

وإذا غزا في الجيش لا أغشاه

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني
حتى يوارى جارتني مأواها
إني أمرؤ سمح الخليفة ماجد
لا أتبع النفس اللججـوج هوأها

يقول الأستاذ (خليل شرف الدين)، أحد الذين حققوا ديوان عنترة بن شداد^(١) :
" حين لبعض المستشرقين أن عنترة كان قريباً من مفاهيم الإسلام، وإن لم يدركه. أو أنه أدركه فعلاً لكثرة ما ورد في شعره من تعابير ومصطلحات لم تكن معروفة قبل الإسلام، ومنهم من رد هذه المصطلحات والتعابير - وأكثرها أخلاقي - إلى تأثره بالنصرانية، باعتبار أن أمه نصرانية لأنها حبشية، واخبةشة كنت تعتنق المسيحية، وهو متأثر بأبيه تأثراً بالغاً".

يقول الأستاذ خليل شرف الدين إن المستشرق الأب لويس شيخو قد أدرج عنترة في عداد شعراء النصرانية، لأنه تعي بقيم البصاري وأخلاقهم ومها:

- العفة والحب العذري على غير مطمع في وصال،
- الترفع عن الغنائم والأسلاب،

- الحلم مع لباس وعدم الإساءة إليهم على ظلمهم وإساءتهم،

- تحمل الظلم والأذى والصبر على المكاره،

- كراهية الظلم والتغني بالعدالة . . الخ . . الخ .

- بعض الآثار الدالة على التوحيد في شعره

لصبر على الآلام وتحشمها . يذكر بالسيد المسيح - يقول خليل شرف الدين، نقلاً عن

المستشرق الأب لويس شيخو!!

ومهم يكن من نصرانية عنترة أو عدمه، فإنه كان الأجدد بأبي العلاء المعري أن يضعه

في الحنة، أو أنصف أو أخذ بنفس المعايير التي اعتمدها في إدخال زهير وعبيد بن الأبرص

إلى الجنة!!

(١) ديوان عنترة ومعلقته . ص ١٦٠ تحقيق الأستاذ خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٨ م.

والحميل في هذا التحقيق أن الأستاذ خليل يصنع عناوين جميلة ومصرة لقصائد عنترة .

المعري يُدخل صخوراً (أخا خُناس) في النار

ولا يكاد الإنسان يجد تفسيراً موضوعياً مقنعاً لماذا وضع أبو العلاء صخوراً أح الخسء الشعيرة في النار . . . وهو الرجل الكريم لذي كان أسطورة في الكرم ، في صلة الرحم والشجاعة والجدلة واشرف والسودد ، حتى أن حُسْن لم يرق لها مدفع ولم نجف نهى مافي ، منذ موته وحتى كدت أن تهلك نسي عليه وحزب وكمداعلى فرقه .

وإن صخوراً لسيدنا وحامينا

وإن صخوراً إذا نشتو لنحار

وإن صخوراً لمقدام إذا ركبو

وإن صخوراً إذا جاعوا العقار

وإن صخوراً لتأثم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

جلد جميل المحيّا كامل ورع

وللحروب ، غداة الرّوع ، مسعار

حمال ألوية ، هباط أودية

شهاد أندية ، للجيش جرّار

فقد كان خالصتي من كل ذي نسب

فقد أصيب فما للعيش أوطار

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته

كأنه ، تحت طيّ البرد ، أسوار

جهم المحيّا تضيء الليل صورته

أباؤه من طوال السّمك أحرار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر

ضخم الدسيغة بالخيرات أمار

لا يمنع القوم ، إن سألوه خلعتة

ولا يجاوزه بالليل مُرّار

واخسء أولى بوسط الحجة من " رهير " وعبيد بن الأبرص وليد المعري وغيرهم لأنها أسندت وحسن إسلامها وقدمت ثلاثة من أبنائها شهداء في سبيل الله . ولكن نو

العلاء يضعه في طرف الجنة، وعلى مقربة من النار، وأوشك أن يضعها في الأعراف (البرزخ) إلا أنه لم يصطنع برزخاً في "رسالة الغفران" كما فعل "دانتى" في الكوميديا الإلهية!

ومهما يكن من التبرير، وبوشك المرء أن يتهم أبا العلاء بالغيرة من صخر، لأنه كان شهماً كريماً مضيافاً، ولأنه كان سيداً واسع لثراء وكان يوقد النار لإكرام الضيف. أما أبو العلاء، فقد أضرع كل ذلك لأنه ترك التكسب مطلقاً، حتى التكسب بالشعر وكان يدر عليه مالاً وفيراً في أيام شبابه. ولكنه منذ أن إنزوى في معرة النعمان ترك العمل وترك التكسب بالشعر أو خلافه، فذهب ماله وأصبح فقيراً معدماً لا يزور أحداً ولا يزوره أحد وانطوت حياته كلها في المجالس التي اصطنعها لنفسه في "المنزل" والتي لم يصطنعها "العمى" والنفس الحبيبة" التي كان يشكو منها. فلعلة أحس بالغيرة من ذلك السيد الجاهلي "صخر" فوضعه في النار لمجرد بيت من الشعر في مراثية "خناس" التي أشرنا إليها أعلاه:

وإن صخرأ لسيدنا وحامينا

وإن صخرأ إذا نشتو لنحار

وإن صخرأ لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

قلنا أعلاه أن أبا العلاء، لم يعلق على أخبار الزنادقة الذين ذكرهم ابن القزح في رسالته إلى أبي العلاء التي فجرت أفكاره وخواطره التي سجلها في "رسالة الغفران" رداً على رسالة ابن القزح. ونريد أن نضيف هنا أنه رد عليها في لقسم الثاني من "رسالة الغفران" بعد أن فرغ من تصورات الخيالية في الجنة وسكانها والنار وسكانها، وكأنه وهو المتهم بالزندقة نفسه لم يرد أن يقطع برأي عما إذا كان أولئك الزنادقة والملحدون - الذين أشر إليهم ابن القزح في رسالته - سوف يدخلون الجنة أو النار... ولكن على مذهبه في دخال أولئك الشعراء الذين أدخلهم الجنة فيكفي أولئك الزنادقة أن يكون لهم بيت أو أبيات من الشعر يذكر فيها الله أو معنى من معاني التوحيد حتى يستحقوا الدخول في الجنة. ولذلك لم يشأ أن يحكم فيهم صراحة. وترك المرء يحمن في ذلك وبقس على ما فعله في إدخال من أدخل إلى الجنة أو النار... فاعتبر.

خاتمة هذا الفصل:

وفي ختام هذا الفصل، فلا بد من كلمة على فلسفة أبي العلاء التي يغلب عليها التشوُّم من أناس عموماً، ومن الأخلاء وودهم، كما غلب عليها الرمد في مدح حياة ورسد وأنها كلها عذر ومير وكذب، كرهية راتحتها، فاسد هو أوقها (ام دفر) وأنها لا تكدر كُريم ولا تأبه للحزين والأسى، وأنه أي أبو العلاء لم يطمر منها بشيء أبداً الدهر.

وحقيقة الأمر في كل ذلك، أن أبا العلاء هو المسؤول وحده عما است إليه عيبه ١ - فقد ترك بغداد وعاد إلى قريته الصغيرة، حاملاً الذكر، طيلة الشأن وأنه في تلك القرية نفسها (ألم نفسه ما لا يدريها) وأخذ إلى المأوى: شعرب وفضل بواحد أحسن حميع عليه وترك السعي وراء المال أو المنصب أو حتى السهرة في المدينة الواسعة بغداد... وقد مات أبوه من ذي قبل، وكان أبوه ذا من وكان يتفق على أبي العلاء، فلما مات أبوه أصبح بلا سند ولا معين. ولا مال ولا خيل ولا مؤونة. ثم مات أمه أثناء عيابه في بغداد في فترة شبابه الأولى. فما عاد عودته الأسردي سي سعد النعمان، واتخذها محبساً طوعية على فقد الحنان والنعابة العاصفية التي كانت ترفده بها أمه التي كانت تحو عليه كثيراً كونه قد أصابه العمى وهو في السادسة من عمره. وهكذا فقد الأب والأم جميعاً. وهؤلاء هم - في هذه الدنيا الموحشة - هم "الرحماء"، كما قال الشاعر (حافظ).

٢ - ولم يكن لأبي العلاء من في معرة النعمان، وقد كان التكسب بالشعر يدر عليه دخلاً معقولاً في أول شبابه، وكان يمدح الأمراء والوجهاء ونسلاص واحداً ولكنه كره التكسب بالشعر فانقطع ذلك لمورد أيضاً، فأصبح أبو العلاء عانة بلا مورد مالي إطلاقاً ٣ - وكونه فقيراً بغير أموال ولا أملاك، فلم تكن له بقاءً تساعد على الرواح، على ما كان فيه من عاهة العمى، كما كان يفتقر إلى جمال لطلعة كان قصير القامة - نحيل احسد، قد شوه الحذري الذي أصيب به في الصغر شوه وجهه، إذن لم يكن لأبي العلاء أي ميرة ترغب الفتيات فيه وترغبهن في الرواح منه، فلم يتزوج. ولم تكن له صاحبة ولا ولداً.

٤ - والمال والنون رينة الحياة الدنيا وزهرتها. ولم يكن لأبي العلاء أي حظ منها في محسه في معرة النعمان، وحرم نفسه الاسفادة من الموهبة الكبيرة التي وهب الله إياها ألا وهي علومه الغزيرة في اللغة والنحو والأدب.

وأعظم من ذلك موهبته كشاعر عملاق لا يشق له غدر وكفكر من أعظم الكتاب والمفكرين .

إذن فأبو العلاء نفسه قد ساهم مساهمة عظيمة في تشكيل حياته التي اتسمت بالعزلة والوحشة . وبالقدر المدقع والكافة والحرمان وكان لو بقى في بعداد ، ولو صارع الحياة والناس . لخلق به أن يصنع مجداً لنفسه وأن ينزوح من فتاة تمحه الرعاية والمحبة والسكينة ولرحمة . وأكثر من ذلك تمحه الأولاد النجاء ، كونه كان إنساناً موهوباً ذكياً المعيا .
إذن لماذا يذم أبو العلاء حياته الموحشة المقفرة في معرة النعمان وقد صنعها بيديه ؟ .
وصاغها باختياره الحر اللاعقلاني ؟ .

غير أن أبا العلاء وقد وجد نفسه معزولاً بيده لا يبدع عمرو في محبسه في معرة النعمان لم يحلده إلى الراحة ولم يقبل بأن يصير نسياً مسياً . ولم يرض بأن يكون شيئاً غير مذكور .

وأسعر ملكانه في الأدب والشعر ليتقلب على الدنيا وعلى الناس وعلى الدهر ساحصاً مرتباً يسكب على الدنيا مرارته وأحارانه وحرمانه ولكن كان من الأجدر بآبي العلاء ألا يلوم أحداً ، بل يلوم نفسه واختياراته الصعبة اللاعقلانية ففكره وأدبه وموهبته العظيمة في الشعر والفكر والحياة والثقافة الواسعة والعلوم الزاخرة في اللغة والأدب والفلسفة والمس والنحل ؟ ! .

إننا نشعر بالأسى لأبي العلاء ، كونه حرم نفسه طواعية من زهرة الحياة الديق ومن زيتها :

قل تعالى : ﴿ قل من حرم ربة الله التي أخرج لعباده والطبات من الرزق قل هي للدين امو في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة ﴾ (لأعراف : ٣٢)

كذلك لم تكن أبداً من سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يعتزل الحياة أو أن يعزف عن مبهجها وزهرتها ، ولم يلجأ إلى الانسحاب من الحياة وصراعها ولا الهروب من مشكلاتها ومصاعبها ومحاطرها . . بل ظل راسياً ثابتاً ثبات الحبل برغم الأهواء والأهوان ، وبرغم الصعاب ورغم الإحزن وبرغم الأعداء والتحديات التي كانت تحيط به من كل اتجاه ومكان . وتزوج صلى الله عليه وسلم النساء وأنجب الأولاد والبنات وكانت حياته مثوها السعادة والمرح وبريه ويدعوته وبمعتزكه في الحياة وبمبصيره بين الناس والأحداث . كان صلى الله عليه وسلم سعيداً بمخالطة الناس والصبر على أذاهم ، كان

سعيداً بجهاده يعلمهم الخير والقرآن . كما كان سعيداً بفضل الله عليه أن أناه السبع المثاني والقرآن العظيم ! وكان كل ذلك أو بعض ذلك متاحاً لأبي العلاء ، إذا احتار البقاء في وسط الحياة وفي وسط الصراعات وفي أتون معارك الحياة ومحاطرها . . ولكنه اختار بدلاً من ذلك - الهروب والانسحاب من الحياة الواسعة إلى الحياة الضيقة الراكدة الاسنة في معرفة النعمان . وعمد على موهبته في الكتابة والشعر يسخرها لتقد الحياة وسبها والتشهير بها والتشكي الذي لا يكف أبداً من جورها وظلمها وكآباتها ومراراتها ! .

لقد سعدنا من أبي العلاء المعري بأغانيه الرائعة في "سقط الزند" لأنه كان في تلك الفترة المبكرة من الشباب مقبلاً على الحياة . مشاركاً فيها ، مستمتعاً بخيراتها ومباحيها وزينتها وجمالها . . وكان متفانلاً مقبلاً على الحياة لا مدبراً عنها ، معجباً بجمالها ، لا قالاً محقناً لها . ولذلك جاءت ، قصائده تعبر عن الحياة الزاهية الضحوك وعن مباحيها وصبايها وحلاوتها النضيرة . ويا ليتته استمر في البقاء في بغداد . ولم تكن ضربة لازب أنه سوف يقتل على اتهامه بالزندقة . . وكانت تلك - على كل حال - مخاطرة كد يستوجب عليه أن يخوضها . بل كان يستطيع أن يدفع عن نفسه تهم الزندقة والإحاد وأن يواجه مكائد الأعداء والحساد والعواذل والمخصوم جميعاً وهو يملك لذلك أسلحة كثيرة ماضية الحدد ، فتاكة الضرب والطعن والمضاء !! ولكنه للأسف لم يفعل - وكان - إذا فعل ذلك ، أي خاض غمار الحياة وصراعاتها ومخاطرها لخلق به أن يتحفنا (بدلاً من "لروم ما لا يلزم") بأعمال طريفة خلّدة بأغاني الحياة وقصصها الدرامية والمسرحية والعمائية وما أجمع الغناء بلغة الغناء الساحرة - لغة الآباء والأجداد من مصر ويعرب !!

هل استعار أبو العلاء عنوانه "لزوم ما لا يلزم" من بيت المتنبي إلى سيف الدولة .

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها

ألا يواربهم سهل ولا علم ؟!

لقد أعطى أبو العلاء المعري سبباً فنياً لهذه التسمية العربية "لروم ما لا يلزم" نقصد أنه عزا ذلك إلى بعض جوانب القوافي والأوزان ، والبحور . ولكن بالرغم من ذلك شعر شعوراً قوياً أنه نظر نظراً شديداً إلى بيت أبي الطيب أعلاه

وفي حتام هذه الخواطر ، لا يفوتنا أن نلاحظ كثيراً من جوانب الحياة في العصور الإسلامية لم يشأ أبو العلاء أن يعلق عليها ! جوانب من السياسة والاختلاف فيها وحول الإمامة والخلافة والنزاع بين علي ومعاوية والفرق الإسلامية من قدرية ومعتزلة وجبرية

وكذلك بعض شخصيات العامة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن
تلاميذه، لم يذكر أو اعلاء - في رسالة الغفران، وفي الجنان التي رآها أي من .

(١) أبي بكر رضي الله عنه

(٢) ولا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٣) ولا عثمان بن عفان رضي الله عنه

(٤) ولا عائشة رضي الله عنها .

وإنما ركز على لسي وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وبعض من ألبت، على من
الحسين وبنيه وحمزة بن عبدالمطلب وغيرهم .

هل كان أبو العلاء من أهل التشيع؟ أي كان من الشيعة؟ ومن أي فرق الشيعة؟ سؤال
نطرحه للأجيال الآتية من الباحثين!!

كذلك فإن فلسفة أبي العلاء وتلك الحواشي التي يخالف فيها المودح سوى للمفكر
والحياة خديرة بالبحث والتفتيش فيها ولماذا كتب "رسالة الغفران" بالطريقة التي كتبها؟ إن
أخطاء الخدوف ليست بأقل من أخطاء الإبحاد والإثبات!

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد ألا اله إلا أنت نستعفرك ونتوب إليك و صلى ونسلم
على رسول الله الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ونسلم تسليماً كثيراً .

الفصل السادس
عبدالله الطيب
وأبو الطيب المتنبيء

الفصل السادس عبد الله الطيب وأبو الطيب المتنبي

أبو الطيب المتنبي في حياة عبد الله الطيب :

لنسا في هذا الفصل بصدد إجراء دراسة شاملة لأي واحد من هذه القمم، فهذا مجال واسع، لا تطرقه ولا تطيقه هذه الدراسة المحدودة، والغرض منها أساساً هو إرجاء التحية واحياء الذكرى للراحل المقيم، العلم العلامة أستاذنا وحبيبنا عبدالله لصيب رحمه الله رحمة واسعة. ولكنا نريد أن نلمح مجرد الإلماح إلى تأثره البالغ بهؤلاء الشعراء العظام، كما يبدو ذلك من خلال أعماله الفكرية وخاصة (المرشد) وقد حص عبدالله لطيب أب الطيب المتنبي بدراسة خاصة أيضاً في كتابه الموسوم ' لطبيعة عند المتنبي ' !
وعبدالله الطيب يحب أن ينادي المتنبي باسمه وكنيته - (أبي الطيب)، ولا يحب أن يناديه بـ (المتنبي)، لأنها لفظة فيها إدانة ' أو معرة ! إذ أنها تشير إلى تلك المرحلة من حياة أبي الطيب " التي رعم فيها أنه نبي مرسل، فسجن وضرب وعذب من أجل ذلك، حتى ترك ذاك الإدعاء، ولم يعد في حاجة إليه، بعد أن أصبح شهيراً، يُشار إليه بالبنان، وسارت قصائده وفرائده القوافل والسيارة، واصطفاه أعظم أمراء اشام سيف لدولة الحمداني أمير حلب شعراً لللاطه وصديقاً وجليساً! وداعية لسلطان دولته، فنهض بذلك خير نهضة وقام به خير قيام!

ونكر لماذا اختر عبدالله الطيب مجال الطبيعة بين أغراض شعر أبي الطيب وهي - أي الطبيعة - ليست المجال الأبرر في شعره أو في قصيده؟! لست أدري، وليس هالك من سبيل لسؤاله ولقد قضى عليه الأجل، وفي النفس لوعات ولوعات إلى لقائه والتمتع بعذمه الوفير وأدبه الحميل الرائع . . مضى قبل أن نلقاه كما كنا نحب، ولم يستطع وداعه الوداع الأخير لاغترابنا في بلاد الخليج . . وكم يح في نفس من ذلت من أسى وعبرات، وكم نكابد منها من شوق وصيابات . . كنا نؤجل ذلك اللقاء المرة بعد المرة وكأننا نتصرف في الدهر أو القدر فيا لغرور الإنسان ويا لغرور الحياة الدنيا وما فيها من عفلة وسين وما بفعلائه في حياة المرء حتى يدركه أمر الله وهو في غفلة وتيهان وهي تكاثر وتفاحر وخسران . وصدق المولى عز وجل ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ .

لو إحتار عبدالله الطيب مجال الفخر في حياة المتنبي أو أي من لأغراض الأخرى

كالمديح و الهجاء أو الحكمة والأمثال أو العزل والنسب، لكن ذلك أولى وأحسب .
وعلى كل حال ، فعبدالله الطيب مفتون بأبي الطيب المتنبي ، لا يعالج موضوعاً من
مواضيع الشعر أو القوافي أو الأوزان أو البحور إلا واستشهد بأبي الطيب وإبو الطيب
حاضر في كل أجزاء كتابه " المرشد " ، ولا تكاد أي صفحة من صفحات ذلك الكتاب
الموسوعي تحلو من ذكر لأبي الطيب ، أو إستشهد ببعض أشعاره وقصائده . فتأثر عبدالله
الطيب بأبي الطيب المتنبي لا يقل كثيراً من تأثره بأبي العلاء المعري . . حقيقة المعري
لعبدالله طيب لا يمكن أنه إلا أن تساءل في أحيان كثيرة : هل تأثر عبدالله الطيب أكثر بأبي
العلاء ، أم بأبي الطيب المتنبي . . أم بقصائد الجاهلنين وبشعرهم ؟

و لكن الشيء المؤكد أنه تأثر بهما جميعاً تأثراً عميقاً . وربما كان تأثره أعمق بالجاهلنين
لأنهم أصل الشعر العربي ومنعه الأصيل . والفترة الجاهلية عموماً هي الأكثر على بالشعر
وهي السنة التي نشأت فيها بحور الشعر العربي وقوافيه وأوزانه وتفعيلاته : وكل ما فعله
الخليل بن أحمد الفراهيدي ، غيره من علماء اللغة العربية وأشعار العربية أنهم استنبطوا
قواعد وأسس وأنوع تلك البحور والأوزان وهايسوا بينهم وميروا محسبها من عيوبها
كما فعلوا في خصائص البحور وأوزانها وهكذا وهلم جرا . . ولكنهم بالتأكيد لم يشنوا
شيئاً جديداً . أما في العصور الإسلامية ، ربما تأثر عبدالله الطيب أكثر بالمعري من حب
صجره بأسس وفنونه وفائهم ومسلهم لإحراق الأذى بالمتفوقين والنوابغ ، حسد من عند
أنفسهم ، وتفضيلاً لغرائر الشر والأذية في طبائعهم ، التي تحاكي طوائع العقارب .

حب الأذية من طبائع العقرب .

ولكن عبدالله الطيب معجب جداً بفحولة أبي الطيب المتنبي الشعرية ، ومعجب أكثر
بقدرته الفائقة في تفجير القصيد العربي ، والتعوق الكبير في نظم الشعر السلس الرصين
السامق الحميل ، وفي كل أعراض الشعر ، خاصة في الفخر والمديح والهجاء وكذلك في
الحكم وبشر الأمثال والكلم الخبيث المعان في المصاحبة والبيان . وإعجاباً في الأدب لغوي
المتفوق العبقرى .

وعبدالله الطيب صريح في تفضيله بي الطيب على أبي العلاء المعري لقدرته المتنبي ،
على الإتيان بالقصيد الرائع المعجز في كل أعراض الشعر التي تطرق لها . وفي قدرة أبي
الطيب على وصف الطبيعة الكونية والطبيعة البشرية سواء بسواء . والمتنبي بعد ذلك
مقاتل جسور وبطل مغوار ، لا يشق له عبور ، كما أنه شاعر لا يبارى في القول أو القصيد

المستشرقون يفضلون أبا العلاء على أبي الطيب:

وبعد ساء عبدالله الطيب كثيراً ان المستشرقين - وخاصة المستشرق نيكلسون (Niklson) يفضلون أبا العلاء على أبي الطيب، من حيث تعتبره شاعرية، من حيث الأفكار والآراء والنظريات، ويتنصر عبدالله الطيب ويحارب أبي حنبل أبي الطيب ويقول: "أبا العلاء نفسه كان أكثر عقلاً وحكمة من ان يدعى استقوى على أبي الطيب، بل كان أبو العلاء محبداً إلى الافتباس من أبي الطيب كثيراً، كما كان يحارب ان يصل إلى مرتبته بالحرء أبي الأفكار الخيلية العنيفة" مثل رسالة العصر - "والدواءين العويصة (مثل ديوان - لزوم ما لا يلزم)" وكذلك اعمد اخرى عويصة، صاغ أكثرها في معرفة الثعالب، عندما اجتاحتها الصليبيون وغيرهم.

عبدالله الطيب ونيكلسون والمتنبى:

ومهم مكن من شيء، فعبدالله يسسرك اشد الاسكار ما ذهب إليه (نيكلسون) من تخس لأعمال أبي الطيب المتنبى وادعائه أن المتنبى لم يكن موهوباً ولم يأت شيء مدح يمكن أن يرقى إلى مستوى الأعمال الأدبية العالمية الخالد. كما فعل أبو العلاء الذي وصل القمة العالمية بأعماله الأدبية المدعة من أمثال "رسالة العفرا" التي أثرت في الآداب العالمية كلها:

يقول نيكلسون عن المتنبى^(١):

"يقول ابن حلكان (عن المتنبى): أما شعره فهو في نهاية (يقصد النهاية من الكمالات) ولكن الأساندة الأوربيون^(٢) باستثناء "فون هامر"، لا يشاركون (ابن حلكان) في هذا الإعجاب المتحمس للمتنبى بشيء. وتشهد بذلك أفون (رايسك) و(دي ساسي)، و(يوهدين) و(بروكلمان) وغيرهم في هذا الموضوع!

ولا ريب أن منزلة المتنبى - بحسب قوائين ذوقنا - دون منزلة مشاهير الجاهليين بكثير. وسببي - بالنسبة للعصور المتأخرة أن يجعل دون أبي نواس، وأبي العتاهية.

إن معنى الشعر، كما يفهم من مدلول هذا اللفظ في أوروبا، لا يمكن أن يجدوا في ما

(١) المرشد الجزء الرابع القسم الأول، ص ٥٥٣. طبعه جامعة الخرطوم

(٢) نيكلسون تاريخ الادب العربي، طبعه كمبردج. ترجمة عبدالله الطيب لبعض فقرات نيكلسون التي يدم فيها أبا الطيب وبعض من شأنه ويحط من قدره. وتعد قام الدكتور صمصاء حلوصي بترجمة كتاب نيكلسون إلى العربية لاحقاً.

كتبه المتنبي من لدّة أو متعة فنية، بل على العكس من ذلك فسوف يتفوزون من المحاسن التي برعها النقاد العرب، يمثل أو أكثر مما يتفوزون من مساوئه . انتهى كلام بيكلسون ويرى عبدالله الطيب أن ما قاله بيكلسون حول أبي الطيب وما أطلقه من أحكام هي أشياء لا قيمة لها وباطلة، ذلك أنه "يجهل معادن أشعار العربية وصحة التدوق لها"، بل وربما يجهل بيكلسون، والذين استشهد بهم من المستشرقين، أصول النقد الأدبي في لغتهم الأوروبية، فأنى لهم معرفة أصول النقد الأدبي في اللغة العربية وأنى لهم فهم أشعار الصوامي وبحور الشعر العربي وأوزانه وتمعيلاته، ولكنه الإدعاء - من جانب بيكلسون أنه يفهم قواعد النقد العربي أكثر من النقاد العرب فيهم يرون - أي النقاد العرب - محاسناً في أشعار المتنبي وقصائده، يراه بيكلسون مما يثير التفز أكثر من المعائب التي يرونها!! إدعاء عريض كادب ومضراً! ولقد فضل بيكلسون وأمثاله أبا العتاهية وقالوا إنه أقرب إلى فصاحة الجاهليين من المتنبي. . وكانوا من قبل قد فضلوا أبا العلاء، لأن كلا من أبي العتاهية وأبي العلاء من الذين اتهموا بالإنحراف عن الإسلام. وربما هذا - في رأي عبدالله الطيب - هو الذي قربهم إلى قلوب المستشرقين!! ولكن في الحقيقة - يقول عبدالله الطيب - أن أبا العتاهية أبعد ما يكون من الجاهليين!

ويرى عبدالله الطيب أن جهرارة صوت أبي الطيب المتنبي في مدح الجهاد والمجاهدين، من أمثال سيف الدولة الحمداني أمير حلب وكذلك دمه للنصارى هو السبب في حقد المستشرقين عليه ونيلهم منه؛

يقول المتنبي - في مدح سيف الدولة في جهاده - ضد الروم البيزنطيين:

ألزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها

ألا يوارىهم أرض ولا علم

ويقول واصفاً سيف الدولة بالشجاعة والإقدام:

وقفت وليس للموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمربك الأبطال كلهم هزيمة

ووجهك وضاح وغمرك باسم

ويقول المسيبي، مادحاً سيف الدولة وذاماً المنافقين من المسلمين الذين قعدوا عن

الجهاد:

أرى المسلمين مع المشركين
 إما الخوف وإما رهب
 وأنت مع الله في جانب
 قليل الرقاد كثير التعب
 كأنك وحده وحده
 ودان البـرية بأبن وأب
 ويقول المتنبي ، في ذم الروم الذين كانوا يقتلون سيف الدولة :
 ويستنصران الذي يعبدان
 وعندهما أنه قد صلب
 ليدفع ما ناله عنهما

فيا للرجال لهذا العجب
 وكما قلت أعلاه ، فإن عبد الله الطيب مفتت بمقدرة المتنبي الفائقة في وصف الطبيعة ،
 ولذلك فقد أفرد لذلك كتاباً خاصاً ، وهو كتبه المرسوم (لطبيعة عبد المتنبى) . . . وها هو
 يعود إلى هذا الموضوع مرات ومرات في (المرشد) وها هنا يستعرض قصيدة للمتنبي ، في
 وصف الطبيعة - يقول عنها إنها من ' الفرائد ' ويقول إن ' كل بيت منها كرم من المعالي
 والعواطف ' (١) وهذه القصيدة هي من القصائد السيارة لمتنبي في وصف (وادي بون) و
 (شعب بون) والتي مطلعها :

مغاني الشعب طيباً في المغاني
 بمنزلة الربيع من الزمان
 ولكن الفتى العربي فيها
 غريب الوجه واليد واللسان
 طبت* فرساننا والخيـل حتى
 خشيت وأن كـرُمن من الحـران
 غدونا ننفـض الأغصان فيها
 على أعـرافها مثل الجـمان

(١) (المرشد) الجزء الرابع بالقسم الأول ، ص ٥٥٣ طبعة جامعة الخرطوم .
 * طبت أي استميلت والحران هو وقوف الخيل صفاءً والسرقة تعني السمسرة

فقم من بما يرد الشمس عني
 وجئن من الضياء بما كففاني
 وألقى الشرق منها في ثيابي
 دنائيراً تفـر من البنان
 لها عمرة تشير إليك منها بأشربة
 وقـفـن بلا أواني
 وأمواه تصل بها حصاها
 صليل الحلى في أيدي الغواني
 إذا غنى الحمام الورق فيها
 أجابته أعاني القيين
 ومن بالشعب إحوج من حمام
 إذا غنى وناح إلى البيـان
 وقد يتقارب الوصفان جداً
 وموصوفاهما متباعدان
 يقول بشعب بوان حصاني
 أعن هذا يسار إلى الطعان
 أبوكم آدم من المعاصي
 وعلمكم مفارقة الجنان

عبد الله الطيب وأندرو مارفيل وأبو الطيب :

ويرى عبدالله الطيب إن الشاعر الإنجليزي (أندرو مارفيل) والذي كان من أعوار الشاعر
 الإنجليزي (أوليفر كرومويل Cromwell)، والذي كان صديقاً للشاعر الإنجليزي (جون
 ملتون) من عرفوا بالشعراء الميتافيزيقيين، قد أخذ من نونية أبي الطيب أعلاه وذلك في
 قصيدته الموسومة :

The Garden or Thoughts in a Garden

وعبدالله الطيب يقول إن سخرية (أندرو مارفيل) من نصب الناس وكدهم في سبيل
 الخصر على شيء من جريد النخيل (وهو رمز النصر في الحياة) أو تعبيهم وكدهم في

سبيل الحصول على ورق (البلوط) " وهو رمز الملك والسلطان " أو تعبهم وكدهم في سبيل
الحصول على أغصان الغار (وهو رمز الشعراء) ما هو إلا هباء، وسراب وهذا يؤكد بقول
أبي العلاء المعري:

تعب كلُّها الحياة فما أعجب

إلا من راغب في إزدياد
ويعطي عبدالله الطيب مثالا آخر لتأثر (أندرو مارفيل) بأبي العلاء المعري، وأنندرو
مارفيل يقول في القسم الثاني من قصيدته:

The Garden or Thoughts in a Garden

يقول إن الصحبة وخلاط الناس شر يقود إلى غلظ الطباع وفضاظتها ولكن لوحدة فيها
نقاء وعذوبة، وهو كقول أبي العلاء المعري:

ذريني وكتبي والرياض ووحدي

أكون كوحش باحدى الأمالس

يسـوِّف أزهار الربيع تعلقة

ويأمن في البيداء شر المجالس

أم ما أخذه (أندرو مارفيل) من أبي الطيب المتبىء، فإن عبدالله الطيب يعطي الأمثلة
التالية:

* قول (أندرو مارفيل) ما ترجمته (ترجمة عبدالله الطيب) من قصيدته (The garden).

وعناقيد العنب اللذيذة The luscious cluster of the vine

تعصر في فمي منها السيد Upon my mouth do crush their wine

وضروب من الدراق مع الخوخ العجب The nectarine and curious peach

تمد بأنفسها إلى يدي من كثر Into my hands themselves do reach

يقول عبدالله الطيب، أن هذا يذكر بقول المتبىء (في شعب بوأن).

لهائمرة تشير إليك منه

باششربة وقـففن بلا أواني

* وقول (أندرو مارفيل) في قصيدته " الحديقة ":

هكذا كانت تلك الجنة من بهجة Such was that happy Garden-state
إذ كن آدم بهيم فيها بلا روجة while man there walked without a mate

وبعد هذا المكان حلو الصفي After a place so pure and sweat
 ماذا ير د أن يفي من اسعد What other help could yet be meet
 كلف فوق وسعه ابن آدم الصعيف But it was beyond a mortal's share
 أن يكون وحده هنالك يطيف To wander solitary there
 ودين لأصب حنتين في جنة Two paradises it were in one
 ولو بقى في الفردوس بلا كنة To live in Paradise alone

والكنة أو (الجنة) هي الزوجة :

يقول عبدالله لطيف أن أبيات (أندرو مرفيل) أعلاه تذكر بيّيات لمتنبيء
 يقول بشعب بوآن حصاني
 أعن هذا يسار إني الطعان
 أبوكم آدم سن المعاصي
 وعلمكم مفارقة الجنان
 يقول عبدالله الطيب بن مطلع قصيدة (أندرو مرفيل) ما ترجمته :
 ما أعجب هذه الحياة التي أحيّاها :

What wondrous life is this I lead!

تذكّر بشدة تمطع قصيدة المتنبي، في وصف شعيب (بوآن).
 مفاني الشعب طيباً في المغاني
 بمنزلة الربيع من الزمان
 ملاعب جنة لو سار فيها
 سليمان لسار بترجمان
 ولكن الفستى العربي فيها
 غريب الوجه واليد واللسان
 طبت فرساننا والخيّل حتى
 خشيت وإن كرّم من الحران
 فمتسيء يتعجب كثيراً من حسن هذا الشعب ومن عرته حتى أن سليمان نفسه لو راه
 لاحتاح إلى ترجمان ليفهم طلاسمه وعرايئه ويديع حسنه ودقة أسراعه وغموصها !

مهم يكن من شيء ، فعبدالله الطيب ، لا يكاد يتعب أو يصيبه الوباء من متابعة ما يظن أن شعراء الإنجيز قد أخذوا أو حتى سرقوا من الشعر العربي ، وخاصة في وصف الطبيعة ، ولقد علق على لكثيرين منهم ، ولا شك أن الشعر الإنجليزي قد تأثر كثيراً في مجال الغزل ومحال وصف الطبيعة ، بالشعر العربي ، ولكنني أظن أنه من المبالغ غير معقولة أن تقول أنه أخذ كل شيء من شعر العربي ، ولا أظن أن عبدالله الطيب يريد أن يقول ذلك ، وحسب عبدالله الطيب أنه لفت النظر إلى اقتباسات الشعراء الإنجيز من رؤى والأحيلة والرموز العربية وما أكثرها وما أوسعها في هذا اللسان العربي المين !

عبدالله الطيب والمتنبى:

لا شك أن عبدالله الطيب قد تأثر بأبي الطيب المتنبى كثيراً ، لأن هنالك قواسم كثيرة مشتركة ، وهنالك شوائب وخطوط نفسية ودهنية ووجدانية كثيرة يشتركان فيها ، كما أن حياتهما تتقاطع في دروب كثيرة :

فالمتنبى - أغلب الظن - يعحدر من سلالة علوية هاشمية عريقة طيبة ، وأنه كان قد أخفى نسبه خوفاً على نفسه من الفتك والهلاك ، لأن العلويين كانوا مستهدفين من جهات كثيرة ، ومن الأمراء لأنهم كانوا أصحاب دعوة تشد إصلاح المسلمين ونوقر ل البيت ، عمرة رسول الله عليه وسلم ، وهذا بالطبع يجعلهم طلاب سلطة سوء أرادوا ذلك أم لم يريدوه . رغبوا فيه أو رغبوا عنه ، فاحماهير التي تحبهم من الشيعة تريد أن تراهم حلفاء وأمراء . ومن هو أجدر منهم باخلافة ، ومن أحق منهم بالملك والإمارة ، فيهم أولياء الأمر وسادة المسلمين . ولهذا السبب أخفى المتنبى نسبه الحقيقي ، ولكنه كنى نفسه (أبي الطيب) لأن لصفة الغالبة على أن البيت أنهم طيبون طهرون وأن طيبة النفوس والأخلاق هي شيمة عالية عندهم ، دالة على كريم محدثهم ونبيلاً أعراقهم وشخصية المتنبى قد تشكلت من زمن نعومة أطفاره على أنه " صاحب حق " سلب منه وأنه يستوجب عليه المطالبة بذلك الحق ، والثورة من أجل بيله والظفر به . وقد أعانته على ذلك نفس بعيدة الهم ، عالية المطالب والمرامي . لا يكاد طموحها يعرف حداً أو منتهى ينتهي إليه . كما كان شجاع القلب ، فارس معواراً وبطلاً هماماً ، شاعراً خطيباً بليغاً لا ترهبه الأعداء ولا البيداء ولا الظلام أو الليل أو الغول والجن .

فلدت ولد أبو الطيب شاعراً ، ذا صفات كثيرة ، ومن أهمها أن يدرك الملك ويصبر

أميراً كما يهوى وسيداً مصاعاً كما يحب وينسى . وتذكرك سافر وعمر وقتل بالكسفة
وبالسيف والرمح والسنان، كما كان لا يتهدى إلى مكان تأتي وصعب إذا كان ذلك المكار
مظنة أن يلاقي فيه ما يشتهي من الآمال والأمانى .

من ذلك سيره أولاً إلى سيف الدولة الحمداني، أمير حلب ومكثته عنده سبع سنوات
ماحدة مضيئة كانت أوج حياته وأسعد فترات رماه وفيها أنشأ أعظم قصائده وأعدنيه وعبي
للمجد والشرف والجهاد، كما لم يغنى قط في أي زمان سابق لذلك أو لاحق له، ولا
عجب في ذلك فسيف الدولة كان يحسد كل ما يوق إليه أبو الطيب بل كان يجسد حـ
أمانيه في الحياة وجل ما كان يطمح إليه من أفكار ورؤى وأمانى عذاب . وهو العربي
صليبة، والعلوي عرقاً وسلالة والبطل المسلم الذي تصدى للروم وصدهم عن النيل من
بلاد العرب والمسلمين أو التغلب عليهم، وسوقهم ادل أو الخضوع . وهيئات هيئات بهم
ذلك وسيف الدولة راض لهم ربص الأسد . مخادع نهم خذاع التغلب . نحب موت
أكثر من حب الروم الحياة، فجاهد في الله، لا تريد علواً في لأرض ولا فساداً وإلى لتكون
كلمة الله هي العليا وكلمة الصاعوت هي السفلى، وتلك جسّد سيف الدولة معني الحـ
والشرف الرفيع التي كانت تحددو المتنبي "مد مبلاده في الكوفة، والتي من أجلها حبه
وجناء حرف، وجرءاء قبدود":

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ

أما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيداً دونها يسد

لو لا العسلا لم تجد بن ما أجوب

بها وجناء حرف ولا جرءاء قيدودُ

وكان أطيب من سيفي معانقة

أشياه رونقه الغيد الأماليدُ

لم يترك الدهرُ من قلبي ولا كبدي

شئاً تميمه عين ولا جيد

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه

أنى بما أنا شاك منه محسود

أمسست أرواح مشر خمازناً ويدا
 أنا الغني وأموالي المواعيد
 إنى نزلت بكذابين ضيفهم
 عن القرى وعن الترحال محدود
 جود الرجال من الأيدي وجودهم
 من اللسان فلا كانوا ولا الجود

لنخذ انتهى به سعيه وتظنعه وثورته إلى نهاية مأسهية : أسيراً محروماً من الموال ومن
 حرية حركة عند حاكم مصر كفور الأحشيدي . دي الأصول النخوة الذي اعتصب
 الخلافة في مصر اعتصاناً وصار إماماً للمسلمين والعلويين ومنهم المتنبىء . أصفار اليديين
 فيها غرباء الوجه واليد واللسان غير أن المتنبىء هت يفنضح عن عنصرية بعيدة قد حرمها
 الإسلام وحرمها رسول الإسلام الذي إليه ينسبون ومحت راية الأشراف التي ورثوها
 كبنهم عشرة رسول الله وأهله المعربين - وتحبهم يقابلون من أجل خلافة ولكن رسول
 الله قد أدا انعنصرية و'معجيه وأذن للاستعلاء بالأهل ولأجداد والاء :
 كلما عمل عبد سوء سيده

أو خانه فله في مصر تمهيد
 صار الخصي أمام الأبقين بها
 فالحرم مستعبد والعبد معبود
 نامت نواظير مصر عن تعالها
 فقد بشمن وما تفنى العناقيد
 العبد ليس لحر صائح بأخ
 لو أنه في ثياب الحر مولود
 لا تشتر العبد إلا والعصا معه
 إن العبيد لأنجاس مناكيد

هذه لعنصرية البغيضة مما يقص من مكانة سبيء ، ويسىء إلى نسبة الشريف إن صح
 دعائه أنه علوي النسب هاشمي الميلاد ، وإن كان بعض حسده قد أنكر عليه ذلك ، بل
 أنكر عليه أبو فراس الحمداني إسماءه إلى قبيلة كنده الحضرية فكان يعيره بـ "دعي كنده"

والصحيح أن أبا الطيب لم يدع الانتماء إلى كعدة، ولكنه وُثِد في حي كعدة بالكوفة. .
وكان أغلب أهل ذلك الحي من قبيلة كعدة، الذين هاجروا إلى الكوفة بعد الفتح، إذ كانوا
من المجاهدين الذين استقروا في العراق وأنشأوا الكوفة " والبصرة "
ولقد كانت الفترة التي صحب فيها أبو الطيب الأمير سيف الدولة من أدهى أيامه
وأغناها وأكثرها مجداً ونضالاً وعبقريّة فيها تمحّرت شاعريته بالقريض العبقري، البدع
الذي سر سیر الشموس وبقي بقاء الدهر، وأطرب الناس، كما أطرب لعيس والجار
والخليقة كلها. فقد كان أروع الشعر، لم سمع مثله منذ أيام غنّرة من شدد وأمرىء
القيس:

- ثماني وثلاثين قصيدة،

- وإحدى وثلاثين قطعة

- وأجزاء في مجموعها تبلغ ألفاً وخمسمائة واثنى عشر بيتاً^(١):

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فساربه من لا يسير مشمراً

وغنى به من لا يغني مفرداً

أجزني إذا أنشدت شعراً فإثماً

بشعري أنك المادحون مررداً

ودع كل صوت غير صوتي فإني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

ولقد اشترط المتنبي، على سيف الدولة شروطاً في سير المحبة والصحبة بينهما:

١- أن يمدحه - حين يمدحه بالقصائد - وهو جالس،

٢ أن لا يطلب منه الوقوف ولا الإنحناء أمامه - نهيك عن تقبيل الأرض بين يديه، إن
كان البعض يفعل ذلك فعلاً (والواحد يشك في ذلك)،

٣ أن يكف عنه أدى العواذل والحساد، وما أكثرهم وعلى رأسهم ابن عم سيف الدولة
أبي فراس الحمداني.

(١) د نأحي علوش أبو الطيب المسيبي، دراسة في هويته وشعره، الرواد للنشر والتوزيع
بمروت ١٩٩٣.

وبالرغم من كل ذلك ، وبعد كل ذلك المجد والثناء والصياء ، انتهت تلك لفترة الزهية في حياة لرجلين ، الأمير والشاعر ، نهاية مأساوية ، سار بذكرها السيارة وأصبحت أحاديث لعاكف والبادئ في بلاط سيف الدولة وكل أرجاء العالم الإسلامي ، منذ ذلك اليوم وحتى الآن .

ذلك الفراق المأساوي الذي خلده أبو الطيب بقصيدة فريدة رائعة هي قمة القمم في القصيد والبيان والقوافي ، وهي أيضا مبلغ النهاية في الصبابة والشكوى والألم وغاية الأسى الذي يصيب الحبيب عند اضطرابه لمفارقة من يحب وهو أشد ما يكون كراهة لذلك الفراق :

١- واحر قلباه من قلبه شيم

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

٢- مالي أكتم حبا قد برى جسدي

وتدعي حب سيف الدولة الأم

٣- إن كان يجمعنا حب لغرته

فليت أنا بقدر الحب نقسم

٤- قد زرته وسيوف الهند مغمدة

وقد نظرت إليه والسيوف دم

٥- فكان أحسن خلق الله كلهم

وكان أحسن ما في الأحسن الشيم

والتي يقول فيها أيضا :

يا أعدل الناس إلا في معاملي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعسى لها نظرات منك صادقة

إن تحسب الشحم فمن شحمه ورم

وما إنتفاع أخي الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أنا الذي نظر الأعشى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها
 ويسهر الخلق جرأها ويختصم
 وجاهل مده في جهله ضحكي
 حتى أتتسه بدور سنة ربه
 إذا رأيت نيبوب الليث بارزة
 فلا تظن أن الليث يبتسم
 فالخيل والليل والبيداء تعرفني
 والحرب والضرب والقرطاس والقلم^(١)
 يا من يعجز علينا أن نفارقهم
 وجداننا كل شيء بعدكم عدم
 ما كان أخلقنا منكم بتكرمة
 لو أن أمسرياً من مسركم أم
 إن كان سرکم ما قال حاسدا
 فما لجرح إذا أرضاكم ألم
 وبيتنا - لو رعيتم ذاك - معرفة
 إن المعارف في أهل النهي ذم
 كم تطيبون لنا عيباً فيعجزكم
 ويكره الله ما تأتون والكرم
 ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
 أنا الشرياً وذان الشسيب والهزم
 ليت الغمام الذي عندي صواعقه
 يزيلهن إلى من عنده السديم

ويستمر أبو الطيب في هذا النشيد الفريد الرابع، الذي كنه صباية وشكرى وعتاب على
 ممض أيم، ويذكر أنه لا بد من ليس منه بدءاً، وأنه مضطر إلى فراق سيف الدولة والرحيل

(١) هذه رواية الواحدي، ولكن هذا البيت روي أيضاً :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم .

بعيداً عنه إلى مصر، بالرغم من حبه المقيم في سويداء الفؤاد لصديقه الأمر النابغة، وأنه لا يريد حقيقة فراقه، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ومكره أخك لا بطل، كما يقول المثل:

أرى النوى تقتضيني كل مرحلة
لا تستغلُّ بها الوخادة الرُّسْمُ
لئن تركن ضميراً عن ميامننا
ليحدثن لمن ودعتهم ندمُ
إذا ترحلت عم قوم وقد قدروا
أن لا تفارقهم فالراحلون همُ
شر البلاء مكان لا صديق به
وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصمُ
وشر ما قنصته راحتي قنصُ
شهب البزاة سواء فيه والرخمُ
بأي لفظ تقول الشعر زعتفةُ
يجوز عنك لا عُرب ولا عجم
هذا عتابك إلا أنه مسقة
قد ضامن الدر إلا أنه كلمُ

لقد أحدثت هذه القصيدة (واحر قلباه) عند إلقائها - أمام سيف الدولة ومجلسه العمر بالشعراء والأدباء والقاد والعلماء - ضجة هائلة، خصوصاً عندما قال البيت:

مالي أكتنم حبا قد برى جسدي

وتدعي حب سيف الدولة الأم

وماح المجلس وارتج ما بين مراح معجب وقادح مُغضب، وخاصة أبي فراس الحمداني - ابن عم سيف الدولة والمنافس الرئيس للمتسيء على وجه سيف الدولة.

ويقر أن تلك الصلة القريبة بين الرجلين سيف الدولة والمتنيء وتلك المحبة العميقة أسرار منها:

١ أن سيف الدولة - العدوي النسب، كان وحده يعلم أن أبا الطيب علوي النسب وأنه من سلالة أحد أئمة الشيعة العلويين.

٢ - وكأنه كن يقدر أن أبا الطيب قد لحأ إليه من بين أمراء الأنحاء والأمصار وأنه قد ستحار به وأنه كان يعرف أن حياة أبي الطيب مهددة إذا فارقه .

٣- كان يقدر تقديراً فائقاً عبقرية أبي الطيب الشاعرية وفحولته في القصيد وفي القول ، وأنه شاعر فارس مغوار .

٤- كان يحسبه ليعخلد مسيرته في الحكم وفي الجهاد وليعدي من شأن الإمارة الحمدانية العلوية في حلب .

٥ - كن يحتاجه كداعية فعال ، وكلسان حال مسموع مؤثر ، لحشد الناس باستمرار لقتال الروم وجهادهم ، ولتعضة الناس والمسلمين للاستعداد والاستنفار الدائم لجهاد عدو خطر مترص ، وكان الروم هم الخطر الماثل والتحدى الأول للدولة ولسيف الدولة

٦- كن يعلم أن المتبوء يحبه حب صادق لأن الرجلين يتشبهان كثيراً في الشخصية وفي الرؤية الفلسفية والسياسية جميعاً وكانا يشتركان في أيديولوجية واحدة ، مفادتها وجوب نصرته الدولة العلوية العربية على إمارات الخدم والعجم وضد تيار الشعوبية والباطنية القرمطية الشاطحة المتطرفة .

٧- وتأخيراً وليس آخراً ، كان سيف الدولة يريد ولكنه لا يستطيع أن يمح أنا الطيب إمارة فرعية ولا يستطيع أن يولييه على ناحية من نواحي الولاية لأنه كان أعرف الناس بقدرات أبي الطيب الحقيقية ، خاصة طموحه الذي لا يعرف لحدود ، وكذلك اقدامه وحسره التي لا تخاف شيئاً . فهو قد ادعى النبوة وهو صغير مغمو - فقير لا حول له ولا قوة ، فكيف إذا أصبح أميراً أو والياً ؟! ومن هنا كنت الدراما التي انتهت بفراق الرجلين ودهاب أبي الطيب إلى كافور الإخشيدي والي مصر . لان الدراما والتي غلب ما تنتهي إلى مأساة هي التي تحمل في طياتها اشكالات غير قابلة للحل أو الخلاص منها !!

وفي القصيدة ، كما نرى ، تعريضاً ببعض الناس من حاشية سيف الدولة وخاصة الدين عناهم بالتحلف عن المسير إلى الجهاد مع سيف الدولة والذين عناهم بقوله :

"وسيف الهند مغمدة"

والذين عزا إليهم بعض الهزائم التي تعرض لها سيف ، وهي إشارته :

"وقد نظرت إليه والسيوف دم"

فقدم هؤلاء إليه وهموا بالفتك به وهو في مجلس سيف الدولة إلا أن الأمير أسكتهم وأوقفهم:

وعندما قال:

أعيذها نظرات منك صادقة

ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

بهض إليه بو فراس، شائماً أياه، قائلاً:

"من أسب يا دعي كدة حتى تأخذ أعراض الأمير في مجلسه .

يقصد نفسه لأنه من خدصة الأمير . وحقيقة لقد تجنى عليه المتسبب لأن أبو فراس كان شعراً كبيراً فذو لا يقل كثيراً عن المتنبيء " شحمه له يكن ورماً " في يوم من الأيام . وهو الفارس المغوار أيضاً كالمتنبيء تماماً وهو الذي يتعنى الناس بشعره من اليوم .

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهى عليك ولا أمر

بلى أنا مشتاق وعندى لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سر

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى

وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر

معللتني بالوصل والموت دونه

إذا مت ظمآن فلا نزل القطر

ونقد أخذ على أبي فراس هذا البيت الأخير ، وتقارن النفس بين هذا البيت وبين أبي

العلاء المعري:

فلا نزلت بي ولا بأهلي

سحائب ليس تنظم البلاد

ولكن أعظم شعر أبي فراس ، مثله في ذلك مثل المتنبيء : هو شعره وقصيدته في الفخر

وفي الجهاد، خاصة الروميات:

سيدكرني قومي إذا جد جدُّهم

وفي الليلة الظلماء يفترق البدر

٢٥٧

فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه
وتلك القنا والببيض والضُّمُر الشُّقر
وإن مت فالإنسان لا بد ميت
وإن طالت الأيام وانفسح العمر

ثم يقول مفتخراً بنفسه ويقومه:
ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسنة لم يغلها المهر
أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا
وأكرم من فوق التراب ولا فخر

وبكل لمقاييس، كانت 'واحر قلباه' قصيدة فريدة ولكنها أيضاً محدجة مزلفة. وقد
بالع المتسيء في مدح نفسه والفخر بمقامه، ولكنه يريد أن يقول أنه شاعر حالد، سوف
تبقى آثاره على مر الأيام.

وما سيف الدولة إلا أمير من جملة الأمراء وأنه سوف ينساه الناس والتاريخ، غير أن
الشعراء المبدعين كنفسه خالدين على الأيام باقون ما بقى الدهر. ومن ذلك بيته
الغريب^(١):

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

بأنني خير من تسعى به قدم

هذا البيت حذفه (الواحدي) من ديوان المتنبى الذي حققه وشرحه وأنا أرجح أن يكون
(الواحدي) محقاً! فكيف يجوز لشاعر فطن أريب أن يمدح أميراً، ثم يقول أمامه أنه أفضل
منه!

ولكن بالرغم من ذلك، فإن القصيدة حوت فخراً عظيماً بالشاعر ومكانته ودماءً واضحاً
لأفراد كبير دي شأن في بطانة سيف الدولة ومن خاصته، وبالذات أبي فراس الحمداني

(١) هذا البيت أورده المستشرق (وحييس دلاشبر) في كتابه "أبو الطيب المتنبى دراسة في الأدب
العربي" ترجمه د إبراهيم الكيلاني، دار المكر دمشق. الطبعة الثانية، ١٩٨٥ غير أن (الواحدي)
لم يذكره في تحقيقه لديوان المتنبى.

من عم الأمير . وكذلك فده الحند وبعض الأمراء الكبار الدس تخلفوا عن زحف في بعض المواقع .

كذلك حوت القصيده تهديد واضح لسيف الدولة بأنه سيؤي . إذ لم تصدح لأمره ويكف الحساد العرادل عن داه وأهم من ذلك . إذا لم ينل ما يستحقه من تقيد الوزراء والإمارة فيه سوف بدعب إلى كافور الاحشيدى في مصر وقد كان كافور عدواً لأول للدولة الحمدانية في حلب والاشارة واضحة في كلماته :

لئن تركن ضميراً" وهذا حل يكون على عيين السائر إلى مصر من الشام

لئن تركن ضميراً عن ميسامنا

ليحدثن لمن ودعتهم ندم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

أن لا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق له

وشر ما يكتسب الإنسان ما يصم

غير انه يقول في صباهه واضحة وأسى عظيم وأسف أكبر بأنه ما زال يحب سيف الدولة ولا يريد فراقه ، وأن حبه كلها ووجوده كله ، وبدون سيف الدولة فادبها كلها عدم :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

إن كان سرگم ما قال حامدنا

فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وكنه هذا يعاتب سيف الدولة عتاباً قاسياً وأليماً وهو يستنكر سكوته على أدى العودل والحساد وما يعيرونه به من أنه 'دعى كندة' وأنه متنىء كذاب ، وهو - من دور الناس كلهم - يعلم نسبة العلوي الشريف ، ويعلم مدى ما يكره له المتنبىء من محبة ومن مقة (أي حب دفين) عبر عنه في البيت الأخير :

هذا عتابك إلا أنه مقة

قد ضمن الدهر إلا أنه كلم

وبالرغم من هذه القصيدة وقوة موسيقاها التي تهز الحبال وبرغم حرارة العاطفة المشوبة

فيها التي تكاد تذيب جبال الجليد، إلا أن سيف الدولة ظل صامتا ولم يقل شيئا ولم يفعل شيئا. وربما كان سبب بقاء ردة فعل سيف الدولة، أنه كان غير راضٍ ببعض الشيء، أو قل كان مستاءً ببعض الشيء، من إفراط المتنبية في مدح نفسه والفخر بمكانته أمام سيف الدولة، وأمام الخاشية والبطانة بكامل هيئتها وفيهم من كان يكره أبا الطيب المتنبية ويحسده على مكانته عند سيف الدولة خصوصا إذا صحت الرواية التي تتضمن البيت الذي حذفه (الواحدي) وأورده (بلاشير):

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا

بأنني خير من يسعى على قدم

كذلك، فإن للمرء أن يتصور أن الأمراء والحكام لا يصلح معهم التهديد والوعيد، ولا يرغبون في معاون أو مستشار يخطف الأضواء منهم أو يبرزهم في أي شأن من شؤون الحياة أو السياسة أو الشخصية. ولكن المتنبية يبالغ بالافتخار والاعتزاز بنفسه أمام الأمير، بل وبعض الأبيات فيها تعريض خفي بسيف الدولة نفسه، ويتصرفاته ومعاملته - غير الكريمة في بعض الأحيان - بالشاعر الذي يحبه ويعلى من شأنه ومن شأن إمارته في كل الأحوال ويدافع عنه وهو مستعد لفدائه بكل شيء.

وما انتفاع أخي الدنيا بناطره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

وقوله:

إذا رأيت نيبوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يبتسم

وكأنه يريد أن يقول غير راض بما يقول الحساد وما يفعلونه وغير راض عن سكوت سيف الدولة وإغضاضه عن أعمالهم وأفعالهم التي تؤذيه كثيرا.

ثم قوله:

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة

لو أن أمرنا من أمركم أم

فكانه يريد أن يقول أن أمره وخاطره لم يعد يهم الأمير كثيرا ولم يعد يعأنه ولا يبا يصيبه من ضرر وأذى على أيدي أولئك الحساد اللثام، الذين يختفون تحت سلطان سيف الدولة ويستترون وراء حجابه وسطوته.

وكذلك نبته الذي يقول فيه أن سيف الدولة لم يعد يراعي المعرفة والمودة التي تربطه - منذ سنوات - بالشاعر المبدع أبي الطيب المتنبي، ويذكره بأن " المعارف عند أهل السهى ذم " وهو تذكير ثقيل وغير دبلوماسي إذا كان المخاطب من أهل السلطان والإمارة، فلا يحور ولا يقبل أن يخاطبوا بتلك اللهجة المتعالية التي لا تخلو من حقوة أو غلظة .
بل إن مطلع البيت نفسه بيت غير مناسب وفيه اتهام واضح بأن قلب سيف الدولة أصبح بارداً أو غير مكترث بالأصدقاء

واحر قلباهم قلبه شميم

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

فلئن صبر أبو الطيب على حرمانه من الوزارة ومن الإمارة وسيف الدولة ما زال يستبقيه ويعده خبراً، وليس بمستطيع بعد ذلك اليوم - أن يصبر على استمرار احساد والعواذل يكيدون له كيداً، وسيف الدولة صامت لم يفعل شيئاً ليكتهم أو ليردعهم بعض الردع عن الاستمرار في الإساءة إليه وإلحاق الأذى به وإشانة سمعته وهو الرجل الكريم والفراس المغوار الذي تعرفه الخيل والليل والبيداء والسيف والرمح والقلم والكتابة وإنشاد الشعر الرفيع الرائع الفريد :

غير أن الفتى يلاقي المنايا

كالخات ولا يلاقي الهوانا

ثم انتظر أبو الطيب المتنبي صدى قصيدته الأخيرة لسيف الدولة، قصيدته التي تُشه الانذار الأخير " واجر قلباه " والتي أفرغ فيها كل ما في جُعبته ولم يستبق شيئاً، وقال أحر أحسان محبته ومعرفته لحبيبه وصفيه ورعيه ونسيه العلوي السب، ذي الحياء والسلطان والدولة والصو لجار . ولكن ذلك الصدى لم يأت أبداً فلا صوت ولا صدى صوت، فعزم ركه وحقائه ورجل بلبل بطريق غير معروف . وهو الفارس الذي لا يخشى الرحة ولا الوحدة في السفر ولا مخاطره، فهو يدافع عن نفسه بالسيف والرمح ولا يهاب شيئاً .

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقسطاس والقلم

رجل المتنبي عن سيف الدولة وهو مقيم على حبه وعلى إعززه له ويراه أحسن الناس . . بل هو يراه كل عيشه وكل وجدانه :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عسى

« عند خطأ مسبي خطأ وحشا، وفذر بقدر ناله سوء والعقد ان يفارق سيف الندى »
وسحار إلى عدوه كافور: لأحشدي الذي لم يكن يكن لامي الطيب أي مودة بين رما
كان بكرهه، عُرِف عن أبي الطيب من عجبائه وعصريه واستعلاء على كل من لم يكن
عربياً علويّاً من آل البيت، فكيف بكافور ذي الأصور - نجية والذي كان عبداً مملوكاً في
يوم من الأيام!

ولذلك لم تمض سنوات قليلة له نصر في بلاط كافور لا وقد تكشف له خطأ حبسه
وأنة لم يركب خطأ حسيماء، راركب حسافة العمر أبي لا شيء يمكن أن يقين عنده حب
وكان دهائه إلى مصر وهذه حياته! إلا ما بعد هذا رهبة غير اعتياله بواسطة (فاتك) عصف
هرب من مصر أخيراً وأذهب إلى بغداد والكوفة سرّاً.

فقد كانت فكرته في الذهاب إلى مصر ولا حيز إلى (كافور) لأحشدي هي
يقول الخواجات:

The Anti Climax of his life

وعبر عن تلك الحنية ما حذر في قصائده هي لاكثر بقدر وروفاً، وأسى وحزناً، في كل
قصائده.

ومن تلك قصائده الرائعة، ذات الإيقاع الحزين المزيج الأسى، الشوق
والصباية، قصيدته التي مطلعها:

عييد بأية حال عسدت يا عييد

بما مضى أم لا مرفيك تجديد

وفيها يعبر عن شوقه ومزجه وهو شبه سجين في مصر لا هو حقق شيئاً من أهدافه وأمنه
ولا هو حر ظليق في تصرفاته، فقد منعه «كافور الأحشدي» من السفر ولم يعطه شيئاً:

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

يقول أبو الطيب في تلك القصيدة الرائعة:

أما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيد دونها بيد

عبد الله الطيب ونيكلسون والمنتبيء (عودة):

لقد حاول نيكلسون ومن لف لفه من المستشرقين - في رأي عبد الله الطيب - حاولوا ان يعتلوا شخصية المنتبيء الأدبية، كونه الأكثر استمساكاً بالهوية العربية الإسلامية والأكثر اعتزازاً بالقيم العربية الأصيلة.

وهناك سبب آخر للغيب الواضح في لهجة نيكلسون ضد المنتبيء - حتى أن محسنه (أي منتبيء) تُفهر التقزز عند نيكلسون ومن شايعة من المستشرقين؛ ذلك السبب هو أن المنتبيء هو الأعلى صوتاً في اندعوة إلى الجهاد ضد الروم، الذين كانوا يهددون لشعور الشمالية للدول الإسلامية أو قل الدويلات الإسلامية وما تبقى من الخلافة العباسية في بغداد. مثله في إمارة الحمديين في حلب بقيادة أميرها الناهية سيف الدولة الحمداني. والحقيقة التاريخية الثابتة هي أن الروم كانوا - ومن أيام الجاهلية - لا يحسون أن يروا العرب بلا عملاء وأتباع مستضعفين تحت سلطانهم. وقد غزوا تلك البلاد الشام الكبرى، بما في ذلك فلسطين وحتى مصر وشمال أفريقيا، ووسطوا سلطانهم وحضارتهم عليها وكان سبغتهم قمعياً وتسليطياً لا بعد الحدود. وعندما جاء الإسلام ثارت تلك الشعوب المستعبدة ضد سلطان الروم، ودخلت - في كثير من الأحيان - طابعة تحت سلطان الدولة الإسلامية، ودخل معظم سكان تلك القلاع إلى الإسلام أيضاً طواعية إذ أن الإسلام ما كان ليُجبر أحداً للدخول فيه، لأن القرآن ينص صراحة: "لا إكراه في الدين"!

مهما يكن من شيء، فقد انتهزت الروم ساحة ضعف دولة الخلافة العباسية وتضعف المسلمين وانقسموا إلى دويلات انتهزوا تلك الفرصة وحاولوا بسط سلطانهم مرة أخرى على الشام ولكن سيف الدولة الحمداني كان لهم بالمرصاد. وكان المنتبيء حهيراً حاداً في مؤامرة جهود سيف لدولة في تعبئة المسلمين للجهاد ضد الروم وضد عدوانهم في الشعور الشمالية. مما يلي إمارة الحمدانيين وعاصمتها "حلب" الغراء، أدام الله عزها وأمتها!

هما جاءت محاولة نيكلسون ومن لف لفه للإعضاء من شأن المنتبيء وزعمهم أنه في أحسن أحواله يشير تقززهم ربيصيتهم باعثيان. وهذا السلوك هو في الواقع دبدن معظم المستشرقين، وإن كانت قلة منهم قد أظهرت الانصاف والتقدير لرموز الثقافة العربية الإسلامية.

١ - وممتجمري واط المستشرق ابريطاني لاسكتندي الأخص برغم محولاته الصورية بأعدالة والزاهة والانصاف . إنتهى في مؤلفاته الغزيرة إلى إنهاء الرسول ، صلى الله عليه وسلم بأنه نبي زائف ودعى (Imposter) وأنه وإن كان صادقاً في دعواه لنسبه إلا أنه كان أميراً لأوهامه وحيالاته ووسوساته أنه يسمع أصوات لروحي . فهو صادق ولكنه مهلوس أو أصير للهلوسة .

٢ - ولقد حاول (رنست رينان) وتلميذه (ماسيويو) الفرنسيين اتهام الأمة العربية كلها بأنها تعاني من عاقبة عقلية باطنية واخلقة ، وإنه لا تمك القدرة على التفكير الحر الخلاق ؛ خاصة التفكير النقدي التحليلي وأقصى ما تستطيعه المذهبية العربية المتحجرة هو الحفظ والغناء بالمحفوظات ، كما فعل الشعراء الجاهليون جميعاً .

وبطلاق من هذه الطريقة لمريضة بالأوهام والعنصرية لأوربية الكلاسيكية . حاول (ارنست رينان) وتلاميذه الاعضاء من شأن الفلاسفة العرب العملاقة الذين كانوا أساتذة أوروبا ، منذ الغزو الإسلامي لإسبانيا وغيرها من أصماغ أوروبا

* فالكندي والفارابي ناقلان ومترجمان ليس إلا .

* وابن سينا مجرد منسق للفلسفة اليونانية ومعلق عليها .

* والعراقي قد دمر الفلسفة والفكر الحر وأشع زرعة دوقمانية تعسفية ، مليئة بالأوهام والغيبيات ، وصمد المنهج العلمي وعماده السببية التي انكروا العزالي فيما رعدوا

* وابن رشد مجرد (شارح كبير) لأرسطو وهكذا وهلم جرا ، حتى أنه لم ينج احد من فلاسفة العرب والإسلام من غمزههم ونزهم ومحولة إغتيالهم أدبي وفكري . كما فعلوا مع المتسيء ، حتى رعدوا أن أبا العتاهية ، وأن أبا العلاء المعري هم أعظم عمقيرة منه . وأكثر شاعرية وإبداعاً ولكن - ومهما يكن من أمر المستشرقين - فإن اعجابنا سلك لمور لعمالقة في الثقافة العربية لا يمعنا أن يكون موضوعين في نفوسهم ، ولا يدفعنا إلى التردد في توجيه النقد الإيجابي لأعمالهم الخالدة أو حتى لأفكارهم وقداهم حين تؤدي تلك القناعات إلى مواقف فكرية تراها خاطئة وغير مشرفة . ولكما بالطبع لا يفعل ذلك بصورة منهجية ومنسجمة ها لأن هذه الدراسة ، بطبيعة محالها - لا تسمح بالتوسع في هذا النقد والتمحيص ! ولكننا نعلق عرضاً على بعض تحذرات أونتكت العظماء وبعض أفكارهم الخاطئة والتي لا تسمو إلى محمل أفكارهم أو جوهر إبداعهم العظيم الذي يطل مصدر إلهام لنا وللأجيال بعدنا - برغم النقد والتجريح والتعديس .

فلا يعتبر انتسبيء وأبو نعلاء ولا بالضع أستاذ المرحوم عبدالله النقيب إن توحدهم بهم
بعض لنقد أو التعريض أو حتى التحريض يقتل من شأنهم أو عظمتهم . فلا تحلو أعمال
عظم من عظماء الفلسفة أو تفكر من هذات وسقطت وما شاء لمولى عمر وجل إلا أن
يكون الشر مضنة الزلل والاختلاف . بل حتى التناقص لصريح أحيان لأن القراء وحده
من عند الله سوف يبقى عصياً على السقص أو الإختلاف!

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾

(النساء: ٨٢)

لقد كان عبدالله الطيب محققاً في اندفع عن أبي الطيب في مواجعة نيكلسون وحزبه
الذين حاولوا جهد طقتهم الإعضاء من قدر المتنبي . بل وحاولوا اعتيال شخصيته الأدبية
وهو امر محطىء حقاً ، ومن حق الأجيال لتقديم علينا التصدي مثل هذه الخملات الطامة
على التراث العربي الإسلامي وبيان نهايتها وطلها . ومن هذا ما فعل عبدالله الطيب
جزاه الله خيراً .

وهذا الذي يدفع ليراد بعض آثار أولئك الأساطين في لأدب العربي والشفافة حتى
تستطيع لأجيال النشئة وتقديم من أساء هذه الأمة أن تقدر أولئك العظماء وأن تستعيد
من عصائهم وايداعهم ، وأن تستمتع بانروائع لأدبية والفكرية الخالدة التي أورثوا إياها ،
كأعظم كنوز وأجل ميراث يمكن لأي أمة أن تتوارثه .

من هذا المنطق ولتدعيم موقف أستاذ المرحوم عبدالله الطيب في مواجعة محاولات
نيكلسون وحزبه من المستشرقين لئيل من المتنبي . أردنا بعض روائع أبي الطيب ، خاصة
"واجر قنائه" والتي لم تسلم من نقد ، برعم اعجبت الهش بها ، كونه أعظم لمرند
في شعر المتنبي . وسحلاً حافلاً لفترة كاملة من تاريخ الأمة الإسلامية ، والأدب العربي

استعراض لبعض روائع المتنبي :

وبريد - فما يلي - يراد المرید من روائع متنبيء ، والتي طاماً تغيت به عدم كمال طلائ
في المرحلة لثابوية ونقبت عالمة في أدهاب ووجدان ، ويكفي هذ ديلاً على حدود
متنبيء كونه من أعظم شعراء العربية وكوب أعماقه وقصائده من أعظم الاعدي التي
يتغنى بها الإنسان .

أما قصيدته العصماء (عيداً بآية حال عدت يا عيد) فهي خالدة لأنها تمثل المرحلة لا حيرة

من تطور المنبيء الأدبي والشعري، وكذلك كانت مؤشراً على النهاية المناسبة التي انتهى إليها مصنفه من أجل الإمارة والولاية التي كنت الحادي الأعظم في كل حياته وكانت لمدار الرئيس لتورته ومطالباته، كما كنت العامل الرئيس في القلق لخصاتي والمسمى الذي ظل يعنونه، مد أن كان يافعاً في الكوفة وكان في رأيا - العامل الحاسم في حركته كمها وفي نقلاته. وفي مده وحرره، ولو لا هذا القلق وهذا الطموح المتوفد في صب الإمارة لي كان يراه حقاً للعلويين لما فرق أبو النظيف صديقه وصفيه وحبيه سيف دولة الحمداني وقد لقي منه من الإكرام والإحلال والعطيا فوق ما يتصور العقل في تلك الظروف حتى أنه قدمه وقربه أكثر مما فعل مع بن عمه أبي فراس الحمداني، الشاعر الذي لا يقل فحولة عن أبي الطيب المتنبي نفسه. ولكن سيف دولة نطع فشل في أن يبيد تلك الرعية الموقدة عند المنبيء ألا وهي الحنين للعحيب للإمارة والولاية السياسية. ولقد بدل المتنبيء كل غال ورخيص في سبيل إقناع سيف لدولة بتوليته الإمارة، حتى ولو على قرية صغيرة وحتى لبعض الوقت، كما زعم بعض المؤرخين. ولكن سيف دولة نأى عليه في ذلك، خوف من طموحه الذي لا يعرف الحدود، وخوف من حربين قريبين منه - كانوا أيضاً يطمعون في الإمارة، وكانوا يرون أنفسهم أحق به وأحذر من هذا "الدعي الكندي" ومهم نطع ابن عمه أبي فراس الحمداني!

١- ليالي بعد الظاعنين شكول:

وقصيدته التي مطلعها:

ليالي بعد الظاعنين شكول

طوال وليل العاشقين طويل

تعد رائعة من أعظم روائع المتنبيء وفيها يقول:

وما عشت من بعد الأحبة سلوة

ولكنني للنائبات حمول

وإن رحيلاً واحداً حال بيننا

وفي الموت من بعد الرحيل رحيل

إذا كان شمُّ الروح أدنى إليكم

فلا برحتني روضة وقبول

وما شـرقـي بالـدء لا تـذكـرأ
لـمـاء به أهـل الحـبـيب نـزول

أما في النجوم السائرات وغيرها
لعيني على ضوء النهار دليل
ألم ير هذا الليل عينيـك رؤيتي
فتظهر فيه رقعة ونحول

وقال فيها مادحاً سيف الدولة :
فـدنتـك ملوك لم تُسم مواضيباً
فإنك ماض الشفرتين صقيل
إذا كان بعض الناس سيف للدولة
ففي الناس بوقات لها وطبول

وفي هذا البيت فيه التعريض لبعض أعوان وأصفياء سيف الدولة ما فيه ، وأحشى أن
يكون قاصداً بعض أولئك القادة الذين إنهمروا عن سيف الدولة وانكشفوا عنه في بعض
المعارك ، وقد سبق أن أشار إليهم في قصيدته " واحرق قلبه " :
قد زرتـه وسـيـوف الـهـند مـغـمـدة

وقد نظرتُ إليه والسيف دم

مهما يكن من أمر ، فإن المرء ليحس بمقنع وحين غير عادي ، في هذه القصيدة ، سرعم
من أن الأمور كانت عادية بيه وأميره المحبوب سيف الدولة وكان في معبده في تـنت
الغزوات الظاهرة وكان سيف الدولة يسير من مصر إلى مصر حتى هزم حيوش اندمسق
هرمية كراء ، وكسر قواته الرئيسة في الشام وفي العراق و صـدب لدمسق نفسه بجروح
خطيرة في وجهه ولكنه تمكن من الهرب ، غير أن انه قسطنطين لم يكن محطوفاً فوقع في
الأسر ومات أسيراً عند سيف الدولة ربما متأثراً بجروحه التي أصيب بها خلال المعركة !!
قلنا إن أبا الطيب يبدو قلقاً في هذه القصيدة ، وداشجون وشكاة وحين طويل مديد ؟
فما السبب في كل ذلك ؟ ومن هو هذا " البدر " الذي ما إليه سبيل ؟

هل هو أحد الأمراء الذين كان يبادلهم الحب ويلتحون عليه كثيراً أن يلحق بهم ويمسكه
الأمسي . ومهم كفور الأحشيدي؟ ربما ولكننا نرى أن "هذا البدر ندي ما إليه سبل" هو
دئت الهدف الذي طال سعي إليه منذ حدثت أيمه في الكوفة وحين أدعى النبوة . ألا وهو
أن يصير أميراً أو وائباً أو سلطاناً أين هو ذلك الأمن العزيز في الوصول إلى سدة الملك
واسلطان الذي كن يرى أنه "حق له" كونه سليل أحد الأئمة العلويين!
مهم بك من شيء ، فإن فخره المبالغ فيه ، في آخر القصيدة ليعبر عن قبحه أنه حدير
بالإمارة ، حقيق . منك إذا تطلع إليه فإن هذا انطبع جد مشروع .

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله
إذ القول قبل القائلين مقول
وما للكلام الناس فيما يريني
أصول ولا للقائلين أصول
أعادي على ما يوجب الحب للفتى
وأهدأ والأفكار في تجـول
سوى وجع الحساد داو فإنه
إذ حل في قلب فليس يحـول
ولا تطمع من حاسد في مودة
وإن كنت تبـديها له وتنبـل
وإننا لنلقي الحسادات بأنفس
كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا أن تصاب جسومنا
وتسلم أعراض لنا وعـقول

٢- عيد بأية حال عدت يا عيد:

كنت هذه القصيدة هي عاصمة النظير للعلاقات بين أبي نطيب المنسي وكفور . ولقد
مصت أكثر من عدم كنت لعلاقة ممتدة بينهما . ولكنها لم تصل إلى درجته القصيدة
وبك كمنسي قد طلب من كفور صراحة . مرة أو صيغة مقدرة . ولكن كفور لم

يرافيه شيء من ذلك ، وكان يسبقه بمصر ويضله بالمزيد من القصد المدحة ، وفي حر
سنة قبل هروبه وكتابة قصيدته .

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيه تجسديد

وهي القصيدة التي قالها في يوم عرفه وبعدها هرب من كفر سر^{٤١}
وكان هروب لمتنبىء يوم العيد - عيد الأصحى - بعد يوم واحد من قصيدته اشار إليها
أعلاه (عيد بأية حال عدت يا عيد) :

وفي هذه القصيدة هجاء من شخص كفر ، مليء بالعنصرية المعيسة بالمعالي
العنصري المدموم : وكان حروجه يوم عيد الأصحى ، سنة ٣٥٠ هـ .
ول فيها ، يذم كفر الأحمدي ، ويعاتب على العبد سيف لدولة تقصيره نحوه لأمر
الذي حملة إلى اليأس واليأس هو اندي حمه لكي يلوذ بكفور :

ما كنت احسبني أحيا إلى زمن

يسيء لي فيه عبد وهو محمود

ولا توهمت أن الناس قد فقدوا

وأن مثل أبي البيضاء موجود

وأن ذا الأسود المشقوب مشفرة

تطيعه ذي العضاريط الرعايد

جوعان يأكل من زادي ويمسكني

لكي يقال عظيم القدر مقصود

ولم لها حطة ولله قائلها

لملها خلق المهرية القود

وعندها لذ طعم الموت شارب

بالميسرة عبد لند قديد

من علم الأسود المخصي مكرمة

أقومه البيض أم أباه الصيد

أم أذنه في يد النحاس دامية

أم قدره وهو بالفلسين مردود

أولى اللئام كويفسير بمعذرة
في كل يوم وبعض العذر ثقيلاً
وذاك أن الفحول البيض عاجزة
عن الجميل فكيف الخصية السود

٣- صاحب الناس قبلنا ذا الزمان:

ومن قصائد المتنبي، والتي صدرت مسير الأمثل والحكم العميقة اعتذاره لنفسه، كم
ترك سيف الدولة وجأ إلى كاهور، وشتا بين الرجلين مكانة ومجداً، وهو يعدد نفسه في
تحوله وإقامته وفي أسفاره وممواه، وفي مده وجرده أنه إنما عانى ما عانى من تسل الضفر
المحدد، ومحاولة أن يصيب الملك والإمارة والفخر بكل السبل وكل الحيل وكل الجهد.
ولو لا ذلك، " فإن مراد النفوس أصغر من أن تعدى فيه وأن تتفانى " .

صاحب الناس قبلنا ذا الزمان

وعناهم من أمره ما عانا
وتولوا بغصة كلهم منه
وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه
ولكن تكدر الإحسانا
وكأننا لم يرضى فسينا بريب
الدهر حتى أعيانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة
ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن
نتعادي فيه وأن تتفانى
غير أن الفتى يلاقي المتأيا
كالخيلات ولا يلاقي الهوانا
ولو أن الحياة تبقى لحي
لعدنا أضلنا الشجعان

وإذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تكون جباناً
كل ما لم يكن من الصعب
في الأنفـس سهل إذا هو كانا

٤- بم التعلل لا أهل ولا وطن:

يُقال إني أبي الطيب أنه بُعِيَ في مجلس سيف الدولة ما حربه ذلك ورد عني أبي عم
وهو حبس في ملاط كفور لا حيل أهديت له ولا مال، عند كفور بل همتش وسحر،
أي حبس من لسفر، فقد يعاتب سيف الدولة، وينعي حبه لعائش عند كفور

بم التعلل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن
أريد من زماني ذا أن يُبْلَغني
ما ليس يبلُغُه من نفسه الزمن
لا تلق دهرَكَ إلا غير مكتوث
مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به
ولا يرد عليك الفاتت الحزن
يا من بُعيت على بعد مجلسه
كلُّ بما زعم الناعون مُرتَهَنُ
كم قد قُتِلت وكم قد مِت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

٥- على قدر أهل العزم تأتي العزائم:

يُقال سيف الدولة تمكن من هزيمة الروم هزيمة نكراء، فادّعيها فقتل نفسه فربما بها

العدو غير مار حيدته مع كوكبة من أنطنه وصديده، وعددهم لا يزيد على خمسمائة رجل ثم بسى قنعة في الموقع يقدل لها قلعه أخذت على جبن يقدل له الا حيد^(١)، قال أبو الطيب، مخلداً ذلك ومنوهاً به:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم
ثم قال بعد ذلك يمدح سيف الدولة:
فلله وقت ذوب الحسن ناره
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم
تقطع ما لا تقطع الدرع والقنا
وفرّت الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمربك الأبطال كل منى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي
إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

٦- فلا تقنع بما دون النجوم:

وقد سني، مطالب قومه (وإصحاح سيف الدولة تلميحاً) بإستهداف عظامهم لأموالهم - لا صغرها - لأن التعب هو لتعب، والموت هو الموت وهذه المصيدة في نفس منول على قدر أهل العزم تأتي العزائم" وهو رد سيق وحجة دافعة للمعاحرس في كس رمان ومكان، من الذين يدفنون عجرهم وفشلهم وراء حجة "عدم وجود إمكانيات طبيعية أو مدنية يقول المتشيء، إن لعجز في العقول والإفهام دائماً، لا في الطبيعة.

(١) ناجي علوش، أبو الطيب المتنبي، ص ٤٠ - الرواد - بيروت ١٩٩٣ .

'أد' عبرت في شرف مروم
 فلا تقنع بما دون النجوم
 فطعم الموت في أمر حقيقير
 كطعم الموت في أمر عقليم
 يرى الجبناء أن العجز عقل
 وتلك خديعة الطبع اللئيم
 وكل شجاعة في المرء تُغني
 ولا مثل الشجاعة في الحكيم
 وكم من عائب قولاً صحيحاً
 وأفاته من الفهم السقيم
 ولكن تأخذ الأذان منه
 على قدر القرائح والعلوم

٧- الرأي قبل شجاعة الشجعان:

قال المنبيء رحمه الله: يُعنى من أمر العقل، ويعطى أولوية كبيرة بمعرفة، بكأه
 معاصر، يقول إن الأولوية تُقصوى هي تسمية العقول وباء القدرات، فنحن في عصر
 المعرفة (The Knowledge Age):

الرأي قبل شجاعة الشجعان
 هو أول وهي المحل الثاني
 فإذا هما اجتمعا لنفس حرة
 بلغت من العلياء كل مكان
 ولربما طعن الفتى أقرانه
 بالرأي قبل تطاعن الأقران
 لو لا العقول لكان أدنى ضيغم
 أدنى إلى شرف من الإنسان

ففصائد المنبيء الثلاث لأخيرة، فلهذا تقول أن العقل هو الجوهرة التي تشكل كبار
 الإنسان، وهي اللؤلؤة التي يصيدها كبد وسير له الدرب، وأنه هو اعظم هبة من الله

وجل للإنسان، ولذلك فهو العنصر الأول في تشكيل هويته ومصيره في الدين والأخرة
وأن كل تقدم أو محذور أو فكر ياله الإنسان، فإنما يأتي عن طريق الإستخدام لأمثل للعنصر
ولبناء القدرات البشرية .

قصائد المتنبيء وقطعه :

❖ على قدر أهل العزم تأتي العزائم

❖ فلا تقنع بما دون النجوم

❖ الرأي فوق شجاعة الشجعان

كلها عثر عن مقولة واحدة أساسية أن العقل والعزيمة هي السبيل لكل نجاح أو فلاح ،
في الدين والأخرة . وفي هذا المعنى يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لو تعلق قلب
امرئ بأمرٍ لآثر لئالها، أو كمال صلي الله عليه وسلم وفي نفس المعنى ، يقول حكيماء
الإنجليز : If there is a will, there is a way .

والعقل والإرادة القوية العنصرية هي من أمضى أسلحة الإنسان الذي خلق ضعيفاً . من
ناحية القوة البدنية ، مقارنة بالإنسان والوحوش وحتى بالمعدن والعناصر الطبيعية الأخرى ،
ولكنه بالعقل والتدبير والإرادة العنصرية يطوع كل شيء ، ويسحر لمصلحته كل شيء .

٨- لكل إمريء من دهره ما تعودا :

ومن فرائد المتنبيء ، التي تفيض حكمة وأمثالاً ، قصيدته الرائعة ، بمدح سيف الدولة
وفيها يشبهه بالبحر الزاخر بالصدق والدر واللالى :

لكل إمريء من دهره ما تعودا

وعادة سيف الدولة الضرب في العدى

وإن يكذب الإرجاف عنه بضده

ويمسي بما تنوي أعاديته أسعدا

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا

على الدر وأحذره إذا كان مُزبدا

ذكي تُظنيه طليعة عينه

يرى قلبه في يومه ما ترى غمه

وصول إلى المستصعبات بخيله
 فلو كان قرن الشمس ماء لا وردا
 سم يسر د المشبيء في رصف صفات سيف الدولة وشماله حاسة الكرد واخشم :
 رأيتك محض الحلم في محض قدرة
 ولو شئت كان الحلم منك المهندا
 وما قتل الأحرار كالعفو عنهم
 ومن لك بالحر الذي يحفظ اليد
 إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
 وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
 ووضع الندى في موضع السيف بالعلی
 مضر كوضع السيف في موضع الندا
 ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة
 كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتدا
 يدق على الأفكار ما أنت فاعل
 فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

ثم قال - في نفس القصيدة (لكل أمريء ما دهره ما تعودا) . يعاتب سيف الدولة عنده
 مرا ويصخر بفوقه على أقرانه وسافسيه من لشعراء والחסاد :
 أزل حسد الحساد عني بكبتهم
 فأنت الذي صيرتهم لي حسدا
 إذا شد زندي حسن رأيك في يدي
 ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا
 وما أنا إلا سمهري حملته
 فزين مغروراً وراع مسددا
 وما الدهر إلا من رواة قصائدي
 إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمر
وغنى به من لا يغني معردا
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما

بشعري أتاك المادحون مرددا
وفي هذه القصيدة وغيرها من فرائده، تتضح عبقرية الشبيء ونكهته في نون ذمه
توضح مساهمة الكبيرة وعبوب شخصيته الكبيرة، وهذا أمر معتد عند كل المعاصرين
الموهوبين، تجد فيهم عيوباً شخصية كبيرة جداً.
والعقري في الغالب إسماء ذاتي وشخصيني وفردني (Self centred) بنى أعده
الحدود:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
وقوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
وقوله:

ما أبعد العيب والتقصان من شرفي
أنا الثريا وذان الشبيب والهزم
وقوله: لو كنت لبيت صحيحاً، إذا أن الواحدي لم يورده ضمن "واحرقتبه"
سيعلم الجميع ممن ضم مجلسنا
بانتي خير من تسعى به قدم
وكثير من قصائده تحمل هذا المعنى. ويصح الاعتداد بانفس الشبيء أن عريض أبي فراس
أحمداني، بن عم سيف الدولة وهو من فحول شعراء وكبار المحدثين في نعرسا
أعياها نظرات منك صادقة أن

تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وقوله أيضاً: رم معرض أبي فراس أحمداني وغيره من شعراء بلاط سيف الدولة
بأي لفظ تقبول الشعر زعنفه
تجوز عندك لا عرب ولا عجم

وقوله :

أجزني إذا أنشدت شعراً فإنيما

بشعري أتاك المادحون مرددا

؛ المتشبيء من بعد عصري إلى أبعد مدى ، وهو كذلك يتصف بالعجبة عرفه وهو شيء مستهجن في الإسلام وقد قال عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) 'لذي يرغم' متشبيء ، أنه يتشب إليه (دعوها فإنها منتنة) أي العصرية والحمية جاهلية وتفاخر بالأحد دو لآباء كما دلّ بها (أي تعصية الجاهلية العرقية والعصرية) تحت قدميه الشريفتين ، في خطبة حجة الوداع !

ويتضح كل ذلك في شعر تشبيء ، عامة ولكنه أكثر حلا في ذلك الشعر العصري 'نعيص' لذي محابه كفور الأحشيدي ، وقد مر بك أيها القارئ مدح من هذا الشعر في الصفحات الفائتة !!

وتشبيء بعد من ذلك ، يدعو إلى إقصاء الآخرين ، وعدم الاعتراف بفصلهم وقدرتهم ومواهبهم ، وكأنه هو شاعر العربية الوحيد منذ الأزل ، وهذا خلق ذميمة وممارات الأمة الإسلامية والعربية تعالي منه إلى اليوم وهو محاولة إقصاء الآخرين وعدم الاستماع إلى الرأي الآخر وعدم تقدير عطاء الآخرين ، بل ويخس الناس شيء هم وهو ليس من العذر ولا الإنصاف في شيء .

واسوأ من ذلك كله ، فإنه يطلب من سيف الدولة 'لا يسمع إلى اشعار غيره وهو يعزله' تجمع الآخرين وكمّتهم ، وهو أمر يعرض وغير مقبول أن تصدر من شاعر عراقي مثله يدعي أنه مفكر حر وأنه عزير النفس 'بلاقي المذبذبات ولا يلاقي لهونا' فكيف يقبله ودعا إليه في حق الآخرين وكيف يدعو إلى قمعهم وكمّتهم :

أزل حسد الحساد عني بكبتهم

فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

إذا شد زندي حسن رأيك في يدي

ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا

وما أنا إلا سمهري حملته

فزين معروضا وراع سدا

فهو أي المتسيء يريد من سيف الدولة أن تكت خصومه من السياسيين والأدباء ويريد أن يستل سيف الدولة ورنده لكي يقطع الهائم به حتى وهو معمد ويريد أن يصير
 - مهدي سيف الدولة الذي يرين محمولاً (معروفاً) وأن يسب الروع والخوف عند
 يسدد ويرجه إلى الأعداء والخصوم !!

هذه بعض صفات لمتنيء التي جعلته تقع في أخطاء حسيمة في الرأي والحكم وفي
 تقرير وفي الإحجاز السياسي، وفي نهاية الأمر حملته في أن يستبدل لأدنى (كافور
 الإخشيدى) بالنسبة له بلدى هو أحسن (سيف الدولة الحمداني) وبعد كل لذي قاله
 من غير أنه في مدح سيف الدولة وهذا العمى في البصيرة هو الذي أدى إلى خيبة مسعده
 - لئوس والعباسة التي حتم بها حياته مع كافور الإخشيدى، ثم هي التي انتهت به إلى
 الموت والهلاك على يد (فانك) الذي قتله غداً، وهو في قمة القوة والشباب، في الواحدة
 وخمسين من عمره ولم يكده يحقق من أمانيه شيئاً، خاصة هدفه الأقصى بيل شرف
 الإمارة وتقلد الولاية والحكم.

قال تعالى:

﴿وَلَعَدْرَأَن خَهِنَم كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا
 يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْثَكُ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾
 (الأعراف: ١٧٩)

وقال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَبِهَا لَا
 نَعْمِي الْأَبْصَارُ وَلَكِن نَعْمِي الْقُلُوبُ الَّتِي فِي لُصْدَرِكُمْ﴾ (الحج: ٤٦)

ونحنم هذا الجزء الخاص بمدى تأثير عدالة الطب بأبي الطيب المتسيء بالإشارة مرة
 أخرى إلى شعور أبي الطيب في شعره عن الطبيعة وهو الذي طالما افتتن به عبد الله
 نطيط، وضد حاول أن يقول أن الشعراء الإنجليز وخاصة "وليم بليك" و "أندرو
 مارفيل" وغيرهم قد أخذوا عنه واقتبسوا منه ولقد سبق وأشرنا إلى ذلك فيما مضى أعلاه
 من هذه الدراسة، ولكن لا يمكن أن نختم هذا الجزء دون الإشارة إلى رافعة أبي الطيب التي
 يمدح فيها صديقه الأمير بدر بن عمر والي طبرية عام ٣٢٨هـ، وكان بدرًا شجاعاً مقداماً
 كريماً حود - وكان متسيء يطمع أن يوليها الإمارة ولكنه لم يفعل وهو موضوع القصيدة أن

بدرا خرج طالبا لفتك بأسد (إفترس بقرة) فهاجمه عنها ولكن عندما وثب الاسد عليه لم يتمكن بدر من عمار من استئلال سيفه، فتلقاها بسوط، وتمكن من اخضاعه حتى درسه إلى الحبس:

والقصيدة مطلعها العربي هو:

في الخلد إن عزم الخليط رحيلاً

مطرُ تريدته حدودُ محولا

وفيه يقول:

أمعفر الليث الهزير بسوطه

لمن إذخرت الصارم المصفولا

ورد إذا ورد البـحيرة شارباً

ورد الفـرات زئيره والنيسلا

متخضب بدم الفوارس لا

بس في غيله من لبـديه غيلاً

ما قوبلت عيناه إلا ظننتها

تحت الدجى نار الفـريق حلولا

وهذا البيت الآخر هو الذي اقتبسه منه 'وليم بليث' فيما رعم عبدالمه الطيب في فون

هذا الشاعر الإنجليزي:

Tiger, Tiger burning bright

In the forests of the night

ومهما تكن من محاولتنا العبارة هذه أن تلقى بعض الضوء على شخصية لمسيء، فهو ولا شك واحد من عمالقة الأدب العربي، وقد حفلت مكتبته العربية بدراسات حونه لا تحصى، ما بين مدح وقادح، وكذلك شغل به المستشرقون وشرقوا به، ما بين حاقده عليه يريد أن يقتاله أدبياً، ومعجب ببوعه وشموخه كشاعر عظيم من شعراء الإنسانية جمعاء. بالرغم من ذلك، فإن المطلوب الآن هو الدراسات التحليلية التي تترك الخواص لنفسه الإنسانية في أعماله، وكذلك العوامل السياسية والفكرية والاجتماعية. ولكن مهم انتهت إليه الدراسات في هذه المواضيع فمما لا شك فيه أن أشعار 'لمسيء' سوف تصل خالدة خمالها وسحرها ولأنها تحتوي على وصف للأحداث والناس والناس صدفه

حائدة. وندنت تعبت بها الأحبال وسوف تطل أشعاره عداء حاداً ولحن شحذ عقرب أيد
الدهر.

نقد أحداً على المنبيء بعض الحزب السندية في شخصيته مثل أنذبه والعصبره
والعنحية والاستعلاء العرقي والثقافي. وقد إن ادعاءه الانتماء لعنوى نهشمي كان
لأحدر أن يحمله فوق النضغاش ومحاولة إقصاء الآخرين والسيل منهم وبخسهم أشياءهم.
كم فعل أبي فراس الحمداني. وإبان حو المولى عز وجل أن يعقر له خطيأه، ويقبل منه
توبته كونه نداعية لكبير فوجد الأمة العربية والمكافح عن مجدها، واتحد مع سيف
الدولة بخيله وسيفه وسانه. وكذلك بقلمه وقرطاسه صد أعداءهم المترصبين بها لدوائر
من امثال الروم وغيرهم. ومهم كانت من سببب في شخصية المنبيء. فهو لا يمكن أن
يسبب إني غلاة السلطة أو القرامطة، كما حاول طه حسين أن يسسه. يكره الله ما تأتون
والكرم. ونعل تصوير العقاد لشخصية منبيء هو أقرب إلى حقيقة، فالمنبيء فارس
وفيلسوف. لأنه صاحب موقف من حياة ومن الناس. ولأنه كان يسمير بالأسفة الشديدة
وبعدو الهمة وسمو العاية وهذه علامات أكيدة أنه قد احدر بالفعل من أسرة عريقة.
ونال تعيماً عالي ربيعاً، مما يركز الروايات التي تقول إنه يحدر من بيت عدوي رفيع
العساد. وإنه أي المنبيء أحضى ذلك لأن أساء هذه الأسر. كانوا مستهدفين بالقتل
ونفتك. خوفاً من منافستهم على لسطة والخلافة، ولأن عامة الناس كانت تسف حوئهم
متى ظهرت أنسابهم الشريفة!!

وفي ختام هذه النوحة عن منبيء فبنما لرجو - مع أبي العلاء في رسالة العنبر - أن
يدخله أنه الحنة وأن تشفع له الأشعار الكثيرة التي قننها حول لتوحيد وحول عقائد الروم
الفاسدة وكذلك شعره في مدح الجهاد ضد الروم المعتدين. وفي الحث عليه وتعبئة
السبيين بالإحراط في كتابته. كما نرجو أن تشفع له أشعاره التي هجا فيه "خوئف"
و"القواعد" الذين لم ينهضوا للمجاهد مع سيف الدولة. فكره الله بسعائهم وشنظهم وقيل
أفعدوا مع القاعدين!

فالمنبيء، صاحب فلسفة، هي فلسفة أشبه بفلسفة نيتشه لألماني. من حيث طلب
نقوة وكذلك من حيث التسمي بالعرق راتعالي بالسلاية والقومية عند نيتشه
لسلالة جرمانية وعند المنبيء لسلالة عربية: ولقد به إلى ذلك عباس محمود
العقاد رحمه الله.

ه لقد حاول المنسيء كل محاولة أن يقيم مع سيف الدولة، إلا أن سيف الدولة أحقق كل الاحتمال في تحقيق طموح لشاعر الموهوب، وتحقيق ميسه، تعاليمه في تربيته لإمرأة، وما لإمرأة بالنسبة لأبي الطيب، وقد تولته من هم أدى منه كثير، ولكنه ضعف الشرى في حب نسطة يصل عند بعض الناس، كما بلغ عند المنسيء من حلدون، إلى ما تته التعبد والتأليه، والتعلق الأعشى عند من هو مريض به، (Obsession)؛ ولقد حاول المنسيء، رضاء سيف الدولة وحته للوفاء بوعوده حوله رقن في ذلك عذب الشعر وأعدب الرجاء وأعذب الغناء..

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً
فداه الورى أمضى السيوف مضارباً
ومالي إذا ما اشتقت أبصرت
دونه تنائف لا أشتاقها وسبابا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه
أحداث فيها بدرها والكواكب
حنانيك مسؤولاً ولبيك داعياً
وحسبي موهوباً وحسبك واهباً
أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً
أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذباً
وإن كان ذنبي كل ذنب فلانه
محا الذنب كل المحو من جاء تائباً

ه لكن سيف الدولة يقص في الوفاء بوعوده تجاه هذا الشاعر المذع "لمعة" ويحقق حلفاً لا يبق به وكان قادراً أن يحاربه بقطاعة بعض نصياع وتقبيده بعض لإمرأة، تفرعية وبو فعل ذلك لترضي أبو الطيب، وعرت عيده ويثقي مع سيف الدولة ولما اصصر إلى سحق بكافور الأحشدي، الذي ما كان يستحق صحة منسيء ولا خدمته لها ولكن تحرى رباح ما لا تشتهي نفس، كما قال أبو الطيب:

ولم أر في عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

الفصل السابع
عبدالله الطيب
وأبو تمام

الفصل السابع عبدالله الطيب و أبو تمام

أبو تمام في حياة عبدالله الطيب:

عبد الله لطيب معجب بأبي تمام، حبيب بن اوس الطائي، سسنة إلى قسنة ظيء لشهيرة بكرم والتي تذكر دتم مفروية بحاتم الطائي. لذي كان أسطورة في الكرم عند نعر في الحامسة، وكميته أبو تمام، وقدم هو أحد أسائه لذين عاشوا دكان ولادة بمونون في الصعر. ويقل ان قدم هذا ولد بعد وفاة أبيه الذي مات في عمرو سسنة (١٩٠هـ ٢٣١هـ) وقد كان أحد حكماء العرب قد نب أنه سوف يموت صغير (لأن نفسه بروحانية المفرطة في الذكاء والتوقد تأكل كل جسمه أكلًا).

ومهمه يكن من شيء، فرعحاب عبدالله لطيب بأبي تمام ير جمع ولادة إلى كونه عدم من علام الادب العربي، وقمة من قممه السامقة. أصف إلى ذلك ما كان يتصف به أبو تمام من حجة في الذكاء حارقة ومن حوقد في ادهن وجوده في الحاصرة وسرعته في المديهة كان شيئاً أسود. وهو إلى ذلك ليس فقط شاعرًا مطموعا، عزيز الحاصرة بالشعر محود بها، ولكنه أيضا خبير بأشعار نعر، لا تقونه معها شاردة ولا واردة لا حصاها، فكاه كان أسد علامة رسحا في عدمه ااداب العربية وأشعارها، دوقه، رقادا، له قدرة عجيبة في تفسير خيدنها، والتفصيح لرنن، وبذلك شتهر باختياراته ومضلياته من شعر القبائل وشعرائها، سواء البارزين مشهورين أو المعمورين المحبوسين. وقد شتهر بديوه (خمسمة) وهو سحن باختياراته من الشعر حذا المتمر لذي قبل في اشجاعة وتثير بها. ولذلك سمي بديوان الحماسة.

ومن مؤلفات أبي تمام:

الإختيار القبائلي الأكبر^(١)

اختار في هذا الكتاب قصيدة من كل قبيلة.

واختيار قبائلي أصغر

اختار فيه قصص من محاسن أشعار القبائل، ولم يعد فيه كثير شعر بمشهورين

(١) أنظر في ذلك: د.

د. محمد حمود: أبو تمام: حياته وشعره ص ١٠٦ دار الفكر اللبناني.

إختيار شعراء الفحول

ختار فيه قصائد المشهورين في الجاهلية والإسلام حتى انتهى إلى إبراهيم بن هروم ديوان
خماسة - وهذا هو أشهر آثار أبي تمام وفيه انقطعت أوتار قصائده وقطع من شعراء المقلين
و شعراء المعمرين غير المشهورين ، ويرى أنه أود و صدره ، وكذلك فهو يلقب بـ خماسة ،
وهو أعظم ، وهو بلا شك أعظم آثار أبي تمام الباقية .

اختيار المقطعات :

هو محبوب على تريب - خماسة ' إلا أنه يذكر فيه شعراء المشهورين وغيرهم ،
والقدماء والمتأخرين - وقد صدره بذكر الغزل .

هذا لاختيار يدل على عزم أبي تمام أن شعره وولعه بشعره وداعته في الناس ، كما يدل
على عظم دوقه له واقتدائه بروعة لشعر الذي يكون تعبيراً ساحراً ، ويرتد و عدا اثر
كما يدل على معرفته عظيمه وإيقان ما بعده اتفاق . كما يحدث عند العلماء لرسخين في
علومهم . المتخصصين في تلك العلوم ، كأدق وأحسن وأخود ما يكون تخصص
عندي . فهو بحق أستاذ منزع ، متقن فريد . وشخصية أبي تمام قد وفقت عده العلماء
والمؤرخين وكاتبوا السير والأخبار !! :

فقد كان فارغ نضول أسمر اللون ، ذا فكاهية كبرى وفطنة ودكاء عظيم وكان اجتماعياً
إلى أقصى درجة ، حضرياً يحب الأنس والطرب والاجتماع إلى الناس ، خاصة لأمراء
والضرفاء والأدباء ووجه من وحوه اعجاب عبد الله الطيب الذي كان قد زوره الفاتمة في
الإعراب عن المعاني الدقيقة والأفكار السامقة مع قدرة فائقة في التعبير الجميل بوشى ،
فهو صاحب بدع وجاس وطباق ، وما إلى ذلك من المحسات النقصية ، دونما يستد في
المعنى ويطاب فيها . وهو شاعر مضبوط يصدر عن بدوة أصيلة ، وطبع ردي في فصاحة
العرب ويديهم ، ونكته إلى ذلك صاحب صفة في الشعر والميل ، عريق في فهم أشعار
العرب ، نشأ منها والورد يشهد له بذلك اختياراته تعديدة من عيون قصائده لعرب
ومن أشعارهم في الجاهلية والإسلام . وبذلك قيل إنه أبي تمام يشبه في شعره عامل ماء
ماهر بارع وفي صياغته يشبه صائغاً حاذقاً !

أم عبد الله الطيب فيصنف طريقة أبي تمام ومهنته في الشعر ، على النحو التالي :
كان من معتر ، في خاصة دوقه وهو هو مقراً بالسبق لأبي تمام ، شبيه بالحكاكة .

ولأحدهم، حتى طريقة لتبدي التي كان يتوأن وفي ترجمته وحديثه المختصر عنه هي
 لصقات الذي بأيديهم عن دقة فهم لأسويه وهو بذلك قس .
 قال مثلاً هي الخبر الذي سافه عن الحسين بن رجاء : كد مع أمير المؤمنين بالرفقة ،
 فحاء أبو تمام وأن في حر المتي فحمل يشدي ويلتفت إلى بخدم والعلمان الوقوف بين يدي
 وبلا عسهم ويعامرهم . وكان الطائي من أكثر الناس عشا ومراحاً . فقتل له بالطائي قد
 ضلت ألك ستصير إلى أمير المؤمنين . مع الذي أرى من جودة شعره فبطر بك إذا وصلت
 إليه ألا تخرج علماً ولا تلتمت إليه فهو أشد الناس عبدة وإنني لا آمن . إن وقف مث عبي
 شيء أن يأمر غلماناً فيصفعك كل واحد مئة صمعة . فقال أبو تمام إذا أخرج من عنده
 سدر مملوءة صمعة . ' ساق ابن المعتز الخبر لا للطعن في أخلاق أبي تمام ولكن لئلا عبي
 طريقته في الاستعارة . وسرعة بادرته مع دقة عوصه فيها . أما حسن بن رجاء فعسى أن
 يكون جاء بالخبر لم يخل فيه من قصد الطعن في أبي تمام . فقد روى عنه أنه يقتله وتركه
 الصلاة ، وإساراه الكفر .

قال ابن المعتز : وشعره كله حسن ، ثم أضاف ولو استقصيت ذكر أوائل قصائده لحياذ
 ولتي هي عيون شعره تشعلن قطعة من كناننا هذا ذلك وأن لم يذكر منها إلا مصراعاً ، لأن
 لرحل كشر لشعر جداً . ويقال إن له ستمائة قصيدة وثمانيئة مقطوعة ، وأكثرها حيد
 ولردي ، ندي له إنما هو شيء يتعلق بمقطه فقط . فأنما أن يكون في شعره شيء بحبو من
 المعاني البغوية ومحاسن المديح الكثيرة فلا . ولقد انصف السحري عندما سئل عنه : عن
 نفسه فقال : ' حبيده خير من حبيدي ، ورديني خير من رديته ' . وذلك أن السحري لا يكاد
 يعلط لقطه إنما أنفاضه كالعسل حلالة ، فأنما أن يشوق غبار الطائي في الحلق . المعاني
 والمعاسر فبهيات ، من يعرف في بحرته على أن السحري المعاني العريضة ولكن أكثرها
 محدود من أبي تمام ومسروق من شعره . وأبو تمام هو الذي يقول :

يا لايسا ثوب الملاحاة أبله

فلأنت أولى لايسيه بلبسه

لم يعطك الله الذي أعطاكـه

حتى استخف ببلدره وبشمسه

رثاً إذا ما كان يطلق طرفه

في فتكة أمر الحياء بحبسه

وأنا الذي أعطيته غض الهوى
وصمته فأحدث عذره أنسه
وغرسته فلئن جنيت ثماره
ما كنت أول مجتن من غرسه
مولاك، يا مولاي صاحب لوعة
في يومه وصباية في أمسه^(١)

يقول عبد الله لطيف إن ابن المعتز لما تعمد اختيار ألبت حانية من الإعراب (يعني الألفظ لغرية وهي كثيرة عند أبي تمام) سبسة، نبرهن على فضله أنه يد فاص بحر حبيب، وعارضه أبو عباده (يعني البحتري) أغرقه!! ثم يستطرد ابن المعتز، (ما أسمده لمحدثون البديع موحود في القرآن والسنة وكلام لأوائ وشعرهم، وآب بشر ومسلم، وأنا بواس ومن تقسهم وسبب سيئهم، لم يستقوا إلى هذا النفس، ونكه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم، ثم إن حبس من أوس لصني من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فاحس في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقى الإفراط وثمره الإسراف)... ويستطرد ابن المعتز، فيقول^(٢):

قد كان بعض العلماء يشبه لطائي في المديح بصنح بن عبد القدوس في الأمثان، ويقولون لو أن صاحب نثر أمثاله في شعره وحسن بيها فصولاً من كلامه يسبق أهل زمانه، وغلب على مديحهم، وهذا أعدى كلام سمعته في هذا المعنى... ولقد كان بعض النقاد يتحامنون كثيراً على بني تمام، حتى رعم (بن المؤدبة) أن أن تمام أخذ بيته المشهور:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

من قول الكميت بن ثعلبة:

فلا تكثروا فيها الضججاج فإنه

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعاً

(١) (المرشد) الجزء الرابع القسم الأول - ص ٦٩٢ .

(٢) (المرشد) : الجزء الرابع، القسم الأول - ص ٦٩٥ .

يقول عبد الله الطيب إن النون شامع بن قول أبي تمام "نسف أصدق نساء من لكتب"
وقول الكميت بن ثعلبة .

ويقول عبد الله الطيب إن قوله (إن دارة) سمحه السيف ، بل قد رواه نبال وهو قوله
لا تأمن فزارياً مـررت به

على قلو صك وأكتبها بأسيار
وزعم "صاحب الموازنة" أن أبا تمام سرق قوله :

وقد ظلمت عقبان أعلامه ضحى

بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من

الجسيش إلا أنها لم تقاتل

من قول مسلم بن الوليد حيث قال :

قد عود الطير عادات وثقن بها

فهن يتبعنه في كل مرتحل

يقول عبد الله الطيب إن هذا المعنى يعني تسح الطير خيوش يقوده السجعد
المنتصرون ، "للشعراء طريق ركوب" ، كقولهم وجه "كالذر وكرم كالبحر" يريد عبد الله
الطيب بهذا القول أن ينفي عن أبي تمام تهمة لسرقة الأدبية في أشعاره ، لأن أبا تمام شاعر
أصيل محيد ، سبق في أشعاره لأقوان الأحرين غير تابع لهم

ويرى عبد الله الطيب أن الأمدى غير محقق في ذمه لأبي تمام وفي عصائه بغيره ،
فلا مدى له يوفق إلى اكتشاف عبقرية أبي تمام في المحاسن وفي البديع فهي ، خفية
عليه وإلا لعمد الإغماض عنها ، وقرب وجه أن أمره شيء من ذلك

فإنما هي رأي ابن المعتز وعبد الله الطيب يقرن المعاني اللفظية بالمحاسن والبديع
تكثر ولا بد ، فالمحاسن والبديع شيء يصف إلى المعاني المنظمة ، فمدح في مدلولها
المص والصبغة والنور وهلم جرا ، وقول أن المعتز قد أصاب كبداً يعزى في افتراء
المعاني اللطيفة بالمحاسن اللفظية وبالبديع معاً :

'وأما أن يشق عند الضائي في الحدق المعاني والمحاسن فهذه

يقول عبد الله الطيب أن لأمدى فشل ربما قصداً في ملاحظته زيادة من العميد ابدى

قرون المعاني اللطيفة بالمحاسن للفضيلة والسديع فيها، ربما لأنه يرى أن المعاني 'مطروحة في الطريق' كما قال الجاحظ. يقصد من ذلك أنها مطروحة من حُصن وهو نفس قول 'قدمه' !! إن المعاني كلها معرضة للشاعر 'يقصد أنها ممكنة له. ولكن عبدالله لطيف يرى أن ذلك ليس بعذر لأمدى في تحامنه على أبي تمام وفي تقصيره الذي قصره في حقه. ويوصل عبدالله الطيب دفعه عن أبي تمام وتثمينه استمراره الشعري وضرافته المميرة في الأداء لتعوي عمود وفي أشعر خاصة أنه يصطاد المعاني الدقيقة للطبيعة ولكن يعثر عنها في أساليب موشاة بالمحس وبالسديع بصورة هو الأصيل فيها وليس بمتقدم يقول عبدالله الطيب في ذلك:

'وعندي أن أمر سديع أي تمام لم يكن أمر كم بالسببة إلى أبي مسلم وشار، أو بالنسبة إلى لقدماء. قد أدرك أبو تمام سر ما ححر منه اسوسي (بوعوام) وأصاب جواب من حل مشكته، ودان أن القريض ينبغي أن يسار بأخوه، على ما صدر عليه أوجه.

* أين في غير ضعف وهو صنف الديباجة ويقاؤه وجودتها

* ونسبة في غير عطف وهو بداوتها ومدة أسرها وجرانها

وسر الديباجة كمن في فصاحة وسلامة لدوق في اختيار الألفاظ وصياغة المراكيب وسر السدوة والجزالة كمن في الإقدام على المعاني والقول بلا تهيب ويجمع بين التوسيع مروج بينهم، ويؤلف سجعها صدق بيان أنشاعر عن قسمة ولدت رعم الحظ في 'البيان والتبيين' أن:

* المعاني أسرار مستكنة في القلوب،

* وهو لا يقدح قومه أن 'المعاني مطروحة في الطريق'، بل يكتمه وسممه 'معاني أحب من وحد ولوعة وشوق وعبرة وما أشبه مطروحة في الطريق، تنفدت في توسد دوافعهم أهل لسان ولكن حب حميل "شبه" في حساسه كذا وكذا من وصفها وبينها ومضى نفس مقبلة لها أو مسخرة عنها سر كامن في قسمة؛ فصيح بده عده، فحنقت معده التي تأن به فسه عن معاني كثيرة إحتلاق جعل القاد بقوتهم حمس اصدق صدمه وإن "كثيرا" كان يكذب!

يهدد محب دلتين به حب المعنى في توبه معرض أي محكم وفي كونه مسعصع مسيك يحسحش لشاعر في استحضار حبه إلى صدق عن نفس وحسرة لا تهيب أن تقول نفس عم حس، بمقدرة على الأداء تفصيلي معبر الفصاحة عصر يستفد منه يكذب

مجبورين أن يصدقوا والخسارة فهما أصلاً لا يعني مكانهما شيء من صنعة أو تصحيح وتجويد (١).

يسرسل عندئذ لطلب في توصيح مكانه أي تمام كشعر عظيم وكذب مطوع، صارت مدرسة في الأداء المعوي هو فيها سابق أصل غير تبع مقلد. وقد بقي أبو تمام ملكه وعلماً وفصاحة ودون نقد. وكان ذا فطنة حادة تقهر نوادره خصوصاً، وتذكر بها الشعر في ذات عصبه ضيعة بدواة، ليس معدّها هو معدن خلافة الأعراب، ولكنه شيء فكري محض، كان عند القدماء طريقة قول ومذهب أدب يصدونه الحكمة والوصف والعزل والمدح والهجاء وهلم جرا. ويسعى أن يكون الآن، كما قد كان في الماضي، طريق قول ومذهب أدب، يتضمن الحكمة والوصف والعزل والمدح والهجاء وهلم جرا (٢).

إذن نخلص إلى الصورة الآتية عند أبي تمام:

* أنه قمة من قمم الأدب والشعر عند العرب،

* وأنه صاحب مدرسة متميزة في لأداء النغوي وفي البيان،

* وأنه فوق ذلك شاعر موهوب، عزيز الإنتاج، ذو قريحة شعرية سيالة فباصة،

* وأنه مع ذلك، كان أستاذاً متميزاً، وحبر علامة في الإحاطة بأشعار العرب وبمعرفة

أخيل الخالد منها. ولذلك عمد إلى الإحتيارات والمفضليات الكثيرة لثني جمعها،

خدمة للعلم وتواصلًا مع الأجيال القادمة، وأعظم تلك الإحتيارات "ديوان الحماسة"

عنده الذي جمع فيه أقوال الشعراء العرب في الشجاعة.

* وأبو تمام سابق للمتنبي، إذ أنه عاش في نهاية القرن الثاني للهجري وحتى الربع الأول

من القرن الثالث الهجري وكان قصير العمر والأجل (١٩٠ - ٢٣١ هـ) ومتى جاء بعده

وعاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وكان أيضاً قصير العمر والأجل

(٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)

* ولكن الطائي كان ذا طبيعة سهلة مريحة يحب الفكاهة ويتعاطفها ولكنه لم يكن حديداً أو

مأخذاً بآفة حال من الأحوال، ولم يكن رديفاً كذلك، ولكن وكما هي العادة في

الثرات العربي - خاصة في الفترات المظلمة الآفة لا أحد يحو من محاولة لإغتيال

(١) المرشد - الجزء الرابع، القسم الأول ص ٦٩٦.

(٢) المرشد - الجزء الرابع، القسم الأول ص ٦٩٨.

شخصية لأديبه . وتهم دائماً رندقة أحياناً ، وإيهاماً ، ككفر الصريح أو الخلاعة ولجج
أحبار أخرى . وهذا شيء يؤسف له ولكن يسعى لتنبهه إلى وجود ذلك لمحاكي
وحواس المنظمة في التراث لأديب 'عربي' ، للإحترار منها أن تؤثر في تقويم
الموضوعي لذلك التراث الخالد .

ولقد حاولنا الإشارة سريعة إلى الحواس النسبية في شخصيات كل من 'العربي' ، 'ابي
الطيب' المتنبه من ذي قبل في هذه الدراسة العجولة . .

أبو تمام الطائي وأشعار الحماسة:

قد إن من الآثار الخالدة اباقية لأي تمام ديوانه 'الحماسة' الذي صممه منصبيته
من 'الشعر الحماسي' الذي يقار في الشجاعة . وينبغي أن يعطي 'تقديري' ملحمة سريعة
عن هذا 'الشعر الحماسي' ، لأن في ذلك مريد من الفهم والايضاح لشخصية أبي تمام
نطائي وكذلك الإلماح إلى وجدان العرب كأمة مجيدة تتعبد بالشجاعة وتعدها 'تقدير'
عائلاً ، كقيمة عظيمة من قيم الإنسانية ، وكجوهر عظيم في المنظومة الأخلاقية التي
شكل مكارم الأخلاق لدى الإنسان . فنغرب كانوا وما يزالون يثمنون عائلاً 'الشجاعة'
كقيمة أخلاقية ويتعبدون بها ، ويلهجون بمكائنها في المنظومة القيمية التربوية التي تشكل
لأساس 'فصل' لواء الشخصية العربية والهوية الثقافية للإنسان العربي . لأن حين لا
يصح 'عمل شيء' وهيهات . . هيهات له أن يكون عظيم أو كريماً أو بطلاً في شأن من
شئون الحياة !!

لو كنت من مازن

فتح 'تمام ديوانه' 'الحماسة' قصيدة رائعة . تمثل قيمة الشجاعة كما يسعى أن تكون
درية معدة لصد العظم والذئب الطامس ومعتدين . وشعر هذه القصيدة برقة فريضة
أيضاً 'عسري' ، وهو شعر إسلامي ؛ والواقعة التي قال فيها هذه الأبيات هي أنه ، بعد عيه
من مائة وثلاثين عاماً ، وسبعين سنة ، وسبعين سنة ، فلم يجدوه فأتى مازن بن
مائل بن عمرو بن تميم ومالك هذا هو 'حو' العرس تيم (فوم فريضة تيم) صاحب
المشكلة فأشدد :

لو كنت من مازن لم تستبح إلي
 بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان^(١)
 إذن لقام بنصري معشر خشن
 عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
 قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
 طاروا إليه زرافات ووحدا
 لا يسألون أخاهم حين يندبهم
 في النائبات على ما قال برهانا
 لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد
 ليسوا من الشرف في شيء وإن هانا
 يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
 ومن إساءة أهل السوء إحسانا
 كسان ربك لم يخلق لحشيتهم
 سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا
 شدوا الإغارة فرساناً وركباناً^(٢)

وقد أخذ الزماني في حرب نسوس . وهو من بني حبيقة أحلاف بكر بن وثل في
 حرب نسوس . وقد كان نصد شاعراً وهو ساجد حلياً عمراً أكثر من مائة عام . وهو أحد
 فرسان ربيعة بن زمان الحنفي :

صـــــــــــــــــــــــــدح عن سي ذهل
 فبنا لثــــــــــــــــوم أحـــــــــــــــــم

(١) ويرى هذا البيت كذلك على النحو التالي :

لو كنت من مازن لم تستبح إلي

بنو الشقيقة من ذهل بن شيبان .

لأن الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عوف بن ذهل بن شيبان . ما اللقيطة هي من فرارذ ولا
 صلة لها ببني شيبان .

(٢) أبو تمام : ديوان الحماسة، شرح العلامة التبريزي .

عسى الأيام أن يرجعن
 قوماً كالذي كانوا
 فلما صرح لشر
 فأمسى وهو عريان
 ولم يبق سوى العودان
 دناهم كـمـمـا دانوا
 مشياً مشيه لئيت
 غداً والليث غضبان
 بضرب قبيله توهين
 وتخضيع وإقـسـران^(١)
 وبعض الحلم عند الجهل
 للذلة إذعـان
 وفي الشر نجاة حين
 لا يُنـجـيك إحسان

وقال (سعد بن ثابت)، وهو من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم (وهم كم ترى
 قوم اشتهروا بالشجاعة) "لو كنت بن مازن":
 سأغسلُ عني العار بالسيف جالِباً
 عليّ قضاء الله ما كان جالِباً
 وأذهل عن داري وأجعلُ هدمها
 لعرضي من باقي المذمة حاجباً
 ويصغرُ في عيني تلادي إذا انثت
 يميني بإدراك الذي كنتُ طالِباً
 فإن تهدموا بالغدر داري فإنها
 تراثُ كريم لا يبالي العواقبُ

(١) الإقـران هو الاسترخاء والتطويع .

أخي عزمات لا يريد على الذي
يهمُّ به من مفضع الأمر صاحباً
إذا همَّ لم تُرَوَّع عزيمة همِّه
ولم يأت ما يأتي من الأمر هائباً
فيال رزام رشحوابي مقدماً
إلى الموت خوضاً إليه الكتائب
إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه
ونكبَّ عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشرف في رأيه غير نفسه
ولم يرضى إلا قائم السيف صاحباً

وقال تبط شراً وهو من الصعاليك العدائين ، من بني فهم وفهم وعدوان أخوان . .
وهو ثات وكبته أبو زهير ، وغير سمي تبط شراً ، لأن أمه ستلب عنه وكان قد أحد سكيك
أصها وحرص فقالت "تابط شراً وخرج" فسمي من يومها تبط شراً ، وهو من 'أعرية
'عرب' أي 'الشعراء السود الذين هم خالصين من عرب وأفارقة مثل عسرة من شداد
ولهذه الأبيات قصة :

حوص (تبط شراً) هي شعب أحد الجبال بواسطة جماعة من أعدائه ، فقلوا له
إما أن تسأسر أو نقتلك ؛ وكان يحمل في يده ماعونا به غسل ، فدلقه على الصخرة
لأنه كان عليها واحمد بذلك إلى الجسد الآخر من الخيل . فحب من الأسر والموت
كليهما ، وقال :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا
به الخطب إلا وهو للقصد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حوك
إذا سُد منه منخر جاش منخر

وقال قطري بن العجاء (أحد فرسان خوارج وكانت عنده أم حكيم بحبها كثير وله
فيه شعر حسن وكانت من خميلات ولكنها يصا شجاعة ومن الخوارس ودات دين
وتقوى):

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لا تُراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً
فمما نيل الخلود بمستطاع

وقال (شامة بن حزن الهشلي، شاعر إسلامي من بني قيس بن ثعلبة):

إنا محيوك يا مسلمي فحيينا
وإن سقيت كرام الناس فأمقينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة
يوماً سراه كرام الناس فسادعينا
إنا بنو نهشل لا ندعي لأب
عنه ولا هو بالأبناء يشربنا
إن تُبدر غاية يوماً لمكرمة
تلق السوابق^(١) منا والمصلينا^(٢)
وليس يهلك من سدد^(٣)
إلا افتلينا غلاماً سيذاقنا
إنا لنرخص يوم الروح أنفسنا
ولو تُسام بهافي الأمن أغلينا

(١ و ٢) السوابق والمصلينا هي الخيل التي تاتي من المرتبة الأولى والثانية في السباق ويسمي العشرة
لاوائل في السباق كالأبي (١) السوابق (٢) المصلينا (٣) المصلى (٤) العاطف (٥) المرباح (٦)
الحظي (٧) المؤمر وهذه لسبعة لها جوائز (٨) الطيم (٩) لوعد (١٠) السكيت وهذه
الثلاثة الأخيرة لا جوائز لها.

بيض مفارقنا تغلي مـراجـلنا
 نأسوا بأموالنا آثار أيدينا
 إني لمن مـعـشـر أفنى أوائلهم
 قيل الكُـمات أين المحامونا
 لو كان في الألف منا واحدٌ
 فدعوا من قارس؟ خالهم أياه يعنونا
 إذا الكـمـاة تنحوا أن يصيبهم
 حـد الطـبـاة وصلها بأيدينا

وقال السموأل بن غريص بن عادياء، صاحب الحصن الذي يسمى "الأيلق" بتيماء
 شمال المدينة . . يضرب به المثل في الوفاء، ترك ابنه اليافع يُقتل أمامه ورفض أن يُسلم
 ودبعة أمرؤ القيس وهي عبارة عن دروع الملك والد أمرؤ القيس .
 قال السموأل :

إذا المرء لم يـدنـس من اللؤم عـرضه
 فكل رداء يرتديه جـمـيلٌ
 وإن هو لم يعـمـل على النفس ضيمها
 فليس إلى حسن الثناء سبيلٌ
 تعبـرنا أنا قليل عـديـدنا فقلتُ
 لهــا إن الكرام قليلٌ
 وما قل من كانت بقاياها مثـلنا
 شبابٌ تسامي للعلا وكهولٌ
 وما ضمرنا أنا قليل وجارنا عزيزٌ
 وجار الأكـثـر ين ذليلٌ
 وإنا لقوم لا نرى القتل سبـة
 إذا ما رأته عامر وسلولٌ
 يقرب حب الموت آجالنا لنا
 وتكرهه آجالهم فتطولُ

ومات منا سيد حنف أنفه
 ولا طل منا حيث كان قتييل
 تسيل على حد السيوف نفوسنا
 وليست على غير السيوف تسيل
 إذا سيد منا خلا قام سيد
 قؤول لما قال الكرام فعول
 وما أحمدت نار لنا دون طارق
 ولا ذمنا في النازلين نزييل
 وأيامنا مشهورة في عدونا
 لها غرر معلومة وحجول
 وأسيافنا في كل غرب ومشرق
 بها من قراع الدارعين فلول
 سلى إن جهلت الناس عنا فتخبري
 وليس سواء عسالم وجهول

وقال أبو النشاش - كان من صعاليك العرب - يذم الفقر والقعود والذل ويشيد بنكد
 من أجل المال والعزة والمجد:

إذا المرء لم يسرح سواماً ولم يرح
 سواماً ولم تعطف عليه أقاربه
 فللموت خير للفتى من قعوده
 عديماً ومن مولى تدب عقاربه
 ونائية الأرجاء طامسة الصوى
 خدت بأبي النشاش فيها ركائبه
 ليكسب مجداً أو ليدرك مغنماً
 جزيلاً وهذا الدهر جم عجائبه
 وسائلة بالغيب عني ومسائل
 ومن يسأل الصعلوك أين مذهبـه

فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعض معدماً أو مت كريماً فإتني
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه

وقد عروة بن الورد العبسي، من صعاليك العرب، يستنهض أصحابه للكفاح من أجل المجد أو الجذ في طلبه، حتى إذا فشل المسعى أو خاب أعذروا ولم يتعروا أنهم لم ينهضوا وظلوا قعوداً همداء:

فقلت لقوم في الكنيف تروحوا
عشية بتنا عند (ماوان) رزح
تناوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم
إلى مستراح من حمام مبرح
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترأ
من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب رغبة
ومُبلغُ نفس عندها مثل منجح

* الكنيف: الحظيرة من الشجر (أو الأيكة)

* "ماوان" اسم ماء

* تروحوا يعني سبروا وقت الرواح

* المستراح: الاستراحة

* الحمام يعني الموت

* المنجح يعني الغانم

* يطرح نفسه كل مطرح يعني يخوض كل بلاء ومشقة

وهذه الأبيات تذكر بأبيات أمرؤ القيس، عندما قرر اللجوء إلى القيصر، يطدب منه مساعدة لينال ثأر أبيه عندما قُتل:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا ذاهبان لقيصراً*
فقلت له لا تبك عينيك
إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدوا
وبلوغ العذر أن يقال أن الفتى لم يكن حاملاً هامداً كسولاً، ولكنه سعى وحاول كل
طريق للنجاح ولكنه فشل، فهذا هو عذره .
وفي هذا المعنى قول المؤمنين من قوم موسى في لقرآن الكريم .
قال تعالى :
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدُودَةٌ
إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف : ١٦٤)

وقال سناد بن الفحل بن طيء يدفع عنه تهمة الجنون أو السكر ويعتذر إلى قومه عن
البكاء بقوله إنه ظلم ظلماً شديداً . والعرب كانت تُعير (أي تُعيب) الرجل إذا بكى ، لأنهم
كانوا أقوياء القلوب ، قساتها :

وقالوا قد جنت فقلت كلا
وربي ما جنت ولا أنت شيتُ
ولكني ظلمتُ فكدتُ أبكي
من الظلم المبين أو بكيتُ
فإن الماء ماء أبي وجدي
وبشري ذو حفرتُ وذو طويتُ
وقبلك رب خصم قد قالموا
علي فما هلعت وما دعوتُ
ولكني نصبتُ لهم جبينِي
وآلة فارس حتى قرئتُ

* وروي هذا البيت أيضاً على الصيغة التالية :-

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصراً .

ذو في لغة قبيلة صيء - معناها 'لدي' أو 'التي' فهي لشعر التي حصرها في لتي
أصلحها.

وقال أوس بن حنينة التميمي (وحنينة أمة التي إليها يسب) وهو شعر إسلامي:
إذا المرء أولاك الهوان فأوله
هوأناً وإن كانت قريباً أوأصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
فأذره إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا مالم تكن لك حيلة
وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

ويحتم هذه المحذرات من "ديون خمسة" لأبي تمام، مواصفات لفضل عنده نئي هي
في الواقع بعض مواصفات فضل عند شعاعيك العرب، وهذه مأخوذة بوجه عام من قيم
العرب رؤيتهم لشخصية لفضل لعربي كيف تتكون، وكيف تتبع عاياتها. لأن شعاعيك
ويز كنوا جلع من أقوامهم وقائلهم وعشائهم، إلا أنهم في النهاية ما هم إلا نسخة تربية
عربية أصيلة، وتشكل حراً من عفتها القومي، وإن كنوا قد انتهكوا بعض قواعد
الشرف العربي في بعض جوانبه:

قليل تشكي لهم يصيبه
كثير الهوى، شتى النوى والمسالك
يظل بمومة ويمسي بغيرها
جحيشاً ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي
بمحرق من شدة لتهرت
إذا خاط عينيه كسرى النوم لم يزل
له كاليء من قلب شيخان فاتك
ويجعل عينيه ريشة قلبه
لئى سلة من حسد أحق ماتك

إذا هزّة في عظم قـُـبرن تهللت
نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي
بحيث اهتدت أم النجوم الشوايك
فذاك إن يلق المنيعة يلقها
حميداً وإن تستغن يوماً فأجدر

رابض العربي، مهما تعاظمت حميته، وكثرت صعته ومهما كد موراً وعاصا،
يعلم أن نلزع الدمى حدوداً يفرضها العقل، كما تنرصها مرعة حرمة الأقرب
ولأرحم ومعرتهم عنده وله إذا قتلهم أو رمهم فيه سيكون نفسه قد قتل أو رمي
قومي هم قتلوا أميم أخي
فإدار ميت يصيبني سهمي
فمن عسوت لأعمود حنلاً

ولئن سطوت لأوهن عظمي
فلا بد لبطل الشجاع أن يكون عقلاً دارية ومظر فبد لتهور يس من لشجاعة في
شيء، فالشجاعة وسط ذهبي بين الجبن والتهور!!

مكتفي بهذه اللمحات السريعة عن شخصية أبي تدم فليس صدد درامة مستمصة عن
هذا الشاعر الأديب وثى لنا ذلك. وكيف نستطيعه في هذه الحالة وبتدحوا فقط أن
تبين نوعاً ما أثر أبي تدم في شخصية عبدالله الطيب، وما برع إن أحصا بذلك خاصة
كبيرة ولكن حسناً أن ألفت شيئاً قليلاً من الإلمام بأعجاب عبدالله الطيب بأبي تدم وهذا
لدي حاولته أي هو غيص من فيض، فعبدالله الطيب قد عاش مع أولئك الشعراء
لعمدة سنوات طويلة من عمره، ومن تجربته ومعاناته العصيمة اثرائ الأدبي والشعري
العربي الذي هو كل حياته الواعية وكل تجربته الناجحة.

وعيماني، سوف نتناول أيضاً بشيء من الإيجاز الشديد - بعض اتصاله بكر من
أبي عدة المحترق (الطائي الثاني) وابن الرومي ولن نكث كثير مع استعري. لانه قد أثر
كثيراً في تدم. كما ألتحا إلى ذلك أعلاه وهو نفسه يعترف لأبي تمام بالاستدنية وأنه قد

أخذ الكثير والكثير حداً من أبي تمام. ولكن بعد كل ذلك يبقى البحتري صاحب مدرسة متميزة في الشعر وكذلك في الأداء اللغوي.

أما من نرومي، فهو مدرسة كاملة ومتميزة لوحدها وهو يستحق دراسة كاملة ومنهجية لأنه شاعر من انصرز لأول وأديب ومفكر وصاحب موقف متميز من الحياة كلها ومن نوحوده ولكننا بالرغم من ذلك، فلا يهتمنا في هذه الدراسة إلا إلى أي حد وفق عديده نصيب تقويم موضوعي لابن نرومي ومدى تأثير المروف بهذا لشاعر لصوفي عملاق، صاحب الأثر الخالد في الأدب والشعر الهجاء المتشائم.

البحثري في حياة عبد الله الطيب:

تتفرق كثير من العقاد أن أمر اشعر - في العصر الإسلامي - قد انتهى إلى القسم الثالث:

١- المتنبي

٢- أبو تمام

٣- أبو عبادة البحتري

ونعقد مقارنة دائماً بين هؤلاء الثلاثة، ونكتها نعقد في أكثر الأحوال من أبي تمام وبحتري والسبب في ذلك أن الثاني هو تلميذ الأول، أخذ عنه الكثير والكثير جداً، خاصة صريقة سبك الألفاظ على معاني القدرة نغده في اقتصاص الألفاظ الحررة المناسبة بمعنى القدر الدقيق غير أن جميع يعترفون أن التلميذ (البحثري) قد برأساده في هذا المنحى.

ويذكر كثير من العقاد واساطير في شعر البحتري وفي قدرته نفذة على اتبعي الألفاظ، حتى وصف أنه صاحب السلاسل الذهبية. يذكرون قول "س الأثير" في كتابه مثل المسائر وهو يتحدث عن البحتري مقولة شائعة:

«سنن أبو لطيف، متنبيء عنه، وعن أبي تمام وعن نفسه، فقد

«أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري»

بصف من الأثير: معلقاً على مقولة أبي لطيف المتنبي عن البحتري

«ونعمري إنه أصف في حكمه، وأعرب بقوله هذا عن متانة عديمه فإن أن عبادة لبحتري أتى في شعره بالمعنى المتدود من انصهرة الصماء، هي اللفظ المطبوع من سلامة

لأنه قد ارتك في ذلك بُعد المرام . مع قرينة الأفهام ؛ وما قول لأنه أتى في معانيه انحلاط الغالية ، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية^(١) .

ويقول عبد الله الطيب^(٢) "إن صاحب مثل أسائر (ابن الأثير) قد أعرض عن ابن الرومي ، بالرغم من غلو العقاد رحمه الله في تمجيده أي (ابن الرومي) فقد حصر ابن الأثير الشعر العربي ، بعد الإسلام ، في ثلاثة شعراء ، هم :

لأته وعمرأه ومئاته وهم حبيب والونيد وأحمد (يعني مثنى) .

يقول عبد الله الطيب إن ابن الأثير ما كان يجهل قدر ابن الرومي ولكنه قد جحد حماسه النقد على ذلك قد انعقد !!

وبعد أن فرغ عبد الله الطيب من تقويم منزلة أبي تمام بأنه السابق في سبك المعاني لدقيقة العنصرة مع الألفاظ المعبرة وأنه كان يفعل ذلك لتمكنه من أبواب المعاني من ستعارة وإشارة ونحيس وتعليل ، خلص إلى أبي عبدة البحترى ، لأنه تسميد أبي تمام انقد الأوحاد^(٣) .

"ولا يريد على ما قاله ابن المعتز بالنسبة إلى مكان البحترى ، على أنه قد نورد ديباجة لا يدعيه فيها من المحدثين شاعر ، وسر جودة ديبجته أنه كان يتغنى من أعماق قلبه وقد عرف القدماء هذا من أمره ، ولخصه ابن الأثير في قوله :

"أراد أن يشعر فعمى" وقال ابن الأثير قبل ذلك عن البحترى :

"وأما البحترى فأجاد سبك اللفظ على المعنى"

يقول عبد الله الطيب في نفس المقالة^(٤) :

"عمى أن أمر نحتري قد تجاوز "لمجرد سبك اللفظ على المعنى إلى درجة هي أسمى من ذلك . ذلك بأن الشعر إنما وُضع للغناء والترنم ، فقد نجده في البحترى مرساة الشعر الأولى إلى الثنية (يقصد أن مرثية الشعر الأولى هي سبك المعاني على الألفاظ وأن مرثيته الثانية هي الغناء ، والترنم"

ويتبع عبد الله الطيب تقويمه لمكان البحترى ، فيقول^(٥) :

"دلت أن الشعر معان وألفاظ ، يكسبها تعبيراً بالإيقاع بعد ذلك ، فتفت روحاً حية

(١) عبد الله الطيب المرشد الجزء الرابع . القسم الأول . ص ٧٣٧ . طبعة جامعة الخرطوم

(٢) المرجع السابق . ص ٧٠٠ .

(٣) عبد الله الطيب "المرشد - الجزء الرابع - القسم الأول . ص ٧٠١ .

(٤) المرجع السابق ص ٧٠١ .

الإيقاع على كل مادة من الأجاس الأخرى المؤتلفة والمؤلب منها الشعر
يقول عبد الله الطيب أنه كان يُعجب كيف فرق المصنوطي في النظرات، بين قطعة
شعرية وأخرى، فقال عن الأولى إنها شعر.

وقال عن الثانية:

إنها غناء.

ويقول به أدرك معنى ما ذهب إليه المصنوطي من أن الشعر إذا سمع ورقى صار غناء
خالصاً عندما درس شعر البحتري^(١).

رتمل قول 'ابن الأثير' إن البحتري 'أرد أن يشعر فعنى'

مقارنة أخرى بين أبي تمام والبحتري:

ويحجّ عبدالله الطيب إلى لمقارنة مرة أخرى بين أبي تمام لأستاذ وبي عبادة تلميذ
فيقول به إذا عريت عمقية البحتري إلى قدرته الفائقة بأسلوب بالشعر إلى درجة نغناء
والترنيم، فإن أبا تمام قد تغنى كذلك بالشعر:

يقول عبدالله طيب إن أبا تمام كان يتغنى ويحسن به الترميم بلا ريب ومن شواهد ذلك
قوله:

أبقى أبوك ومزید وأبوهم

وأبوه ركنك في الفخار مشيدا

طلبت ربيع ربيعة المهي لها

فتفیات ظلًا لها محدودا

بكرتها علويها صعبيتها

الخصني شيبانيتها الصنديدا

دهليها مزيها مصرتها

يُمنى يديها خالدا بن يزيدا

سب كان عليه من شمس

الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

(١) المرجع السابق، ص ٧٠١.

ثم يستطرد عبد الله الطيب بعد ذلك فيعود إلى مقبرة ذلك أسود أبي عبدة
المحتري، قائلاً^(١):

ولكنه أي أبي قدم - لم تكن له، على جرئة ومثابة سره، دياحة المحتري - حين
يلعب بها أشده، دياحة المحتري هبة وهبها له . . أصاب ابن رشيف حبث ذكره كات
المحتري صاعه حفية " ولكنه كان مطبوعاً مع ذلك . وامتراح لصنعة مع نطع عدوه . شأ
منه " سلسال دياحة الحصب " انتهى كلام عبد الله الطيب .

هذا نسس أن جمع النقاد على تسميته " سلسال الذهب " كما أسلف القول .

يقول عبد الله الطيب^(٢) إن دياحة المحتري الذهبية هي :

تعييم المذهب لجند الحبر لدى حبه أبو ندم ، ولكنك في ذات نفسها فتح من ،
ومسلك قد ويدأوة شعرية قائمة بذاتها * .

ويقول عبد الله الطيب إن مدوة أبي تمام شينة فحله انقطع الذي ذكره في رابته

على كل موار الملائ تهمت

عريكته العليا وانضم محاليه

وبمدوة أبي عبادة المحتري فمشها - يقول عبد الله الطيب - كمثل فموصه التي
ذكرها فقال :

حت قلوصي بالعراق وشاقها

في ناجر برد الشام وريفه

وهذه مدوة المحتري أشه شيء بدأوة عترة في كامله (بحر الكامل)

ماراعني إلا حمولة أهلها

وسط الديار تسف حب الخمخم

بها اثنتان وأربعون حلوية

سوداً كخافية الغراب الأسحم

يقول عبد الله الطيب إن المحتري قد نظم في كل محور الشعر " في الطويل والبسيط
والخفيف وسواهن . ورنه دياحته في جميع أولئك لها نغم وريقاً وأقد ودهج . إلا أنها في

(١) عبد الله الطيب " المرشد " الجزء الرابع - القسم الأول ص ٧٠٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٠٢ .

انك من ظهر وأشد وقدة ووهحا . وقد استشهد الدكتور طه حسين في ذلك بحبيبة أبي
عبادة البحراني ؛

متي النفس أسماء لو تستطيعها
بها وجدها من عادة وولوعها
وبشيء من خفيفه :

لي حبيب قد لج في الهجر جدا
أيها العاتب الذي ليس يرضى (١)

انتهى كلام عبدالله الطيب .

ونكن عبدالله نصيب يرى أن البحراني ينبغي في مذهبه العدائي المقدهم وفي ديب حننه
ندمته تلك أقصى درجات الإبداع في بحر الكامل . ثم يعرج مرة أخرى على أبي تمام
ويستدرك في ذلك القول أن أقدام جيد المعاء وانترم في بحر الكامل أيضاً
ثم يعود عبدالله الطيب إلى البحراني فيورد أبيته التي حارى فيها معلقة عنترة . ويرى
عبدالله أنها من روائع البحراني في بحر الكامل : قال البحراني يمدح الهيثم بن عثمان
الغنوي (٢) :

هذي المعهد من " شعاد " سلم
وأسأل وإن وجمت قلّم تتكلم
آيات ربع قد تأبد منجد
وحُدُوجُ حيّ قد تحمل مُثْمِهم
لَوْ نَارُ الشُّوقِ دَلَّمْ تَحْتَمِهم
وصانَة بَدَمِمْ إِنْ لَمْ يَسْجَمِهم
ومسقط العلمين ناعمة لَصَا
حيثرى الشَّباب تين دَلَّمْ تَصْرَمِهم
بيضاء تكتمها امججاج وحلفها
نفس يصعده هوى نَمِ يَكْتَمِهم

(١) "المُرشد" الجزء الرابع، القسم الأول، ص ٧٠٣ .
٢ ديوان البحراني، المجلد الرابع، ص ٢٠٨٠ تحقيق حسن كامل الصبري نشر دار المعارف القاهرة
(بدون تاريخ) الطبعة الثانية.

هل ركب مكة حاملون تحية
تُهدي إليهما من مُعني مغرم
رد الجفون على كرى متبدد
وحتى الضلوع على جوى مُتضرم

يقول عبد الله الطيب إن السحري له قصائد كثيرة أولها رثع ولكنه يهبط من هذا مستوى في أوسط هذه القصائد وآخرها ومن أحسن ذلك آخره لن المعتر عن نبي تدمر، هي رأي عبد الله الطيب.

ويعبرو حصن لقد هذا التدبب في حررة الشعر بين مصالح قصائد السحري ومناصعها إلى طبيعته البدوية، ولكن عبد الله الطيب يرى أن مداوة السحري أدا محبوسة ومروحة بحصرية شفافة رقة. فقد عاش السحري طويلاً في العصور عباسية في بعد أيام كانت بعدد حاضرة الدنيا، وكانت تلك القصور استورية في ثقافتها وثقافتها، ويعالج في مظهره حاضرة رزية الحياة الدنيا وخرقها، وكانت قصائدها وأيوناتها تزان أعظم وأروع ثمرات نبي عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل، فقد أخذ العرب لعباسيون أعظم إحداث إحصاءات الشرقية القديمة من نصيب الهند والسند وفارس وروان، ثم تصافوا إليها كل حديد رثع وكل فن سامق. ولقد جاء في القرآن الكريم أوصاف مدبغة للحسان حسار وما أروع ما فيها من حمل رزية ورخرف، وما لا عين رأت ولا يد سمعت، ولا حصر على قلب بشر، من حور مقصورات في أخيام، كأنهن اللؤلؤ والمرجان، وولدت محدود، إدار هم من رهم حسبهم لؤلؤ منشوراً، وحان عالية رائعة فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعه، ومبارق مصفوفة وررابي مبهوثة. إلى آخر ما أعده الله للمؤمنين في حدت خلود. كل ذلك انعكس على طبيعة العمران في العصور العباسية. . . ويبلغ الشرف مستهده وثرية غايبها لقصوى، فكانت الحدائق ذات النسيحة والمنحلس ذات لسطوة والأعاني والألحان والشعر والبيان وتعموم والفنون والحياش والفتوحات حيث دلت الدنيا من أفضاها إلى قصاها إلى سلطان المسلمين وحاءتهم الدنيا رعمة طائعة ومعها متوحياتها من حريير نصيب وعطور الهند وبهاراتها إلى فواكه أوروبا وخيرانها فكان الشرف وكان الشرف والسدخ، ثم غفل الناس عن شكر المعهم واشتغلوا بصعتر الأمور عن سببته ذلك أشت العريض. وتلك لأمصارات الشنسية التي عمت العالم قطة، وبعد ذلك قنت

حبراب وشجرت الأمطار والغلال، وعدم حدث هذا الخفاء، وسلاصين إلى الضم
وانقهر والكبت والاسبداد والاستئثار بخيرات دون سائر الشعوب واعساد مقامات
نشورت والعن وبلغ الظلم مداه وهنا جاء حرب والتدمير لأن تلك سنة له في انكون
فالظلم مؤذن بالحرب والتدمير:

قال تعالى:

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أُمَةٌ مَضْمُونَةً يَأْتِيهِمْ رَزَقُهَا رَعْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِنِعْمِ اللَّهِ فَذَقْنَا اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَافٍ وَالْخَوَافِ بْنِ كَانُوا يَصْعَوْنَ﴾ (نوح: ١١٢)

وقال تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتِهَا فَنُفِكَ عَنْهَا آلُهَا فَكَانَتْ سَاكِتًا لِقَوْمِهَا فَكَانُوا يَنْسَوْنَ﴾ (القصص: ٥٨)

وقال عز من قائل:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الأنبياء: ١١)

وقال عز وجل:

﴿وَنَبِّئِ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لِمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا مِثْلَهُمْ مَوْعِدًا﴾ (الأنبياء: ٥٩)

بعد التجربة للأسوية المظلمة وبعد تلك الفاحشة لأليمة التي وقعت أمام عيني في قصر
لخلافة حيث قتل في نفس المجلس الخليفة العباسي، ذائع نصبت متوك، صديق
الحجري وولي نعمته ومولاد وكذلك وزيره، نهاية الفتح من حقائق في مشهد دام مأسوي
لا يمكن سببه على مر الأيام، بلغ الأسى مداه عند الحجري، وثارت معاد كثيرة من من
الله في الكون.

هذه المعاي كانت تاجع في دهن الحجري وهو يقف أمام (ايوان كسري) متهدم
بمئات، حاضره إمبراطورية الأكسرة التي دمرها سعد بن أبي وقاص، عندما فتح فارس
ورل دولتهم وحضارتهم المحوسية وقام على أنقاضها حضارة الإسلام لقائمة على
توحيد والعدالة والمساواة وكانت نفس الحجري ما تزال تدمي من جرح عرف، عند
شهدد عيني أعز صديقين نه يقتلان أمامهما وهما الخليفة جعفر بن المعتصم المتوك ووريه
لفتح بن حقان وكان قتلهم أذاناً بسقوط دولة الخلافة العباسية وروا ملكه السامق
وسلطته الذي بلغ المدى قوة ومجداً وثرء ورفعة، وكنت الحضارة العباسية من أعظم
وأهم حضارات التاريخ وحلقت من القصور والآثار الحضارية ما يروي آثار العمر

والرود . ولكنه تلك سنة الله في الكون فالأيام دول والحضارات ما بين ناشي - وزر -
 قامه - رائد . فقد دمر لدهر حصارة القوس ودمر رمز سيادتها وعمرانها ' القصر الاسـ
 لذي كان يعرف (يايوان كسرى) . هي المدائن حاضرة القوس الساسانيين
 يقول عبدالله الحبب . مع كثير من مؤرخي الادب العربي وتقاده أن سببها لبحثري
 هي وصف " يوان كسرى " المتهدم لتعتبر من أعظم قصائد البحثري . بل وقد تعتبر من
 أعظم فرائد الشعر العربي قاطبة .
 يقول عبدالله الطيب في ذلك (١) :

وسببها لبحثري . وهي من ذراه . بل من درى الشعر على وجه الاحمال . جمع فيها
 بين اندياحة والمهارة والتحليق والعمق . وفيها حُرٌّ تجعلها هي مريثه الحققة لمتوكل
 وتفتح رئيسة رثيته المشهورة " محل عبي " تقاطول أحق دثره " بأخلق منها لهد
 ابو صف في هذا المصدد . وإنما وصف حال نفسه من قبل ومن بعد حيث قال
 ويعيد ما بين وارد رقه

علل شره ووارد خمس
 وقد حرد فيها مع بعومه ريشة المنصور حداً سرفها من حسره حسد قلب مفكر تأمل
 قوله :

ذكرتنيهم الخطوب التوالي
 ولقد تذكر الخطوب نسي
 وهم خافضون في ظل عال
 مشرف يحسر العيون ويخسي
 مغلق بأبة على جبل القيق
 إلى دارثي خسلاط ومكسي
 أي كان الإيوان هو جبل القيق . وذلك أنه في أرض مسطحة هو فيها كحجر يتدعى
 وشرفه . قد فصل هذا المعنى بقوله (جوب في جنب أروع جس . .) انتهى كلام عبدالله
 الطيب .

(١) المرشد - الجزء الرابع - القسم الأول . ص .

سينية البحتري:

"وسينية البحتري في وصف يون كسرى، المشر إلى أعلاه مطعني
صنت نفسي عما يندس نفسي
وترفعت عن جدا كل حبس
وتماسكت حيث زعزعني الدهر
إتماسا منه لتعسي ونكسي
بلغ من صبابه العيش عتدي
طفقتها الأيام تطفيق بخس

ويعتبر عبد الله الطيب من النقاد نقلائ الذين مطروا في 'سينية' البحتري طوة عدة
تخيلية، واستطاعوا أن يسموا هذه القصيدة فيعتبروها ذرة عالية نفيسة من درر الشعر
نعمي الخالد. من هؤلاء الذين أعجبتهم سينية البحتري فرفعوها إلى مقام الأدب العامي
الخالد:

من القدامى:

ابن المعتز الذي اكتمى بالاشارة إلى رونغ البحتري ومنها 'نسبية'

ومن المحدثين المعاصرين:

- يليب حدي (نظر كتابه: الرومانسية في شعر لغربي ونعري در الثقافة بيروت
١٩٨٠.

حبيب شرف الدين (انظر كتابه: البحتري ضمن الموسوعة الأدبية الميسرة رقم ٦)
ونع لسينية في ستة وحمسين بيت في 'خزء الشبي من ديوان البحتري'، وإليك
أبيات هذه (السينية) الرائعة:

صنت نفسي عما يندس نفسي
وترفعت من جدا كل حبس
وتماسكت حيث زعزعني الدهر
إتماسا منه لتعسي ونكسي

(١١) ديوان البحتري. تحقيق حسن كامل الصيرفي - ص (١١٥٢) نشر دار المعارف - القاهرة ودون
تاريخ).

بلغ من صباية العيش عندي
 طففتها الأيام تطفيق بخس
 ويعيد ما بين واردة رقه
 عنل شُرنة، ووارد خمس
 وكان الزمان أصبح محمولاً
 هو مع الأحسر لأحسن
 وإشترائي 'العراق' خُطة غبن
 بعد بيعي 'الشام' بيعة وكس
 لا ترزني مزاولاً لا ختباري
 عند هذي البلوى فستنكر مسمي
 وقد يماً عهدي ذاهنات
 آيات على الدنيا شمس
 ولقد رابني نُبؤ ابن عمي
 بعد كين من جانبيه وأنس
 وإذا ما جفيت كنت حرياً
 أن أرى غير مصبح حيث أمسي
 حضرت رجلي ألهموم فوجهت
 إلى 'أبيض المدائن' عنسي
 أتسلى عن الحظوظ، وآسي
 لمحل من 'آل ساسان' درس
 ذكرتهم الخطوب الثوالي،
 ولقد تذكر الخطوب وتثني
 وهم خافضون في ظل عال
 مُشرف يحسر العيون ويخسي
 مغلق بابه على 'جبل القبق'
 إلى دارتي 'خِلاط' و 'مُكس'

حبلٌ له تَكُنْ كَأُطْلَازٍ "سُعْدِي"
 في قِفَارٍ من ثِيَابٍ مُنَسَّجَةٍ
 ومَسَاعٍ، نَوَلاَ الحَبَابَةَ مِثْلِي
 له نَطَقُهَا مَسْعَاةٌ عَسَى "و" عَسَى
 نقلَ الذَّهْرَ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِلْدَةِ
 حَتَّى رَجَعْنَ أَنْضَاءَ لِبَاسٍ
 فَكَأَنَّ "الْجَرْمَازَ" مِنْ عَدَمِ الْإِنْسِ
 وَإِنْ لَالَهُ بَنِيَّةٌ رَمَسَ
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيْلِيَّ
 حَبَّتْ فِيهِ مَسْأَةً بَعْدَ عَرَسٍ
 وَهُوَ يَتَبَيَّنُ عَنْ عَجَائِبِ قُومٍ
 لَا يُشَابُ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلَبَسٍ
 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ "أَنْطَاكِيَّة"
 ارْتَعْتَ بَيْنَ "رُومٍ" وَ "قُسُورِ"
 وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ، وَ "أَنُوشِيرِ"
 وَإِنْ يَزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفِ
 فِي إِخْضَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ
 يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرَسٍ
 وَعَرَاكَ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
 فِي خَفَوَاتٍ مِنْهُمْ وَإِعْمَاضٍ جَرَسٍ
 مِنْ مَشِيحٍ يَهْوَى بِعَامِلٍ رَمَحٍ
 وَمِشِيحٍ مِنَ السَّادِ تَسْرَسٍ
 تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَاءٍ
 لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُورَسٍ
 يَخْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى
 تَتَقَرَّرَ أَيْدِيهِمْ يَلْمَسُ

قد سقاني ولم يُصَرِّدْ "أبو الخوث"
 على العسكرين شُرَّةَ خلص
 من مدام تقومها هي نجم
 أضوا الليل أو مُجاجة شمس
 وتراها إذا أجَّدتُ سُوراً
 وارتبحتُ للشارب من حسي
 أفرغت في الزجاج من كل قلب
 فهي محسوبة إلى كل نفس
 وتوهمت أن "كسرى أبريز"
 مُعاطي، و "البلهبد" أنسي
 حلم مطبق على الشك عيني
 أم أمد غير طي وحدي
 وكان "الإيوان" من عجب الصنعة
 جوب في جنب أرعن جلس
 يُظنني من الكأبة أن يبدو
 لعيني مُصبح أو ممسي
 مزعجاً بالفراق عن أنس ألف
 عزاً، أو مرهقاً بتطليق عرس
 عكست حظه الليالي، ويات
 المشتري فيه وهو كوكب نحس
 فهو يبدي تجلداً وعليه
 كل كل من كلال الدهر مرسي
 لم يعبه أن يز من بسط الديباج
 واستل من ستور الدمقس
 مشمخراً، تعلو له شرفات
 رُفعت في رموس "رضوي" و "قدس"

لابسات من البياض فما تُبصرُ
 منها إلا فلافل بُرس
 ليس يدري أصنع إنس لجر
 سكنوه، أم صنع جن لإنس
 غير أنني أراه يشهد أن لم
 يك بانيه في الملوك بنكس
 فكأنني أرى المراتب والقُوم
 إذا ما بلغت آخر حسي
 وكان الوفود ضاحين حسري
 من وقوف خلف الزحام وخنس
 وكان القيان وسط المقاصر
 يرجعن بين حُوء ولعس
 وكان اللقاء أول من أمس
 ووشك الفراق أول أمس
 وكان الذي يريد اتباعاً
 طامع في لحوقهم صبح خمس
 عمرت للسرور دهرأ فصارت
 للنعمزي رباهم والتأسي
 فلها أن أعينها بدموع
 موقوفات على الصبابة حين
 ذاك هندي، وليست الدار داري
 باقتراب منها ولا الجنس جنسي
 غير نعلي لأهلها عند أهلي
 عرسوا من زكائهم حير عرس
 أيدوا ملكناء، وشددوا قواه
 بكماة تحت السنور حُمس

وأعانوا على كتائب "أرباط"

بطعن على النحر وودعس

وأراني من بعد أكلف بالأشراف

طُراً من كل سِنخ وإس

شرح معاني بعض الكلمات الواردة في قصيدة (أيون كسي) أو مسمة ' نبحتري

١- جدا : عطاء

٢- حبس : الحبس هو الجبان واللثيم والفاسق وثقيل الروح .

٣ 'ننكس' هو سقوط لرجل كلما بهض أو انقلاب الرجل على راسه .

٤ السُخ : جمع سُعة وهي ما يتلغ به في العيش ولا يبقى منه شيء

٥ النصبة : البقية من الماء .

٦- التطفيف : التقص في الوزن والتقدير .

٧- الرقة : طيب العيش ولينه .

٨- نعل : هو ورود الماء مرة ثالثة بعد الورد لأول الذي يسمى نهل .

٩ الخمس : من أظماء الليل أربعة أيام ووردها ماء في اليوم الخامس

١٠- الهنات : خصال الشرط الآثم .

١١- الشُّمس : العنيدة التي لا تذلل .

١٢- النبو : الجفوة والغفور .

١٣- العنس : الناقة القوية .

١٤- حضرت حلي الهرم : نزلت وطرات .

١٥- درس : مندرس وهو ما عفا أثره

١٦- يحسر : يرد البصر قليلا

١٧- نحسر : يحسر أيك * يتقلب أيك نحسر حاسنا وهو حسير * (المث : ٤)

١٨- خافضون : ناعموا العيش .

١٩- خلاط : قصبة أرمينية الوسطى ويقال أيضا أخلاط .

٢٠- مكس : اسم مكان في أرمينيا .

٢١- حلل : جمع حلة وهي المنازل (مجموعة المنازل) .

- ٢٢- البسباس : الففار .
- ٢٣- ملس : لا نبات فيها ، عارية من الغطاء النباتي .
- ٢٤- المساعي : المكرمات ، وأحدثها مسعاة .
- ٢٥- عبس : قبيلة عدنانية من نجد .
- ٢٦- جدة الشيء : حديثه .
- ٢٧- الاصاء : جمع نضوة وهو المهروس من الحيوان والبالي من ثياب
- ٢٨- اللمس : الاستعمال .
- ٢٩- الجرماز : اسم فارس مقرب للأيوان .
- ٣٠- الإلس : اخلو من لسكن ، ولأنس ، بضم الهمزة بمعنى الوحشة .
- ٣١- اللبس : عدم الوضوح .
- ٣٢- يزجي : يسوق .
- ٣٣- المدرس : بيت أصفر أو أحمر يُصنع به أخير ولحترى هنا يصف لون الفرس الذي كان كسرى يمتطيه .
- ٣٤- المشيح : الحذر المجدد .
- ٣٥- عامل الرمح : صدره أي ما يلي السنان .
- ٣٦- السنان : نصل الرمح .
- ٣٧- المنبح : هو خائف الحذر : يقال ألاح منه أي حاف وحذر وأصله الخوف من شيء به يريق .
- ٣٨- الترس : صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل كدرعة للوقاية من ضربات نساك .
- ٣٩- يغتلي : أي من الغلو وهو تجاوز الحد والزيادة عليه .
- ٤٠- تصف العين : تتخيل من دقة الصوت .
- ٤١- تتقراهم : تتبعهم .
- ٤٢- لم يصرد : لم يقلل !
- ٤٣- شرية خلس : أي مختلسة سريعة .
- ٤٤- أبو الغيث : يحيى بن البحتري .
- ٤٥- المجاجة : هو العريق .
- ٤٦- أجدت : أحدثت .

- ٤٧- المحتسب : الذي يشرب شيئاً بعد شيء .
- ٤٨- البلهيذ : معنى كسرى - وشيرين عشيقته .
- ٤٩- الخدس : التوهم .
- ٥٠- حوب : مصدر جاب الشيء إذا حرقه ، والصخرة إذا تقهها فار تعاضى * وثمود
 الذين حابو الصخر بالود * (الفجر : ٩٠) أي ثمود الذين فرقوا ، فصخر وحتوه في
 الحبل وشيدوا ، بذلك القصور والمعابد في تلك الجبال ، كما أثارهم في مدس صالح .
 عثمان الجزيرة العربية !
- ٥١- الأرعن : الجبل ذو الرغي وهو أنف يتقدم الجبل .
- ٥٢- المجلس : الجبل العالي .
- ٥٣- يتظنى : يظن .
- ٥٤- مشنرى : أصلاً كوكب سعد ، ولكن المحنري يقول به القلب كوكب بحس ، م
 أصاب القصر من مصائب .
- ٥٥- الككل : الصدر أو ما بين الترقوتين !
- ٥٦- بز : سلب .
- ٥٧- استل : انتزع وأخرج . كما ينتزع السيف من الغمد .
- ٥٨- نديح : ثوب الذي سده وحّمته من الحرير ، نفحة ورسية معره .
- ٥٩- الدمقس : الحرير الأبيض وهو فارسي معرب أيضاً .
- ٦٠- المشخر : العالي .
- ٦١- الشرفة من القصر : ما أشرف من بنائه .
- ٦٢- رصوي : حبل
- إلا أن الأمانة من قریش
- أولاً العهد أربعة سم
- على ثلاثة من بيده
- هم الأسباط ليس بهم حفاء
- فسيبطين إيمان وحر
- وسبطين عيسى كرملاء

وســـــــــــــــــبط لا يذوق الموت

حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

نعيت لا يرى فينا رمان

'برضوى' عنده غسل وماء

٦٣- قدس : جبل .

٦٤- فلافل : جمع قليلة وهي الشعر المجتمع .

٦٥- السبيخ : جمع سبيخة وهي المقطعة من السبيخ وهي ماسر أو تمش من برش أو القطن أو نحوهما .

٦٦- علايل : جمع علالة وهي شعر أو قميص يمس تحت الثوب .

٦٧- البرس : القطن .

٦٨- الكس : الضعيف الذي لا خير فيه والمقصود من عاية المجدة والكرم

٦٩- الضاحي : البارز للشمس .

٧٠- حري : جمع حسير .

٧١- الخنس : المتأخرون .

٧٢- القيان : الإماء المغنيات ، واحدته قينة .

٧٣- المناصير : جمع المقصوره وهي الدار تفسيحة المحصنة .

٧٤- الحور : دوت الحوة وهي سود إلى الخضرة ، أو حمرة إلى اسود ، وهي صفة للشفاة .

٧٥- اللعس : ذوات اللعس وهو سواد مستحسن في الشفاة .

٧٦- رباهم : دورهم .

٧٧- محلاتهم : منازلهم .

٧٨- بكمة : الشجعان أو الأبطال لا يسي السلاح لأنه يكس نفسه في يسترد بالسلاح والدروع .

٧٩- الخمس : الشجعان (من الحماسة) .

٨٠- السنور : كل سلاح من حديد وخاصة الدروع .

٨١- الدعس : الدوس والظعن .

٨٢- أرياط : القائد الحبشي الذي غزا اليمن .

٨٣- السنج : الأصل والمنبت .

٨٤- الأس : أصل البناء وقاعدته .

ويقال إن السبيبة ' قالها السحري وهو يعني من كارتة مقتل المتوكل ووريره (الفتح من حاقن) مبشرة بعد حادث ويقال إنه ألفها بعد ذلك بر من أي بعد مصي أكثر من عشرين عاما على مقتل المتوكل ، ولكن حرره هذه القصيدة وقيمة لقيمة متجسدة في بيتي ، أي كنت بنت افعال عظيم حدث ، وهذا يرحح أنها قيلت في زمن قريب من زمن تكارثة نبي حلت - خلافة من ناحية عامة ، ويلاحظ السحري من ناحية خاصة جدا . فقد كانت القصيدة زبرل شديد غير كل شيء ، في حياة السحري بعد ذلك ! - إنه تعالى أعظم !

روائع البحتري :

روائع السحري كثيرة جدا ، وديوانه الكبير (خمسة مجلدات) مبيع بالبرقع التي هي قديمة في البيان العربي الساحر الأسر ؛ ولا عرو في ذلك ، فقد وصف البحتري بأنه شاعر المنعني ، وكأنه قد أوتي مراد من مراد داؤد عليه السلام ، فمدح على السحري ، فالكور كله يعني معه ، وهو يذكر في ذلك بداؤد وسليمان . لا أن أولئك نبياء مكرمون ولسحري شاعر موهوب مفسر . والموهبة إنما سميت كذلك لأنها فضل الله وعطائه وكرمه وبه ، وهنته !

ورد حسن كامل الصيرفي - محقق ديوان البحتري - شهادة أبو هلال العسكري في كتابه "ديوان المعاني" أن الصولي قال :

"سمعت عبد الله بن المعتز يقول :

لولا بكر للسحري إلا قصيدته السبيبة" في وصف يرون كسرى . فيسرع نعر سينية مثلها وقصيدته في البركة ' ميلوا إلى نداء من ليلى يحييها " واعتدلت في قصيدته إلى الفتح . التي ليس نعر بعد اعتذارات السعة إلى النعمان مثلها . وقصيدته في ديسر بن عبد الله ، التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله : ألم تر تعبس أربع نكر ' ووصف حرب المراكب في البحر .

لكن أشعر الناس في زمانه ، فكيف يد ، أصيب إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبه (١) !
دع الآن نستعرض بعض هذه الروائع ، ولبدأ بقصيدته الرائعة المدحة لصبيتي والتي مدح فيها الخليفة جعفر بن المعتصم الملقب بالمتوكل :

(١) حسن كامل الصيرفي : ديوان البحتري ، المجلد الأول ، المقدمة .

البحثري في مدح المتوكل،

قال أبو غدة البحتري، يمدح مولاه ووبي نعمته الخليفة العباسي المتوكل ويصف
خروجه إلى الصلاة يوم العيد:

هذه نقصيدة التي تذكر نقصائد المتنبىء في وصف سيف ندوة والتي مصدعها الغوى .
أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر

والأم في كمد عليك وأعذر

والتي بلغ فيها البحتري حتى قال إن طلعة المتوكل تذكر طلعة النبي صلى الله عليه
وسلم، وتذكر بقصة المنير التي حن فيها إلى النبي:

يجدون رؤيتك التي فازوا بها

من أنعم الله التي لا تكفر

حتى انتهيت إلى المصلى لا بساً

نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية حاشع متوضع

لله لا يرهمى ولا يتكبر

فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما

في وسعته لمشى إليك المنير

وإليك أيها القاريء نص هذه الرائعة البحرية كاملة^(١) :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر

والأم في كمد عليك وأعذر

وأراك خنت على النوى من لم يخن

عهد الهوى، وهجرت من لا يهجر

وطلبت منك مودة لم أعطها،

إن المعنى طالع لا يظفر

هل دين "علوة" استطاع فيقتضي

أم ظلم "علوة" يستفيق فيقصر؟

(١) ديوان البحتري المجلد الثاني، ص (١٠٧٠) تحقيق حسن كامل الصبرفي، نشر دار المعارف
القاهرة، طبعة ثانية (بدون تاريخ).

يفضاء يُعطيك القضييب قوامها،
 ويربك عينيها الغزال الأحور
 ثمشي فتتحكم في القلوب بدلها
 وتميس في ظل الشهاب فتخطر
 وتميل من لين الصبا فيقيمها
 قد يؤنث تارة ويذكر
 إني، وإن جانبتي بعض بطالتي
 وتوهم الواشون أني مقصّر
 ليشوقني سحر العيون المجتلي
 ويروقني ورد الخدود الأحمر
 الله مكن للخليفة "جعفر"
 ملك يحسه حيلة جعفر
 نعى من الله أصطفاه بفضله،
 والله يرزق من يشاء ويقدر
 فاسلم - أمير المؤمنين - ولا تزل
 تُعطي الزيادة في البقاء وتُشكر
 عمت قواضلك البرية، فألتقي
 فيها المقل على الغني والمكثّر
 بالبر صمت، وأنت أفضل صائم
 وبسنة الله الرضوية تُفطر
 فأنعم بيوم القطر عينا إنه
 يوم أغر، من الزمان، مُشهر
 أظهرت عز الملك فيه بجحفل
 لخب يحاط الدين فيه وينصر
 خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
 عددًا يسير بها العديد الأكثر

فالخيل تصهل، والفوارس تدعي،
 والبيض تلمع، والأسنة تزهر
 والأرض خاشعة تيد بشقلها،
 والجو مُعتكر الجواب أغبر
 والشمس مائعة توقد في الضحى
 طوراً، ويطفئها العجاج الأكد
 حتى طلعت بضوء وجهك فأنجلي
 ذاك الدجى، وأنجاب ذاك العشير
 ومن فيك الناظرون، فأصبع
 يوماً إليك بها، وعين تنظر
 يجدون رؤيتك التي فازوا بها
 من أنعم الله التي لا تكفر
 ذكروا بطلعتك النبي فهللو
 لما طلعت من الصفوف وكبروا
 حتى انتهيت إلى المصلى لابساً
 نور الهدى يبدو عليك ويظهر
 ومشيت مشية خاشع متواضع
 لله لا يزهي ولا يتكبر
 فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما
 في وسعه لسعي إليك المنبر
 أيدت من فصل الخطاب بخطبة
 تنبي عن الحق المبين وتُخبر
 ووقفت في برد النبي مُذكراً
 بالله، تُنذر تارة وتبشّر
 ومواعظ شفت الصدور من الذي
 يعتادها، وشفافها متعذر

حتى لقد علم الجاهول ، وأخلصت
نفس المروى ، واهتدى المتحير
صلوا وراءك آخذين بعصمة
من ربهم ، وبذمة لا تُخفر
فاسعد بمغفرة الإله فلم يزل
يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر
الله أعطاك المحبة في الوري
وحبك بالفضل الذي لا ينكر
ولأنت أملا للعبيون لديهم
وأجل قدراً في الصدور وأكبر

رائعة البحتري في وصف البركة:

يقول الدكتور أحمد سوسة في كتابه "ري سامراء في عهد خلافة العباسية" إن
أخيه العباسي المتوكل - صاحب البحتري نذري فتلته الأتراك في قصره مع وريره نانية
(الفتح بن حقان) وهما في محبس خلافة لبهي الخافر . فدأشاً حديقة ضخمة
نحيوانات المتوحشة و لحفا بنصية من (سمراء) وبلغت مساحتها خبارة أكثر من عشرين
الف دة ثم عراقي ، وسبغ مجموع طول محيط سورها حوالي ثلاثين كيله متر ، وكنت
توسط هذه الحديقة الأسطوانة ، البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحتري كد شيد
المتوكل أمام هذه البركة قصرأ رائعاً ؟

ومطعن هذه الرائعة غزني ، كما جرت عادة العرب في مدح وعيره وهو مطعن
المشهور :

ميلو إلى الدار من ليلي نحيبها
نعم ، ونسألها عن بعض أهليها
يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها
تبست تُنشرها طوراً وتطويها
لا زلت في حللي للغيث ضافية
يُنيرها البرق أحياناً ويُسديها

تروح بالوابل الداني روائحها
على ربوعك، أو تغدو غواذيتها
إن البخيلة لم تُنعم لسائلها
يوم الكتيب، ولم تسمع لداعيها
مرت تأود في قرب وفي بعد
فالهجر يُبعدها والدار تدنيها
لو لا سواد عذار ليس يُسلمني
إلى النّهي لعدت نفسي عواذيتها
قد أطرقت الغادة الحسناء مقتدرا
على الشباب فتصبيني وأصبيها
في ليلة لا ينال الصبح آخرها
علقت بالراح أسقاها وأسقيها
عاطيتها غضة الأطراف مرهفة
شربت من يدها خمرا ومن فيها
يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والأنسات إذا لاحت مقانيها
يحسبها أنها في فضل ربّيتها
نعد واحدة، والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيسرى تُنافسها
في الحسن طورا، وأطوارا تباهيها
أما رأت كائيء الإسلام يكلأها
من أن تعاب، وباني المجد ينيها
كان جن "سليمان" الذين ولوا
إبداعها فأدقوا في معانيها
فلو عمر بها "بلقيس" عن عرض
قالت: هي الصرح ثميلا وتشبيها

تَنْهَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةٌ
كَأَخِيلَ خَارِجَةٍ مِنْ حَبْلِ مُجَرِّيْهَا
كَأَنَّمَا الْقَضِيَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ
مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبَّكَ
مِثْلَ الْجَوَانِشِ مَصْقُولَا حَوَاشِيهَا
فَرَوْقُ الشَّمْسِ حَبَانَا يَضْحَكُهَا
وَرِيْقُ الْغَيْثِ حَبَانَا يَكْبِيهَا
إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا
بَيْلًا حَسَبَ سَبَاءِ رَكَّتْ فِيهَا
لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمُحْصُورُ غَايَتَهَا
بَعْدَ مَا يَرِيقُ صِيَهَا وَدِيَهَا
يَعْمَنُ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مُجَنَّةٍ
كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا
لَهُنَّ صَحْنٌ رَحِيْبٌ فِي أَسَافِلِهَا
إِذَا انْحَطَطْنَ، وَيَهُوُّ فِي أَعَالِيهَا
صُورٌ إِلَى صُورَةِ الدَّفْقِينَ يُونِسُهَا
مِنْهُ أَنْزَوَاءُ بَعِيْنِيْهِ يَوَازِيهَا
تَغْنَى بِسَاتِيْنِهَا الْقَصُورَى بِرُؤْيَتِهَا
عَنِ السَّحَابِ مَنْحَلًّا عِزَالِيهَا
كَأَنَّهَا حِينَ لَجَتْ فِي تَدْفِقِهَا
يَدُ الْخَلِيْفَةِ لَمَّا سَال وَادِيَهَا
وَزَادَهَا زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا
أَنْ اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى مِنْ أَسَامِيْهَا
مُحْفَرَفَةٌ بِرِيَاضٍ لَا تَزَالُ تَرَى
رِيْشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيْهِ وَيَحْكِيْهَا

ودكتين كمثل الشعيرين غدت
 وإحداهما بإزاء الأخرى تُساميها
 إذا مساعي أمير المؤمنين بدت
 للواصفين فلا وصف يدانيها
 إن الخلافة لما أمتز متبرها
 بجعفر أعطيت أقصى أمانيها
 أبدى التواضع لما نالها رعة
 منه، ونالته فاختمت به تيها
 إذا تجلت له الدنيا بحليتها
 رأت محاسنها الدنيا مساويها
 يا بن الأباطح من أرض أباطحها
 في ذروة المجد أعلى من روايها
 ما ضيع الله في بدو ولا حضر
 رعية أنت بالإحسان راعيها
 وأمة كان قبح الجور يسخطها
 دهرأ، فأصبح حُسن العدل يرضيها
 بثت فيها عطاء زاد في عدد
 العليا، ونوهت باسم الجود تنويها
 ما زلت بحرأ لعافينا، فكيف وقد
 قابلتنا ولك الدنيا بما فيها
 أعطاكها الله عن حق رآك له
 أهلاً، وأنت بحق الله تُعطيها

وصف الطبيعة عند البحتري،

يعتبر أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى عبد البحتري، في القمة من شعراء العرب
 وغير العرب الذين أحادوا أبغ الإجادة في وصف الطبيعة وغمر الصبغة من الأشياء
 والمصاهر. ولد أبو عبادة عام ٢٠٦هـ وتوفي ٢٧٦هـ الموافق (٨٢٢م - ١٩٢هـ) على الأرجح

في مسج من أعماق شمال الشام . وهو يحتر بص من بطون ضياء . وعصر ال تمام و أحد
عه وهو يعترف بتلمذته عليه وبفضله الكبير في تكوينه وتعليمه . وفي صقل مؤامره
اشاعرية قابله أول مرة في حمص . وحاول تقليده في تأليف قصائده . ولكن برؤي
صاحب الأغاني أن أبا تمام أعطاه بصيحة قيمة في كيفية قول الشعر . عندما قدم لأول مرة
في حمص فقال له :

١ 'إذا أردت أن تقول شعراً فتخير الأوقات ،

وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ،

وإن وقت السحر أنسب الأوقات لذلك ،

لأن النفس تكون قد أخذت حقها من النوم ،

فإذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ،

والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصباية ،

وتوقع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ،

وإذا أردت في مدح سيد ولد أيد ، فاشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وإن سعه ،

وشرف مقامه .

وقيل لبحتري مرة "أنت أشعر من أبي تمام" فدعترض على ذلك وقال :

"كلا والله ، إن أبا تمام الرئيس والاستاد والله ما أكنت الخبر إلا به .

ونقل صاحب الأغاني عن الحسين بن اسحق :

قال قلت لبحتري إن الناس يرمونك أشعر من أبي تمام ، فقال :

"والله ما يفغني هذا القول ، ولا يضر أبا تمام والله ما أكنت الخبر إلا به . ولكي والله

تابع له ، أحدهم ، لأنه به سيمي يركد عند هوائه وأرضي تنقص عند سمائه .^(١)

لا شك إن أعظم قدرات لبحتري كشاعر ، هي في المدح ، وأغلب قصائده هي في هذا

العرض ، الذي تفوق فيه تفوقاً كبيراً ، وكان يتكسب به وبه صاحب الأمر و خنساء

والسلاطين رمزاً طويلاً من حبه . ولكنه يصحح يحميد الوصف بدرجة تضعه في النصف

لأول من لشعراء الذين يمتازون بهذه القدرة على الوصف . ولذلك كتب كثير من روائعه

في الوصف :

(١) الأغاني ج ٢١ ص ٤٠ مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت .

انظر ايضاً : خليل شرف الدين : البحتري ص ٣١ .

- والسينية في وصف إيوان كسرى،
- وصف البركة في قصر المتوكل،
- وصف موكب المتوكل يوم العيد،
- وصف الطبيعة "أتاك الربيع"،
- وصف الذئب،
- وصف المعارك البحرية،
- وغيرها كثير،

ويكثر استشهاد المقاد بأبيته الرنعة في وصف الربيع وهي حرة من قصيدة مدح فيها الهيثم بن عثمان الغتوي، والتي يقول فيها^(١):

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النوروز في غسق الدجى

أوائل ورد كن بالأمس نوماً

يفتقها برد الندى فكأنه

يبث حديثاً كان بالأمس مكتوماً

ومن شجر رد الربيع لباسه

عليه كما نشرت وشيا منمتما

أحل، فأبدى للعيون يشاشة

وكان قذى للعين إذ كان محرمها

ورق نسيم الريح حتى حسبته

يجيء بأنفاس الأحبة نعمة

فما يحبس الراح التي انت خلها

وما يمنع الأوتار أن تترنما

وما زلت شمساً للندامى إذا انتشوا

وراحوا بدوراً يستحشون أنجما

(١) ديوان البحري المجلد الرابع ص ٢٠٩٠ تحقق حسن كامل الصيرفي

ونقد عصر البحتري الشاعر ابن الرومي، ولكنه كان يكره بحر أبي سبع عشرة سبعة،
وبذلك فالأقوال التي تذهب إلى أنه أخذ بعض أصور ومنهج ابن الرومي في صياغة
الشعر ضعيفة جداً.

بين عبد الله الطيب وابن الرومي:

لا أدري ماذا يحمل عبد الله الطيب على ابن الرومي، ويصدر عنيه حكمه، فاسمها في كل
الأحزاب أنه 'هجاء حيث' وهو أخكم ندي. يقول عبد الله الطيب: أنه أصبره في
حقه عائنة لبقاد القدماء، وأنه بالرغم من ذلك صاحب غوص على المعاني. يهمل عبد الله
الطيب في ذلك: (١)

'وقد قتل البقاد القدماء ابن الرومي درساً وبحثاً، فكان غاية ذلك أن تغفو على به
هجاء حيث"، وأنه كان صاحب غوص على المعاني، وقدمه في هذا الباب ابن حزم.
صاحب ضوق الخدمة والمثل. وجميع إلى تقديمه فيه ابن رشيق ثم تردد. وعند ابن برده
هو المسي، عن حقيقة رأيه، ولم يجد أحد من البقاد القدماء قدمه على البحتري في الوصف
بالتصوير. وقد أصبر صاحب "المثل السائر" عنه (والإشارة عبد الله إلى ابن الرومي)، كما
أصبر عن كثير غيره لما حصر حسنات أشعر كنه في لاته وعذاته، ومنه وهم

- حبيب (أبو تمام)

- والوليد (أبو عبادة البحتري)

- وأحمد (المتنبي)

وما كان مع هذا ممن يحسن قدر ابن الرومي، أو يقصد إلى أن ينقص من قدره، ولكنه
قد وجد أحماض البقاد على ذلك قد يعتقد. انتهى كلام عبد الله الطيب!

در عبد الله الطيب، مثله في ذلك مثل ابن الرومي مثل السائر. لا يقلده ابن الرومي
على البحتري، ولا يرى فيه لا 'هجاء حيث'. وهذا تعمري حكمه فيه بكتب من عدم
'الاصحاح لابن الرومي وفيه تحية واضح من يعرف عبد الله الطيب عنه ويعتد بحسب
الاصحاح لابن الرومي فقط يكتبني بمراد في البقاد القدماء عن ابن الرومي بتردد
حججه 'تدسى عنه أنه 'هجاء حيث"، دون يراد حيثيات هذا الحكم الخامس، وليس
يظهر لكل ناظر في آثار ابن الرومي وفي أشعاره!

نور الحرية الرابع القسم الأول ص ١٣٦

كما يريد الطين بله " أن عبد الله الطيب لا يكتفي باصداً وإعادة إصدار حكم لفداه عن ابن الرومي بأنه هجاء حبيث " ولكنه أيضاً يتقدم إعجاب العقدة به، وصورته على شعره ويصور أن لعقاد يغزو في تقدير ابن الرومي أياً عنو يقول عبد الله الطيب في هذا: " عللا العقد - رحمه الله - في أمر ابن الرومي - وما أحسنه، والله أعلم سر من سموس، وهو عليم بذات الصدور - حلاً من أن يكون قد تخلص بعض من ابن الرومي نفسه، "وتحتر" له (من استخري) بذلك بعض أمر حصصه هو، وعندما تصور ثوب في لبحري من شوقي، وهذا قد حارى (السيب) كما تقدم. فخذ هذا نقد لعقاد وموسى بين ابن الرومي ولبحري جانب عاطفي، وافة لرأي نهوى من علو العقاد، رحمه الله - في ابن الرومي قوله:

"فست أعرف فيمن قرأت لهم من مشرقه ومغربه أويون أقدمين وأوربيين محدثين شعر واحد له من ملكة مضوعة في تصوير ما كان لاس ابن الرومي في كل شعر له، مشبهاً أو حاك على قصد منه أو غير قصد، لأنه مصور بالقطرة مهيأة لهذه الصبغة ولا يصبر ولا يلتفت إلا تنبهت فيه الملكة احاصره ابدأ، وأخذت في العمل، موافقة معجدة سواء ظهر عليها أو دسها عنها، كما قد يسهو المصور وهو عامل في بعض الأحيان يقول عبد الله الطيب أن مكان الغزو (في كلام العقد) بقية أن يكون له يعرف شعراً واحداً له من الملكة المطبوعة إلى آخر ما قال: فالملاحظات، وقد كان يعرفها أحسن تصور المصوغة، والمضوعة ذات خبوية لبهره من جميع ما صورته ابن الرومي سهى كلامه عبد الله الطيب.

بمهما يكن من أمر رأي عبد الله الطيب في ابن الرومي، فليس الرومي ولا شتير حذ من قامة الشاعر ليس فقط العربي ولكن أيضاً الشعر نعي ويسر يصير ابن الرومي فلاح عبد الله الطيب له أو حتى قدح لنقاد تقدمه، - منهم من لاثر - الذين وصموه بذلك الحكم القاسي أنه ليس سوى هجاء حبيث، فإن لاس الرومي مدح كثر منهم من كان في قامة العقد، الذي أعجب به أيد إعجاب حتى شوقي به وابن الرومي شاعر كثير لتوليد عواص على معاني مستعرق المعية، ولكن لو شتير ما بدت على شاعرته، لكن عبد الله ن يحصر هذا التحليل في الترسد وحوصل ولاستعرق فقد تحذف عنه توليدته ومعديه، ولا تخاف عنه عند نصير لشتيريه وصيعة

(١) المرشد - الجزء الرابع - القسم الأول ص ٧٣٦ .

لنفسه، فهو شاعر من فرعه إلى قدمه، وشاعر في حيدته ووردينه وشاعر فيما يحتسب به. وفيما بقيه على عواهنه، وليس شاعر عنده نسيان يسهل لزيته في موسم الأيام، ولا نسيان يسهل للاستدلال في عامة الأيام. كلا بل هو هدية الموصول بعروق جسمه. نسوج من حمة ودمه (١).

وعن ابن الرومي يقول العقاد:

'فالكلمة لأولى والأخيرة في هذا العقري لندر إليه كان شاعر في جميع حياته، حياً في جميع شعره، وإن الشعر كان لأدس نسيان شيئاً غير كساء وخنة موسم وككة كان له كساء كل يوم وساعة، بل كان به جسماً لا تكون بغيره حياة' (٢).

ومن الذين ثبوه كثير - أي ابن الرومي - من القدماء ابن حلكان.

"هو صاحب النظم تعجيب، والتوليد تعريب يغوص على المعاني تاديرة فيسحر جهن من مكانها، ويمررها في أحسن صورة." -
ومن المحدثين د. محمد محمود: (٣)

سم يبق شاعر كبير من عباء المؤرخين وكتبت لتراجم ما بقيه من الرومي فلم يرد له صاحب الأعراس ترجمة خاصة. وما ورد عنه في ذلك الكتب لا يعد شيئاً كما لم يرد اسمه على الإطلاق في العقد الفريد.

ولكن في نهاية المطاف ليس يفيد من الرومي مدحوه ولا يضره فادحوه لأن الشيء مدح من هو ديوانه ناسي في أربعة مجلدات والذي حفظ للشعرية عالميه شعره. هذا ديوان هو الشاهد الحسن بهذا 'شاعر من عقريه وحبودون في على الأيام والناسي في أن يربط الله هذه الأرض ومن عليها وما فيها وأنه الأمر من من ومن بعد

ولكن هذا الديوان الكبير (حققه د. حسن نصر وشيرة مضعة د. لكتب ونهينه نصره تعامة للكتب' هو شاهد آخر على نوع هذا الشاعر وعلى حردة عبرته العبية ونوع برهته لشاعرية وكندنت في فرق الدرويش التي تنعني بأهريته في تركب وسوسة ونهر سبك وأباب وغيرها من تقع لعالمه الاسلامي نهي حيرته على حرد أعماله وأشعاره رضى من رضى، وسخط من سخط.

١ - عباس محمود العقاد ابن الرومي حياته من شعره ص ١١٠ - دار الكتاب العربي بيروت الطبعة السابعة ١٩٦٨ م.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٦ -

٣ - د. محمد محمود ابن الرومي الشاعر المجهول ص ٣ - دار الكتاب العربي.

ومن نقصائد العالقة في دهن كاتب هذه السطور قصيدته التي رثى فيها سبه هبة نده ،
والتي مطلعها :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدي

فجودا فقد أودى نظيركما عندي

و التي أرها من هزئد تسعر لا أقول العربي ولكن أقول الإنساني العلمي والصادك .
خالي (ولد زوحتي د مرهر) الأستاذ محمد أحمد عثمان النعمة بسندها . وجدت
موجة من الحزن الفلسفي والأسى الشعري فيأويل ثم تكن أياما عرسه ولكنه كان
يحب إلى بل له فقد في عمر شبابه (وهو ولد الأستاذ شايه الجادي محمد حمد عثمان
النعمة الذي توفي في عز شبابه وأوح محمد) فقد بل بالحسنة تنوق من جامعة امدان
- بر دو بالولايات المتحدة .

و إلى القاريء أسوق هذه الفريدة رائعة التي تولى تكن فليس ابرومي عرسه تعددته
شاعرا عملاقا :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدي

فجودا فقد أودى نظيركما عندي

ألا قاتل الله المنايا ورميها

من القوم حبات القلوب على عمد

توخى حمام الموت أوسط صبيتي

فلله كيف اختار واسطة العقد

على حين شمت الخير من لحاته

وأتست من أفعاله آية الرشيد

ألح عليه النزف حتى أحاله

إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد

وظل على الأيدي تساقط نفسه

ويذوي كما يذوي القضيب من الزند

فيالك من نفس تساقط أنفسا

تساقط در من نظام بلا عقد

عجبت لقبي كيف لم يفصر نه
 ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
 بودي أني كنت قدمت قبله
 وأن المنايا دونه صمدت صمدي
 ولكن ربي شاء غير مشيئتي
 وللرب إمضاء المشيئة لا العبد
 وإني وإن مُتعتُ بآبني بعده
 لذاكره ما حنت النيب في الجدد
 وأولادنا مثل الجوارح أبها
 فقدناه كان الفاجع الين الفقد
 لكل مكان لا يسد اختلاله
 مكان أخيه في جزوع ولا جلد
 هل العين بعد السمع تكفي مكانه
 أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي
 سأمقيك ماء العين ما اسعدت به
 وإن كانت السقيا من الدمع لا تحدي
 أعيني : جودالي فقد جدت للثري
 بأنفس مما تسألان من الرفد
 أفره عيني : لو فدى الحي ميتا
 فديتك بالحبوباء أول من يفدي
 كأني ما استمتعت منك بنظرة
 ولا قبلة أحلى مذاقا من الشهد
 كأني ما استمتعت منك بضممة
 ولا شمسة في ملعب لك أو مهد
 ألام لما أبدي عليك من الأسى
 وإني لأخفي منه أضعاف ما أبدي

محمد: ما شيء توهم سلوة
 لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
 أرى أخويك الباقين فلما
 يكونان للأحزان أوري من الزند
 إذا لعبا في ملعب لك لذعا
 فؤادي يمثل النار من غير ما قصد
 فما فيهما لي سلوة بل حزاة
 بهيبانها دوني وأشقى بها وحدي
 وانت وإن أفردت في دار وحشة
 فأني بدار الأنس في وحشة الفرد
 أود إذا ما الموت أوفسد معشرا
 إلى عسكر الاموات أني من الوفسد
 ومن كان يستهدي حبيباً هدية
 فطيف خيال منك في النوم أستهدي
 عليك سلام الله مني تحية
 ومن كل غيث صادق البرق والرعد

الفصل الثامن
عبدالله الطيب :
والحنين المستحيل

الفصل الثامن عبد الله الطيب، والحنين المستحيل

عبد الله الطيب والحنين المستحيل :

الذي يقرأ أسيرة عبد الله الطيب، ويجمع في تحليل حياته ولامال الكبر التي كانت
مراءى في كاسرات في مهمة لقفرة، التي لا ماء بها ولا شحر، غير صرير نريج
وعويها، وغير هبوب السفسف وهجيرها، لشعر شعور قوي، لذلك احس الاسر الذي
يتنصم كل أعياه وشكاياته، وتريمه ولاهات لطوبه مسده، التي تم بقت سقط من
حرقه، حارة مشوية، وكنهه انفس بايع معذب، حاره علي: كور باخر رة ونعد

هذا الحنين الأسر، وهذه الصبابة الحربة التي تعرض نفسها فرصا على كل حبه، لا
يمكن تنسرها الا بقول رب نفسه تعالية اكسره كات تنوق إلى دعائت واهداف مستحبه
لا يمكن تحقيقه أصلا، في ض ظروف الموض أو الأمة، وهما يعيد من رهدة حصارية
عميقة، وسدت حصاري طالت ماده، وترسخت في القرون اشره وتدعيته¹

وعبد الله الطيب، مثله في ذلك مثل أبي الصب المثنى وابن حلدون، كان ينسكه ذلك
حين الأسر، وذلك الصبابة لصاعية إلى بل المحدث نعمة التسعة التي يتوق إليها كل
عربي أبي أسس، كبير النهمة، عادي بهمة، روع أمحه، يرى أن ذلك حي له، دون
التنازل عنه أو السكوت من المطالبة به خراط القتاد!

و يصر إلى أبي الطيب، كيف يعبر عن شعوره أن حبيبه لا مسيل إلى حقيقته وأن شكائته
لا سبيل إلى اشفائها أو إبرادها:

بم التعلل لا أهل ولا وطن

ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أرسل من رمسى دال بـلعي

ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

فما يديم سرور ما سررت به

ولا يرد عليك القاتل الحزن

ما كل ما تسمى المرء يدركه

تخري الرياح لا تشتهي اسن

وقول أبي الطيب المشبيء

صحب الناس قسماً إذا نزلوا

وعندهم من أمره من عذاب

ومولوا بعصاة كلهم منه

وان سر عصصهم حبيب

كلهم أنت الرمضان قساة

ركب نره في القنفة مساب

وقول أبي الطيب:

لياسي بعد لطاعين شكون

طوال وليل العاشقين طويل

يئن لي البدر الذي لا أريده

ويخفين بدرأ ما إليه سبيل

وقول أبي الطيب أيضاً:

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيد دوتها بيد

ويقول أبو الطيب:

ما أعجب الدين وأعجبها

إنني بما أنا شاك منه محسود

ويقول أبو الطيب:

أعادي على ما يوجب الحب للفتى

وأهدأ والأفكار فسيه تحول

سوى وجع الحساد داور قياته

إذا حل في قلب فليس يحول

يهون علينا أن تصاب جسومنا

وتسلم أعراض لنا وعقول

هذا حبس المستحيل الأسر، دفع لمشي إلى محاولة يائسه هي أن تطلب لمحمد عبد
(كافور الأحشيدي) تارك سيف الدولة ذي الصولة ودولة، والتاج والمصوخر وراءه.
وسب هذا منطق من عنصرية عندما نقول إن (كافورا) ما كان له من محمد أو دولة تمثل ما
كان سيف الدولة ولكن سبب الدولة لم يستطع أن يتجرب مع ذلك حبس الأسر الذي
كان يستند بالمشي... رغبته في الملك والمجد وفي الولاية والوراثة. ولقد بعث المشي،
بصرحات حرة، ونداءات يائسة إلى سيف الدولة، يحذره بأنه سوف يتحارب عنه ويبدده
الإنداز الأخير ومن هذه الصرخات:

(واحر قلباه) وفيها يقول:

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

لن تركنا ضميماً عن ميام

ليحسدن لمن ودعهم ندم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

أن لا تفارقهم فالراحلون هم

يا أعذل الناس إلا في معاملي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وفي صرخة أخرى، أطلقها أبو الطيب قبل الرحيل إلى (كافور)

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتياً

فداه الوري أمضى السيوف مضارباً

ومالي ما اشتقت أبصرت دونه

تنائف لا أشتاقها وسياسها

حنانيك مسؤولاً ولبيك داعياً

وحسبي موهوباً وحسبك واهباً

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه

محا الذنب كل المحور من جاء تائباً

ولكن كل تلك الصرخات ذهبت أدراج الرياح. ولم يتحرك سيف الدولة يقبل عذر

أبي الطيب، ولكي يجعل شيئاً يلبي ذلك خنبر الذي يستند به له. فاشيى "لم يكن

لنستصع ن سكت دنت انصوت، وذنت الحين بداحله، لذي يحدوه دوماً ويستحدثه في كل حطة بني لسعي إلى المجد وإلى نيل العلاء. ندي هو هل له والذي يدعو ر بصرح عس كل مطرح كما قال عروه بن نورد، فاندى يحمل في حسنة ضموح الملوث و صدة لأمر، لا يستصيع إلا أن يستحب نذنت، المظروح وتلك الصدة.

ويقول أبو الطيب:

لو لا العلاء لم نجبُ بي ما أجوب بها

وجناء حريف ولا جرداء قيدود

ويقول أبو الطيب:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويقول أبو الطيب:

إذا غامرت في شرف مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقيقير

كطعم الموت في أمر عظيم

وبعد المتنى، حاول إس حداد أن يثال مجدداً، وأن يحقق منك، فذهب كل مذهب في ذلك، و طرح عس كل مطرح، فقاتل ونهز وسجن، وكذا يقتل في أكثر من مرة، وهو يحاول أن يحقق مله المستحيل أو يصير منك أو وائيا، كما كان هذه ال جلدون حكاه شمسليه في الأسس ولكنه في النهاية - عندما عجز تمام من تحقيق ذلك - هلف المستحيل سجن عس فرة لأربع سنوات في قلعة أبي سلامة في صحراء الجزائر. فكتب راعته 'المقدمة' وكان أهم سؤال حاول لإحادة عليه في تلك المقدمة:

كيف يؤسس لدور وكيف يرون ونهى؟ فحاء بصره نعصية لشهيرة، انه من حور منك فعس أن تكون له عصية وعلة وشوكة وعانة علانية شس حرب وتنصر بقوة لاس ومصاء نعركة وابقس من حدادون في النهاية - انه لا يملك تلك 'العصية' العلانية؟ فترك مطانة بالنت وبرل مصر، فتولى 'القضاء' حاكلي فيها وقع نذنت، ولكن العوول وحساد كان له المصدا، فعزل وأهين وسجن في مصر وتوفي هناك وفسره في القاهرة بتدعيمه غير متفق على مكانه!.

ثم عندئذ الطيب، فليس هناك من شك إنه قد تأثر بأي انطباع أو تأثير، خاصة
مطالسته لمحمد واعز و لثمة. التي كان يرى إنه الحق الناس بها و به طله صلواته كبير إلا أنه
حرم منها، ولم يقدر في وطنه لخرطوم - فترة طويلة من حياته وهو لعنري لرهوب،
والشاعر الفدسين كرام لاس من لمجديت - سادة الخعبيين وشيوخها لأكرمين
فلا الأدم تسعدته، لأنها لا تسعد لا لقدم الغبي، ما لكرم ولا لثمة و لصاحون بهم
بها - في تلك الأيام - أشقياء:

هي الأيام تسعد كل غر
ولا يشقى بها الفدم الغبي
ولكن الشقى بها كرم
يكون سبيله الحق السوي
فلا أيام تسعد عند الطيب وهو على أبواب لعودته لى السودان، بعد أن كان
للكثورة من حمدة لاس عام ١٩٥١ ولا لمر لاسلام قدوم، فبته كان لى لاسلام
مهيضاً ذاباً كما يدوي الهشيم^(١):

تبصر هلى ترى الإسلام إلا
مهيضاً أو كما يدوى الهشيم
تلقت مالا الديار له دياراً
فقد ذهب الموالى والصميم
لقد تركته أحداث الليالى
صعيف مثلب ترك يتيم
تذكر خرخالداً وأبا تراب
وعزاً كان لوعز يدود
فأسبلت المدامع واكفأت
كان فضيضها خرز فصيم
يقول عندئذ الطيب مشكياً من الأيد ومن كيدها. ومن حيلة لاس لى لاس
لعبس، وقد كان عاني لعرية في لاس أدم لدراسة للكتور : أو بعد سب لفس

(١) أصداء التيل : ص ٦٤، طبعة جامعة الخرطوم .

(٢) أصداء التيل : قصيدة "خواطر مقيدة" ص ١٤٧ طبعة جامعة الخرطوم .

لقد طال إغترابك يا عبيد
وما للمرء إلا جارت عليه
خطوب الدهر والأقدار كيدٌ
وما يُجدي إذا طغت الليالي
حشيت السير منك ولا الرويدُ
وليس الحب يشفي من أذاها
إذا جادت ليس أو هنيئدُ

هي الأيام تلقاها بهيجاً
وتحسب أنها تزجي سموداً
ترينا من جمال الروض سحرأً
ولا غروء ريت الخلود
وكم روض تصيره هشيماً
وكم خلد توسده الصعيدا
وقيل الموت يشفي من أذاها
إذا بدلت من دار الحودا
كما قيل الحمام فناء نفس
تؤمل من طماعتها الخلودا
ولو لا جذوة الإيمان فسينا
لكان الصير أوشك أن يبيدا
وهذا العمر رونقه تولى
وقدما ما سعدت به نصيرا
وقدماً كادني دهري فالنفي
على أحداه جلدأ صبوراً
واني كالهواء الطلق نفساً
فكيف أظل محبوساً أسيراً

ولو أني اذاقــتني الليالي

حلاوتها لكنت بها جديرا

عبدالله الطيب كان يعربي كثيره من لحيبة العروبة الإسلامية على طوب موطن عربي ، لاسلامي وعرضه من إحباط على المستويين العام والخاص هذا لاحصاء عدده بشكل خاص كل الذين درسوا في جامعات العربية، وجاءوا إلى أوطانهم بأمان عراض في لعة والكرامة على مستوى لوطن، وبالعيش الكريم والتقدير على المستوى الشخصي، ولكنهم لم يجدوا إلا إحصاء وتكرار وهميشاً. ولم يصحبهم لشهادات تعليق والمهالات العدية التي تعبوا كثيراً وعذبوا كثير من أجل الحصول عليها، ودقو مرارة لا عترب و تفرقة العنصرية والإقصاء الاجتماعي. في تلك الجمع السعدة من دون أصدق ولا أهل. . . وعندما عادوا إلى أوطانهم لم يجدوا ما يتكلم بصوريات حياة والعيش الكريم. . . بل وجدوا أوضاعاً سياسية، في الغالب لأعم، ذات طبيعة دكتورية أو شيمية عسكرية أكنت أو فئدية تقيدية. . . ووجدوا أنفسهم - وهم السعيد لم هو به المنهوقه عرواء في أوطانهم، عربية كانت شدم عربتهم في ديار المهجر، حيث كانوا على لأقل - يتمتعون بمخصصات لبعته وسكن مريح في إحدى المدن الجامعية التي كانوا يدرسون فيها، وكتب هذه 'سطور عاش هذه التجربة تمام، كتب عاشها كل الذين كانوا في بعاب حكومية لنيل الدكتوراه والمأجستير من الجامعات الأوربية. وتحدث عنهم شكايه السروف عبدالله طيب. إنه عندما عاد إلى أخصوم وحنه نفسه غريب لا در ولا مال وبدون عبدالله الطيب قد شعر بالحس إلى لندن بعد ما عاد إلى أخصطوم بعد حين الدكتوراة: (١)

أيا خللي هل دمــــــــــــــــعك

ممن لنــــــدن هــــــــطال

فـفـي لنـدن من نفــــــــسك

يابن التـيـل أطـلال

وكم شــــــــاقك من لنـدن

أنكــار وأصــــــــار

(١) اصدااء النيل - قصيدة "إلى لندن"، ص ٩٣ والقصيدة بدون تاريخ .

فدمع العين في الخرطوم

من جـفـفـنـك هـمـال

غريب أنت في الخرطوم

لا دار ولا مال

عسى تسمـدك الأيام

إن العـمـيش أـمـال

هذا لأحبط الذير ، وهذا لإجفاف عني استنوين لعاد والحاص ، جعلت
انصفوة ، حاصة أولئك من دوي الميول تحريره الاسلاميه بلودون التاريخ تاريخ لآدمه
محييد . تاريخ لأمعاد الحصرية والعزة والكرامة ، حيث كان مسلمون سادة يكون ،
وأرباب العلوم والفنون والآداب . وكذلك أصحاب لدونة وحصارة لني شبرت لعيم
وتشوير والعذلة حيث ما حلت من حدود النصص إلى الأندلس فكانت العرب حصة عيم
وتشوير ، كما كانوا حملة لعذلة والتسامح والرحمة ، في كثير من الاوصال لني حوا
فيها . وحمى إلى الأندلس لعلوم الاسلاميه وكنت حصة العلوم لأحبيه التي عرفت
حصارات المسفة للإسلام . وحاصة علوم الهند والسد وخرس ونيون . وحاصة
علوم الفلسفة والمنطق والرياضيات والطب والملاحاة وكذلك كل مشحات حصارة
، لتقدم ، من لسيارات والسكر والشاي . إلى العصور والحروب ، وتحضير الملبس
شككت بحاري والمياه والري و الزراعة و اخر صبحت التقية لني توصلت لها الإسمية
في ذلك لرس . فكانت حصارة للإسلامية حصارة راحة بال لعلوم ونفسون ونعيس لرافي
، نفس و مومنتي والشعر والطرب والتقصور والمسجد . وكانت عدداها وور لرشيد
حصارة لني ، وكذلك كنت دمشق والقاهرة . ومركش دسبور ، وخرقة وأشمينية
وعرسه . زبونيد ومركش ، وغيرها من حواصر الأمور طورية للإسلامية المرامية
الاصرف . وزدهرت لعلوم الطبيعية التحريبيه والطب والرياضيات وكذلك الملاحاة
والعمارة وتحضير مدن والحامعات والمستشفيات لني آخر تلك منصومة احصاية لرمية
المسلااة . ولكن ضعف لعرب ، وتراجعوا واحتلهم واعمسون في حب لندب
والشهور ، وعرفت لهم الحياة لندما فضعت احصارة الاسلاميه وانقض عليها عدا ، حبة
والتقدم ، من جحافة البراءة في الشرق من معول وتتر وكذلك حوافل لتعصب ديني
و لقومي من شعوبيين ونصبيين ، فكانت المكاتب ندعية والكرات والبردم مكر .

وكانت مدعاة للذكر لمر لاثير. وحتو ذكرى تلك سكت لتي نه يستق لها مشير
في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية :

بقي عبدالله الطيب بذكرى تلك السكت ورجع انصدي لاثير، حصه ذكرى سكة
الأندلس :

يورد الدكتور عبدالله الطيب مرثيه بي البقاء صالحي من شريف الرندي في بيت حل
لإسلام في الأندلس من سكة دامية كارتبه . ' و تقصيدة منسقة مضوعة وصوت محصه
محصه في بيت جهير، مع مير سديوب في سدة حطاب، نحن سكة حساس عميق
بالهزيمة والضياع" (١) :

نكل شيء إذا ماته نقصان
فلا يغرب بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شأن
يمزق الدهر حتما كل سابغة
إذا نيت مشرفيات وخرصان
أين الملوك ذوو التيجان من أين
وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم
وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عاد وشداد وحصان
أتى على الكل أمر لا مرد له
حتى قضوا وكان القوم ما كانوا

١١ المرشد الحرة الرابع القسم الأول ص ٣٥٦ يقول عبدالله الطيب به بلفظ اي قصيدة الى
البقاء الرندي من كتاب "فتح الطيب" للمعري لانها ترد فيه كاملة .

دار الزمان على دارا وقائله
 وأم كسرى فمما آواه إيوان
 كأنما الصعب لم يسهل له سبب
 يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
 فسجئات الدهر أنواع متنوعة
 وللزمان مسرات وأحزان
 وللحوادث سلوان يسهلها
 ومما حل بالإسلام سلوان
 دهي الجزيرة أمر لا عزاء له
 هوى له أحد وأنهد ثهلان

"وئهلان" حل في المدينة سورة ورمزيته على الإسلام وصحة وعبد لله نصيب
 يقول إن هذا البيت يصدق على كثير من حوادث اليوم، تماماً كما صدق ما حل بالإسلام في
 الأندلس:

دهي الجزيرة أمر لا عزاء له
 هوى له أحد وأنهد ثهلان
 أصابها العين في الإسلام فإرتزأت
 حتى خلت منه أقطار ويلدان
 وأسأل بالنسبة ما شأن مرسية
 ومن شاططة أم بن حبيب
 وشاططة هي بلدة الإمام الخامس بن فيرة شاطبي، صاحب الشاطبية في نقرات
 وجيان هي بلدة ابن مالك صاحب الألفية:
 وأين قرطبة دار العلوم فكم
 من عالم قد سما فيها له شأن
 وأين حمص وما تحويه من نزه
 وتهرها العذب فياض وملان
 قواعدكن أركان البلاد فما
 عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الخنيفة البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس
ما فيهن إلا نواقيس وصُلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
ما شيا مرحاً يبيه موطئه
أبعد حمص تغر المرء أوطان
وحمص هنا هي أشيلية سميت على حمص الشام
تلك المصيبة أنست ما تقدمها
ومآلها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة
كأنها في ظلام النقع نيران
ورأتعين وراء النهر في دعة
لهم بأوطانهم عسز وسلطان
اعبدكم بيباً من أهل تدنس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
وأنتم يا عباد الله إخوان

الأنفوس أبيات لها هم
 أما على الخير أنصاراً وأعواناً
 يا من لذلة قسوم بعد عزهم
 أحوال حالتهم كفرٌ وطفیانُ
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
 واليوم هم في بلاد الكفر عبيدانُ
 فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
 عليهم من ثياب الذل ألوانُ
 ولو رأيت بكاهم عند بيعتهم
 نهانت الأمر وستهوت حرر
 يارب أم وطفل حيل بينهم
 كأنما هي ياقوت ومرجانُ
 يقودها العليج للمكروه مكرهه
 والعين باكية والقلب حيرانُ
 لكل هذا يذوب القلب من كمد
 إن كان في القلب إسلام وإيمانُ

وعند الله أطيب يورد القصيدة كاملة لأنه يرى بها تعبر بصورة قوية عن حالة الضعف
 وإنه لشيء وقع لأمة ليوم كما كنت في الأندلس . . . وهو ذلك يفسح الحرج من
 للمسلمين والعرب . أن فيهم من سببتكم وعصيتكم ، فإن محضر الكبيرة ما رأت تحرق
 بالعالم العربي الإسلامي من كل جانب . وما رأت القوى التي وقعت نهزمه وإنه
 والأكبر بالمسلمين . ما رأت هذه القوى معادية للإسلام والعرب فانه انه د ومحيطة
 بالعالم العربي الإسلامي ، ولذلك وجب التوجيه والإنذار .

ولقد حذر الخوئي عروحي ، في الكتاب - لعريز ، حذر مستنير من دعوة الاحلاف
 يودي إلى شرع ، لأن ذلك يؤدي إلى الضعف والتشلل دون نفوذ والمهدة
 قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

و رسوله ولا تدرعو فتفشموا وتذهب ربحكم و صبرو إن فيه مع نصائري * (الأنفال: ٤٥-٤٦)

ولدي أدنى إسمى بهيذر الدولة الإسلامية في الأندلس ، كان التفرع على السبقة ونفسه
نوبة إلى دولات وطوائف ، وعدد المسلمون كما أبحر بعضهم رقاب بعض . وكان
عضده يستعين بقوى الماثلة للإسلام لينقو بهم على حصونه من المسلمين ، حتى حاد
الاجتياح الصليبي فقتلهم جميعاً ، لا يرعون في مؤمن ولا ولادة . الذين كانوا
محتجزين معهم ولدين كانوا يقتلونهم من المسلمين سواء سواء ، وإن قتل هذه لم يعت
و تفرق ، لتجرب في لندن والتمرق شعباً وطوائف ولا استعانة بغيره ونولي أعداء
لإسلام اسوم كثير في جنات العالم الإسلامي وحتى في السودان وهو مدير شؤون وعلاجه
حرباً . وتبع طائر النور لدي يسى خراب والدمار إلا أن يعتمد لله المسلمين برحمته
وعافيته وف ذلك على أنه بعيد ، وسع كل شيء علف برحمة وهو بالمؤمن رءوف
رحيم .

كذلك غير الظلم من قبل الحكام مؤذن بحراب الدولة ولعمري حمصاً ، كما قال
العلامة ابن خلدون في "المقدمة" (١) .

غير الاحتياج إذا جاء سوف يكون كالظواهر ، عما شاملاً لا يدمر له شيء ويستفد
حكومه والنظم السياسي فحسب ولكنه سوف يدمر مقومات المجتمع جميعاً ، لا قدر
الله ، كل مقدراته وكل موارده البشرية والطبيعية ، فيحذر نفسه ونقده والنظم
النسبي الرسمي في الدول الإسلامية من هذا التفرع وهذه التحديات المثلة وهذه
المهددات الخطيرة لأمن الإسلام ومقوماته قال تعالى : "على أساس لمقيس منكم من
هزقك من ملوك إذا دحوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون *
(النمل: ٣٤)

فإنهم لا يحربون النظم السياسي الرسمي فحسب ، فكيفهم يدمرون السمات
لاحتمة والاقتصادية والنسبية للمجتمع بأكمله ، وإن هالك اليوم قوى كيرة . محنة
اقتصادية وعية تسعى وعمل لن نهار لعلمة العلم الإسلامي ، وحفظ نور الله فيه ويعبر
مدح التربة وتعلم حتى لا تنعم الأحوال القادمة الثقافة الإسلامية ، ولا تفرح تكريم

الأنظر د ركنيا سيرا م حوت علمية في مقدمة ابن خلدون الحرطوم - لدر السودان
للكتب عام ١٩٨٥ م .

ولا ألسنة لشريفة، ولا نار بوجه المجيد لئلا يغش خسارة وتعلو وتنتقد إلى العرب
المسيحي الذي كان عازقاً في صلاه دمس، يعط في سبات عميق، فجاء عتاء المسنمون
إلى الأندلس وحده فغلاسة والعقهاء وأقتضوا العلم المسيحي من بطايا وصفية وفحص
إلى لاندنس والنسرون واكسمورد وكسريدج، بهض العرب المسيحي بفصل عتوم
المسلمين، وعتوم اليونان التي نقلها المسلمون، وفصل منهج التجريبي والاسفراي الذي
جاء به نقران الكريم، منهج نطر في ملكوت سموات والأرض، والذي أحدث فجراً
هانلاً في معرفة وتعلو أدى إلى قيام النهضة والتوير في أوروبا، وإلى شدة احصارة
لغربية الراهنة!

يتعلو ذلك بدعوى الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهم في الواقع ندسون تقسيع
رأبهمه و سيطرة على مقدرات المسلمين، ويهسون مواردهم وترو تهم ويفرصون عنهم
العوالة^١، بالتعريب (Westernization)، بل والأمركة وفقدن الهوية كل وسائل تقسيع
ولقتل والتدمير: فآين حقوق لإنسان في كل دث، تفص واصح وكيل نصف مكاب
ورب الكعبة 'حسينا الله ونعم الوكيل'!!

في مثل هذه الظروف القائمة يهشخ ناس إلى تراثهم، وإلى محروقاتهم الحضارية
والثقافية والدينية، عسى أن يحدوا فيها نسوى والأمان وانظماسة ولاسترواح، ولا عرو
أن ينمى عبدالله القنيطر هـ بروائع أعمال التراث العربي الإسلامي، التي تذكر بأحد
المسلمين والعرب، عتد شرو العلم والنور، وكذلك العدة والتسامح في فترات طريفة
وإبر شابه أحيو ضله وكبت وإعتار بالندبا وعماس في شهوات، وضاعه الهوى
واشيطار، تعنى عبدالله القنيطر بروائع اشعر والشعر، الذين يعون لا يام نصفاء والمحد
.. وفي الليلة الظلماء يُعتقد البدر:

سيفقدني قومي إذا جد جدتهم

وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

في السلة الظلماء يتشوق الدس إلى السر، والبدر موجود هاندر المحد والعرة 'تسعة'
التي كانت للمسلمين ولخصارتهم:

١. نطر د زكريا شير إمام في مواجهة العوالة، دار قاسم للمعلومات الحرطوم وروائع محدلاوي
عمان الأردن

ليالي بعد الظاعنين شكور
طوال وليل العاشقين طويلٌ
يُبْنِ لي البدر الذي لا أريده
ويُخَفِّين بدراناً ما إليه سبيلٌ

ونذكر سكة الأندلس، سكة فلسطين عام ١٩٤٨، وهي حرج الكبير الذي مارل
دائم في جسد الأمة الإسلامية، بل وفي سويداء كل إنسان حر - بعشق لعدائه وبكره
نظمه وعدوان. كما تُذكر رائحة أبي ابقاء صالح بين شريف الرندي سوسة (س ريدون)
من منوك الطوائف في الأندلس، قبل الاحتيار الصيني الذي دمر لدونة لاسلامنة
هناك؛ ونذكر مجد أن عبدالله الطيب في ذكرته لموسوعية، الحارثة خراج الأمة؛ كما أنه
لا تنسى إن تتعمى في زمن الاحباط ولإطلاء، برائحة (ابن زيدون) وهي تنظر رقة
وصبغة وحملاً وروعة وسحراً: قالها يذكر فيها ولادة ست المستكفي بالله وكنت رائعه
حمد، رنة الإحساس رفيعة الصفات واشمائل، أمرة بحق من أجمل ما يحورديه
الملك والإمارة والأعراق السماء النبيلة^(١):

بنتم وينا فما إبتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت ماقسنا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسي لو لا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً لياينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومورد اللهو صافٍ من تصافينا
يا ساري البرق غاد القصر وأسق
به من كان صرف الهوى والود يسقين

(١) المرشد الجزء الأول، ص ٥٣٦، طبعة جامعة الخرطوم - انظر أيضاً

ديوان ابن زيدون، تحقيق كسلاني، ص ١٥ "كم تمست ثو أن عثمان حسين - لسان السوداني ذو
الصوب الذهبي والحبيرة العبقورية الريانة يعني ثوبية ابن زيدون لعل حفاؤد ونلامبده يصومون
بدلك أو هرقة الصموة في الخرطوم" ١١

ويا نسيم الصبأ بلغ تحييتنا
 من لو على البعد حياً كان يحيينا
 وأسأل هنالك هل عني تذكرنا
 إلفاً تذكر أمسى يُعَيِّننا
 ربيب ملك كأن الله أنشأه
 مسكاً وقدر إنشاء الوري طينا
 يا روضة طالما أجنّت لواحظنا
 ورداً جلّاه الصبأ غصاً وتسرينا
 كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
 والسعد قد غص من أجفان واشينا
 سران في خاطر الظلماء يكتمنا
 حتى كاد لسان الصبح يفشيها
 أما هواك فلم نعدل بمنهله
 شرباً وإن كان يروينا فيظلمينا
 لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
 سالين عنه ولم نهجره قالينا
 نأسى عليك إذا حُثت مشعشة
 قينا الشمول وغنانا مغنينا
 لا كؤوس الراح تبدي من شمائنا
 سيمما ارتياح ولا الأونار تلهينا
 عليك منا سلام الله ما بقيت
 صباهت بحلها فتحمنا

هـ وبيت من ريدون رعه، وكيف تحمل في صباهت ذلك الحين ربح مسجل بني
 شرب له في مطبخ هذا الفص. وهذا الحزن الذي يتعدى شخص حسيبة له لادفست
 لستحكي إلى ذلك الحبيب المفقود ألا وهو محمد نعرى لاندس. وفردده سهم المفقود
 لار وادي كاد عني وحشك لأقول، عندما أخطى من ريدون أهله مدينة، وعمر عن حرب
 سس واندهر... ذلك الحزن الذي لا عراه معه ولا سلوى ولا ذهب فهو مقسم من فده

بحر بنسبه وحالها، وما دامت سيطرة الفرنجة على تلك النقع التي شهدت شمس
 لإسلام ومحمد الحضارة السورية المشعة نور القرآن ونور الله، عسى الأيام نسب
 عسى! فهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، نذكره
 المشركون ﴿(الصف: ٩)

هذا السبب الحزين الساكن، فهو أعمق من كونه حرباً لفقد الحبيبة، فإن فقدان بنت
 ومحمد وسودد ونصور لحان فهو في حق الأمم، الحية شد فقد من فقدان حسة، فانه فقدان
 لأهل والعشيرة كلها، وفقدان المحدث والامه كلها، وفيه فقدان امنه والدين وعمره لإسلام
 والمؤمنين فهو فقد أي فقد، وإن كان فقدان الحبيبة وما يمكن أن تتعرض له من دن
 وإكس، بورث القلوب حراً دأب بميتاً فاتلاً، ومن تكلم ما يقل، حتى أن العرب تقول
 مات فلان كمداً أي حزناً على فقد عزيز غال.

ولقد كان حالي الأستاذ محمد أحمد عثمان النعيمة من أن جمع اصادق بالسودان
 (وهو والد زوجتي د. مر هو) كان كثير ما ينشد نونية (من رموز) التي كان يحفظها حفظاً
 مصنف، وكذلك عشرات من عيون الشعر العربي (ولدت كان يلقب بالأستاذ) بين
 لأهل والمعرف، وكان يهتر حسمه كله وهو ينشد هذه نونية لرتعة. وإن طاب وقته كان
 ينكي من التأثر ويسيل الدمع عزيزاً في وحتيه الأسيلتين مصبتين سور التقوى والإيمان
 (ألا رحمه الله رحمة واسعة) فقد كان أيضاً يحفظ كتب الله عز وجل، يرثله ماء العين
 وأطراف النهار!

ونوبة من ريدون، فيما ذكر عبد الله الطيب وبحق. تذكر نونية حبيب ومدهمة في
 نسب لساكني حزين الذي هو عواء ناع الرقة ونزوعة واحمار وفيه عطفه مسونه تكاد
 حاسب الحى تحرق لشاعر والمستمع. سراء سوء، نسدة حررتها وشدة بحارها
 ونفسها اصعدة ونوبة حررها إذا قالها لتفصح ما كان يعند بصدره من حزين إلى ندم
 نصاب في نادية وسى سويحات من استعادة الصرفة التي خنسها من سواف لآله
 في رأي عبد الله الطيب. إذا أن عبد الله الطيب يقول إن حبيباً كان شاعر أعصف رعب
 حقوق الاحصان منرم أخلاقاً أخلاق الإسلام، ولم تعرف وفعة بعينها كانت سب في
 إتهام حبيب بهذه النوبة الرائعة التي تأثر بها (س ريدون) وقد مسح على مؤلف مع شارفي
 في زمان والأحدث، أن (س ريدون) كان يموت صدمة وساقط انفساً على حسنة معه
 حصل. ربيعة لحسب والسب. ولأذلة بنت المستكفي بالله.

قال جرير الشيمي رحمه الله :

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت
أسباب دنياك من أسباب دنيانا
يا أم عثمان إن الحب عن عرض
يُصبي الحليم ويكي العين أحياناً
كيف التلاقي ولا بالقيظ محضركم
مما قريب ولا بعدك مدد
يا رب عائدة بالغور لو شهدت
عزت عليها بذير اللج شكوانا
إن العيون التي في طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك له
وهن أضعف خلق الله إنساناً
طار الفؤاد مع الخود التي طرقت
في النوم طيبة الأعطاف مبدانا
نت فراراً كأنا ما لكون بها
يا ليتها صدقت بالحق رويانا
قالت تعزّ فإن القوم قد جعلوا
دون الزيارة أبواباً وخرّاناً
لما تبينت أن قد حيل دونهم
ظلت عساكر مثل الموت تغشانا
ماذا لقيت من الأظمان يوم قنا
ينبعن مغترباً بالبين مظعان
أتبعتهن مقلّة: إنسانها غرق
هل ما ترى تارك للعين إنساناً
يا حبيذا حبيل الريان من حبيل
وحبذا ما كنوا الريان من كانا

وحبذا نفحات من يمانية
تأتيك من قبيل الريان أحسبنا
هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتكم
عند الصفاة التي شرقى حوانا
هل يرجعن وليس الدهر مرجعا
عيش بها طالما احلولى وما لانا

وعند عدله الطيب اشياء بالشيء ذكر ، والشعر الحرس اليكي يدكر فصائد آخرى
هي نفسة في اخوذة وفي التعبير عن ذلك الخبير اليكي اخبرني الذي يعبر عن وحد
عميق ، عمق من راعرب ، وبعد مدى من سر مدبل لني غيت سات سيد يعقوب
عليه سلام ومنعتهم من السقب ، حتى ورد موسى وسقى نهما له نوى الى فصل فهد
هي ربعة من رريق - شاعر بغداد ذي حظ لعشر لذي دفعه الى موت في الأندلس . لان
حبيبه تاجر عليه في العدة ، فطس ابن رريق انه قد فسل في مسعاه في الأندلس . كما
فسل في عدد ، فمات كمد قبل ان تصنه الامور لكثيرة و نصاب و نهدي البقرة لني
كبت في نظريق إنه ولكنه مات قبل ان تراها في للحزن وبيا للمأساة
فان ابن رريق - وهو بودع حبيسته زما وهو في الطريق الى الرحيل الى الأندلس ، ذلك
الشعر الذي سبب له الأذى والموت :

يقول ابن زريق الشاعر البغدادي الفذ :

أستودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الأزوار مطلعاً
ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة وإنني لا أودعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى
وأدمعي مستهللات وأدمعة
وكم تشفع بي ألا أفارقه
وللضرورة حال لا تشفعه
ثم يقول ابن زريق يلوم نفسه على تخلفها الام للإعتراب ، بالرغم من محدودات

انتشبت به والنشع الحار مؤثر من جانب حيثته احميته لونه . ولبت بن رزق ثم برحق
إلى الاندلس طناً في المال وجاه، فقد كان ذلك اسهر من في مائة دامية فعدت لأدب
معربى شاعر رفيع إسماعيل، وإن كان قد عصى انقروا لإملاق والمود حفلة من عده .
وكنه على تلك المحتمعات الر كضبة تقاسيه لشحيحة لمحبة بني مدفع شعراء
والموهوبين إلى نهجرة بالإعتراف، وإلى بن يصرحو أنفسهم لعلة لنفسه كل مفرح .
كما قال عروة بن الورد :

إذا الزمناح أراه في الرحيل غنى
ولو إلى السند أضحي وهو يزعمه
والله قدير بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه

ومن نسب الملتح وخين السكي الرابع، أورد عبدالله الطيب القصيدة التي نظمها في
(بحر الطويل) الشاعر المصري العملاق عباس محمود العقاد . وعبدالله الطيب يمدح بحر
الطويل ويقول عنه :^(١)

فمن هد يوضح لك ما ذكرناه بدء من أن هذا البحر حقى الدسة، و مع النفس .
رئت لنعم، حين سئل في جزهره، يتقن العميق الجاد من الكلام بأوسع ما للعمق و حد
من معان . . "

فمن عبدالله الطيب، أنه من حسن الخط أن العقاد قد نظم قصده رائعة في هذا البحر،
وهي لا ريب نبيرة فصيدة في هذا النوع من عربى الساكى شاعر وعموم قبل جود شعير
العقاد قد جاء في بحر الطويل : يقول العقاد رحمه الله :

أبعداً ترجي أم ترجي تلاقينا
كلا البعد والقربى يهيج ما ييا
إذا أنا أحمدت اللقاء فإني
لأحمد حيناً للفرق أيا ديا
فيا من لنا في كل يوم بفرقة
تجد نيلات الفرق كما هيا

(١) (المرشد) الجزء الأول - ص ٥٠٦ .

ليالي يبيح الدلُّ فيها زمامه
 ويُرخّص فيها الشوقُ ما كان غاليا
 ويا ليلتي لما أنست بقـريه
 وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعانـيا
 تطلع لا يثنى من البدر طرفـه
 فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
 بنا أنت من بدرٍ وددتُ لو أنه
 على الأفق يبدوا أينما كنتُ ثاويا
 غداً ننظر البدر المضيّ فوقنا
 وحيدين من دارين لم تتلاقيا
 أشم شذى الأنفاس منك وفي
 غدٍ يرمي بنا البين المشتُ المراميا
 والشمـه كـيـمـا أبرد غلتي
 وميهات لا تلقى مع النار راويا
 فمئـلت كـعبـه وقبـلت نـعـره
 وقبـلت خـديـه وما زلت صاـديـا
 كأننا نزود البين بالقرب بيتنا
 فنشتدُّ من خوف الفراق ثدانيا

ويدخل الخنثى نديى صمى ذلك الحس المستحيل ، هناك لصانه الأسرة ، حاصه
 محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولشوق إلى ربه مسجده الأعلى ، دي لقيه
 حصاة لثقة ودي برؤسه لشريفه من بين قمره وسره ، وهي هي رخصه من ريبه
 احبه وامل سودا معروفة من محبة نبي صلى الله عليه وسلم ، وهم من مثل شوق
 والصباه يعرفون عنها ثبات مدح ليله ، تخلص بالشوق وحب إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، كونه أكمل لسان حنن واحسهم حنن وحنن ، وكونه لامة حسنة ،
 وكونه لأكثر حسنا يومين من بانهم وامهاتهم وكونه حاد في أنه حار جهده ، وعسى
 وتعب في سبل دعوة ربه فتبني فيها وأردى ، حتى أنه بقي إلى شعب في صاب مده

ثلاث سنين، ذاق فيها حرمان والجوع وانظماً والنصر والأذى، ثم اصبر إلى سمر إلى
نظف داسقير فيها أسوأ استقبال من أمها إلى أن أذن لله بالهجرة إلى شرب
قال تعالى:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عرباً عليه ما عنده حريص عليكم بما موّسّر روف
رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨).

وقال تعالى:

﴿إني أنزلت المؤمنين من أنفسهم وأرواحهم أمهاتهم وأولو، لأرحمهم ببعضهم
بعض في كتاب الله﴾ (الأحزاب: ٦)

وقال تعالى:

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾
(الأحزاب: ٥٦)

والمحدث مشهورون بحجة الرسول صلى الله عليه وسلم، والشيخ محمد المجدوب
قمر الدين، المتوفي في ١٨٣٢، صاحب ديوان الشعري، وصاحب مؤلف في مدح
مصطفى، صلى الله عليه وسلم. ويقول عبدالله الطيب إنه تعلم شعر الفصيح في مدح
مصطفى من ديوان الشيخ المجدوب بن قمر الدين، الشيخ المشهور، صاحب مؤلف في
مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحب ديوان شعر ويقول عبدالله الطيب إن
بعض الناس يخطون بين الشيخ محمد المجدوب، المتوفي ١٨٣٢ وبين جده الشيخ محمد
المجدوب الكبير بن علي أبي دافع 'راجل كبير و سار والمدفون في سار وكان الشيخ محمد
المجدوب الثاني وهو ابن قمر الدين وصاحب شعر ومولد. كان شاعر حسن فتح محمد
علي باشا السودان. وكان آنذاك مجاوراً في المدينة المنورة وعلى كل حال، فقد تأثر
الشيخ المجدوب بن قمر الدين بالشيخ عبدالرحيم البرعي (في تيمر) في مدح الرسول
صلى الله عليه وسلم، وفي الشعر الممدوح أسبوي عموماً. وعبدالله الطيب نفسه كان متأثر
جده لأمه محمد الشيخ المجدوب بن قمر الدين وكذلك بالشيخ البرعي. كما كان متأثر
بشعره الذي كان شاعراً أيضاً وأقرأه شين من أشعار عشرة بن شداد، وبشعره المتنبّي،
وكذلك أحمد شوقي.

ومن أشعار البرعي التي حفظها عن سه، وكان يحسن أشدها في مسجده المجدوب
الدامر يومي الأحد واثنين، حيث يجتمع الناس على إشادة مولد لسوي:

بانت عن العدو القصوى بواذيتها
وقصيدة البرعي الأخرى :

بالأبرق الفرد أطلال قدييات

وتشظيره للشيخ بن الشيخ لطاهر مجدوب . ويقول عبد الله نصيب إنه كان يصف
قائم عند راية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد انتهاء مطمح القصيدة شعري
ببصطير لجميع الموقوف ، في مهم الشيخ بن الشيخ لصهر مجدوب وقد كان شيخاً كبيراً
متقدماً في السن :

« من القصائد النبوية التي ترخم بها عبد الله نصيب كثير ، وتعدده كثير قصيدة
عبد الرحيم البرعي التي يقول فيها :

فؤادي بربع الظاعنين أسير

يقيم على آثارهم وأسير

أحن إذا غنت حمائم شعبيهم

وينزع قلبي نحوهم ويطيرو

فيا ليت شعري عن محاجر حاجر

عن أثلاث روضهن نظير

وعن عذبات البان يلعبن بالضحاح

عليهن كاسات النسيم تدور

ومن لي بأن أروي من الشعب شربة

وأنظر تلك الأرض وهي مطير

وأسمع في سفح البشام عشية

بكاء حمامات لهن هدير

أحبيب قلبي هل سواكم لعلني

طبيب بداء العاشقين خبير

فجودوا بوصل فالزمان مفرق

واكثر عمر العاشقين قصير

« إن إعجاب عبد الله الطيب بنو صيري فلا يقل أنداً عن إعجابه بقصائد البرعي . وقد

سبب لها شعراء عدا عبد الله لأبيات من ردة النوحيري ومضجها .

أمن تذكر جيران يذي سلم
 مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
 زعمائه الضيق ليس بأقل إحصاءاً بهمرة الوصري التي يقول في مطلعها
 كيف ترقى رقيب الأسياء
 يا سماء ما طاولتها سماء
 والتي يقول فيها:

سيرة المولد لدي كسان ندر
 سرور يومه وازدهاء
 وتروى شري نهوت أن قد
 ألد اصطفي يوم الهب
 مريد كان مه في طالع الكفر
 وبأل عليهم ووباء
 وهيبثانه لأمة المضل
 الذي شُرفت به حواء
 ويقول فيها منبهاً على معجزات النبوة في أول الأمر:
 ثم قام النبي يدعو إلى الله
 وللكفر نجر نجدة وإباء
 أمّا أشرايت قلوبهم للكفر
 فداء الضلال عياء
 رب إن الهدى هداك وآياتك
 نور تهدي به من تشاء
 قد رأينا ما ليس يعقل قد
 الهم ما ليس يلهم العقلاء
 إذ أبي القليل ما أتى صاحب
 الفيل وما ينفع الذكي الذكاء
 والجمادات أفصحت بالذي
 أخرس عنه لأحمد الفصحاء

ويح قوم جفوا ثياباً بأرض
ألفته جنباتها والظباء
أخرجوه منها وأواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

ثم وصف البصري رحلة المعراج على النحو التالي :
فصف الليلة التي كان للمختار
ففيها على البراق استواء
وترقى به إلى قباب قوسين
وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأمانى حسرى
دونها ما وراءهن وراء
ثم واقي يحدث الناس شكراً
إذ أتته من ربه النعماء
وتحدى فارتاب كل مريب
أويبقى مع السيول الغشاء؟
وهو يدعو إلى الإله وإن
شق عليه كفر به وإزدراء
يدل الورى على الله بالتوحيد
وهو الحجة البيضاء
فبما رحمة من الله لانت
صخرة من إياهم صماء
ثم أخذ البصري في محذلة الصدى وغيرهم من أصحاب المنى لأحرى
ما أتى بالعقيدتين كتاب
وعنقود لاص فيه اداء

والدعاوي ما لم تقيموا عليها
بينات أينأوها أدعياء
ليت شعري ذكرُ الثلاثة
الواحد نقص في عسككم أم غاء
كيف وجدتم إلهاً نفى التوحيد
عنه الآباء والأبناء
إله مركب ما سمعنا بإله
لذاته أجـزاء
الكل منهم نصيب من الملك
فهلا تميّز الانصبياء
أتراهم حاجة وإضطرار
خلطوها وما بغى الخلطاء
أهو الراكب الخمار؟ فيا
عجرب إنه يمسسه الإعياء
أم جميع على الخمار؟ لقد
جل حمارٌ بهم معهم مشاء
أم سواهم هو الإله؟ فما
نسبة عيسى إليه والامتعاء
أم أردت الصفات؟ فلم
خصيت ثلاث بوصفه وثناء
أهـ رب الإله؟ ما شركه
في معالي أنبياءه لأسياء
قتلته اليهود، فما زعمتم
ولأمواتكم به أحياء
إن قولاً أطلقتموه على الله
تعالى ذكرآ، لقول هراء

ويرى عبدالله لطيف أن همزية شوقي ليست جيدة بصيغة، وإنها ملبنة - لإشارات
التاريخية بصورة مضحكة وغير ضرورية، كما يبعدها من محورها الأساسي لا رده منزع
الرسول، صلى الله عليه وسلم.

والتوصيري هو الإمام شرف الدين. أبو عبد الله محمد بن سعيي التوصيري توفي سنة
٦٩٤ هـ.

وهذه التسمين في محبة مصطفى، صلى الله عليه وسلم، حلالاً بعد حيل كما مصدره
دراكتهم بأن الرسول قد أنقدهم من ضلمات الكفر إلى نور الإيمان، فأثقفهم من نور
وهداهم إلى صراط مستقيم وأنه كان بهم رؤوفاً رحيماً، أحس عبيدهم من أمهاتهم
وأبائهم:

قال تعالى:

﴿فما رحمة من الله لئلا يؤلمهم ولو كنت قط عليظ ثقلت الألقصوا من حوائث دافع
عبيهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (ال عمران: ١٥٩)

وقال تعالى:

﴿وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ وَأَهْلَ الْمَسْكَنِ﴾ (الشعراء: ٢١٤-٢١٥)

وكان النبي، صلى الله عليه وسلم يقول:

أنا نبي الرحمة!

أنا نبي الملحمة!

ويعني أنه - صلى الله عليه وسلم - رحمة وسلاماً على المستضعفين وبطونهم
والأغوياء والعشويين والفقراء والمساكين، وكذلك ابتليهم بالفتن والفتن
دفعه حرباً على المستكبرين والمترفين والمسرفين، سارقي أفوات الفقراء والمساكين، وخدمة
الناس من عباده لله المستضعفين وأخذوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، صدم ملا من
قبرش، صدم الظلمة والطواغيت من مشركي العرب، وكذلك أخذوا في عهد حتى جهاد
صدامهم المستعمرين في الشام، وواصلوا تصديق رضي الله عنه هذا جهاد صدامهم
بروم والناس وكذلك المرتدين الظالمين من العرب، حتى حصد الناس من الضم
والاستعباد ومن الخضوع لغير الله!

ويعمل كثير من الناس، وحتى كثير من المسلمين، على نوعي نيل الإسلام في حوزة

نودة تحرير عظمى لكافة انشريه من عبادة لصواعيت من اساس ، الى عبادة لله ،
تقهار ، بالرغم من أن القراء الكريم أشد كثر من مرة إلى مهمة الرسول في تحرير ،
وتحليصهم من الإصر والإعلان التي كانت تكسبهم في الأديان لسابقة للإسلام .

قال تعالى :

﴿الذين يتبعون الرسول نبي الأمي الذي يجدونه مكتوب عندهم في التوراة ولا يحب
بأنمرهم بأنعرف وينهاهم عن المكر ويحل لهم لطائف ويحرم عليهم حسانت ويضع
عليهم صرهم والأعلال التي كانت عليهم فائدين أموره وعررره وصروه واتبعوا أمور
الذي أمرن معه أو شئت هم المنفحون﴾ (الأعراف . ١٥٧)

من حين ذلك أحب المسجون لأوائل لساقون ومن تبعهم بإحسان رسول الله كما لم
يحب رسول ولا عظيم من البشر ! ولقد شهد ذلك رسول قریش وسفر وهم إلى محمد
صلى الله عليه وسلم ، من معاوصات التي أدت إلى عقد صبح حديبية .

قال أحدهم :

لقد نظرت إلى هرقل لروم ، ودرت كسرى في قصره ، فوالله ما رأيت أحد قط
بعظمة محمد ، لقد رأيته في قوم لم يسلموه أبداً أو يهلكوا من دونه .

وقال سمير قریش ، سهيل بن مسعود ، إن أصحاب محمد ينحاطون شعره ، عند
يحدث ربه ترك وكذلك باقي ثاره من ماء يتوضأ به أو غير ذلك .

لكن ذلك ، فإن أشعار المدائح لها تاريخ طويل عند أقدم حسان من ثبات مدحه صلى
الله عليه وسلم . ولكن عمدة هذه المدائح المدائح للرسول صلى الله عليه وسلم هي لامية
كعب بن زهير ابن أبي سلمى التي سميت بالبردة لأول مرة :

بانت معاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ حلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

والتي يقول فيها :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الهند مسلول

فقاطعه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهتد من سيف الله مسلول

فأحد كعب بن زهير من أبي سمي بإقتراح الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتم بعد ذلك
نسبت حسنة كان لإقتراح نسوي الشريف، وعندما كمل كعب بن زهير من أبي سمي
قصيدته مهنص إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وسرع برزته الشريفه وكساه لكعب فكان
ذلك عظمه شريف بآله كعب بن زهير من أبي سمي في حياته كلها!
وعلى يهج برزة 'كعب بن زهير من أبي سمي' سجع انوصيري ترك ذلك شعري
وعبرهم من الشعر، وماذحون على مذكر التاريخ الإسلامي وإني ان يربث به لأرض
ومن عليها.

عبد الله الطيب والأمال الكاذبة:

عبد الله الطيب كثير لشكوى من الدهر، به لا يحقق به ما له التي إنشأ طمأ كان قد
برونها كذلك مو عيد عرفات، وهي كذلك بروق كاذبة لا يأتي على ثرها عيب وكيف
بأنعمت وأنصر لا أعوان ولا صديق حميم، فالأصدق كنهم عبر صادق في ودهم
لأنهم حرمهم جميعاً فلم يعد منهم لا عيشة ولا نقول حسن يسعده، حتى فادته طول
نحازر مريرة إني لئن المطلق منهم، وتسمى العدم وما يقدرب العدم دثني ان يكون
طمر أو وعلا في عبي اجال أو حتى نرا لا شيء منه ذكر!
«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكور» أي ان ينسى الإنسان له
لم يكن ولم يولد: (١)

يا ليت أنى طائر آمن

بصـ—————دح في غناء محراج

أوليت أنى وعمل في ذرا

أرعن لا يسعى به سـ————ع

أوليتني لست بشيء إذن

كفيت تهمامي وأوجاعي

(١) أصداء النيل، من قصيدة "يا ليت" ص ١٧٣.

وقد يثلم على ماله
 من كسافه 'نوعه'
 ويكن دونه 'نصحر'
 والظلماء والبهمد
 وقد يسليك بعد اليأس
 من 'مـ' أنت المره

ويأتي عبدالله الطيب في مرحلة من حياته - على المشلل والحسبان 'مدان' لافهم
 في الدنيا، رغم عبقريته وعقله المتقد كالكوكب المنير: (١)

أبكي على نفسي من حسرة
 ولا أرى في العيش من مذهب
 وهل تراني أني نافعي عقلي
 ذو الوقدة كالكوكب
 يا ليتني لم أدر حرفاً ولم
 أجب مدى المشرق والمغرب

وفي قصيدة "خواطر مقيدة" (٢) يرى عبدالله الطيب أن الأمان نست سوى صروح
 من رمل يشيدها الفتى: أم هي مجرد برق كاذب:

وليس العيش إلا مثل برق
 يشع على ظلام خـسى
 فيا عجيباً لنا نبني صروحاً
 نشيدها من الأمل الفتى
 ونرتقب الخلود وقد حوتنا
 مخالب من يد الموت القوى

١١١ - العدد = السجل، ص ١٢٤

(٢) أصدااء النيل، "خواطر مقيدة" ص ١٤٩ .

بالرغم من هذه نقصائد حزينة الشجيرة، وما يشير إلى أن عددًا نضب، قد ينس من
 'الديب ومن حبة والدس، إلا أن هذا نضاع لا يمثل الحقيقة كلها' فعدد هذه النضب ليس
 فيسود، فحسب ولكنه أيضاً شاعر، وأشعر، كثير ما يقولون ما لا يعمرون زمرته مثل
 هؤلاء، فعدد الله أحياناً كثيرة يعطي نفسه حقها في التمتع بحياة الدنيا ورستهم ومباهجها،
 وهو يعنى نحب و حياة كأحمر وأخضر ما يكون لعناء يقول عدد الله النضب في (فصده
 .. قبي) (١)

رنا قلبي إلى روض عزيب
 وغابات كأستار الغيوب
 ويوم باسم طلق دفيء
 كمضجع موسر غرض رحيب
 فنستلقي على الأعشاب نحسو
 بهمس الحب تلهية الحبيب
 رنا قلبي إلى ليلي وتاقت
 اليهسا النفس من بون غريب
 وليلى كالصباح سرت إليه
 ظلال الليل في الشفق الخصب
 وليلى كالأصيل دنا فوشي
 طوال النخل بالنيل الخصب
 تطيل الصمت يغمرها حياء
 كلون الخمر في الكأس الطروب

فعدد الله النضب نارة يأنس من الحياة، يرى أن لا سبيل من بيل رعاتب نفوس و مال
 'الفلوب' ران لسبيل أوحيد متاح للفتى الأزيب الحارء هو أن يرهد فيها كلب. ولكنه
 نارة حمرى يعنى بنبلاء، ويصنعها بها كأنفسح حسن وإشراق ركا لأصيل سحر وألوان
 راهية كالو الذهب المسحدي، يوشي نحيل نيل وأن نوبها عديم يصنع ويعتريها
 الحياء، كلون الخمر في الكأس نتي يصنعها بأنها كأس طروب رما يقصده سب

(١) أصداء النيل، ص ٥٨ .

تُبدي ضروباً من الحسنى إذا أنست
ناهيك من نهل عذب وإعلال
ومن بغام بغام الرائحات إذا
مارشحت دمعها كاللؤلؤ الغالي
تشكو إليك شكايات الغرام وقد
تنهدت وريث كالموج ذي الجلال
ليس المحب بمكسّال إذ تهاجر
ولا إذا دومت وصلاً بجلال
نحلتها الحب مكنوناً فهل حسبت
أن سوف تدرك بعد الجهد أمثالي
شأن من وده صفو بلا كدر
يُعطي ويُعطاه عفواً غير سأل
ومن هواه هوى شوب مخالطه
حرص البخيل وضمن المعرض السالي
نقد حيت لها خاتمتهم
فهل تراها شفاها لحن أقوال
أم هل تراها أصاغت وهي واجدة
بعدي إلى كل ذي لونين ختال
وكل عذالة خذالة أشب
أورت لها نار شرّ ذات إشغال
فقد نكون ولا عين نراقبها
جيد الدجّة من أهوائنا حالي
نقنات من خلّس النجوى وتُسعدنا
سلافة زانها لآلاء جريال
سرت إليّ وقطر الثلج منهمراً
والريح ذات أهازيج وإعوال

فرداً لهم بأعفَاء وبند عني
 وخز الشَّاء كئيباً كاسفاً بالي
 حتى تسدت على حلس فتلثمني
 فكنت أحسب حلماً قد ترى لي
 تلك الفتاة التي نيران لوعتها
 صيرتني مثل سحق اليمنة البالي
 ليهنّها أنني في رقها أبداً
 حتى يحمل ظهراً الموت أثقالني
 وإنها طائر اليمس الذي منحت
 أسرابه وتلقاني به فالي
 وأنّها زهرة الحب التي نبئت
 في سرد وادٍ خصيب غير محلال
 حياك عني عمار لا بصوحه
 تقلب الدهر من حال إلى حال
 كمثل ثغرك رفاف له ألّق
 تألق النجم في خضرائه العالي
 * العمار هو الزهر والريحان

وفي قصيدة (شكوى وعزاء)^(١)، يقول عبدالله مشتاكاً:
 قد حز في النفس أني ليس يشكرني
 قومي بلاني وإبداعي وإحساني
 أمسي ينوء بي من ليس من وطني
 ويات يحسدني أهلي وجيراني
 ثم بعد ذلك أخذ يتغنّى ويتروغ بالعشيقة التي هجرته،
 إن التي حجب عني زيارتها
 هاجت وقد جمع النوام أشجاني

(١) أصداء النيل - ص ٢٠٣ .

غريرة غضة حسناء أنسة
 ربا الأديم كغصن يانع جانني
 براققة الثغر يهفو حوله لعس
 إخاله إذ يبيض النور ناداني
 أذود نفسي عنها وهي ظامئة
 وأصرف اللب عنها أي أسوان
 ولو تشاء لقادتنني علانية
 وأذعن الصعب مني أي إذعان

ويقول عبدالله الطيب من قصيدة (يا جارة البين)^(١) :
 يا جارة البين منها الحسن والطول
 إن الفؤاد فؤاد السَّفر متبول
 يقول ناعته ها
 من عتري هي أو طوبى منابتها
 وجادت العين لما جاء باغتتها
 وقد تبين ورهن منك مكبول
 وصاح هاتف ساقبها وقد سمقت
 نكعها وحصب اقر مرمون
 حبابه بشر الدر الذي حليت
 وراحه شر كندر مصقول
 أم راحه شمتها أو مقبئها
 أم معصم ترتبها أم مخلصها
 أم خصرها حيث طي البطن مجدول
 وفي أناملها مما تصيد به
 قنا الأظافر قالت أنت مقتول

(١) أصداء النيل، ص ٢٠٧ .

بيضاء من معشر الأحرار هذبها
 طولُ السفار وفي الخدين تأسيلُ
 وقد أناف على آفاق عاتقها
 فرعُ لها طُرة منه وأكليلُ
 يا نظرة نظرت عينٌ وخامرها
 لذع الهوى أن سيف الحسن مسلولُ
 مصنوعة صنع تمثال تجفلُ من
 أقواسها المرميات السرابيلُ
 صبتُ على قصب ريان ممتليء
 خدل وفي الوجه مشكاة وقنديلُ
 والخذ أسجح والجيد الكريم غما
 كما غما غصنُ ريان مطلول
 وقال واصفها
 لدن معاطفها حلوٌ مراشفها
 مليحة الطوق براقٌ سوافها
 ريحانة أثف الرئمان تقطفها
 العينان فاتنة غراء عطبولُ
 يا جارة البين إن القلب محترنُ
 والحب ناء وعقد الصبر محلول
 ونحن قسوم على متن الهواء وما
 لنا مقام هذا الحب نهبين
 وانت ناعمة بالسحر باغمة
 للقلب فيك صبايات وتأميلُ
 جاءت تعلق أطفالا بتلهية
 هلا بتا منك هاتيك الأعالي
 فرو نفسك من لحظ تحانسك
 عيناك إن خلاص اللحظ تقبيلُ

ثم أشرق يوم العيد عليه وهو في حريرة مائطا، فحس إلى أسودن، وإلى قومه
محدث، ولم يكون منهم في مثل هذا اليوم من بهليل وتكبير بالعيد، فقد في نفس
القصيد "يا جارة الين":

إن أشرق العيد لي في أرض مالطة
بين النصاري ففي الأعماق تهليل
وبالسيالة من قوم أحبه مو
لحكلم الآي إدغام وتسهيل
يتون حرف أبي عمرو إمالتهم
محض وماء نرءوس الآي تقبل
من شأنه قومه إلا يتيه بهم
فقومي الصديق الصيد البهليل
يجري عليهم من النيلين متبعق
وفي أكفهم من جودهم نيل
هينون لينون، إن ظن الغبي بهم
ضعف فمهم لأهل نسعى نيل

وقد عبد الله لطيب يحسن إلى أيام عظمه الإسلام، وأيام محله اساقف، وكيف كان
سعى، صلى الله عليه وسلم بها حمة الأعداء ظهر في صف رحت مستصر بقدومه حين
مددعة مدح أنسيل في الوادي ويقدر هدا لصعف ولهودان وتكك هدي لاسلام
اسند في لأباد المعاصرة في بديعة التسعيات من القرن العشرين، فلا لأزهر سافع ولا
المسلمون مفلحون .

فمن قصيدة "أما الخليط" يقول عبد الله الطيب^(١):

أما الخليط فبانوا بعد ما علقا
منك الفؤاد هواها فاكنم الحرقا
كأنه نحلة بالشط مشرمة
قد خضب البدر في أغصانها الأفقا

(١) أصداء النيل ص ٢٦٠ .

بانّت وفي القلب ذكرها تشعُّ بها
 على الحشى مَوْهناً من نورها أنقا
 لما تراءت بليتيها لتحزُّنتي
 ولا محالة أن يشتاقُ من عشقا
 ما إن ذكرتُ لها وجداً ولا ذكرتُ
 وجداً سوى أننا نستنطق الحدقا
 ولا اتعدنا سوى المعروف إن جمحت
 بنا الصيابةُ حتى تشكو الأرقا
 حيا الغمامُ جلّاه الوادين وأكناف
 الغوير وحيا الرمل والبرقا
 والركب إذ سلكتُ أيدي الركاب
 بهم ميممين الغضي من راكس قلّقا
 هل يعلمون بأن الدار غيَّرها
 عهدُ الأنيس وأمسى شعبها انفراقا
 وشبهت النارُ يقضي الحاكمون بها
 وأنكر البدو تلك الأينق الدُققا
 صلى الإله على الهادي النبي بها
 هدى وجاراه فضل السبق إذ سبقا
 ونضر المنبر الأستي وعطر روضات
 المصلى وأسقاها الحيا غدقا
 من مسبلغ المصطفى إذ تدّ مدلجنا
 عن الهدى ونحونا التيه والفسقا
 فيا بن أمانة المهدي إذ نكثوا
 صفّ الظهيرة والمجنوبة العُتقا
 والواهب الكُوم ألقاً يندفعن
 من الوادي يخالُ بهن السيل منبعقا

والقاهر الخصم بالحق المبين
وبالرمح السنين وبالهندي مُعتنقا
والجامع الناس أشتاتاً يؤلفهم
على المحجة حتى اقبلوا عقب
إنا شقينا بما نلقى فهل أملُ
من قيض تورك يجلو الغم والغرقا
تعاجم العرب الأحرار واستيقوا
إلى الخيانة وارتادوا إليها طرقا
وكان أمرهم سُورى فصار إني
من لا أبر ولا أوفى ولا صدقا
يا وافد الله إنا وافدون إلى
سناك إذ شع وسط اليأس وانفلقا
إني وحقك إيماني كمن شهدوا
بدرأ يخوضون في هيجائها العلقا
ومثل من صبروا بالشعب من أحد
دبرسو صوفوث نسل إد رشم
ولو شهدتُ حسينا إذ يُحلا عن
ماء الفرات ويسقى المنهل الرنقا
إذن وردت حياض الموت موره
وما غبرت أصافي العيش من فسقا
يا هادي الخلق قد حار الدليل بنا
فقد دعوناك للخطب الذي طرقا
صلى عليك إلهي كلما هتفت
ورقاء هاج شجاها الدمع فاستيقا

وبعد هذه الأبيات التي تشفع عن إيمان عديق ، ليس هناك من سبيل لأحد ان يشكك
في عبادة عبد الله الطيب ، أو في خلاصه للإسلامة وإتزامه بتعاليمه ، وكل ما سر فيه في

فقرت الشباب، و مراحل لأولى من حياته، فمما كنت برفات الشباب لى ندم عه
وسب و رجع عنها، كما نتم عن ذلك قصائده التى استعرضناه مثل :

- ندم الشباب

- لذات الشباب

- غنى الشباب

- وأما الخليل

وعرف من القصائد التى يزج فيها إلى ربه بالدمع والسيراب و إلى النيل و شطاه البريقة

عبدالله الطيب عاشق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) :

وعند به لطيف كثير اذ يصنى على المصطفى ويسم عليه، عملاً بآمر الله الكريم
للمؤمنين؛ ذلك الأمر الجليل :

قال تعالى :

﴿... به وملائكته يصدون عنى النبي بها ثدين موا صلوا عيه وسلمو تسليماً﴾

(الأحزاب : ٥٦).

ولقد مدح عبدالله الطيب الرسول، صلى الله عليه وسلم كثير كما شرب . هنى
"قصيدة نبوية"^(١) .

سلام على المختار ساكن يثربا

نبي الإله أريحياً مهدباً

ونهدي له حُرّ الثناء كأنه

شذى المسك أو يلقى من المسك أطيباً

نبي تبـعناه على كل حالة

برغم الذي عاды ومن كان كذباً

به هدى الرحمن للرشد بعدما

تخبطن في ظلماء شرق ومغرباً

نفوساً سواء لم تكن تعرف الهدى

ولولاه لم تبصر إلى الرشـد مذهباً

(١) "اصداء النيل" ص ١٩٤ .

ثم يذكر عبدالله الطيب أهله وأحدده نشاؤون في ذلك الدامر الغري (التمريض)
متوسدين ذلك التراب الأغبر الطيب :

ثم يرحل عبدالله الطيب إلى حاله في عربة سدا " لا مان ولا همل "
بلندن مالي من صديق أعده

لعترة دهري إن تنكب أو كبا

ومالي من رده فتلغيني به

أرد ثوبا ألب علي تالبا

ثم يعود عبدالله لطيب مرة أخرى بلدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لعل رسول الله أرغب من دعا

إلى الله قلباً في الأنام وأرحبا

وأصدقهم في حجة الله لهجة

وأقطعهم إن صارم باتر تبا

وأكرمهم جداً وأكرمهم أبا

وأكرمهم حالاً وعم ومسا

يُعين به الرحمن قوماً أعزة

أذلهم جور عليهم تغلبا^(١)

"عليه من المولى سلام ورحمة"

أحف من النكبا وأذكى من الكبا

عبدالله الطيب مفرد بالديح ، وتقصيدة "مات سعد" لكعب بن زهير بن أبي
سهمي . . . وهو يعتبرها أصل المديح ، على وجه سبغت لردة لبوصيري (عليه جميعاً
رحمة الله وعثراته) وعبدالله لطيب ، كنف بوجه خاص تقصيدة لردة لبوصيري
وكذلك قصائد حمدة لشيخ محمد الخذوب قمر الدين ، راجل دامر . .

ما لردة لبوصيري . وكذلك الهزمية حلف إبراهيم فهي أنشيد وقصائد بعثتها كثير
ويروى بها كثير ويشده هو وإقرانه من الأدباء والشعراء في ظروف الصعلة فتتس عنهم
وتسري من عربتهم ووجدتهم في عربة سدا ، كما هي وسيدة بدعة ما تراج من الكرب
والنمات وكثيراً ما يحول هو وأصدقاؤه من ممارسة "السبطي" في الإشاد وكذلك

(١) الإشارة هنا إلى حكم الإتحطير للسودان، منذ حملة كننسر في نهاية القرن التاسع عشر

بالتعاف عني أشاده جدي ، كل و حد يشد نفس البيت بعد احية . فتداحل لأصوب
والأنفاس والصبايات والأشواق :

أمن تذكر جيران بندي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلتي يدم
أمن هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من أضمر
فما لعينيك إن قلت أكفاهم
وما لقلبك إن قلت استغفهم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألم
يا لاثمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم
والطف بعبدك في الدارين أن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم
وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم
ما رنحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم
وهذه " بردة " المختار قد ختمت

والحمد لله في بدء وفي ختم
أبياتها ستون مع مائة
فرج بها كربنا يا واسع الكرم
مولاي صلي وسلم دائماً أبداً
على حبيبك خير الخلق كلهم

وكان مشدود يرددون هذه نيب الأخير ، لأنهم يعتقدون ان فيه تركه ' حاصه .
يقول أن ابو صيرى أشد " برده " على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الماء . وعندما
تلى نيب لأحر حده انشد صدره . ثم ربح عليه فلم يستطع ان يلى دحجر وطر
يردد :

مولاي صلى وسلم دائم أبدا . هذا أكمل مصطفى (صلى الله عليه وسلم) نشهر
الثاني وقال له : قل يا بوسيري وأنه خير خلق الله كلهم

فصار نيب الأخير ، لئى يستحسن عدة إشادة بعد كل مقطع من القصيدة

مولاي صلى وسلم دائماً أبداً

على حبيبك حشر خلق كلهم

من قصيدة كتب بن رهبر بن بي سلمى ، فهي القصيدة النعمدة فكانت بشد في
السمات لكثرة الحشدة وكذلت مود محمد عثمان ليرعي الكبير

صلوا عليه المصطفى

بحر الصف المصطفى صلوا عليه

صلوا عليه المصطفى

ذكر عبد الله ططير أن ديوان عبدالرحيم سرعى كان ضمن مكتبة والده . وانه تأثر به
تأثيراً باعاً ، وكان يحفظ قصائده كثيرة من قصائد عبدالرحيم سرعى ، كما كان يحب كثيراً
التزم بها وإشادته في مسجد العامر باند مر . مسجد لمخاديب حاصه في ليلة لائس
وليلة الجمعة (مساء يوم الخميس) :

ومن القصائد التي كان يحب إشادته كثير في ذلك المسجد العامر به من المحدثات .
قصيدة البرعي الرائعة :

بالأبرق الفرد أطلال قدييات

لأل هند عفتنهن الغمامات

وملعب عبثت هوج الرياح به

كانهم فيه ما ظلوا ولا باتوا

يقول عبد الله الطيب أن هريبه الشيخ بن الشيخ المهر لمحدث كان عبد الله
القصيدة وذلك كان الفنى عبد الله الطيب يحب إشادتها ، كرام نعمه الشيخ بن الشيخ
الطاهر المجذوب .

« قال أنه كان يقف قائم عندما يصل إلى نهاية الغروب أو السيب ندي في مطلعها وعند
بداية مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم):

يهدي التحية من نيباتي مرغ
إلى نبي عطاياه جـزيلات
محمد سيد الخلق الذي إمتلأت
من نوره الأرض والسبع السموات
واليك أبيات القصيدة:

تشتيتهم جمع الأحزان في كبدي
فألهم مجيـمـع والركب أشـتات
فيا حمامات وادي البان شجوك في
ظل الأراك شجائي يا حمامات
وب أثيلات بخدم لعبت صـحـى
بالعبت بقسي يا أثيلات
تـهـيـج نـوعـة قـمـي سـتـهـم دـ

هت بشر نصـب النـحـدى هـب
فكيف حال بعيد الدار مغترب
له إلى الشـام حنـات وأـنـات
يهدي التحية من نيباتي مرغ
إلى نبي عطاياه جـزيلات
محمد سيد الخلق الذي إمتلأت

من نوره الأرض والسبع السموات
أسرى به الله من أرض الحجاز إلى
أن قبلت نعله الحجب الرفيعات
أدناه من قـاب قـوس حـين كـلمـه
بالغيب من بعد ما قال التحيات
وزاده منه تشريفنا وشـقـقـه
في الخلق لأهدمت منه الشفاعات

تالله ما ارتفعت للدين مرتبه
لولا مراتبه الشم المنيعات
أحيا الزمان فأيام الزمان به
يومان في الله إنعام وغارات
وقل شوكة أهل الشرك مرتضياً
لله ربا فما العزى وما اللات
مى أسلاء على القبر لذي اعتكمت
فيه العلى وانتهت فيه النهايات
وحد صيغة مرفوض ترح به
زهر الرياض وتخضر البشامات
أرض سمت برسول الله أشرف
من تشرفت فيه آباء وأمات
متى أرى النور من أرجاء قبته
مني تباشرتي منه البشارات
فلان ولهت إلى قبر ابن أمنة
فهو الذي ختمت فيه الرسالات
ذاك الحبيب الذي ترجو عواطفه
وبره الخلق أحباء وأموات
البدن شق له والغصيم ظله
والجذع حن وسبحن الخصيات
وشاه جابر يوم الجيش معجزة
نعم النبي ونعم الجيش والشاة
مولاي مولاي فرج كل معظمة
عني فقد أثقلت ظهري الخطيئات
وأمنع حمائي وهب لي منك مكرمة
يا من مواهبه خير وخيرات

وأعطف على وخذ يا سيدي بيدي
 إذا دهنتي الملمات الملمات
 فقد وقفت بباب الجود معتمدرا
 والعفو متسع والعذر أبيات
 وإن مدحك بالتقصير معترفا
 فمدحك الوحي والسبع القرات
 قل لا يخف بعدها عبدالرحيم ومن
 يليه أهل وصحب أو قرابات
 صلى عليك إلهي يا محمد ما
 لاحث لشورك من بدر علامات
 والآل والصحب والأزواج كلهم
 فهم لسادات أهل الفضل سادات

ومن قصائد البرعي لثي بوجهها عبد الله نضب، قصيدته البرعي لثي مصعها.
 فؤادي بربيع الظاعنين أسير
 يقيم على آثارهم وأسير
 ودمعي غزير السكب في عرصاتهم
 فكيف أكف الدمع وهو غزير
 حين بدعت حمائم شعبيهم
 ويسرع قلبي بحسرتهم ويصعقهم
 فبالت شعري عن محاحب حاحر
 وعن أعلام رؤسهم يصعقهم
 وعن عذبات نون يلعبن، عجبني
 عجبني كسرات مسجيم ندهر
 ومن لي بأن أروي من الشعب شربة
 وأنظر تلك الأرض وهي مطير

بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكم
 وغبتم وأنتم في الفؤاد حضور
 أغار عليكم أن يراكم حواسدي
 وأحجب عنكم والمح غيور
 أحبيب قلبي هل سواكم لعلتي
 طبيب بداء العاشقين خبير
 أعيروا عيوني نظرة من جمالكم
 وما كل من يبغى الوصال يعير
 مرادي هواكم والهوان كرامة
 لخلو هواكم والعسير يسير
 وتأخذ قلبي نشوة عند ذكركم
 كما ارتاح صب خامرته خمور
 وأنني لمستغن عن الكون دونكم
 وأما إليكم سادتي فقير
 وليلة قدري ليلة بت أنسا
 بكم ولأقلام القبول صرير
 وضحوه عيدي يوم أضحى بقريركم
 علي من اللطف الخفي ستور
 فجودوا بوصل فالزمان مفرق
 وأكثر عمر العاشقين قصير
 ولا تغلقوا الأبواب دوني لزلتي
 ما أنتم كرام وكرام عسير
 وقد أثقلت ظهري الذنوب وإنما
 رجائي لغفار الذنوب كبير
 وجاه رسول الله أحمد نصرتي
 إذا لم يكن لي في الخطوب نصير

ومدح رسول الله فأل معادتي
 أنروز به يوم السماء تمور
 نبي تقى أريحى مهذب
 بشير لكل العالمين سر
 إذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره
 وطابت نفوس وانشرح صدور
 وكيف يسامى خير من وطىء الثرى
 وفي كل باع عن علاه قصور
 وكل شريف عنده متواضع
 وكل عظيم القريتين حقير
 لئن كان في يمتاه سبحت الخصى
 فقد فاض ماء للجيشوش غير
 وخاطبه ضب وجذع وظبية
 وعصو خفي ممه ويعير
 ودر له الشدى الأجد كرامة
 كما انشق بدر في السماء منير
 ومثل حنين الجذع سجدة سرحة
 وأنس غزال البر وهي تفور
 وباض حمام الالك في إثره كما
 بنت عنكبوت حين كان يسير
 وإن الغمام الهاطلات تظله
 بروح نسيم إن ألم هجير
 ويوم حنى إد رمى القوم بالخصى
 فولوا وهم عسى العيون وعور
 وحيد في بدر ملائكة السما
 فجبريل تحت الرايتين أمير

وإن رسول الله من مكة سرى
 إلى القدس والروح الأمين سمير
 فجاز السماء السبع في بعض ليلة
 لكن بعد السبع أين يصير
 فلاح له من رفرف النور لائح
 من النور للهادي اليشير يسير
 وشاهد فوق العرش كل عجيبه
 ومما ثم إلا زائر ومزور
 حبيب غلبي - خبيب فحصة
 وشرفه بالقرب وهو جدير
 وقال له سلني رضاك فإنني
 على كل شيء في رضاك قدير
 فعاد قدير العين في خلع الرضا
 وقد شملته بهجة وحبور
 محمد قم بي في الخطوب فإن لي
 تجارة مدح فيك ليس تبور
 عرائس لا ترضي بغيرك ناكحا
 لهن عزيزات المهور مهوور
 علت وعلت إلا عليك فأرخصت
 لترخص حور في القصور قصور
 مؤلفها عبدالرحيم كأنها
 كواكب في جو السماء تنير
 لبسن معانيها بمدحك بهجة
 فلاح لها نور وفاح عبير
 فقل أنت في الدارين في حزيننا
 ومن يليك صغير في سنه وكبير

وصلى عليك الله واختص واجتنبى
فلأنت هدى للعالمين ونور
وعم رضاه الآل والصاحب أنهم
لدينك يا شمس الزمان بدور

وتعميماً لفائدة، وتعميماً لمحة المصطفى في نفوس أشـء النـصاعـد، بورد قصائد
أخرى من فرقته لبرعي والتي طمنا عثرت ربنا تلك الوحي العنبرية من السودون
الشمالي - بولاية النيل : بربر - عطبرة - الدامر - أم الطيور :
ومن قصائد لبرعي التي يحببها عشاق المصطفى ، القصيدة سى مصدعه .

بكي الغريب لفقد الدار والجار
إن الغريب غزير دمعه الجاري
ويثب به الفارئ، نص هذه لغيره في حب مصطفى (صلى الله عليه وسلم) :
بكي الغريب لفقد الدار والجار

إن الغريب غزير دمعه الجاري
أهأجه الركب إذ قالوا الرحيل غدا
أم شاقه لمع ذلك البارق الساري
أم بات يرقب ناراً بالحي وقُـدِدت
يا موقد النار لا عذبت بالنار
هب النسـيم بأرواح يمانية

تهدي إلى الشام ذاك المنزل الداري
فبت والقلب مجروح جوارحه
حيران أضرب أخماساً بأعشار
نام الخليلون من حولي وما علموا
آتي سـمير صـيبات وتذكـار
يا مريضى برى لمجد أعد مرضى
عسى يعودون عوادي وزواري

فقد وهبت لغزلان العذيب دمي
 ولم أطلب عيون العين بالشار
 نولا فراق الفريق النازلين على
 حكم الهوى ما وشي دمي بأمراري
 فكم نقسه قمي ببة عرحت
 مقسومة بين اتحاد عود
 سلم على الحي من "نيابتي" برع
 وقل لهم حين تنبيههم بأخباري
 رأيته حول بيت الله في زمر
 من طائفين وحجاج وعمار
 وقد قضى عمل النكين محسبا
 ونال ما نال من غفران غفار
 لكنه ضاق ذرعا أن يجع ولم
 يزر شفيع البرايا صفوة الباري
 محمد دعوة الحق الرسول إلى
 عرب وعجم وبدو ثم حضار
 سر السرارة لب اللب خير فتى
 من فتية سادة السادات أخيار
 مستغرق باسمه كل المحامد من
 علم وحلم وإفضال وإيثار
 حياك يا طيبة الغراء صوب حيا
 تهمني بمنسجم في الحي مطاري
 حيث النبوة مضروب سرادقها
 على رياض جنان ذات أنهار
 الله أكبر ذا فرد الجلالة ذا الكاسي
 من الكيس والعماري من العار

ذا بهجة الكون ذا سر الهداية ذا
 روح الوجود المصطفى خير مختار
 إنجيل عيسى مع التوراة بشرنا
 ببعثة مسندا عن كعب احبار
 وكم له في علامات النبوة من
 مصنفات صحاحات واثار
 كبره مرضي وفيض الماء من يده
 وأنس نافر غزلان وأطيار
 وتطق ضب وتسج العنكبوت كما
 باض الحمام لثاني اثنين في الغار
 والعضو كلمه والجزع حن وفي
 معناه تسليم أحجار وأشجار
 والغيم ظلله والبدر شق له
 والجرد فباض بدر عنه مدرار
 وكم لأشرف رسل الله من شرف
 لم تبلغ الخلق منه عشر معشار
 يا منقذ الخلق من نار الجحيم وهم
 على شفا جرف هار بمنهار
 اسمع غرائب مدح لا أريد بها
 تحصيل دار ودينار وقتطار
 فما مدحتك بالتقصير معترفا
 إلا لتخفيف أصاري وأوزاري
 وأين ينزل مدحي فيك بعد ثنا
 سبع المثاني وسجعي واشعاري
 عليك أزكى صلاة الله دائمة
 تبقى بقاء عشيات وأبكار

ومن انصرفت التي يحسب الشيوخ والطلاب من احب انصطفى (حتى انه عيب
وسلم) القصيدة التي مطلعها:

قل للمطى اللواتي طال مسراها
من بعد تقبيل يناها ويسراها
ما ضرها يوم جد البين لو وقفت
تقص في الحى شكوانا وشكواها
لو حملت بعض ما حملت من حرق
ما استعذبت ماءها الصافي ومرعاها
لكنها علمت وجدي فأوجدها
شوقي إلى الشام أبكاني وأبكاها
ما هب من جبلي نجد نسيم صبا
الغور إلا وأشجاني وأشجاها
ولا سرى البارق المكي مبتسم
إلا وأسهرني وهنا وأسراها
تباردت من ريانى ابتي برع
كأن صوت رسول الله نادها
حتى إذا ما رأت نور النبي رأت
للشمس واليذر أمثالا واشبهاها
حطت بسوح رسول الله وأطرح
أنفسائها ولديه طاب مشواها
حيا الغمام الرحاب الخضر منسجما
فالقبر فالروضة اخضراء حياها
حيث النبوة مضروب سرادقها
وذروة الدين فوق النجم عليها
هنالك المصطفى المختار من مضر
حسب نبريه أمصده وادبها

أتى به الله مبعوثاً وأمنه
 على شفا جرف هار فأنجاه
 وأبدل الخلق رشداً من ضلالتهم
 وقل بالسيف لما عز عزاه
 كم حكم السيف والبيض القواضب
 في معاشر اللات والعزى قافئها
 وساق جرد جياذ الخيل خائضه
 مجرى الكماء بمجراها ومرساها
 شمس الوجود الذي أنوار مولده
 ملأن ما بين كنعان وبصرها
 وانشق إيوان كسرى من مهايته
 ونار فارس ذاك الطفل أطفأها
 وكم له من كرامات يخص بها
 ومعجزات كثيرات عرفها
 والجذع حن وأجرى الماء من يده
 عشر المئين ونصف العشر أروها
 والعنكبوت بنت يستن عليه لكي
 ترد فرقة كفر ضل مسعاها
 والفحل ذل وأوماً بالسجود له
 والظبية اشتكت البلوي فأشكاها
 بشرى طراف القوافي أنها ظفرت
 بسيد العرب العرباء بشرها
 فالحمد لله نحن الفاتزون به
 في ملة نعم عقيب الدار عقبها
 هذا محمد المحمود سيرته
 هذا أبر بني الدنيا وأوفاه

هذا الذي حين جانا بالرسالة في
 بطحاء مكة عم النور بطحاها
 لم يبق من شجر فيها ولا حجر
 إلا تحييه نطقاً حين يلقيها
 وكلمته جمادات الوجود على
 عمه كأن لها حس وأقوى
 والطير والوحش والأملاك ما برحت
 تهدي السلام له كي ترضي الله
 متي السلام على النور الذي ابتهجت
 به السموات لما جاز أعلاها
 واستبشر العرش والكرسي وامتلات
 حجب الجلالة نورا حين وافاها
 يا من له الكوثر الفياض مكرمة
 يا خاتم الرسل يا يس يا طه
 ما للنبيين من وصف وليس له
 فمنتهى حسناتها وحسنها
 أنت الذي ما له في الكون من شبه
 هيئات أين تراها من ثراها
 ما نال فضلك ذو فضل سواك ولا
 سامي فخارك ذو الفخر ولا ضاهي
 فرد الجلالة مقبول الشفاعة في
 يوم القيامة أعلى الأنبياء جاه
 ومن انقصاد البديعة للبرعي، قصائده:
 ضريت سعاد خيامها بقوادبي
 من قبل سفك دمي بسفح الوداي
 وقصيدته في مناجاة المولى عز وجل، والتي مطلعها:

فمن سأل صموئيل وبادرت يدي

في الكرم بحبيب من سادة

واصل بظاعفه رضاء فلم يزل

الحود يرضى طالس رصاه

والحقيقة فالكثير من قصائد عبدالرحيم البرعي بها صدى خاص، لأنها صادرة من قلب
معني حب الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي يخرج من القلب، يصل إلى القلب،
كما يتوالت، ولأروح حود مجندة وكذلك القلوب، فمحيي رسون لله صلى الله عليه
وسمه جميع بتعارفون بظهر الغيب وكوى أحدهم هي كوههم جميع، ورفق حزنني عز
وجل حبه وحب نبيه.

عبدالله الطيب والبوصيري:

وأن البوصيري فوعجاب عبدالله نضبت به لا يدب فيه إعجاب، يقون موهبا بمقصده
وروائع مداتحه في المصطفى، صلى الله عليه وسلم^(١):

'ونبم بصيري من فحل لشعر وطنه في مدح الرسول روع ليس لي سكت
اشوهد فيها هيا من سيل - وتذكر منها على سبيل التمثيل لأمية تنى على رب البيت
سعد - ولم يحسن لها فتحة سبب، وأما فتحتها لتأمن ونواضع:

إلى متى أنت بالذات مشغول

وأنت عن كل ما قدمت مسئول

في كل يوم ترجي أن تتسوب غدا

وعقد عزمك بالتسويق محلول

أما يري لك فيما سر من عمل

يوم نشاط وعما مء كسب

فجرد العزم أن الموت صارمه

مسجود بيد الآمال مسلول

وباتيته الواقية التي إفتتحها بالمدح مباشرة:

١١ المرشد إلى أشعار العرب الجزء الرابع القسم الثاني ص ١٩٧

يمدح المصطفى تحيا القلوبُ

وتغستفقر خطاياهم يومُ

وأرجوان أعيش به سعيدا

والقاه وليس على حوب

سبي كاسم لأوصاف تمت

محاسنه ففليل له الحبيب

وفيها

بدت للناس منه شمس علم

طوالع ما تزول وما تغيبُ

خلاتقه مواهب دون كسب

وشتان المواهب والكسوبُ

مهدة بسور نله ليست

كأخلاق يهذبها اللبيب

وأداب النبوة معجزاتُ

فكيف يتالهـا الرجل الأديبُ

* ومن روى البوصري رحمه الله "لتي استهوت عبدالله بن طيب رحمه الله رحمه

وسعة رسته من بحر الكمال" انني استهيتها بوصيري سلو عظمي وندم مثل لاميه

التي استعرضناها أعلاه" وفيها يقول:

وأفـاك بالذنب العظيم المذنبُ

حسحلا يعترف بنفسه ويؤنس

لم لا يشوب دموعه بدمائه

دبر شيمه عورتها من محصب

لعبت به الدنيا ولو لاجهله

ما كان في الدنيا يخوض ويلعب

لزم القلب في معاصي ربه

إذ بات في نعماته يتقلب

يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَقُلُوبَهُ
شَرَّهَا عَلَى أَمْثَالِهَا يَتَوُوبُ
يَفْرِي جَوَارِحَهُ عَلَى شَهْوَاتِهِ
فَكَأَنَّهُ فِيمَا اسْتَبَاحَ مَكَلَبٌ
أَضْحَى بِمَعْتَرِكِ الْمُنَايَا لَاهِيَاً
فَكَأَنَّ مَعْتَرِكِ الْمُنَايَا مَلْعَبٌ
ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ فَمَالَهُ
إِلَّا إِلَى حَرَمٍ (بَطِيحَةٍ) مُهْرَبٌ
مُتَقَطِّعُ الْأَسْبَابِ مِنْ أَعْمَالِهِ
لَكِنَّهُ بِرَجَائِهِ مُتَسَبِّبٌ
وَقَفْتُ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى أَمَالَهُ
فَكَأَنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ
وَيَدَالُهُ أَنَّ الْوَقُوفَ بِيَابِهِ
بَابُ الْغُفْرَانِ الذُّنُوبِ مُجَرَّبٌ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ مَطَامِعِي
فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ

❦ يقرب عبدالله لطيف في أشعار الوصيري حفة روح مصريين، ومنهم أبي الدعية
وهو يبرهن من ذلك، إذ أن الوصيري رحمه الله، ولد في ناحية أوصير، سنة
١٠٠٠ هـ مصري من صعيد مصر، ولدي يقارب شعر الوصيري شعر عبد الله حبيب
نمرعي نيممي لا نجد صدى الرعي لصدقه المشبوهة ولكنه - عروسه - عبد الله
وجواهر من المعاني والصور والتشبيهات البديعية الرائعة. وعبدالله الطيف شغوف جداً
بشعر الوصيري نيمية، فهو يعود إليها مرة بعد مرة في (موسم) وهي حزنه محلقة
بشعر الوصيري في الردة، ذكر معجزة (إبراهيم) والمنعاج
سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم

هـب ترقى إسى أن كنت منزلة
 من قات قوسين به تُذكرت ونم نـ
 وقدّمتك جمع الأنبياء بها
 والرسول تقديم مخدوم على خدّم
 وأنت تخترق السبع الطباق بهم
 في موكب كنت فيه صاحب العلم

يقول عبد الله نطيب أن (داني) في قصيدته الإنهية، قد أخذ من قصة الغرّاج من
 الوصري وبن موريح ميلاد (الوصري) (داني) أكثر من نصف قرن من الزمان.
 حتى إذا لم تدع ثأراً المستبق
 من الدنو ولا مرقى المستنم
 خفضت كل مقام بالإضالفة إذ
 توديت بالرفع مثل المفرد العلم

ثم يدت محمد الوصري إلى أصحاب رسول الله الكرام، فيمدحهم ويذكر جهدهم
 وبلاءهم في سبيل الله، قال (١):

هم الجبال فصل عنهم مصادمهم
 ما إذا رأى منهم في كل مصطدم
 سل حنيناً وسل بدرأ وسل أحدا
 فصول حتف لهم أدهى من الوخم
 المصدرين البيض حمراً بعدما وردت
 من العدا كل مسود من التّم
 والكاتين بسّم الخط ما تركت
 أقلأهم حرف جسم غير منعجم
 كأنهم في ظهور الخيل ثبت رُبّاً
 من شدة الحزم لا من شدة الحزم

(١) أصداء النيل، ص ٤٨ .

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقاً
 فما تُفرق بين البهم والبهم
 ومن تكن برسول الله نصرته
 إن تلقه الأسد في أجسامها نجم
 ويقول المنصوفة أن من أشد هذا لبت من مد يحاف، ولو غلبه لاسد رحمها معاه
 يصيبها الوجوم والتردد:
 ولن ترى من ولي غير منتصر
 به ولا من عدو غير منقصر
 أحل أمته في حوز ملته
 كالليث حل مع الأشبال في أجم
 كم جادلت كلمات الله من
 جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم
 كفاك بالعلم في الأمي معجزة
 في الجاهلية والتأديب في اليتم
 خدمته بمديح استقيل به
 ذنوب عمر مضى في الشعر واخدم
 أطعت غي الصبا في الحالتين فما
 حصلت إلا على الآثام والندم
 فيما خسارة نفس في تجارتها
 لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم
 ومن يبيع أجلاً منه يعاجلة
 بين له الخسب في بيع وفي سلم
 إن أت ذنباً فما عهدي بمتقص
 من النبي ولا حبلي بمنصره
 فإن لي ذمة منه بتسميتي
 محمداً وهو أوفى الخلق بالذم

هذا وسم الوصيري كاملاً هو محمد بن محمد بن سعيد بن حماد الوصيري . سمي (محمد) هو ذمته التي أشد إليها في البيت أعلاه ، وعند الله الصيب معروم أيضا بهمرية الوصيري وقد وردوا أجزاء منها أعلاه ، ولا يستطيع أن يوردها كاملة على حملها ودرسم موضوعها . محافة أن نظير أكثر من ألفه ، وحذف خاصة تلك لأحرار من همريه الوصيري التي جادل فيها البصري واليهود حدلاً خشناً لتقد فيهم عقبتهم في تثبيت ، وفي ألوهية عيسى وعذير ، وكذلك نتقد موقف اليهود في المدينة المنورة من نقص خدمهم لرسول (صلى الله عليه وسلم) وحينة ذلك الخلف . خاصة هو النصير وهو فريضة فمن أراد أن يطلع على ذلك فيمكنه الرجوع إلى موضع ذلك في (المرشد) . في جزء أربع - تقسم الثاني منه . وبحثه هذا الفصل بالصلة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . صلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم . .

الفصل التاسع
خاتمة وتعقيب

الفصل التاسع خاتمة وتعقيب

كنت قد ذكرت في الفصل الثاني من هذه الدراسة أن العلاقة بيني وبين استاذي علامة عبد الله الطيب، رحمه الله، رحمة واسعة، كانت علاقة مثالية وحسنة، لكنها علاقه يعثر عليها الكثير من عده الإنصاف. فقد تركت جامعة الخرطوم، مسكر وذهبت إلى ست بعثا، أولا في بريطانيا، وثانيا في الولايات المتحدة الأمر الذي سمع عدب يعمل بجامعة الخرطوم، بعد حصولي على التذكورة من جامعة بنسلفانيا، بولايات المتحدة. ولكن صروفاً بامرجه معروفة - أثرت ايها في ذلك لعص - جاءت دور الاستمرار في عملي كمحاضر في جامعة الخرطوم، و صصرت وقتها إلى ترحيل و ترحال في جامعات امم، خاصة الخنج، فكانت من سفر إلى سفر و من حالي لند يقول الشاعر ابن زريق:

فكأنها هو من حل ومحل

موكل بفضاء الله يزرعه

وكان لقاءتي مع استاذي عبد الله الطيب بعد ذلك لقاءات عابرة، من لقاء إلى لقاء، ومن افتراق إلى لقاء، ولقد سسى بي أفاضله في بريطانيا عدة مرات. مرة في دارم ومرة في مدينة أستر. ولقد زرتني في دارم حره له حبره عشرة سنة بعد من تفريد، مصيها كني في الحديث فيها قدر كسر من الإمتاع وهو سنة، وسانت بنت به مدة يوم كامل مرة أخرى في مدينة أستر، وحدث بما شئت عن الإمتاع كمن به سنة حسنة بعامرة، وفي كل هذا كانت تتفرق به سبل تفكر والاهتمام وكنت ذكرت في الفصل الثاني فقد كان عبد الله الطيب مريداً بارتداد قصي بحوم الملعب والشعر والسان، يحترم في كل سوق الشعر والأدب في أيام اجتهاده بكل قصور الأمر والاضفاء، والسلاطين في العصر الإسلامي. أموي وعباسيا، خاصة في العصور العباسية مدحة، حيث تعجرت يبيع الشعر والأدب والسلاخه وكنت أسوق شعر في هذه كثيرة حاد، وهذه علامة أكيدة على مدى تعلق العرب في اخاهيه بالشعر والأدب والسلاخه وسان، كما هي علامة أكيدة على مدى شعفهم بالكلام جميل لتصبح روحه شعر

ونقد ذكر أبو حيان التوحيدى - صاحب كتاب الإمتاع والمؤاساة - عدد من أسواق
شعر أبي كبت معروفة عند أولئك العرب الأخمين ومبها .
دومة جدل .

- سفير .

دو المحنة .

دو المجرار .

- عنكط .

يبدأ كبت أن - كاتب هذه السطور - وتلميذ المحب لأستاذة العلامة . مع ما لا يحصى
على مراكز الفكر والإشباع لفلسفي واخصاري ، أحاول جهدي أن أرتد فصي تحريمه ،
من بغداد ودمشق وحلب وحتى القاهرة المعرندين الله القاطمي . ومن أفصي المشق في
الحسين زابند و نسد و فرس . و مروراً باليونان القديمة ربي المعرب لعلى وحتى في
الجزيرة الإبرية في اسبانيا المسلمة في العصور الوسطى !

كبت أفرق عنه لأسي كبت أحدث عن قصص فكرية وفلسفية عويصة . ثم نكن
محاصرات عبد الله الغضب ولا مؤلفاته الرائحة شذيمة . تسعسي أبي حبات عمه . لأن
المكر قصده لكثرة تتجور كل اللغات كعنا . ونكسي له ادحر جهل لادرت مدى
أهمية لغة كوعاء للفكر . وكادة للتعبير والفهم . فأعود من حيث افترقت . ثم ما سنا
شعر سائل وعده الإشباع . فافترق مصوناً نحو فلاح المعروفة وسارتها شرقاً وغرباً .
أردت بقده . وكنت في نفس حبات لم تفصده . ومن بعد صويل ونقاش مع
أستدي لم نظفرني به الأيام . ومن هنا كانت عابه خول ولأسي ومبرارة القند و خرمال .
ففرغت بحاجاتي إلى كتبه وآثاره . علي أعوض بها بعض التعويض ما حرمني فقده من
الأسر والمثابة . ولله ما أعطى ولله ما احب . والله وإليه راجعون

مناظرة بين أبي سعيد السيرافي (عالم اللغة) ومتى بن يونس (عالم المنطق)
ذكر أبو حيان التوحيدى في كتابه لتدعيم (الإمتاع والمؤاساة) حواراً أديعاً بين كل
من .

أبي سعيد السيرافي ، العنم لتغوي العلامة في نحو العربي وفي الصرف والسلاعة .
* متى بن يونس ، عالم المنطق والفلسفة في بغداد .

عن العلاقة بين اللغة و المنطق، وعن أهمية كل من هذين العلمين كأساسين للنسبة للطلاب والدارسين.

« وعن الأهمية العلمية لدئية لكل منهما أي أيهما هم وأشرف بالنسبة إلى كافة العلوم. وإني طئني الحقيقة وناسحين عن عدم المعرفة؟
« فكان كل واحد منهما يتعصب لعلمه، يسحر إلى تخصصه ويشطط في ذلك.
« ولقد حرت هذه المداطرة لعجوبة على النحو الثاني، كما حصلها هو حين سوحيدتي، في كتابه القيم، المشار إليه أعلاه.

- أبو سعيد: هلا عرفت لنا المنطق، يا متى المنطقي؟!

- متي بن يونس: المنطق أعني به أنه لغة من لالت الكلام بعرف به صحيح الكلام من سقيمته، وفاسد المعنى من صالحه، وكالمبرن فإني أعرف به نرحم من مفصرون.
والثالث من الجانح "أي المرتفع من المائل"!

- قال أبو سعيد: أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمته يعرف بالمنطق وأشرف والأعزب المعروف، إذ كما تتكلم بالعربية؛ وفاسد المعنى من صاحبه يعرف بالعقل، إذ كما سحث بالعقل!

- متي بن يونس: إنما أرم ذلك، لأن المنطق بحث عن الأعراض المعقولة والمعاني المدركة، ونصف نحو طر المدركة والسوابع المدركة والناس في المعقولات سواء، لا تفرق أربعة وأربعة (ثمانية) سواء عند جميع الأمم. وكذلك ما نشه!
فإن أبو سعيد تقدم موته بهذا المثال: أربعة وأربعة تدرك ثمانية. ولكن المقدمات العقلية. والمدكورات باللفظ لها طريق متدية وشعب محتففة. فليست بسطة هذه المثال، ولو كنت كذلك لزال الإختلاف وحصر الإتفاق؛ ولكن الأمر ليس كذلك! ولكن لا غرض من المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليهم إلا باللغة الجامعة بالاسماء والأفعال والحروف. ألست قد لزممت الحاجة إلى معرفة اللغة؟!

- متي بن يونس: بلي!

أبو سعيد: أنت لست تدعون إلى علم المنطق. إنما تدعون إلى علم اللغة اليونانية. وأنت لا تعرف يونانية، فكيف صرت تدعون إلى لغة لا تفهمها؟!
متي بن يونس: يوناني، وإن ردت مع عتبه، فإن لترجمة حفظت لأعز ص وأدب المعاني، وأخلصت الحقائق!

- أبو سعيد: كذلك نقول لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حجة إلا ما أئرووه!

متى من يوس لا، ولكن يونان من بين الأمم أصحاب عناية بحكمه والبحث عن طهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به أو يتفصل عنه.

ويفصل عديتهم طهر ما ظهر، وإتشر ما يتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أراج العلم وأصناف الصنائع؛ ولم نجد هذا لغيرهم!

- أبو سعيد: أخطأت وتعصبت وملت مع الهوى!

فإن علم نعلم مبثوث في العلم بين جميع من في العالم! ولماذا قد نقاش

العلم في العالم مبثوث

ونحوه العاقل محثوث

ركبتك مصدعت مفصولة على جميع من على حدد الأرض

ويجد علم في مكان دون علم؛ وكثرت صنعه في بقعة دون صناعة؛ ثم

ليس غنى بهم مختلف، وأصنافهم في الكمال متفاوتة!

وهذا في اختلاف والتفاوت هو في ارتفاع ودرجات هو - الصنع، وليس

لا نسب؛ إذن فكيف يمكن أن يرتفع هذا الاختلاف لطبيعي وبسوي؟

متى من يوس يرفع هذا الاختلاف بقوه عند منطبق الموضوع المعبر به إلى غير حبه

تفرق من الصحيح والمستقيم، والفساد والصلح؛ والرجح والساقص؛ ويرتفع

(الشارف) والجائح (المائل)؟

- أبو سعيد: (وكأنه يرى أن منطق اليوناني صوري محض في الصورة) دح هذا الكلام (عن

منطق اليوناني) أي أسألت عن معنى حرف وحد، وهو دائرة في كلام العرب، ومعاب

متميزة عند أهل العقل!

وشرح أنت (يا متي) معانيه من ناحية منطق أرسطو الذي تدل به وتنهى به

وهو حرف الواو:

* ما أحكامه؟

* وكيف مواقعه؟

* وهل هو على وجه أو وجوه؟

متى من يوس (مردداتيهوت، هذا هو، وأحجوه النظر فيه، لانه لا حجة تامصقي فيه)

والتحوي حادة شديده إلى المطلق، لأن المطلق يبحث عن معنى، والتحوي يبحث عن اللفظ، فإن مر المطلق باللفظ فالعرض، وإن عثر التحوي على معنى، فالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى!

نور سعيد: أحضأت (يا متي) فبره لا فصل بين اللفظ والمعنى،

لأن الكلام ونطق واسعة واللفظ والإفصاح والإعراب، والادعاء والخدب والاحسار، والإستحار والغرض، والسهي وحسن، والدعاء والنداء ونظير، كلها من زاد واحد لما كانه والمثاله، فلا يمكن فصل اللفظ عن المعنى.

فالتحوي مطلق ولكنه مسروح في العربية، ونطق نحو، ولكنه مشهور - معناه - وإنما خلاف بين اللفظ والمعنى، إن اللفظ طبيعي، والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ رتبة أعلى من اللفظ، لأن اللفظ يتقوا اثر الطبيعة ولهذا كان معنى ثابت على اللفظ، لأن معنوي المعنى عثر، والعقل ينهي - ومادة اللفظ طبيعية، ولكن طبيعي متناهية!

وقد بقيت يا (متي) بلا سم صاعته التي تتحلف، وثبتت في معنى بها، ولا تستعير لها اسم من العربية، فتعذر، ويسلم لك ذلك متقدراً، وهذا يمكن أن يكون قبل هذه اللغة من أجل اسم حمله، فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل حتمية الترحدة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة

متي س يرس - بكفيس من لغتكم هذا الاسم والمعنى وحرف، فربي سبع بعد شد إلى أغراض قد هذبته لي يونان.

نور سعيد: أحضأت، لأن في هذا الاسم والفعل والخوف فمير إلى وصفها، سابع على لسبب الواقع في عرائر أهلها فمثلاً حكمه لواء الذي تحدث فيه محله، له رحبه ومواقع:

١- منها معنى العطف: "أكرمت زيدا وعمراً"

٢- ومنها الإستئناف: "خرجت وزيد قائم"

٣- ومنها القسم: "والله لقد كان كذا وكذا"

٤- ومنها معنى رب لتقليد، وقته لأعماق حوي مخترق

٥- ومنها أن تكون أصيله في الاسم: "واصل واقد واغد"

٦- ومنها أن تكون أصيله في الفعل كذلك: "وحل يوحل"

٧ - ربما أن تكون مقحمة كقوله تعالى . ﴿ فلما أسلم وتله للحيين وباديه ﴾ أي ناديتاه

٨ - ربما معنى 'خاف' في قوله عر وحل ﴿ ويحكم الناس في حال كهولته

٩ - وعنده أن تكون بمعنى حرف آخر ، كقولك سوى الماء و خشية أي خشية .
هذا لئلا يثبت ابن العرب إلى المنطقي أبي بشر متى بن يونس الخثائي ، وكان رئيس ماطقة في بغداد وعلى دين النصرانية :

يا أماشر من متى بن يونس . أكان هذا هي محرك (يعني هل فتهت بالسحو على مثل هذا
التعمق والتفصيل ؟)

- أبو سعيد : دع هذا ؟ ههنا مسألة علاقتها بالمعنى تعقبي أكثر من علاقتها بشكل المنطقي
ما تقول (يا متى) في قول القائل : "زيد أفضل إخوة"

- متى بن يونس : هذا صحيح "أي تعبير صحيح"

- أبو سعيد : فما تقول إن قال : "زيد أفضل إخوته"

متى بن يونس : هذا صحيح أيضاً ؟

- أبو سعيد : فما الفرق بينهما على فرض صحتهما معاً ؟

- متى بن يونس : لا أدري

قال عنه أبو سعيد لسرافي : 'فلم وجع وعصر بريقه' ، أي عني وعصر وجعني
عني وعصر بريقه ، أي لمع بريقه حتى غص به من حبرة ومارق
- أبو سعيد :

أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة :

حواشي في الأعراس صحيح ، وإن كنت عاهلاً عن وجهه صحته . وحواشي عن ثابته
باطل وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانه !

إذا قلت زيد أفضل إخوته لم يحضر لأن زيد ليس واحد من إخوة زيد فهو إذن
خارج عنهم . إخوة زيد فكيف يكون أفضلهم فمثلاً : لو قلت أحمد أكثر فضل سعد
لم يجوز لأن الحمار ليس من البغال :

إما قولك "زيد أفضل الإخوة" حاز لأن الإخوة يدخل فيهم زيد نفسه ، فزيد نفسه من
الأخوة : قالوا : "زيد وحمرو وخالد وحسن الخ الخ .

وهكذا فإن النحو لا يعنى له عن المعنى وفيدت ((ب منى)) أن النحو لا يحتاج فيه إلى المعنى باطل!!

وهكذا استطاع أبو سعيد السيرافي أن يوضح في نيران أن النحو مهم جدا . ليس لنوعه وحسب ، ولكن لمصطلح كذلك . فالنطق يحتاج إلى النحو ، وإلى اللغة ليس فقط لتعني طبيعية ولكنه يحتاج كذلك إلى المعاني الغرضية التي تنوع عليها الناس والمصطلح يحتاج كذلك إلى الألفاظ والتعابير المستعملة في اللغة وإلى الكلمات وإلى المفردات ، وإلى كل ما سأل في علم النحو والتعريفات من حل هذا عند أرسطو . في الأجزاء The Organon تبين دراسته في لمصطلح الكلام في .

مفردات (The Categories) وما تنطوي عليه من أسماء وألفاظ وتعريفات ، ونوعه أي الجمل الصحيحة (De Interpretation) .

ثم بعد ذلك بأخذ الحديث عن الاستدلالات ، مباشرة وغير مباشرة ولكن يبقى حدس نرنس ندي 'متي بن بونس' صحيحا قدم الصحة ، ولا يمكن تحذيره بحال وهو أن منطق عقلي موضوعي ملزم لكل بشر 'عنى الأقل في جزء الأول ندي هـ صوري : شكلي ؛ عدم ضروري في طبيعته وهذا المصطلح الأولي الذي يقوم على حدس بديهي هو ملزم لكل عاقل يعتد به . يعني غير معوق ولا طمس ولا محو أو ردود من تفسير ذلك عاقل يميز بعقله غير مكثرو ولا معد بالأساطير . يتصل بصحة فصول منطق لأساسه ، ويقوم على الاستدلال العقلي ، ومن مقدمات الصحيحة اليقينية من ما امر به قواعد الاستدلال الصحيحة فإنه يستنتج منها نتائج صحيحة يقينية وهذه خاصية ليست لنوعه من الأجزاء . وكما قال أبو سعيد السيرافي نفسه فالمصطلح من غريزة العمل ، وهو فسيح إلهية عادته بين كل البشر . مهما خلت عرقهم واللوازمهم وقومياتهم ولغاتهم ، وكما قال الإمام الغزالي :

فالعقل هو أحد الأشياء خمسة بين الناس وهي المقنونة التي ردها ربه ذكرت بعد العاقل . بعد مصفى ما لا يقل عن خمسة أو ستة قرون (توفي غزالي في ٥٠٥ هـ) ونعتل بعد ذلك غريزة أو هبة إلهية .

فإنه أمر ضروري لنفهم ، واللغة وحده لا تستطيع أن تفسر الحقائق الكبرى في الوجود . ولا حتى قصص العلم والمعرفة والدين واللغة من دون فكر . ومن دون علم لا تغني أي غناء في نشوء الحضارات أو في تقدم العلم!

نازع من ذلك، فاللغة والمطلق يكمل بعضهما بعضاً وينعكسان ولا يتناقضان؛ لا
سبل إلى ذلك أصلاً، وكما أن عقل هبة ربانية وجزإيها، فلا أسماء تعينه رباني رموزها
إلهية:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)

والقرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، وهو الذي يجمع في آياته أسدعه حكمه من
حسان البيان وسحره، وبين الحق والفساد والهدى والضيلال لا ريب فيه ولا حشمة معه، يهدي
إلى الحق وإلى صراط مستقيم؟

ومن هنا كان القرآن معجزة لا تنصيع حسن والإسنان يأتي سورة مثله وهو كان
بعضهم لبعض ظهيرا.

قال تعالى:

﴿فَلْيَنْتَظِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ أَن يُنْفَخُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنَّ بَعْدَ الْإِسْلَامِ لَهُ مُبْتَلًى﴾ (الأنعام: ٩٢)

بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء: ٨٨)

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِنَّكُمْ أُنْفِخْتُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْمُنْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢)

خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت: ٤١-٤٢)

وتحدي القرآن وعجازه ليس بسبب عتبه اسحره ولا بسبب بيانه وأدته معون
وحسب، بل هو كذلك لأنه يحتوي على حقائق عالمي شهادة واعب، المنك والكرام،
وحذر المصطفى وحاصر مستقبل وتلك حكمة حائدة التي يستحيل انصافها، مهد
نقد الرمن وحتمت الخصوم من إس وحسن، وكذلك تلك نظم لربانية في هداية
الإسنان في محالاب حياة وتفكير فهداه لانيها من علم الله المحيط الأسنان ننسي لا يمت
الإسنان والحق أن تأتي بثلاثها أو أن يحيطوا بها علماً.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)

فاللغة والمطلق والاستدلال، وحقائق الدنيا والآخرة، وحقائق عالمي المنك
وملائكة، كل ذلك مما حواه هذا التنزيل المحكم، الذي جاء حكماً عربياً مستمراً، من
القرآن، والقرآن باللغة العربية فمعانيه تتجاوز اللغة العربية لأنه رسالة عامة للعالمين، فهداه
نكس نعيمهم وألستهم ذلك أن الحقائق يمكن برحمتها من هبة إلى آخري والقرآن الكريم

يمكن ترجمته معنيته إلى كل لغات الأرض ، لأنه رسالة موحى عربى للناس كافة
أسودهم وأحمرهم !

قال تعالى :

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبا : ٢٨)

وترجمه ألف احفظ لدى رسم أن الشعر لا يترجم ومن باب أرى القرآن ، فإن ترجمه
معنى القرآن إلى كل لغات الأرض أحبه منها وعبر الحجة نعمه منها وحببه امر ممكن
وصحيح أن الترجمة لا استطع أن يقرر كل شيء . هذا صحيح في الشعر كما في
الحق . ولكنه يصار وقدر كبير جداً - صحيح في حق القرآن الكريم ، موحى به من
مولى حرو وجن . ولكن لترجمة نستضع أن نقل الحقائق كاملة . ولدينا فمصدق
بصوري ليس معتمد على لغة اليونانية التي كتب بها لأول وهلة بواسطة : منصور صابيس
نيسابى . ومن هنا كان رد (متى بن يوسف) صحيح انه كمعنى لا يحتاج إلى تعلم اللغة
اليونانية القديمة . فقد ترجمه مصق ترجمه كاملة في سبعة بلد حديق العرب

في جامعة الخرطوم ، كنت طالباً بهب للمعرفة ، صارد عرائس حقائق في كبر معاد
في كبر ساحه وترجم من حبي للغة العربية وبلغت عامة . وتوقفت في ذلك منذ أن
دكت عاب ما أحرز درجه الامتياز في الأدب الإنجليزي لآسى به نصه بى دى في
فساد اللغات ؟ كنت حاسداً في اختيارى الفلسفة والتاريخيات وقد تعلمه نصه فله
انقطع عن القراءة العامة فيها .

في قسم الفلسفة ، كان معظم الأساتذة من الإنجليز ، وكان رئيس قسمه بى
كافدش (C. P. Cavendish) وكان أسد لمصطفى بزمى و فلسفة ، وله كتب مؤلفه
في ذلك . وما لبثت كنت ضائب لامتياز التوحيد في دفعتي في قسم الفلسفة فقد كان بزمى
عبدية حاصلة . وكنت وما لبثت قدر ذلك وأتمه عاب ، وترجمه من لأحتلاف خبرى
بى وبين الأستاذ الفاضل (كافدش) في الاعتقاد منه . فقد كان هو بصرا د ميو
ماركس بهديه ، عندما قدم إلى الخرطوم في بداية أمد ، ولكنه في اخر صود رجع بصرا
مرد حرى وتحلى عن المذكرة والإخاد . ومهد يكن من امره لأحتلاف بى وبين
استدق تفاصيل فقد كان يدرك تعطش اعظم للمعرفة وإعنه صحيح كتب منه
إسلامي لأتجاه ، ولكني كنت تعشق لإسلام عتلاياً معتقداً لآسى ومن أن ذلك هو حربه
لإسلام وفرقه من اليهودية والبصريه حسيب . فالإسلام ليس يعتمد على لادة

ز لبرهين العقبة، وليس هناك قضية في تقرير الكويج إلا والمولى عرواح قد أعطى لها تعبلاً ر قد عليا السرايين حتى وجود الله دة، فإن المولى عرواح قد أعطى به السرايين التي لا جمجمة فيها ولا عناد يجدي معها أو مكابرة!

وكان أستاذي يعرف ذلك مني، ويرحب به كل الترحيب، وكان يمنحني المعرفة صافية كاملة بقدرا أخيه وطفقة والزمن. ولم أكن أنحر عن مواعيد المحاضرات أبداً، بل وفي كثير من الأحيان كنت أتي إلى مكتبه حيث كان مكان الدرس - إذ أنني كنت الطائب الوحيد - كنت تبي قبل مواعيد المحاضرة، وكما ربي استمرينا في دراسة حتى بعد انتهاء مراعيه بحمس أو عشر دقائق، إذا لم يكن له رتباط آخر. وكان يطاء الدرس في كلية الآداب، جامعة الخرطوم يعتمد على اللغة الإنجليزية وسيط لتعريب لكل مواد الدرس، في في ذك الفلسفة. ومن الكتب التي كان يدرسها وباللغة الإنجليزية: رومد لسه لأوني.

1- (Copi) Introduction to logic

2- A. Nagel: Structure of Science

3- Hempel: Philosophy of Science

4- Sellars & Hospers: Readings in Ethical Theory

5- Ayer: Truth Language and Logic

6- Arther Pap: Readings in Contemporary Philosophy

7- Pettaband: Reason and Responsibility

8- Russell: Problems of Philosophy

9- Compleston: History of Western Philosophy

10- Quine: Words & Objects

11- Quine: From a Logical Point of view

رأيتي جانب تلك الكتب السهجية، فقد كان أساتذتي لأحسب، بحيولهم إلى عشر ر المراجع الفلسفية باللغة الإنجليزية. وهم يكن يدرس شيء عن أسرار الفلسفي الإسلامي، لا مقرر واحد هو مقدمة إلى الفلسفة، للإسلامة. وهذا المقرر كان يدرس بعد سنة الثانية. أما أستاذي ولثانية فلا يدرس سوى الفلسفة الأنطوساتسوية. وعندما عدتُ محاضراً في قسم الفلسفة جامعة الخرطوم، وصرت رئيساً لنفسه الفلسفة

بالإضافة لمدة عام، أدخلت مقرر عن ابن خلدون، وأجدره تقسم ومجلس كلية الآداب
 وكان ذلك عام ١٩٧٧ بعد المصالحة الوطنية في السودان، ولكن مجلس لآساته (Senate)
 فشل في مناقشته، ناهيك عن إقراره. وظل مدرجا في جدول أعماله مؤجرا
 جلسة بعد جلسة لمدة أربع سنوات كمنه، وبني أن تركت جامعة في بداية ١٩٨٢ عندما
 صرنا نعضوا في مجلس الشعب الخميني، عن دائرة أستاذة جامعات ومعهد للعب، لم
 يتحدد قرارنا اعتماد هذا المقرر، ولكنني، بالرغم من ذلك طلب أدرسه من ١٩٧١ وبني
 ١٩٨٢ معتمد على لإحارة لمدته من مجلس التقسيم ومجلس كلية الآداب وكان حصلة
 تلك المحاضرات هو كتابي الموسوم!

جوانب فلسفية في مقدمة ابن خلدون :

و لنذكر شرفه لدر السودان للكتب في عام ١٩٨٦ م. ومهم يكن من م مقررات
 لدراسة في قسم الفلسفة، كلية الآداب، فقد كان لنا أستاذة بارون كثيرون، ذكر منهم،
 لا على سبيل الحصر :

1- Prof. Taalimboom from the university of Oslo

2 Prof. C.A. Cavendish From the university of London

وكان في البداية يحمل اسم (Passon) وكتب كتاب في المصق الرمزي لاشتركت مع
 أوكورثر بعنوان :

Passion O'corner: Introduction to Symbolic Logic

وقد قام البروفسير كندش، بتدريس هذا الكتاب، بإيجاز في بداية سنة لثلاثة
 (فلسفة إمتياز)

3- Prof. Gruner

وكان بروفسير (فرويه)، وهو من أصل ألماني ولكنه كان متزوجا من سيده برطانية
 تدرس الأدب الإنجليزي .

4- Prof. Tour Nurdstam

وكان البروفسير نوردستام قد مال لدكتوراة من جامعة خرطوم. وكان مؤلفا لرسالة
 للدكتوراة بعنوان :
 الأخلاق لدى السودانيين

Sudanese Ethics

5- Prof. Price

وكان هذا المروفيير يدرس الأخلاق بينما كان مروفيسير (قبوله) لأدبي يدرس أصول
وفلسفة العلوم!

6- Prof. Miller

وهو بريطاني من أصل أمريكي. ومكث في السودان كثير من نصف قرن من الزمن.
كان يدرس فلسفة الإغريقية وفلسفة الأخلاقية. وكان يلقي إطلاقات فلسفة فلسفة
الأخلاقية بصورة أشبه بطريقة أليديونوحيين. بمعنى أنه كان يحثه كثيرا ويحث كثيرا من
أجل إقناع الطلاب بأرائه.

وهو استند لفلسفة السوداني الوحيد، فقد كان يخرجهم ليرؤفيسر شاهين، درس فلسفة
في مصر وكان يدرس لفلسفة الإسلام وكانت هذه فلسفة تحريم كل المعرفة بفلسفة
بصالحات ومع تكن محبوبة له، لأنها لم تكن مفهومة لديهم ولا حتى لطلاب متفرفين¹¹
وكان هيثم الأستاذ (ناموس Namous) وهو بريطاني من أصل بريطاني، لكنه
يدرس لأنه جاء بعد تخرجي من قسم الفلسفة وكذلك الأستاذ البريطاني ريتشارد
ليهودي (O. Lieman) وكان هيثم عمره وكسبي لا أكثرهم إلا

كانت له جمعية فلسفية متميزة بصفات في قسم الفلسفة وكان يسطر عليها طلاب
دوى برعة سارية (جمعية ديمقراطية) ولكنهم اقتصروا من عصمة هذه جمعية، بالرغم من
سبي كنت صائب الامتياز الوحيد في قسم الفلسفة، وكانت الأول في كلية الآداب دون
مباح ولا فخر، ولكنه الحسد زعمه. وقررت جمعية أن تذهب إلى اليونان في رحلة ذات
أهداف فلسفية لمعاينة آثار الفلسفة الإغريقية لتقديمها هناك (مقرط، فلاطون، أرسطو)
للفلسفة اليونانية لمتأخرين من روفيين وميعادين. ولكنني فوجئت سبي قصيب من
خدمة بصلاب المرشحين لتسمر في تلك الرحلة. وخبريت كثير أئنيك وعشت حاولت
رئيس جمعية أن يجمع عن غيره بإقتضائي من مشاركة زعماء يشت من ذلك، ذهب
شككي، لي رئيس قسم الفلسفة ائنيك المروفيسير كيمبش (Cavendish) الذي سبي هو
الآخر أسفه على ذلك، ولكنه قال:

There is nothing I can do.

فهذه جمعة ضلالة ولصمة وحدهم هم ليس يقررون شأنهم ولكنهم قد لا
I expect you shall have a great career as an academic and you will
sure be able to visit Greece, on your right later on!

وكانت كمنته تلك وضاعته عراء كسر وسنوى عظيمة بالنسبة لي، وفنت كثير من
الشعور بحرارة الضلم والإقصاء اللذين صا عديت منهم في جامعة الخرطوم
وأستاذاً بها! والله المستعان على ما يصفون!!

منهم يكن من أمر قسم الفلسفة، فقد كانت تأثر بأستاذة الحري كاري في جامعة الخرطوم
وبعضهم ثم يكون أستاذة كسر ولكن كان لهم تأثير كبير من الساحة الفكرية عليا ومن
مؤلاء لاسند جعفر شيخ دريس، وكان سعيد (مسعد ندريس) بقسم الفلسفة، لكنه
كان يحاضر كثير في مسائل الفكرية وفلسفية ومسائل الفكر الإسلامي أن الدكتور
حسن نوري، الذي عاد محاضر في كليه لغويين ثم وول عميد سودسي في بعد حسن
الإحيدر، فقد عاد من سربون فرنس، فقبل ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤ وكان لأعد تاسيس
فيها، وظل حمته احمد هير الثائرة من نادي الأساتذة بجامعة الخرطوم وعلى صول شبح
لجامعة التريق الذي الأخصر والى تحاه القصر لجمهوري، حتى سقوط حكومه عداك
بندده التريق بلهيم عبود فيم عرف بعد ذلك ثورة أكتوبر لخصر (أو أكتوبر لخصر
في غناء الفنان محمد وردى):

أصبح الصبح فلا السجن ولا السجن باق

وكانت عضو وندنا للسكريب في لجنة حفظ الشيخ لأحد طلاب جامعة الخرطوم نبي
أودعها اللو، محمد أحمد عرو، وزير الداخلية اداك - في سجن كور، في حمته
حمته ثورة أكتوبر نظافره على أكتفها بعد أن فتحت سجن كور، حررت لسخاء
سياسيين وسخاء الرأي الذين كان لسجن بعض منهم اداك فيها من اداك حنة حنة
منعته سبور والصبياء، ولأمدل اعراض العدة، عديم ظهر د نراسي في المسرح،
سريعاً ما أصبح قائد لتيار الصحوة الإسلامية، وبعد ثورة أكتوبر وهلاق حريات كان
سودن يمور بالتيارات الفكرية ونسبائه والهدسية، و تنطمت املااد كنها موحاة عديمه
من المهر حانات والمؤتمرات والندوات والاحتفالات الفكرية ونسبائه و كانت الخرطوم
لاتناه حتى نسعد الأولى من الصباح وكان لسوق الأفريقي بالخرطوم من كسر

أسواق المنطقة العربية، لأنه كان سوفاجو عابداً فيه تحار كسر من شتى أقصر لعلمه، ثم
لبلاد عربية الأخرى فقد كنت تروح تحت فيود الاشتراكية والقيمة العربية لذلك كنت
أسواقهم همة لأنوار، لأنها كانت أسواق مؤمنة ولذلك كان السوق الأفريقي بحر صوم ولا
(تشريريه) بباريس، يفتح متاجره المتلاذلة الدهرة الأصواء حتى قبل منتصف المساء
وكان لأسماء مصريون ونسوريون وأشعريون يشترون لورهم فيل الإحارة من سوق
آخر صوم نغمي هذا ويحملونها إلى بلادهم في العطلة الصيفية.

وبذلك عندما ظهر د. النري كان له تأثير كبير جداً على الحياة العلمية والفكرية في
جامعته خرم صوم، وأصبحت محاضرات اللغة العربية وأدبها في بريق من محاضرات
التفكير سبسة التي يقدمها الدكتور حسن النري، والتي كانت تحشد آلاف من
الطلاب ومن الجماهير من خارج الجامعة.

ومره أخرى كان قد تبرهن لدي أن لغة وحدها لا تكفي بدلاً عن التفكير بل كانت
ضرورة نكر فكر وفلسفة، وهنا ترجحت لدي قناعات (متى بن يوسف) مساعد عمه
المنطق سعد، على أبي سعد نسري، أستاذ اللغة والأدب العربي سعد د. عباسية أيضاً
وأصبحت أكثر رسوخاً في قناعاتي!

ورحت أطلق لي أقصى تحوز المعرفة والفكر في قسم الفلسفة، وقسم الرياضيات،
ويص في محاضرات تفكير العامة التي كان يقدمها المفكرون السوداويون عبيد نوح نوح،
أكتوبر الطاقرة!!

ثم كن تحدد بدايتي الفكر الماركسي، لأنه كان يبدو لي مصداقاً ومثلاً لتحقيق
التفكير في الوجود، وكنت كثير التفكير في تلك الحقائق الكبرى، صد دعوة الصغرى في
مدرسة ربر الأميرية لوسطى، كثير التأمل فيها وقد هتذيت إلى الإيمان العقلي بها وليس
لدي نقص، كذلك كنت محباً للحرية، لا ساوم عبيد مهم، تكن الاعتبارات، وكنت
الفلسفة ماركسية تصادر اختريات الأساسية للإنسان، خصوصاً حرية الرأي والاعتقاد
وكذلك حرية العمل والنكسب، لأنها كانت تؤدي بدكتورية الطغمة لعدمه ودكتوريه
لحرب شيوعي، القائد لأمين وأوصي الوحيد لثورة البوئيناري، ولذلك كنت أرى إلى
تفكير الإسلاميين وتفكير العربي الحر المليح لي، ولم أكن أرى أي مافضة نسبياً بين تفكير
حر والتفكير الإسلامي، وإن كنت أرفض العنصرية الوضعية، لاسي كنت ومن يد المشرح
هو الله سبحانه وتعالى وليس البشر!!!

وكنتم أرتد أفضى تحوم لفكر والفلسفة، كما فعل حي بن يقطين، بل رويته (حي بن يقطين) لفيلسوف العظيم المدع الحبيب ابن طفيل، طبيب ودعية الموحدين بالأندلس، وصديق لفيلسوف لإسلامي العلامة المعقري، ابن رشد، وهو الذي قدمه إلى جماعة الموحدين بالأندلس، فأصبح فيما بعد أبرز فيلسوف في الأندلس ودعاه موحدين^١ وكتب أدقش البروفيسور (كافيتش) كثير في تلك المواضيع الفلسفية، والتي كنت تتعلق بالهيات القصوى لتفكر والعلم والفلسفة. وكان ذلكم باعثاً له أن يقوم بتدريس مساق فلسفياً عحياناً. كان له أعدد الأثر في كل حياتي فيما بعد ألا وهو (Godel's Incompleteness Theorem) أي نظرية قودل في عدم اكتمال حساب (أو عدم اكتمال نظرية الأعداد الحسابية).

نظرية قودل (Godel) في عدم اكتمال نظرية الحساب:

نظرية قودل في عدم اكتمال نظام نظرية الحساب (Godel's Theorem of the Incompleteness of Number Theory) نظرية عجيبة وذات مدلولات هامة جداً بالنسبة للرياضيات، خاصة نظرية الأعداد والحساب. لأنها تقول وبساطة أن نظام العدد وحساب نظام غير مكتمل... ومعنى ذلك أنه توجد قضية حسابية واحدة على الأقل صحيحة، ولكنها لا يمكن برهنتها ضمن نظام العدد والحساب، ولذلك لا يمكن صيغتها إلى هذا النظام، لأنها لو تعسفاً، إضافتها (يعني بالعافية) فإن هذا النظام يتفقد خاصية أساسية فيه ألا وهي خاصية (عدم التناقض وعدم التجانس وعدم الإسحاح المنطقي) أي خاصية Consistency فالنظام قبل إضافة هذه القضية الجديدة كان مسيحاً منطقياً.

i.e. The system of number theory was consistent

وإذاً خاصية الاسحاح المنطقي (Logical Consistency) هي خاصية أساسية لأي نظام في الرياضيات؛ فأنا لا أستطيع بحال أن تتحلى عنها، أو أن يقرط فيها. ونظام العدد والحساب هو من الأنظمة القديمة والقاعدة في الرياضيات، فإذا أصبحت غير متحسبة منطقياً فإن هذا يهدد كل نظم الرياضيات لأخرى!!

فما هي نتائج هذه النظرية الهامة، وما هي إحياءاتها الفلسفية والمعرفية؟^٢ إن من هذه النتائج والإحياءات، أن قدرتنا على البرهنة في الرياضيات والأساق

مستقيمة فهي قدرة غير مطلقة، ونها حدود لا يمكن تحويرها. فمحال انتهى هي محال ولا
 تبرهنه على، نظريات رياضية في القضايا الأولية المبرهنات The Axioms
 ولكن هذه القضايا الأولية الضرورية لا يمكن اعطاء برهان على صحتها^{٤٩}. ولكن
 نرى عيباً كندية تلك هي لأنها تعرف صحتها بـ "حدس العقلي الأولي" (The prim-
 itive intuitions of the intellect).

فهي لا مبرهنات ولا يمكن البرهنة على صحتها بواسطة المنطق، لأنها مفتوحة على
 برهان منطقي ممكن!!

فطبيعة هذه القضايا الأولية المبرهنات بها صيغة حدسية بورية فهي حلقة مغلقة صحة
 هو العقل البديهي وكما يقول ليرلي، وعدة ديكارت بعدة فروق، فهي حلقة مغلقة وصحة
 "Clear and distinct in the light of reason" فهي فصاح وضح وحده في حد
 - دته. ولا جدح إنني برهان منطقي Discursive Logical Proof هذه المنهج البني
 بوصفها الدكتور أكيرت غودل (Kurt Godel) كان لها صدى عظيم، عندما عثر عليها
 في فيينا (Vienna) في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين. لأنها كانت تتصادم ويقف مع
 الاتجاه النوصفي المنطقي الذي جماعه فيينا أو حلقه فيينا النوصفي (The Vienna Circle)
 وهؤلاء كانوا يرفضون كل معرفة وراء الحواس... ويرى المنطق سرهاني ونسجرت
 محسوس، وكانوا يريدون القضاء على علوم وراء الطبيعة وبشكل واضح وبهائي، ود
 "الكتاب قدس يتاحزهم سرهنة على أن الرياضيات نفسها في نهاية المطاف تعتمد
 هي افتراضاتها الأولية على الحدس العقلي غير سرهني وغير القابل للبرهنة صلاوس
 حيب، من: (Un-provable in principle)

ومع هذا الحدس البوري^{٥٠} أنه مواج بورية وباردت من صبا، نغفل نشد
 "المع" فيه نتي وتشرق على العقل الأولي فيصطر إلى قلوبه بدعوى "الصدا
 بالنسبة إلى على "من أنها صحيحة وإن نكرها يقول إنني شاف
 من هذه القضايا الأولية، وهذه المبرهنات تقع في محال يتحذر حدود العقل
 البرهاني - العقل الحسابي العددي يعني:

It is beyond demonstrative reason, beyond discursive mathematics and
 logic

قد كانت البراهينات، وكان المنطق يعتمد في حوزته بقصوى على حدس البديهي.

وعنى 'نفسه الداخلية'، وسوحتها أمور سة، والرياضيات والمنطق هي من أقوى المعارف والعلوم التي يمتلكها العقل. ومن أسسها: أقدمها، فما تلك العلوم لأخرى الاستقانة أو التجريبية!!؟

من أجل ذلك قولت بصرية (كبرت فودل) برفض استكساري من قبل جده في الرصعين المنطق في أوروبا، في منتصف الثلاثينيات في القرن المنصرم - القرن العشرين ويبدو أن استدي لبره فسير كاندش كان قد بدأ مشور العودة إلى العقل وإلى تدب، بعد سنوات قصده في صحراء الإخذ المنقورة الياس، التي هي أوحش من حل طويلة من مثيرة من تي. إبيوت، التي ناقشت ابروف عند لده انضبط كثير في (لرشد) رحمة لده رحمة وسعة...!

مهم يكن من شيء، فعد كان ذلك المساق من أعظم وأمتع مساقات الفلسفة التي تلقيناها في جامعة الخرطوم، والذي ساعدني على الفهم - ومتسعة دروس البره فسير (كاندش) حولها إلزامي بالرياضيات لحنة وبالنطق وبأنني كنت شديد التعطش إلى مثل تلك المعارف الخسرية لأنها كانت تؤكد إمكاني بالعقل والتدب معاً، وكانت معاً المعين على الدفاع عن إيماني وعقلي و يقيني في اخبة أمام تيارات نلا عقل والإخذ إلى كنت فاشية في جامعة الخرطوم آنذاك.

ومرقتنا إلى بره فسير كاندش، تركته في خرطوم ردهت إلى جامعة درهم بريطانيا مدرسة المحستير في منطق... وبعد سنوات علمت أن (كاندش) قد عاد إلى بريطانيا مؤمماً باليه والتدب وأنه قبل منصب في كلية لاهوتية في جنوب ويلز في سنة لاسمير Lampeter, South Wales وسررت كثير لتلك الأحار ولكني ذهبت لدراسة الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية، وانقطعت صلتني بذلك الأسند السيل، وذلك اخيلسوف الصادق في البحث عن الحقيقة حتى آخر حياته!!

في مدينة درهم، فوحت بتدببة أستاذ سابق بي وهو لدكتور فروور (Gruner) الأذمي وكان لدكتور (فروور) قد تطلع بتدريسي مساق مدخلي في المنطق، عذمه حولت من كلية العلوم إلى كلية لأدب - قسم الفلسفة في السنة الثانية من دراسي في جامعة خرطوم. وكان علي أن أدرس المساقات التي درست في السنة الأولى بقسم الفلسفة لوحيدتي ونهذه القليلة مع الدكتور (فروور) قصة طويلة تستحق أن تروى!

انصبت بي المسز مور (Mis Moore) سكرتيرة كلية الدراسات العليا بجامعة درهم،

وقلت أن ستدأ الدنيا تحسم اتريخ يريد مقابلتي . وفعلت كنت بقاسدة فودت بي وحيه لوحه
مع أستاذ سابق فقلت ما أصغر هذه الدنيا؟

- قلت له : وكيف عرفت بمقدمي إلى جامعة درهم؟

- قال : لم أعرف !!

- إذن كيف طلبت مقابلتي؟

- عرفت أن طالب سودانيا قد انضم إلى الجامعة فوددت أن ترادوا أن كرمه!

- ولماذا تريد إكرام أي طالب سوداني كيف ما أنفق؟

لذلك قصه وذكري حبيبة عدي عن أهل السودان وعن كرمهم وسميتهم ونسبهم في
خدمة صيغهم . كنت في رحلة إلى خير من أولياء . خرج آخر ظيوف وكتبت
سبيلتي لنصغرة سبيلتي (الفيت) الصغيرة لا تذكرها؟

- بلى أذكرها؟

فكانت بوقت حريقا وقد رلت أمطار عربية ذلك اليوم . وهربت سبيلتي في الحقل ،
ومعنى مسر فزير وبني (فوقري) ولم يستطع أن يفعل شيئا إزاءها ووقفنا نسير إليها في
وحشة شديدة وحيرة أشد .

وبينما نحن كذلك طلع علينا بوري بدور كبير ولدا حده مجموعة من الشباب
السودانيين فوقفوا لبوري وذهبوا تو إلى حيث كان عربي ممرورة في الحقل
وحموه حملا إلى حيث نياسة حيث وضعوه وحيوا بسلامات برفقه من المهد
ودهبوا في حانهم ، لم ينتظروا حتى أن أقول لهم شكرا جريلا؟ وعجبوا كل عجب
لذلك نسما من تعاليم والأحلاق الرفيعة . ولبت على نفسي أن كرمي سوداني أقله
في أوروبا أو أي بلد في العالم .

وعدي وررحتي إلى مزلهم ، حيث قضيت وقتا ضا بذكر السودان والسودانيين ومن
يتبرزون به من بحاثات كبيرة وعصا لسياسات لكثيره أيضا؟

وكثيرين من الاخيرة والعربيين الذين جاءوا إلى السودان اعخوانا حلالا سودانيا .
ودانة حنهم ركرمهم انباص . وحسن صفتهم ومحبتهم لنصف وترحبهم به

والشيء بالشيء يذكر . . فقد وقع في بصري مقال ظريف نكته كويتية بعد عروا العراق
نكبت في عام ١٩٩١ دأصل اسم تلك الكتلة الكويتية هو حياة لعمار

فبت في مقال عنوان " بعد الذي لا يصدا " إلى السودانيين عمار من أحسن

وأكرم الناس الذين قابلتهم في حياتهم كلها ونهم إنسابيون صلاء يعدملون الناس بمرحبة
 ضيعة. في عاية دماثة لأحلاق وحسن خلق لا يربون من وراء ذلك حياء ولا
 شكوا. وانهم إذ قوروا معظم جنسيت نبي تعرفت عليها في حياتهم يتفقون في حسن
 خلق وفي الذكاء. يتفقون عليها تعوقا عظيما وكاتب رسالة ذلك المقل موجهة إلى
 الشعب الكويتي أن لا يؤخذ سودانيين بموقف حكومتهم الذي كان مؤازر لعراق عص
 الشيء في ذلك الوقت.

ذكرني تصديق العزيز نوافير يوسف سلمان، استاد الكيمياء في جامعة قصر والدي
 كان متدا مابق في جامعة الكويت وبينها جامعة الحرطوم، انه حصر محصره سكانه
 لبرطيه ميلر (Judith Miller) وهي صاحبة كتاب.

Judith Miller. "God Has Ninety Nine Names"

(الله وثمانية التسع والتسعون اسما)، قالت إن سودانيين من حسن شعوب
 وأكرمها، وأنهم خدوا أحسن ما عند العرب وأحسن ما عند الأفارقة السود، فكروهم
 شعب خلوصي مهجن (Hybrid Race) !!

ولمذبات سر 'خوديث ميلر' إن سودانيين سوف يتمكنون من حل خلافاتهم
 وبرعاتهم وحتى المسدحة منها بالطرق التسمية الحصرية في نهاية المطاف، لأنهم 'أي
 السودانيين - أكثر ذكاء من يدعوا تلك المرات والصرعات ان يدمرهم ودمر مدهم
 الجميل، الغني جداً بالموارد والخيرات !!

هذا بحث مقدوصات الحارة الآن في بنشاش كيب. من رؤية نسر 'خوديث ميلر'
 نكون قد تحققت تماماً وبني لأرجو المولى عز وجل من كل قلبي أن يحل أسامه في
 السودان وأن تصالح لأخوة السودانيين في الشمال والجنوب حول حل عدل وشام
 ومستدام مشكلات السودان، دون رفة يريد من لدماء السودانية البركية عية !! من م
 جميع سودانيين أكثر بكثير من ندي يعرفهم، نوكوا يعقنون !!

أشواق عبد الله الطيب ومعاركه:

عبد الله الطيب. كانت تحركه شوق كبيرة. وحب كبير. وأما وتهدف كسر
 وعذاب سامية عية. كانت تلك الأشواق والأمان والعذاب نوره. بعض مصححه
 في نوري بابه وترجع سعية نحو خير وحق وإيمان. أثناء الليل وأصراف السه. فكان لا

يربح ولا يستريح لا يهدأ ولا ينع شيناً في محيطه لا يهدأ، صجيج حاد في صدى، وهلهو
يحتي ور - ثورة عارمة و بين صاحب - عكس كل ذلك في حياته المهنة وفي حياته
لفكرية والأدبية وخاصة في شعره في:

* "سقط الزند"

* وفي "أصداء النبل"!

* فما هي هذه الأشواق؟!

* وما هي تلك الأهداف والغايات؟!

* وما هي تلك المعارك لمسة لتي خاضها، على مدى نصف القرن من الجهد، بعد
عودته حدملاً، دكتوراة في اللغة العربية وأدبها من جامعة لندن في عام ١٩٥٠م ١٩٩٠

اشواق عبدالله الطيب وحيته:

هي كثير من أشعاره، كان عبدالله الطيب رحمه الله رحمة واسعة يشنكي من له
يستضع ل ينبوا المكانة الثلاثية في وجه اسودان، وفي محيط جامعة الخرطوم، حيث
خساء التي أحبها من كل قلبه! كان يرى نفسه جديرة مكانة رفيعة في بلده وبمركز قيادي
متميز في جامعة الخرطوم، لأنه حدير لذلك ومستحق له، كونه نعلم العلامة لأدب
لهممة و نعلم المطبوع والشاعر الغد العنقري! وحامل نوء عربية في اسودان من وفي
الوطن العربي!! : يقول في قصيدة بعنوان (المنى)^(١) :

يروم من الدنيا مكانا ويصطلي

بتيـرانها إن النضال عنيف

ويعطو إلى ما في الغيوب فؤاده

وللموت من خلف الغيوب صفوف

رويد المنى ليست تقود إلى سنا

سوى ظلمات هولهن يطرف

وصبراً على ريب الزمان وقوة

عليه، فإن السير فيه وجيف

(١) عبدالله الطيب، الفصيدة المادحة ومقالات أخرى، ص ٦ الناشر دار التليف والترجمة والنشر
جامعة الخرطوم ١٩٧٣م.

وذكر بي ثبات عبد الله الطيب هذه، ثبات لشعر عربي لا ذكر اسمه، طاب كبر
خالي الأستاذ محمد أحمد عثمان النعيمة يرددها:

يا نفس كم جشمتك الصبر والرضى
وحشمتني أن ألبس المنجد معلما
فما استطعت أن تستمرثي مرطعاه
وما استطعت بين القوم أن أتقدما
ويا صدر كم حلت بذاتك ضيقة
وكم جال في إنحائك الهم وإرتقا
ويا قدمي ما سرت بي لذلة يوما
ولم ترتق إلا إلى العز سلما
فسر سيرا إلى الموت وأعلم
بأن كريم القوم من مات مكرما
ويا يد ما كلفتك البسط مرة
لذي مئة أولى الجميل وأكراما
فله ما أحلاك في أغل البلى
وإن كنت أحلى في الطروس وأكرما

فعبد الله الطيب حاول مليا أن يصعد إلى المنجد الذي هو يستعده، وإن كان غير الذي
صاح به من حل بنوعه، وكذلك كان دائما يحاول أن يثبت وأن يقبض من شريد كان
تقصده، شععه وبكته، كان يص في شمس له لم يصب في ذلك حتى جاء ذكره، غنى مدة
جده من رعم من بوقه وإخاره، فهذه حارة لذي ولا شيء، لأن سبب ذلك أعداء
الطيب وحساد المتفوق العبقرى!

ففي قصيدته لا تأس التي مر ذكرها فسمت تقدم من هذه لذكر سبب، هذا من عبد الله
نصب به شيء نفسه ألا تأسي على ما يلقاه من كيد ومكر يكرهه من أعدائه وحساد
من قومه، في لوقت الذي كان يستحق فيه لإكرامه وامعة
لا تأس فالناس أعداء اللبيب وكم

قد أنذرتك فلم تحفل بها النذر

وكم صيرت على مر الحوادث
والحر الكريم على البأساء يصطيرُ
يا أيها الوطن الساعي تدفعه
كف الخيانة والأعداء والقسدر
إني كمثلك أبغي النصر مجتهداً
وكيف بالنصر لا عون ولا وذرُ

ولكن بالرغم من ذلك وبرغم الإحفاقات وحية الأمل في وقت الشب - حين
عبد الله الطيب لا يفقد ثقته بنفسه ولا تهون عليه مرتبته الرفيعة ومكانته السامعة، فهو يسر
فقط سليل الأكرمين من آل محاديث ونكه عقري زمانه وفريد يامه، وحامل نوء العربية
في نسون وفي الوطن لعربي بلا منازع - وهو يعرف نفسه هذه المكنة الرفيعة ويعرف
أنه ينللك كرامتياً قيماً قدره من قدره وأنكره من أنكره ' يقول عبد الله لطيف، في قصيدته
'حمر البيان':

ألت إلى شيوخ بعرب سرها
فأنا المجلي في البيان الأول
أثبت كل كرامة مكنونة
غراء فيها الجوهر المتنخل
حسنة ما راء مثل جمالها
غمدان قصر التبعين وموكل
حمر من الشعر الرصين خبائه
ما مثلها البردان أو قطربل
أغلي بها إغلاء من هو عارف
بخبيثها إن رامها من يجهل
وأصوتها حتي يعز متالها
وأبيعها يوم الفخار فأجزل

بعد ذلك الطيب يحمل نوء العربية ويطوي على معرفة الجوهر المتنخل منها، حسنة ما
راء مثل جمالها غمدان قصر الشعين ولا قصر موكل - قصر الخيمة العيس المتوكل؟! -
فهو حمر من شعر الرصين لمعتق، لا تذبل إلا لمن يستحقها ويتذوقها، ويعذر نفسه

وعلوئها فهي مصانها لا تبدل أمداً للجهلاء حتى يعجز مائلها ويرداد الطب عليها في يوم
محدد وفخار للأمة حين تعرف قدر هذه اللغة البديعة لشاعرة الميمنة لعلاء!

فيذن فعبد الله الطيب له رسالة ماحدة وهدف سام رفيع ألا وهو إعلاء نواء العربية في
سودان وهي انعالم العربي ومقاومة كل محاولة للإغضاء من مكائنها أو في محاولة
لإقصائها أو تهديشها في معاهد التعليم في السودان، الذي كان آنذاك يريح تحت وطأة
للاستعمار الإنجليزي، الذي حول وما أضرني جهد لإقصاء العربية وثقل من شأنها
وإحلال لغة الاستعمار مكانها. فعبداً الله الطيب كان يحوض معركة صروس في التصدي
محاولات الاستعمار طمس الهوية الشفافة العربية في السودان من هنا كان تصدي
لحدوات "مستر سكوت" لدهاية الإنجليزي "السمن" الذي بدل كل ما استطاع من أجل
تشكيك طلاب المدارس الثانوية في دينهم وعقيدتهم وفي تراثهم العربي الإسلامي!

يقول عبدالله الطيب، معلقاً على منهج مستر سكوت في تعليم العربية في بحث نرص
في السودان في الخمسينيات من القرن المنصرم:

قال عبدالله الطيب في هذا الصدد إنه يدعو:

"لى التعريب - في مجال التعليم - وإلى تقديم درس القرآن الكريم وصيغة تعليمه،
التي كان معمولاً بها في نردم القديم، على أصداف العت لتي استعرضها من مستر
سكوت وصرايه من المغرير بالترويض، ولعمري إن لغة قصار منقص أقرب إلى فطره
صغارنا من لغة "جمن جمن حمد"، لأن هذه اللغة متعلقة لا يستعملها أحد في مرثه،
وبما يستعمل الناس للسان لدارج فم معني أن تحيد عن التعيين القصيح من مصدره
الأول وهو نقرآن الكريم ثم الشعر الجزل، كما كان يفعل أهل الأدلس عهد خصاره
الذهبي .

نمد كان تلاميذ الكتائب في هذه البلاد في ما قبل ١٩٣٠م بعدها يسير يحفظون
أمثال:

الجحد في الجحد والحرممان في الكسل

فأنصب تصب عن قريب غاية الأمل

وأمثال:

إنا محيوك يا سلمي فحيينا

وإن دعوت كرام الناس فأدعينا

ويرسخ ذلك في نفوسهم لأن التعليم في لصغر كالنقش على الحجر ، انتهى كلام
عبدالله الطيب .

إذن ، فقد كان عبدالله ذو أهداف بعيدة المدى في التعليم عموماً وفي تعليم جمعي
وخاصة في إصلاح التعليم في جامعة الخرطوم :
* وفي مجال التعليم العام كان عبدالله الطيب يرى أن يقوم هذا التعليم على قاعدة صلبة
من :

(١) الثقافة العربية الإسلامية ، وذلك يستدعي أن تؤسس هذا التعليم .

(أ) درس القرآن الكريم ، وخاصة المفصلات من قصار السور حتى جزء أربع ،
على الأقل ،

- الشعر العربي ، وخاصة الجزء منه وذلك يستدعي تدريس وحفظ أجزاء من
المعانيق والعشر الأوائل من الشعر الجاهلي وبعض قصائد أشعر لفحول
الشعراء قدامي ومحدثين .

- الإهتمام بتدريس النحو العربي وكذلك الأدب العربي وحرء مقدراً من
تاريخ الأمة الإسلامية خاصة لسيرة النبوة وأخبار الخلفاء الرشدين
ومنهجهم في الحكم والحياة .

(ب) العمل على ترسيخ الهوية العربية والقيم الإسلامية الأصيلة
ورفض الاتجاه الاستعماري الرامي إلى طمس هذه الهوية أو تهيميشها
واستبدالها بالهوية الثقافية للاستعمار والمعاري الدخيل .

(ح) الاعتزاز بالانتماء إلى الأمة الإسلامية خير أمه أخرجت للناس .
فالذي يستبدل الهوية العربية ، إنجليزية كانت أو فرنسية ، الهوية العربية
الإسلامية فهو كمن يستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير . (قول الإمام
البوصيري يرحمه الله)

بشري لنا معشر الإسلام إن لنا

من العناية ركن غير منهم

كما دعا الله داعين لطاعته

بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

وقال شاعر آخر :

فمما زادني طرباً وتيسهاً

وكدت بأخمصى أطلأ الشُّريا

دخولي تحت قولك يا عبادي

وأن صيمرت أحمد بن تميم

وعبد الله الطيب . كان رجلاً معاصراً متحضرًا ولم يكن تقليدًا أبدًا ، علم يكن - راية
حار يرفض إدخال اللغات الأوردة في الجامعات وكذلك لم يكن يرفض إدخال لغوه
الحديثة . بل كان يصر عليها كل الإصرار . وعند كان عميداً متميزاً جداً بكلية الآداب
بجامعة الخرطوم ، أدخل لغات ثلثية إلى جانب الإنجليزية بالضبط :

١- اللغة الفرنسية

٢- اللغة الألمانية

٣- اللغة الروسية

٤- اللغة الصينية

كما أدخل :

١- علم النفس الغربي

٢- والفلسفة

٣- والآثار

٤- والترجمة

وعبرها من العلوم وكان لا يمتنع أن يدرس طلاب الآداب :

١- الرياضيات

٢- علم الحياة " البيولوجي "

٣- علم الاجتماع

٤- علم الأجتناس

بل كان يؤمن بتكامل العلوم ، وتكامل المعرفة Integration of Knowledge

بالرغم من ذلك ، فقد كان يرى أن يكون لتدريس باللغة العربية لأنها ،

١- أعظم لغات الأرض طراً .

٢- ولأن التلاميذ يتلقون العلم باللغة القومية فضل بكثير مما يتلقونه باللغات الأجنبية

وكان يرى ضرورة ترجمة العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية، لأن تعلم اللغات لأجنبية حتى درجة الإتقان يأخذ وقتاً طويلاً وجهد كبير ولقد تده الأوسون إلى هذا الأمر، فكان مشروع ترجمة العملاق الذي قاده هارون الرشيد وإليه لأمين وأنشرون في ندوة لعاسية لراهرة! وأدى إلى أفضل النتائج وإلى الإبداع والعصرية في وقت وحير سبب. ولكن أهمل ذلك مما رالت جمعائنا بلا إبداع كبير إلى هذا اليوم، لأساقصي العمر كنه في نعلم اللغات الأجنبية وقليلاً ما يبلغ الإتقان لطلو في ذلك!

عبدالله الطيب والتهميش:

لقد كان عبدالله الطيب يعاني من مأساة تهميش للغة انعرية وثقافة الإسلامية وبات في رفض تهميش الهوية الإسلامية والسخرية منها. كان يعاني من ذلك في حياته الشخصية لأنه كان رمزاً للهوية العربية وللثقافة العربية الإسلامية فقد كان يلاقي أذى كبير وعداء وتهميشاً من دعاة لعدمية والثقافة الإنجليزية وسدتها في جامعة الخرطوم ومن فردد لئجة لسودانية الأولى التي أفرزها الاستعمار، ونحرت في كنية عردون لتذكارية وكان يقاوم تلك الخصومة وذلك التهميش بكل ضرورة وبسوء هواة أو مهادة ولدت من جاءت ثورة مايو بالتحالف مع الشيوعيين واليساريين، كان عبدالله الطيب أول المستهدفين في جامعة الخرطوم، بالرغم من أنه كان الأستاذ الباهية والحرر العلامة إلا أن أولئك الشيوعيين واليساريين اقلحو في إقناع السيري بفصله - ومع ثلة من اعظم أساتذة جامعة الخرطوم - وكانت رابطة الأساتذة لاشتراكيين بجامعة الخرطوم وراء تلك لعدمية المهينة المتهاقنة.

لقد كان عبدالله الطيب نفسه أستاذ متفوق ومتميزاً جداً ولقد اعترف لعلم كنه بعقريته وبالآخر إكرام الدولة له - في عهد الإنقاذ - فصار رئيساً لمجمع للغة العربية الذي أنشئ بالسودان لأول مرة، كما سمي شارع في قلب الخرطوم باسمه وكذلك أنشئ معهداً لجامعة الخرطوم يحمل اسمه كذلك "معهد عبدالله الطيب" للغة العربية كما أنشئ "حيراً مركزاً يحمل اسمه. وأن جامعة الخرطوم التي كان مديرها وصدر أخيراً وقبل وفاته مديراً لمجلس إدارتها العامة، فقد كرمته:

١ - أولاً بمنحه لقب الأستاذية المتميزة : Professor Imritues

٢ - وثانياً بمنحه الدكتوراة الفخرية في الأدب

كم أنه دل جائرة المثلث فيصنع لعالمية، وكان قبلها قد نال حائزة لشهيد لمير محمد صالح للإبداع العلمي

وكان سنان حال عبدالله الطيب حساده وعدله • أبيات أبي الطيب المتنبي:

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ويأبى الله مما تأتون والكرم

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي

أنا الشريفا وذاتك الشيب والهزم

وكذلك أبياته الأخرى:

أعادي على ما يوجب الحب للفتي

وأهدأ والأفكار في تحجول

سوى وجع الحساد داو فإنه

إذا حل في قلب فليس يحول

ولا تطمع من حاسد في مودة

وإن كنت تبديها له وتثيل

وإننا لنلقي الحاديات بأنفس

كثير الرزايا عندهن قليل

يهون علينا أن تُصاب جسامنا

وتسلم أعراضنا وعقول

كيد الأهندية وكيد المشايخ:

كان الشيوعيون واليساريون والعلمانيون يكرهون جامعة أم درمان الإسلامية ويحاولون بكل السبل. وعندما جاءت ثورة مايو، وكان مير في أول عهده متحالف مع الشيوعيين والقوميين العرب. كان من أول قراراته حل جامعة أم درمان الإسلامية وتنكيك تحويلها إلى كلية صغيرة للدراسات العربية والإسلامية 'يعني معهد علمي صغير قبيح'. وكانوا قد فصلوا عبدالله لطيف وآخرين من حبره أساتذته جامعة حرم صوم. وعندما ذهب عبدالله مشتكياً متضرراً من فصله لعسفي إلى الرئيس مير

أوحى الشيوخ عيوناً إلى غميري بتعيين عبد الله الطيب عميداً لتلك الكلية الهرابية، التي
شأنها بدلاً عن جامعة أم درمان الإسلامية العملاقة.

وعندما عرض الغميري ذلك لمنصب المتواضع لعبد الله لطيب رد بياقة ساخرة
بأرباب أنا عانيت من كيد الأفندية في جامعة الخرطوم، حتى انتهى ذلك برفتي منها
عوز دي نوقت نودني إلى "كيد المشايخ"؟! أحسن لي رفتي دي!!
وضحك الرئيس وأوصى بإعادته أستاذاً في جامعة الخرطوم!

مهما يكن من شيء، فلقد عانى عبد الله الطيب الكثير لكثير من عدوة، لأفندية في
جامعة الخرطوم ومن الحصة الأولى التي كانت تحسب بدفة احكم في السودان، فقد كانوا
يتجمعون ضده من شيوعيين ويسار وقوميين وعلمانيين ومن سدة التراث الإنجليز
لتعلمي في جامعة الخرطوم وبلغه زوجته حريزدا (Grezelda) فقد كانوا

Ganging up against Abdullah!!

ولكن عبد الله كان قويا وكان مصادماً ومحاربا فلم يستسلم لهم أبداً، وكان يستعين
عليهم بالله ويتفوقه اعظيم في العلوم والمهنة الأكاديمية، ولقد نصره الله عليهم بصراً
مبيناً، عندما عين مديراً للجامعة الخرطوم في عهد غميري، عذمت تحرر غميري من هيمنة
الشيوعيين وأبصرت عينيه نور الحقيقة!!

عبد الله الطيب، كان محققاً بعض الشيء في شكايته من الخصوم والأعداء، ولكنه
كان مفروط الحساسية في ذلك؛ فكان كثيراً ما يبالغ في ذم خصومه، ومن كانوا يتصونه
العداوة والبغضاء!!

ولكننا قد رأينا كيف أن الله نصره على أعدائه فصار مشهوراً ومكرماً على مستوى
العالم بأسره!

وأكبر إكرام لعبد الله الطيب شهادة حموع لمسلمين له بالصلاح، وحسن السيرة
والخيرية عند مماته، فسار في حذرتة أكثر من ثمانين ألف من المؤمنين، يتقدمهم رئيس
الجمهورية، والوزراء وقادة العمل التنفيذي والتشريعي وقادة العسكريين وكذلك وجهاء
البلد وعمتهم. وشهادة المؤمنين مقبولة عند مولاي عز وجل ومن شهد له المؤمنون بالتقوى
والإحسان عند موته وجبت له الجنة، كما قد رسل الله صلى الله عليه وسلم، عندما
قال عن الحذرة التي أسمى المؤمنون على صاحبها ودعوه له الله أن يدخله الجنة، قال، صلى
الله عليه وسلم:

"وجبت" أي وجبت له دخول الجنة!!
فإنه لا تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلال!!

عبدالله الطيب وآراؤه في عروبة السودان والسودانيين:

قلنا إن واحداً من أهم مفاتيح شخصية عبدالله الطيب، قوة وشدة إيمانه إلى العروبة والإسلام. فهو يقول أكثر من مرة إنه عربي بالرغم من "سمرة لونه"، أو - على حسب تعبيره، على الرغم من كونه "أخضر اللون". والسودانيون يقولون للرجل الذي لونه أسمر أو أسود أنه "أخضر اللون". وعبدالله الطيب يدافع عن صحة هذا الاستعمال اللغوي ويقول إن العرب كانت تطلق لفظة "الأخضر" على الرجل الأسمر أو الأسود: يقول عبدالله الطيب في ذلك:

"ورب منكر على الجعليين وغيرهم من بني عمومته من أهل السودان عروبتهم لسواد الوانهم، وليس هذا بشيء... إذ لم يكن العرب في ماضي أمرهم بيضاً ولعل سميرتهم كانت أدنى للسواد لقوله صلى الله عليه وسلم، أنه بُعث للأُسد والأحمر من الناس، قالوا الأسود عنى به العرب والأحمر العجم!!"
يقول عبدالله الطيب إن عقيل بن عقلة أبي (رفض) صهر بعض أبناء الخلفاء من بني أمية وقال:

رددت صـحيفة القرشي لما
أبت أعراقه إلا إحمراراً

وهجا ذو الرمة بني أمرو القيس بالبياض، وقال:

تسمى بني أمرو القيس بن سعد إذا اعتزت

وتأبى السبال الصهب والأنف الحمر

يقول عبدالله الطيب أن (بني جمح) من العرب عرفوا بسمرة اللون وبيلهم إلى السواد في ألوانهم، وبذلك مدحهم حسان - شاعر الرسول، صلى الله عليه وسلم بأنهم بنو جمح الأخضر الجلاعيد قال "أومن بني جمح الأخضر الجلاعيد قال الفضل بن العباس اللهي مفتخراً:

وأنا الأخضر من يعرفني

أخضر الجلد من لون العرب

من يساجلني يساجل ما جداً

يملاً الدلو إلى عقد الكرب

فعبداً لله الطيب يرى إن العرب العاربة الأصليين كانوا سمرأً وحتى بعض أفخاذ قريش كانوا أيضاً خضرأً أي سمرأً إلى السواد أقرب ومنهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم . وعمر بن الخطاب وغيرهم :

وكان السواد فاشياً في الأحابيش وهم قبيلة عربية صحيحة !!

ولقد وصف عمر بن الخطاب بأنه أدلم أدعج يعني أسمرأً أميل إلى السواد في اللون . والأدلم هو الأسود الطويل . وكان سيدنا علي بن أبي طالب رجلاً أدماً أي أميل إلى السواد (لون أديم الأرض يعني بني اللون) .

واللون الأخضر عندما يشتد يصبح أقرب إلى السواد :

وفي القرآن الكريم ﴿ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان﴾ (الرحمن : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤)

مدهامتان يعني أقرب إلى السواد في خضرتهم القوية :

﴿والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى﴾ (الأعلى : ٤ ، ٥)

فإن المرعى إذا قديم وبلى صار أحوى اللون أي أسمرأً أسوداً .

يقول عبداً لله الطيب إن عرب الشام وشمال الجزيرة إنما اكتسبوا بياض اللون من كثرة اختلاطهم بالروم والبيزنطيين وكذلك مع النور (يعني الحلب) من النبطيين وغيرهم .

العرب أصلهم في السودان :

وعبداً لله الطيب لا يكتفي بتأكيد عروبة السودانيين من القبائل العربية في شمال السودان ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول إن أصل العرب كان في السودان ، وإن السودان الشرقي كان جزءاً من جزيرة العرب ، قبل تكوين البحر الأحمر الذي فصل السودان الشرقي من جزيرة العرب !!

وعبداً لله الطيب كذلك يدعي أن الحيل العربية كانت أصلاً في السودان الشرقي ومن هناك عبرت إلى جزيرة العرب !

كما يقول عبداً لله الطيب إن هجرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن إلى الحبشة المعروفة الآن . بل كانت إلى السودان الشرقي وإلى شواطئ النيل عند مروي

القديمة ، بالقرب من كبوشية الحالية حيث الآثار الموجودة الآن في البجراوية ، وفي البقعة
والمصورات ولقد تبع عبدالله الطيب وأيده في ذلك كل من :

* البروقسير حسن الفاتح قريب الله

* والدكتور جعفر ميرغني

* والبروقسير حسن مكّي وآخرون ،

بمعنى آخر ، فإن عبدالله الطيب كان يرى أن السودان هو مركز العالم العربي ، بل هو
مركز العالم القديم فليس يصح أن يصبح هامشاً غير أنني أرى أن أستاذنا المبجل كان يبالغ
في كل ذلك ، وحججه وبراهينه لم تقنعني أنا شخصياً ، ولعلي لم أقف عليها كلها والله
أعلم !!!

رحم الله أستاذنا العلامة العبقري عبدالله الطيب وجعل قبره روضة من رياض الجنة !!

وسبحانك اللهم ونحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وتصلي
ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

رثاء الأسياد والأخ العظيم البروفيسور مندور المهدي

<p>نعوا لي مندوراً فأملقت ساعة نفوسه فتي قد كان حراً وقادراً ولم يك شخصي أن يرى (الناس) وجهه ولا خائفاً في (الحق) تومة لا ثم وعهدى به (ذا) كان حلوقهاكة (العديث) ش وكان ذكياً (تعتا) وفاذا (البصيرة) وذا (قوة) في نفسه وتجاربه ومصاحب تدبير وجدي وعفة وقد كان ذا علم وجليل وجانب وكان بليغاً في (الخطاب) وحاضراً وكان تصافينا زمان (شدة) (الشباب) وطاب (الصفوف) (الود) منها فلم تحدث (الأميام) بين قلوبنا وحق عرفنا صدق ما في نفوسنا فجعت بسنعه وكان نغاه حب مضي (لجيل) حتى صرنا يا صاح بعدهم غريباً ومسال (الدمع) والقلب ماسلاً عليه سلام (الله) أن مقامه عزاء بنيه والعشيرة و (اصبروا) وما هذه (الدنيا) بدار (قائمة) ففسان رب (الناس) ستر عيوبنا ونسأل (الفقران) (الحق) والرحمة</p>	<p>حزيناً وكان (موت) حقاً مؤجلاً على (الخير) نحو (الشدة) أن يتعجلاً (ذا) قال قولاً أو أراد ليفعل (ذا) كره (الحق) (الضعيف) فاجفلاً يبرينا وجهه (المتلهل) ش شمر (الحازم) (المتعقل) ودقة حس رقة ومأمل وشهفاً وبالعرف (الحمد) موكلاً إلى (الله) يُلقي عابداً مستبلاً جواب وفي حفظ (الود) (أولا) سوى أن يزيد (الود) حتى تغلغل من (الحب) لا تخشاه أن يتبدل منامي فعاً صدقت ذلك مؤولاً لدي (الله) في (الفردوس) في (الدرج) (العالى) فقد تم فتي قد كان في (الناس) (أفضلاً) ولكننا فيها ننجون (الستة) ومبرراً على (البلى) وأن نستجلاً وعاقبة (الحسن) وفي (الخلد) منزلاً</p>
--	--